صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٢٢	٢٤	بابن الدولة	بامين الدولة
٢٤٢	٢٠	كننستا	كنيستا
٢٤٣	٩	الشآمة	السآمة
٢٤٥	٧	سيلوب	سيلون
٢٥٩	٢٣	بالطريز	بالتطريز
٢٦٠	٢٥	الدرجة	الدجنة
٢٦١	١٧	مظمها	نظمها
٢٦١	٢٦	الخل	الخطل
٢٩٥	٢٤	فلم هذا ن	فلمن هذا
٣١٤	٢٦	يقيل جميعا وبدبر	يقبل جميعا ويدبر
٣٢٠	٢٨	الربس	الرأس
٣٩٩	١٨	كذا ينبغي	فقال له كذا ينبغي
٤٦٣	٧	وصحته	وصمته

« جدول الخطأ والصواب »

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١١	١٠	الاستمام	الاستتمام
١١	٢٤	بكنبة	بكنية
١٢	١٣	اربعة وعشرون فرشخا	اربعة وعشرون الف فرسخ
١٣	١١	جاءت	جاء
٣٥	٢٨	لحول	لحصول
٧٥	١٧	بالعلم	بالغنم
١١٩	٣	فاستشر واستعن به	فاستشيره واستعين به
١٢٦	٢٥	للمسين	"لمسلمين
١٢٨	٧	ثانيبه	تأنيبه
١٣١	٢٧	فام به	فارم به
١٤٢	٩	فنحن احقي ونحن	فنحن احق به ونحن
١٥٧	٢٣	عفصت	عصفت
١٧٦	١٤	يعلمان الناس	يعلمان الناس السحر
١٧٧	٧	ايضا	ارضا يقال لها
٢٠٧	١	عبسي	عبس
٢١٨	١٣	ملق	معلق
٢١٨	١٤	ليطف	لطيف

« فهرست الجلد الاول من تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر »

نعمة العافية وليس كل مايذكره المؤلف يكون من معتقداته على انه جرت عادة السلف ان يستقصوا قول كل قائل مما عثروا عليه في الموضوع الواحد ويجلونه للعيان ليجد كل طالب بغيته وليقف الحاذق المستنير بنور العلم موقف المحقق المدقق فتراهم قدس الله اسرارهم لايستبدون بحمل الناس على ماحسن لافكارهم ولا يضيقون دائرة البحث على غيرهم بل يفسحون للمتأمل مجالا ويوضحون للسائر طرقاً ليجول فكره في تيار التحقيق ويسرح جواد خاطره في ميدان التدقيق وينسبون كل قول الى قائله تبرأ من صحته وخروجاً من عهدته فلذلك اتسعت علومهم وعلى منارهم فلا يجنح الى تضييق العبارة الا ضيق العطن ولا يقتصر على مروي واحد الا من بالدعوى مع قلة العلم على ان قصد صاحب هذا التاريخ ان يجمع فيه كل ماسمعه عن مشايخه الذين طاف البلاد لاخذ العلم عنهم فأشكر سعيه ايها الواقف عليه حيث قضى عمره في الاسفار وفي الاجتماع بالائمة الاخيار ثم اهداك ما جمعه في طول الغيبة لتقرأه وانت قار في بيتك لم ترحل ولم تسافر واشكر لمهذبه الذي اطال السهر واعمل الفكر واشغل اكثر اوقاته في استخراج الدرر من اصدافها فغاص بحر حدثنا فلان بن فلان ووقف عند المكرر برهة حتى ضم المتفرق ونظمه في سلك التأليف ولم يترك من الاصل قليلا ولا كثيرا الا جمعه وجلاه للعيان منظوما في سلك التحرير والتحبير وعانى اشد المعاناة في مراجعة كل حديث من اصوله المروية فيه لكثرة التحريف في نسخة الاصل واشكر لمن انفق ماله واشغل مطبعته في طبع هذا الكتاب خدمة لحديث النبي المختار صلى الله عليه وسلم ورجاء شفاعته يوم القيام وتبركا بذكر الصالحين. فنسأله تعالى ان يوفقنا لاتمام هذا المشروع وامثاله بمنه تعالى وكرمه وليس ذلك على الله بعزيز .

آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره وهذا ايضا من المسلسلات والله اعلم

انتهى المجلد الاول من تهذيب تاريخ ابن عساكر ويليه المجلد الثاني واوله ترجمة الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه .

عنا انتهت السلسلة الاولى من مسلسلات تهذيب تاريخ الامام الكبير والحافظ المسند الهمام ابي القاسم علي ابن عساكر الذي وسمه بتاريخ دمشق وهو في الحقيقة تاريخ عام لم يعزب عنه من تراجم علماء الحديث الا النذر اليسير لانه مامن امام منهم غير ماندر الا وقد طوف البلاد للظفر بعلو الاسناد وجاب الاقطار للاكثار من الاحاديث والآثار هذا غير مااعتنى به من رواية الاحاديث النبوية الشريفة التي تبلغ الآلاف من كل فن من فنون الشريعة الغراء فبينما هو يورد حديثا من احاديث الاحكام اذا به قد روى غيره في الاداب والحكم والمواعظ وتلاه باخيه المبشر والمنذر وثلثه بالادعية المأثورة والوصايا المنثورة فهو عقد جمع اصناف اللآلي وكنز يفتح لطالبه المعالي ويوصله بالعمل بما فيه الى زلفي وحسن مآب وبينما هو يذكر اذا به قد روح الفوآد بتراجم الشعراء وايراد مالطف وراق من بنات افكارهم وينظمه في عقد احاديث الامراء والاجناد ويجعل واسطة العقد قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو بستان فيه من كل فاكهة زوجان وروضة تفتحت بانواع الزهر والورود يخجل ورد الخمائل وتبهر بلطفها ذهب الاصائل. ومما يعد له افتخاراً ظهوره في هذا الزمن المتلون بالوان الفنون والمتحلى بحلية كل مظهر عجيب وبكل حال غريب فظهر فيهم بعد ان كان اخفى من عنقاء مغرب يخاطب كل ذي مشرب بما يروق له ويلذه وينادمهم بكل مايهشون له ويطربون وكأني ببعض من ليس له من مطالعة الكتب الاحظ كأنه ثماد اوان اعتنائه بالمطالعة اعز من بيض الانوق يهز عطفيه مستكبراً ويقول قد طمى بحر هذا الكتاب بالخرافات وآخر يقول كنا ظنناه كتاريخ فلان وفلان وآخر يقول انه من مؤلفات العصور المظلمة الى غير ذلك مما يتبجح به اهل دعوى المعارف والعلوم ويموهون به على غيرهم بانهم من ذوي العقول النيرة والاذهان الثاقبة فاقول لهم لولا الغث لما عرف السمين ولولا العلة لما عرفت

عند عبيد بن زياد فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان عذاب هـذه الامة في دنيـاها قـال الخطيب البغدادي هكذا حدثناه ابو طـالب الدسكري من اصل كتابه وقد سقط منه الفاظ كثيرة ففسد بذلك وصوابه ان ابا بكرة قال كنت عند عبيد الله بن زياد فأتي برؤوس من رؤوس الخوارج فجعلت كلما اتي برأس اقول الى النار الى النار فعيرني عبد الله بن يزيد الانصاري فقال ياابن اخي وما تدري ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل عذاب هذه الامة في دنياها .

(احمد) بن محمد بن الحسن بن علي بن ملوك ابو بكر السمندي الكرماني سكن عسقلان وروى عن جماعة وحدث عنه هبة الله الشيرازي توفي سنة احدى وستين واربعمائة .

(احمد) بن محمد بن الحسين ابو بكر السجيمي قـاضي همذان سمع الحديث من احمد بن محمد بن حمزة وجماعة وبمصر وجبلة والعراق وغيرهم وروى عنه جماعة وروينا من طريقه الى ابي ايوب الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ذهب منكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا او غربوا قال الانماطي قدم المترجم سنة ثماني عشرة وما كتبت عنه شيئا وقال الخطيب البغدادي كان احزم رجل كتب وسمع وقال صالح بن احمد الحافظ كتبنا عنه وكان صدوقا واسع العلم .

(احمد) بن محمد بن الحسين ابو العباس حدث عن محمد بن المنـكدر وحدث عنه عبد الوهاب الميداني واظنه انه الخليلي الطبري وروينا بالسند اليه من طريقه عن انس بن مـالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايؤمن عبـد حتى يـؤمن بـالقدر خيره وشره حلوه ومره وقبض رسـول الله صلى الله عليه وسلم بيده عـلى لحيته وقـال آمنت بالقدر خيره وشـره حلوه ومره وقبض انس بيده عـى لحيته وقـال آمنت الخ اقول وهـذا الحديـث مـن المسلسـلات وكـل من رواتـه يقبض بيده على لحيته ويقول كمـا قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم اه وروينا ايضـا عن انس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مـا اخـاف عـلى امتي تصديق بـالنجوم وتـكذيب بـالقدر ولا يؤمـن عبـد بـالله حتى يؤمن بـالقدر خيره وشـره حلوه ومره واخـذ انس بلحيته وقـال

تقول لي وكلانا عند فرقتنا ضدان ادمعنا در وياقوت
اقم بارضك هذا العام قلت لها كيف المقام وما في منزلي قوت
ولا بارضك حر يستجار به ولا لئيم ومذموم وممقوت

وقال ايضاً :

افنيت يومي هكذا باطلا منتظرا للدعوة الباطلة
همي للرسل وانبائهم هم التي تطلق بالقابله
يادعوة ما حصلت في يدي بل ذهبت بالدعوة الحاصلة

قال الصنوبري كان اول شعره قلته وارتضيته قولي :

ماحل بي منك وقت منصرفي ما كنت الافريسة التلف
ثم قال لي الشوق قف لتلثمه فقال خوف الرقيب لاتقف
فكان قلبي في زي منعطف وكان جسمي في زي منصرف

وله ايضاً :

عديني بوعد وامطلي ماحييت به
ودعيني افوز منك بنجوى تطلبه
فعسى بعير الزمان ينحني فينتبه

قال علي بن حمدان الفارسي كان للصنوبري ابن مسترضع ففطم فدخل الصنوبري يوما داره والصبي يبكي فقال ما لابني قالوا فطم فتقدم الى مهده وكتب عليه :

منعوه احب شيء اليه من جميع الورى ومن والديه
منعوه غذاه وقد كان مباحا له وبين يديه
عجبا منه ذا على صغر السن هوى فاهتدى الفراق اليه

(احمد) بن محمد بن الحسين اظنه اصبهانيا سمع الحديث بدمشق وروى عنه ابو نعيم الحافظ ورويناه بسندنا من طريقه عن ابي هريرة انه قال لما توفي ابو طالب ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيديه فقال ما اسرع ماوجدت من فقدك ياعم ٠

(احمد) بن محمد بن الحسن بن مالك بن العباس الجرجاني قدم الشام وحدث بها ورويناه من طريقه مسندا عن ابي بردة انه قال كنت جالساً

لان ضمن القبر الكريم كريمتي | لاكرم مضمون واكرم ضامن

وفي الجانب الآخر :

ايا جدتي عصاني الصبر لكن | دموع العين سامعة مطيعه

وكنت وديعتي ثم استردت | وليس بمنكر رد الوديعة

وفي الجانب الآخر :

يا والدي رعاكما اللـ | ـه لاتهجرا قبري وزوراه

اخلقتما وجهي بجدته | القبر يخلقه ويمحاه

وفي الجانب الآخر :

انس الله وحشتك | رحم الله وحدتك

انت في صحبة البلا | احسن الله صحبتك

وفي الجانب الآخر المقدم :

ابكيا ربة قبر | تبلى وقبتها تجدد

لك منزلان ذا يبـ | ـيض للبكا وذا يسود

وله :

دخول النار للمهجور خير | من الهجر الذي هو يتقيه

لان دخوله في النار ادنى | عذابا من دخول النار فيه

وله ايضاً :

لا النوم ادري به ولا الارق | يدري بهذين من به رمق

ان دموعي من طول ما استبقت | كلت فما تسطيع تستبق

ولي مليك لم تبد صورته | مذ كان الاصلت له الحدق

نويت تقبيل نار وجنته | وخفت ادنو منها فاحترق

وله ايضاً :

تزايد ما القى فقد جاوز الحدا | وكان الهوى مزحا فصار الهوى جدا

وقد كنت جلدا ثم اوهنني الهوى | وهذا الهوى مازال يستوهن الجلدا

فلا تعجبي من غلب ضعفك قوتي | فكم من ظبا في الهوى غلبت اسدا

غلبتم على قلبي فصرتم احق به | واملك لي مني فصرت لكم عبدا

جرى حبكم مجرى حياتي ففقدكم | كفقد حياتي لا رأيت لكم فقدا

انه قال ذكر الدجال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلده امه وهي مقبورة في قبرها فاذا ولدت حملت النساء بالخطائين (١) وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدأ اخاه بالسلام كتب الله له عشر حسنات ومن دعا له بظهر الغيب كتب له عشر حسنات قال انس ان كانت الشجرة لتفرق بيننا في السفر فنتلاقى بالسلام وعن عمر ابن الخطاب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمقام احدكم ساعة في سبيل الله خير من عبادة غيره سبعين عاما لا يعصي الله فيها طرفة عين قال ابو نعيم قدم علينا ابن السكن سنة اربع وثلاثمائة وكان ابو احمد العسال حسن الرأي فيه وقال ابن حبان فيه لين وقال الخطيب حدث ببلاد فارس واصبهان عن ابي نعيم الحلبي وجماعة وقال احمد بن عبد ان الشيرازي قدم علينا يعني المترجم بشيراز وحضرت مجلسه وسمعت منه ولا احدث عنه وكان لينا .

(احمد) بن محمد بن الحسن بن مرار ابو بكر الضبي المعروف بالصنوبري الحلبي شاعر محسن اكثر اشعاره في وصف الرياض والانوار (٢) قدم دمشق وله اشعار في وصفها ووصف منتزهاتها قال عبد الله الحلبي الصفري سألت الصنوبري عن السبب الذي من اجله نسب جده الى الصنوبر حتى صار معروفا به فقال لي كان جدي صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون فجرت له بين يديه مناظرة فاستحسن كلامه وحدة مزاجه وقال له انك لصنوبري الشكل يريد بذلك الذكاء وحدة المزاج. ومن اشعاره ماقاله يرثي ابنته وكتب على جانب من قبة قبرها :

بأبي ساكنة في جدث سكنت منه الى غير سكن
نفس فازدادي عليه حزنا كلما زاد البلا زاد الحزن

وفي الجانب الآخر من القبة :

اساكنة القبر السلو محرم علينا الى ان نستوي في المساكن

---

(١) هكذا لفظه في الاصل وقال ابن الاثير في النهاية ومنه حديث الدجال تلده امه فيحملن النساء بالخطائين يقال رجل خطاء اذا كان ملازما للخطايا غير تارك لها وهو من ابنية المبالغة ومعنى يحملن بالخطائين أي بالكفرة والعصاة الذين يكونون تبعا للدجال وقوله يحملن النساء على لغة اكلوني البراغيث (٢) جمع نور بفتح النون وهو الزهر .

(احمد) بن محمد بن الحاج بن يحيى ابو العباس الاشبيلي الشاهد سكن مصر وسمع الحديث بدمشق وبغيرها واتصل بنا مسندا من طريقه الى البراء بن عازب انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن منه او قال اقرأ منه قال الحميدي في تاريخ الاندلس سكن يعني المترجم مصر وحدث بها وكان مكثراً اخرج عنه الحافظ عبيد الله بن سعيد اجزاء كثيرة على عدة مشايخ واثنى عليه ابراهيم الحبال وقال مات في صفر سنة خمس عشرة واربعمائة بالفسطاط.

(احمد) بن محمد بن الحباب الهروي سكن مصر وسمع بدمشق هشام ابن عمار وتوفي بمصر بعد الثلاثمائة.

(احمد) بن محمد بن الحجاج بن رشدين بن سعد بن مفلح بن هلال ابو جعفر المهدي المصري سمع الحديث بدمشق من جماعة كثيرة وروى عنه كثيرون واتصل بنا من طريقه مسندا الى اسامة بن شريك انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد منى فاذا اناس من الاعراب قالوا يارسول الله ما خير ما اوتي المرء المسلم قال الخلق الحسن وعن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من مرض او سافر كان له من الاجر مثل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم قال احمد بن شعيب النسائي دخل ابو جعفر علي وعندي جماعة فصفقوا به وقالوا له ياكذاب قال ابن عدي وكان ابو جعفر يعني المترجم صاحب حديث كثير يحدث عن الحفاظ بحديث مصر انكرت عليه اشياء مما رواه وهو ممن يكتب حديثه مع ضعفه وقال الكتاني كان يدخل الحديث على شيوخه قال ابن مندة توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكان من حفاظ الحديث واهل الصنعة.

(احمد) بن محمد بن الحسن بن السكن بن عمير بن سيار ابو الحسن القرشي العامري البغدادي الحافظ قدم دمشق وحدث بها وروينا بالسند المتصل به الى سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يفجأه (١) مبتلي فيقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به الا عافاه الله من ذلك البلاء كائنا ما كان ابدا ما عاش وعن ابي هريرة

(١) المفاجأة المجيء بغتة من غير تقدم سبب.

قال دخلت العراق فكتبت كتب اهل العراق وكتبت كتب اهل الحجاز فمن كثرة اختلافهما لم ادر بايهما آخذ فعبرت من باب الطاق وانا اريد الكرخ وقطيعة الربيع فحضرت صلاة المغرب فدخلنا المسجد فلما قلت الله اكبر تفكرت في قول اهل العراق من كان له امام فقراءة الامام له قراءة وفي قول اهل الحجاز لاصلاة الابفاتحة الكتاب قال فمن كثرة اختلافهما تركت الجماعة وخرجت فاصابني غم وبت مغموما فلما كان في جوف الليل قمت وتوضأت وصليت ركعتين وقلت اللهم اهدني الى ماتحب وترضى ثم اويت الى فراشي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم دخل من باب بني شيبة فاسند ظهره الى الكعبة ورأيت الشافعي واحمد بن حنبل على يمين النبي صلى الله عليه وسلم يتبسم اليهما ورأيت بشر المريسي على يسار النبي صلى الله عليه وسلم مكلح الوجه فقلت يارسول الله من كثرة اختلاف هذين الرجلين لم ادر بايهما آخذ فاومأ الى الشافعي واحمد بن حنبل وقال اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ثم اومأ الى بشر المريسي وقال فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال ابوبكر والله لقد رأيت هذه الرؤيا وتصدقت من الغدا بالف دينار وعلمت ان الحق مع الشيخين لقول النبي صلى الله عليه وسلم الايمان يمان والحكمة يمانية ولقوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من قريش ولا تعلموها فوجدنا الشافعي قرشيا مطلبيا فحق على اهل الاسلام ان يتبعوه في مقالته وروى هذه القصة ابو بكر البيهقي والجوزقي .

(احمد) بن محمد بن جعفر ابو جعفر المنكدري حدث بصيدا واتصل بنا من طريقه الى انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الازد ازد الله يريد الناس ان يضعوهم ويأبى الله ان يرفعهم وليأتين على الناس زمان يقول الرجل ياليت اني كنت ازديا وياليت امي كانت ازدية .

(احمد) بن محمد بن حوري ابو الفرج العكبري سمع الحديث من جماعة وروى عنه ابو نعيم الحافظ وغيره واتصل بنا من طريقه بالسند الى الزهري قال سمعت انسا يقول والله الذي لا اله الا هو لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عنوان صحيفة المؤمن حب علي ابن ابي طالب قال الخطيب نزل يعني المترجم بغداد وحدث بها وفي حديثه غرائب ومناكير .

(احمد) بن محمد بن بشر بن يوسف بن ابراهيم بن حميد بن نافع ابو الميمون القرشي مولي عثمان بن غفان المعروف بابن مأموية سمع الحديث من جماعة وروى عنه ابو الحسين الرازي وابن ابي الحديد وبالسند اليه الى ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان جاريةبكراً زوجها ابوها وهي كارهة فاتت النبي صلى الله عليهوسلم فذكرتان اباها زوجها وهي كارهة فخيرها رسول الله قال ابو الحسين الرازي كان ابوه يعني المترجم محدثا مشهورا بدمشق ومات هو في رجب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

(احمد) بن محمد بن بكار بن بلال القافلي روينا من طريقه الى ابي زر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني اغفر لكم .

(احمد) بن محمد بن بكار ابو العباس القرشي قدم دمشق وحدث بها وروينا من طريقه الى سعيد بن زيد بن عمرو بننفيل انرسولالله صلى الله عليه وسلمقال منقتل دون ماله فهو شهيد ومن ظلم من ارض شيئا طوقه من سبع ارضين

(احمد) بن محمد بن بكر حدث عن جماعة وروينا بالسند اليه ثم الى علقمة بن ابي وقاص الليثي قال سمعت عمر بن الخطاب يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنية وانما لامريء مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا ويصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه .

(احمد) بن محمد بن بكر بن خالد بن يزيد ابو العباس النيسابوري الوراق مولي بني سليم المعروف بالقصير سمع الحديث بدمشق من جماعة وروى عنه العقيلي وجماعة وروينا من طريقه الى عائشة انها قالت اول مولود ولد في الاسلام عبد الله بن الزبير قالت فجئنا به الى النبي صلى الله عليه وسلم ليحنكه فقال اطلبوا الي تمرة فطلبنا له تمرة فوالله ماوجدناها قال الخطيب كان المترجم ينزل في درب الزعفران النافذ الى درب عمارة ومات سنة اربع وثمانين ومأتين .

(احمد) بن محمد بن بكر بن الرملي ابو بكر القاضي اليازودي الفقيه

اكرموا الشهود فان الله يستخرج بهم الحقوق ويدفع بهم الظلم وروى المترجم عن الخرايطي عن عبد الله بن عبيد الكوفي انه قرىء على لوح حجر قبر مكتوب :

صرت بعد النعيم — في منزل البعد والقلى
وجفاني احبتي — حين غيبت في الثرى
اخلق التراب جدتي — ومحا حسني البلا

وروى ايضا انه قرىء على حجر بالفسطاط مكتوب :

الارض تعجب منا حيث نعمرها — ويكثر الضحك من آمالنا الاجل
نبني وقد نفدت ايام مدتنا — وليس ندري متى ندعي فنرتحل

وروى انه قرىء على لوح من رخام :

يا ايها البالي المغيب في الثرى — زرت القبور فما تحس ولا ترى
لله درك أي كهل غيبوا — تحت الجنادل صار رهناً للثرى
لما نقلت الى المقابر ميتا — لم يبق دمع جامد الا جرى

(احمد) بن محمد بن اسماعيل بن يحيى بن يزيد بن دينار ابو الدحداح التميمي روى الحديث عن جماعة كثيرة وروى عنه ابن درستويه وسليمان ابن احمد الطبراني وجماعة وكان يسكن بدمشق في ربض باب الفراديس في طرف العقيبة وروينا من طريقه عن جابر بن عبد الله قال كانت يهود تقول من اتى امرأته في قبلها من دبرها كان الولد حول فانزل الله تعالى نسائكم حرث لكم فاتوا حرثكم اني شئتم قال ابن ماكولا الدحداح بحاء مهملة وقال الدارقطني ابو الدحداح الدمشقي شيخ توفي نحو العشرين والثلاثمائة وقال ابو الحسين الرازي كانت وفاته سنة ثمان وعشرين وكان اصل اهله من العراق فانتقلوا الى دمشق وكانوا اهل بيت علم .

(احمد) بن محمد بن الاصم ابو حامد الاردبيلي قدم دمشق وحدث بها عن جماعة وروينا من طريقه عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصوم قميص كساكم الله عز وجل فلا تمزقوه بالكذب والغيبة ولاترقعوه بالاستغفار. هذا حديث غريب بمرة وفي اسناده غير واحد من المجاهيل .

ابن مزيد وروى عنه علي بن احمد المقدسي وروينا من سنده ان اسماء بنت يزيد الانصارية من بني عبد الاشهل اتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في اصحابه فقالت بابي وامي انا وافدة النساء اليك الحديث بطوله وسيأتي في ترجمة الاخطل ابن المؤمل .

(احمد) بن محمد بن حكيم بن ابراهيم بن اسيد بن عمرو المديني الاصبهاني المعروف بابن نهيك سمع الحديث بطرابلس والرملة وروى عنه بن مردوية وابن مندة وجماعة وروينا من طريقه عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع قال ابو نعيم توفي في جماد الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وكان اديبا فاضلا حسن المعرفة بالحديث .

(احمد) بن محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن اسباط بن عبد الله ابن ابراهيم ابن بديح مولى عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ابو بكر الدينوري الحافظ المعروف بابن السني حافظ مذكور ومصنف مشهور سمع الحديث بدمشق والبصرة والكوفة وبغداد ومصر وحدث عن ابن ابي داود والبغوي وابي عبد الرحمن النسائي وجماعة كثيرة سواهم وروى عنه جماعة وروينا بالسند اليه من طريقه عن ابي هريرة وابي سعيد انهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ بعبادة الله ورجل كان قلبه معلقا بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لم تعلم شماله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله رواه البخاري وغيره قال عبد الغني بن سعيد واما السني بالسين المهملة والنون فهو ابن السني الحافظ الدينوري كان حمزة بن محمد يرفع به وقال ابن مأكولا هو بضم السين المهملة اه توفي سنة اربع وستين وثلاثمائة .

(احمد) بن محمد بن اسيد بن يوسف بن معن ابو الحسن الكلبي الملاعقي شيخ صالح حدث عن الخرايطي وجماعة وروى عنه ابن الجبان وابن الميداني وروينا من طريقه عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

فقال اني كنت ابايع الناس وكنت انظر المعسر واتجاوز في السكة او في النقد فغفر له ومما انشد لنفسه من الشعر :

ان علم الحديث علم رجال … تركوا الابتداع للاتباع
فاذا الليل جنهم كتبوه … واذا اصبحوا غدوا للسماع

وله ايضاً :

قد قلت اذ رفع الصبا … ح ذيول ليل الوصل عنا
ياليت هذا الدهر دام … الدهر للصب المعنى
فالليل استر للمتـ … ـيم والظلام عليه احنى

وله ايضاً :

اذا بدى فرط تجافيه … وعذل عذالي معاً فيه
دعوا ملامي وانظروا طرفه … في ظرفه والدر في فيه
ولاحظوا الحسن بالبابكم … حتى تعذر واقلب مصافيه
ثم اعذلوني بعد ان كنـ … ـت مااصابني العقل شافيه

وله ايضاً :

اما من العام المنية بغتة … وامن الفتى جهل وقد خبر الدهرا
وليس يجابي الدهر في دورانه … ارازل اهلية ولا السادة الزهرا
وكيف وقد مات النبي وصحبه … وازواجه طرا وفاطمة الزهرا

وله ايضاً :

ياقاصدا علم الحديث يذمه … اذ ضل عن طرق الهداية وهمه
ان العلوم كما علمت كثيرة … واجلها فقه الحديث وعلمه
من كان طالبه وفيه تيقظ … فاتم سهم في المعالي سهمه
لولا الحديث واهله لم يستقم … دين النبي وشذعنا حكمه
واذا استراب بقولنا متحذلق … ماكل فهم في البسيطة فهمه

وله ايضاً :

قد نال صفوة دهرنا شريره … حتى تزايد تيهه وغروره
واختص خيره بفقر مدقع … حتى استذل وزال عنه سروره

(احمد) بن محمد بن ابراهيم بن مدرك حدث عن العباس بن الوليد

احدكم انفق مثل احد ذهبا ماادرك مد احدهم ولا نصيفه وبسنده ايضا الى انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم ذا شيبة فكأنما اكرم نوحا عليه السلام في قومه ومن اكرم نوحا فى قومه فكأنما اكرم الله عز وجل قال عبد الغافر بن اسماعيل في تذييل تاريخ نيسابور ابو الفضل الفراتي شيخ جليل مشهور قلد رياسة نيسابور ثم خرج الى الحج ودخل الشام ومصر ثم عاد الى بغداد ثم الى نيسابور وعقد له مجلس الاملاء وكان حسن العشرة راغبا في صحبة الصوفية توفي في شعبان سنة ست واربعين واربعمائة .

(احمد) بن محمد بن احمد ابو الحسين الكتاني الفلسطيني حدث بدمشق وسمع منه جماعة وبسندنا اليه الىابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم ست قالوا وما هن يارسول الله قال اذا لقيه سلم عليه واذا دعاه اجابه واذا استنصح فانصح لهواذا مات فاصحبه توفي المترجم سنة اربع وستين واربعمائة .

(احمد) بن محمد بناحمد الاكار النهربيتي الفلاحكان ساكنا بقربةالحديثة كتبتعنه بسنده الىابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الولاء وعن هبته رواه ابو نعيم توفي بقربة الحديثة سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

(احمد) بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم ابو طاهر ابن ابي احمد الاصبهاني السلفي الحافظ قدم علينا دمشق طالب حديث سنة تسع وخمسمائة فاقام بها مدة وكتب بها عن جماعة من شيوخنا وكان قد سمع الحديث ببلده وببغداد والرى واردبيل والبصرة والكوفة وهمذان ونهاوند والاهواز والمراغة وقزوين وتستر وتفليس وغيرهم مما لايحصى وحدث بدمشق فسمع منه بعض اصحابنا ولم اظفر بالسماع منه ثم خرج الى مصر فسمع الحديث بها وبالاسكندرية ثم استوطن الاسكندرية وتزوج بها امرأة ذات يسار فسلمت اليه مالها فحصلتله ثروة بعد فقر وتصرف وصارت له بالاسكندرية وجاهة وبنى له علي بن اسحاق المعروف بابن السلار العادل امير مصر مدرسةبالاسكندرية ووقف عليها وقفا وروينا من طريقه اجازة عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ماكنت تعمل فاما ذكر وانما ذكر

وارجوا الثواب بـكتب الصـ لاةعلىالسيد المصطفىاحمدا
واسـأل ربي آلـه العبـاد جريـا عـلى مـالـه عودا

وقال ابراهيم الشيرازي في كتابه طبقات الفقهاء ولد البرقاني سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وسكن بغداد ومات بها في اول يوم من رجب سنة خمس وعشرين واربعمائة تفقه وحدث في حداثته وكتب في الفقه ثم اشتغل بعلم الحديث فصار فيه اماما .

(احمد) بن محمد بن احمد بن منصور ابو الحسن البغدادي المجهمالمعروف بالعتقي قدم دمشق غير مرة وسمع الحديث بها وببغداد وروى عنهالخطيب وغيره ومما اتصل الينا بالسند اليه ثم الى ابن عمر انه قـال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته والحمد لله الذي ذل كل شيء لعزته والحمد لله الذي خضع كل شيء لملكه والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته فقالها يطلب بها ماعنده كتب الله بها الف الف حسنة ورفع بها الف الف درجة ووكل بها سبعون الف ملك يستغفرون له الى يوم القيامة وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدي مرةغنما قال الخطيب ان العتيقي روياني الاصل ولـد ببغداد وبكر به في سماع الحديث وكتب عنه وكـان صدوقا وسألته عن مولده فقال في محرم سنة سبع وستين وثلاثمائة قلت فالعتيقي نسبـة الى ايش قال بعض اجدادي كان يسمي عتيقا فنسبنا اليه وقال ابن مأكولا العتيقي بفتح العين المهملة وقد سمع الكثير وخرجعلى الصحيحين وكان ثقة متقنا يفهم ماعنده وكان الخطيب ربما دلسه واثنى عليه الازهري خـيرا ووثقه وقال ابو الوليد الباجي هو بغداديتاجر لا بأس به وقال ابن الاكفاني توفي العتيقي ببغداد في صفر سنة احدى واربعين واربعمائة وحكى ابو بكر الحداد انه مات سنة اربعين والصحيح الاول .

(احمد) بن محمد بن احمد ابو الفضل المعروف بالفراتي رئيس نيسابور وهو من اهل اسنونا ناحية من نواحي نيسابور قدم دمشق حاجا وحدث بها وروى عنه الفقيه نصر المقدسي وجماعة وانبأنا الموازيني وابن الحنـائي وعبد اللهبنهلالعنه بسنده الى ابيسعيد الخدري رضي الله عنهانه قال قال رسولاللهصلىاللهعليهوسلم لاتسبوا اصحابي فوالذي نفسمحمدبيدهلو ان

البخاري ومسلم وجمع حديث سفيان الثوري وشعبة وايوب وعبيد الله بن عمر وعبد الملك بن عمير وبيان بن بشر ومطر الوراق وغيرهم من الشيوخ ولم يقطع التصنيف الى حين وفاته ومات وهو يجمع حديث مسعر وكان حريصا على العلم منصرف الهمة اليه وسمعته يوما يقول لرجل من الفقهاء معروف بالصلاح وقد حضر عنده ادع الله ان ينزع شهرة الحديث من قلبي فان حبه قد غلب علي وليس لي اهتمام في الليل والنهار الا به او نحوا من هذا القول وكنت كثيرا اذا كره بالاحاديث فيكتبها عني ويضمنها جموعه قال الخطيب وسمعت البرقاني يقول ولدت في اول سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وقال محمد ابن يحيى الكرماني الفقيه مارأيت في اصحاب الحديث اكثر عبادة من البرقاني وقال ابو القاسم الازهري هو امام واذا مات ذهب هذا الشأن يعني الحديث وقال الخطيب قال لنا البرقاني كان ابو بكر الاسماعيلي يقرأ لكل واحد ممن يحضره ورقة بلفظه ثم يقرأ عليه وكان يقرأ لي ورقتين ويقول للحاضرين انما افضله عليكم لانه فقيه وقال ابو القاسم الباجي عنه هو حافظ ثقة وقال الخطيب غير مرة ما رأينا شيخا اثبت منه وقال ابو محمد الخلال وهو نسيج وحده وحكى الخطيب عنه انه قال دخلت اسفرائين ومعي ثلاثة دنانير ودرهم واحد فضاعت الدنانير مني وبقي معي الدرهم حسب فدفعتها الى بقال وكنت اخذ منه كل يوم رغيفين واخذ من بشر بن احمد جزأ من حديثه وادخل مسجد الجامع فاكتبه وانصرف بالعشي وقد فرغت منه فكتبت في مدة شهر ثلاثين جزأ ثم نفد ماكان لي عند البقال فخرجت من البلد وحدث احمد ابن غانم الحمامي ان البرقاني لما انتقل من الكرخ كانت كتبه التي سمعها ثلاثة وستين سفطا وصندوقين كل ذلك مملوء كتبا قال وانشدنا البرقاني لنفسه:

اعلل نفسي بكتب الحديث — واحمل فيه لها الموعدا
واشغل نفسي بتصنيفه — وتخريجه دائما سرمدا
فطورا اضعه في الشيوخ — وطورا اضعه مسندا
واقفوا البخاري فيمانحاه — وصنفه جاهدا مجهدا
ومسلم اذا كان زين الانام — بتصنيفه مسلما مرشدا
ومالي فيه سوى انني — اراه هوى صادف المقصدا

راجعا من خراسان سألته ان يقيم بجرجان فأبى وحمل جميع كتبه التي كانت عندي وديعة من سماعاته بجرجان ورأى كتابي هذا فاستحسنه وسألني ان اكتب اسمه في هذا الكتاب فاثبت اسمه فيه لما كان بيني وبينه من الصداقة والصحبة القديمة بجرجان وبنيسابور والعراق ومصر وخرج من جرجان في سنة سبع واربعمائة الى اصبهان والعراق والشام ومات بمصر سنة سبع واربعمائة اه وهذا القول وهم في وفاته وسنورد الصواب فيها وقال الخطيب البغدادي ان ابا سعد الانصاري الماليني احد الرحالين في طلب الحديث والمكثرين منه كتب ببلاد خراسان وما وراء النهر وببلاد فارس وجرجان والري واصبهان والبصرة وبغداد والكوفة والشام ومصر ولقي عامة الشيوخ والحفاظ الذين عاصرهم قال وكان قد سمع وكتب من الكتب الطوال والمصنفات الكبار ما لم يكن عند غيره وقدم بغداد دفعات كثيرة وآخر ماقدم علينا في سنة تسع واربعمائة وسمعنا منه في رباط الصوفية الذي عند جامع المنصور فانه كان نزل هناك ثم خرج الى مكة ومضى منها الى مصر فاقام بها حتى مات بمصر في يوم الثلاثا السابع عشر من شوال سنة اثنتي عشرة واربعمائة وكان ثقة صدوقا خيرا فاضلا صالحا وقال ابن مأكولا كان ابو سعد الماليني جوالا مكثيرا وقال عبد العزيز بن علي الازجي اخذت من الماليني اجرة النسخ والمقابلة خمسين دينارا في دفعة واحدة اه وما روى عن الخطيب في وفاته هو الصحيح وكذا قال ابراهيم بن سعيد الحبال .

(احمد) بن محمد بن احمد بن غالب ابو بكر الخوارزمى المعروف بالبرقانى الحافظ الفقيه سمع الحديث ببلده وبدمشق وبمصر وخراسان وروى عنه البيهقي والخطيب وغيرهم ومما اتصل بنا بالسند اليه ثم الى عائشة رضي الله عنها ان بن هشام سأل النبي صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي قال كل ذلك الحارث بن هشام سأل النبي صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي قال كل ذلك وهو اشد علي ويتمثل لي الملك احياناً رجلا فيكلمني فيعلمني ما اقول قال الخطيب سمعنا عن البرقاني في بغداد وكان ثقة وعاء متقنا متثبتا فهما لم نر في شيوخنا اثبت منه حافظا للقرآن عارفا بالفقه له حظ من علم العربية كثير الحديث حسن الفهم له والبصيرة فيه وصنف مسندا ضمنه ما اشتمل عليه صحيحا

امر هذه الامة عاليا على من ناواها حتى يملك اثنا عشر خليفة ثم قال كلمة خفية لم اسمعها فسألت ابي وهو اقرب اليه مني ماقال قال كلهم من قريش قال الكتاني قدم ابن الصائغ دمشق من حجاج خراسان في سنة خمس عشرة واربعمائة ولم ار شيخا للصوفية احسن خلقا منه وتوفي ليلة الجمعة لعشر بقين من رمضان اقول لعله في تلك السنة نفسها .

(احمد) بن محمد بن احمد بن عبد الله بن حفص بن الخليل ابو سعد الهروي الماليني الصوفي الحافظ طاووس الفقراء سمع الحديث بدمشق من جماعات منهم العسكري وروى عن تمام والخطيب والبيهقي والقاضي القضاعي وغيرهم وقال عنه الخطيب نعم الشيخ ومما اتصل بنا من روايته بسنده الى انس بن مالك انه قال حدثني ابني عني ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يجعل فص الخاتم من غيره ورواه الخطيب وعن انس ايضا قال حدثت الحجاج بحديث العرنيين (١) فلما كانت الجمعة قام يخطب فقال تزعمون اني شديد العقوبة وهذا انس حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قطع ايدي رجال وارجلهم وسمل اعينهم قال انس فوددت اني مت قبل ان احدثه وقال حمزة بن يوسف السهمي في تاريخ جرجان قدم ابو سعيد الماليني جرجان دفعات وكان اول دخوله جرجان في سنة اربع وستين وثلاثمائة وسمع من الامام ابي بكر الاسماعيلي كثيرا من كتبه ومن ابي احمد ابن عدي الحافظ كتاب الكامل وغير ذلك ورحل رحلات كثيرة الى اصبهان وبغداد والشام ومصر وفارس وحورستان وخراسان وما وراء النهر وآخر دخوله جرجان

---

(١) هو مارواه البخاري وغيره عن انس قال قدم اناس من عكل لو عرينة فاجتووا المدينة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وان يشربوا من ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فجاء الخبر في اول النهار فبعث في آثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم فأمر فقطع ايديهم وارجلهم والقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال ابو قلابة فهؤلاء سرقوا وقتلوا كفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله اه فانظر الى ظلم الحجاج كيف قاس فعله على فعل النبي صلى الله عليه وسلم فان من يقتلهم الحجاج ابرياء لم يسرقوا ولم يقتلوا ولم يكفروا بعد ايمانهم ولم يحاربوا الله ورسوله قوله اجتووا معناه اصابهم داء الجوف واللقاح بكسر اللام الابل والحرة الارض التي بها حجارة سود .

وما سألت فيه ولامضيت الى احد فقال تخرج او اجيء اخرجك فخرجت وبست رأسه عاش المترجم سبعا وتسعين سنة ووالده مثلها وجده مثلها ومات سنة احدى وسبعين وثلاثمائة .

(احمد) بن محمد بن احمد بن الحسن بن سعيد ابو علي الاصبهاني المقري سكن دمشق وصنف تصانيف في القرآت وروى الحديث عن جماعة وروى عنه جماعة وتوفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وكان شيخا فاضلا عالما مصنفا وقيل توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ودفن بمقبرة باب الفراديس وكان من عباد الله الصالحين .

(احمد) بن محمد بن احمد بن سلمة ابو بكر بن ابي العباس الغساني المعروف بابن ابي شرام النحوي سمع الحديث من الخرايطي والزجاجي وجماعة وروى عنه جماعة وروينا من طريقه عن ابن عباس مرفوعا الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيها كثير من الناس وروى المترجم عن محمود الوراق قوله :

ان كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ... وان طالت الايام واتصل العمر

توفي سنة تسع وثمانين وثلاثمائة .

(احمد) بن محمد بن احمد ابو الحسين البغدادي الزعفراني سكن دمشق وسمع بها ابا سليمان بن زير في رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

(احمد) بن محمد بن احمد ابو الحسن الواسطي كتب عنه عبد الرحمن ابن بكر الدينوري وحكى عنه انه انشد لابي العباس بن سريج في كتاب المزني:

لضيق فؤادي منذ عشرين حجة ... وصقيل ذهني والمفرج عن همي

عزيز علي مثلي اعارة مثله ... لما فيه من نسج لطيف ومن نظم

جموع لاصناف العلوم باسرها ... وآتيه ان لا يفارقه كمي

(احمد) بن محمد بن احمد بن سليمان ابو زكريا النيسابوري الصوفي المعروف بابن الصائغ قدم دمشق وحدث بها عن احمد العمركي ومحمد السرخسي وروى عنه الكتاني وغيره ومما اتصل بنا من طريقه عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول لايزال

فاذا صلى الفجر نام الضحى فاذا صلى الظهر كان يصلي الى العصر فاذا صلى العصر نام الى قبل صلاة المغرب فاذا صلى العشاء قام الى الفجر وهذه كانت عادته فجاءه رجل ذات يوم يزوره بعد العصر ففغل فتحدث معه وترك عادة النوم فلما انصرف سأله الخادم عنه فقال هذا عريف الابدال يزوروني في السنة مرة قال فلم ازل ارصده الى مثل ذلك الوقت حتى جاء الرجل فوقفت حتى فرغ من حديثه ثم سأله الشيخ اين تريد فقال ازور ابا محمد الضرير في مغار قال الخادم فسألته ان يأخذني معه فقال بسم الله فمضيت معه فخرجنا حتى صرنا عند قناطر الماء فاذن المؤذن المغرب قال ثم اخذ بيدي وقال قل بسم الله قال فمشينا دون العشر خطا فاذا تحن عند المغارة وهي مسير الى ما بعد الظهر قال فسلمنا على الشيخ وصلينا عنده وتحدثنا عنده فلما ذهب ثلث الليل قال لي تحب ان تجلس ههنا او ترجع الى بيتك فقلت ارجع فأخذ بيدي وسمى ببسم الله ومشينا نحو العشر خطا فاذا نحن على باب صيدا فتكلم بشيء فانفتح ودخلت ثم عاد الباب وحكى طلحة ابن ابي السكن خادم جد المترجم ان ابا الفتح بن الشيخ حبسه في القلعة فاشتكت زوجته الى عمها المترجم فقال لها نعم العصر يكون عندك ان شاء الله فانصرفت قال فبينما انا جالس في القلعة اذ يالقيد قد انفلق من رجلي واذا قائل يقول اين طلحة فقلت ها انا فقال اخرج لا بأس عليك وان كان لك حاجة قضيت فانصرفت الى بيتي قبل العصر او العصر فلما صلى الشيخ العصر جاء الى بيتي يتوكأ على عكازة فاختبيت داخل البيت فقال اين هو فقالت المرأة اليس كنت عندك

هي ولد هرتي قال شريح القها مع هذه فان هي قرت ودرت واسبطرت يعني امتدت للارضاع فهى لها وان فرت وهرت وازبأرت يعني تنفشت فليس لها وكان يقضي بذلك ابو بكر الشامي من الشافعية ورجح قوله ابن عقيل البغدادي من الحنابلة وقد روى عن الشافعي واحمد استحسان قول القافة في سرقة الاموال والاخذ بذلك ونقل ابن منصور عن الامام احمد اذا قال صاحب الزرع افسدت غنمك زرعي بالليل ينظر في الاثر فان لم يكن اثر غنمه في الزرع لابد لصاحب الزرع من ان يجيء بالبينة وقال اسحاق بن راهويه مثل ماقال احمد قال لانه مدع وهذا يدل على اتفاقهما على الاكتفاء برؤية اثر الغنم وان البينة انما تطلب عند عدم الاثر نقل هذه الاقوال الحافظ ابن رجب البغدادي في كتابه جامع العلوم والحكم والبحث طويل الذيل سترى منه اشياء متفرقة اثناء هذا الكتاب .

مجلس ان تقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليكلا اله الا انت وحدك لا شريك لك حدث المترجم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة .

(احمد) بن محمد بن احمد بن الربيع بن يزيد بن معيوف الهمذاني من اهل عين ثرما حدث عن جماعة وروى عنه تمام وغيره ومن طريقه عن ابي هريرة مرفوعا الامام ضامن والمؤذن مؤتمن اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين (١) .

(احمد) بن محمد بن احمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن جميع ابو بكر الغساني الصيداوي العابد روى الحديث وروى عنه ومما اتصل بنا بسنده عن مالك عن جعفر بن محمد عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد (٢) وكان المترجم يقوم الليل كله

---

(١) رواه ابو داود والترمذي ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما بلفظ فارشد الائمة واغفر للمؤذنين (٢) رواه احمد والترمذي بلفظه وزاد بلفظ آخر مع الشاهد الواحد وقال هو حديث غريب ورواه من طريق جعفر بن محمد عن ابيه مرسلا انه قضى باليمين مع الشاهد الواحد قال وقضى بها علي فيكم قال الترمذي والعمل على هذا عند بعضاهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم رأوا ان اليمين مع الشاهد الواحد جائز في الحقوق والاموال وهو قول مالك بن انس والشافعي واحمد واسحاق وقالوا لايقضي باليمين مع الشاهد الواحد الا في الحقوق والاموال ولم ير بعض اهل العلم من اهل الكوفة وغيرهم ان يقضى باليمين مع الشاهد الواحد انتهى وروى الحديث ابن ماجة من ثلاث طرق عن ابي هريرة وعن جابر وعن ابن عباس ورواه عن سرق بلفظ ان النبي صلى الله عليه وسلم اجاز شهادةالرجل ويمين الطالب ورواه الدارقطني وعلل من اجاز ذلك بان الذي هنا قوى جانبه بالشاهد وظهر صدقه اشبه صاحب اليد والمنكر لقوة جانبه وهذا هو الذي استقر عليه مذهب اصحاب الامام احمد قالوا ويجب تقديم الشاهد على اليمين لان اليمين انما شرعت في حقه لقوة جانبه ولا يقوى جانبه الا بشهادة الشاهد واستدل لقائلون بذلك بحديث ابن عباس مرفوعا لو يعطي الناس بدعواهم لادعى رجال اموال قوم ودمائهم ولكن البينة على المدعي عليه ورواه الشافعى عن ابن عباسبلفظالبينة على المدعي قال الشافعي واحسبه ولا أثبته واليمين على من انكر رواه البيهقي وغيره وبعضه في الصحيحين بلفظ ولكن اليمين على المدعي واليمين علىالمدعى عليه فقالوا البينة كل مابين صحة دعوى المدعي وشهد بصدقه فالشاهد مع اليمين بينة وهؤلاء لهم مسالكلطيفه وهي انهم جعلوا القرائن من جملة البينة قالوا وقد كان شريح وآياس ابن معاوية يحكمان في الاموال المتنازع فيها بمجرد القرائن الدالة على صدق احد المتداعيين وقضى شريح في اولاد هرة تداعاها امرأتان كل منهما تقول

بـدت من خلـل الحجب كمثـل اللؤلـؤ الرطـب
وادمـي خدهـا لحظـي وادمـي لحظهـا قلبـي

ومن شعره ايضاً

واعطشـي الـى فم يمج خمراً من بـرد
ان قسم الناس فحسـ ـبي بك من كل احد

ومات اخوه ابراهيم بن كيغلغ سنة ثمان وثلاثمائة .

((حرف اللام في آباء الاحمدين))

(احمد) بن لبيب بن عبد المنعم بن قابوس البزار المعدل سمع الحديث من جماعة وروى عنه جماعة ومن طريقه الـى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر لم تقبل صلاته اربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه قالها ثلاثا فان عاد كان حقا على الله ان يسقيه من نهر الخبال قيل وما نهر الخبال قال صديد اهل النار ورواه عبد الرزاق .

((حرف الميم في آباء الاحمدين))

((من اسم ابيه محمد مع مراعاة اسماء الاجداد من الاحمدين))

(احمد) بن محمد بن احمد بن سلامة بن بشر بن بديل ابو بكر العذري حدث عن ابيه عن جد ابيه روى عنه ابو الحسين الرازي وابنه تمام وروينا من طريقه عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ماطلعت الشمس في يوم قط افضل من يوم الجمعة ولا احب الى الله منه . هذا حديث غريب روي عن المترجم سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

(احمد) بن محمد ابو بكر الكوفي الكندي المصيصي ثم الصيـداوي حدث عن سلامة بن سعيد بن زياد ومحمد بن عثمان الصيداوي والحسن بن علي البغدادي وروى عنه صالح الميانجي والحسن بن جميع ومن المروي لنا من طريقه عن تميم الداري انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم كفارة كـل

«حرف الكاف في آباء الاحمدين»

(احمد) بن كثير الصالحي حكى عنه اسحاق بن ابراهيم الاذرعي الحكاية التي تقدمت عند الكلام على مغارة الدم من جبل قاسيون .

(احمد) بن كعب بن خريم بخاء معجمة مضمومة ثم راء مفتوحة ابو جعفر المزي كان يسكن بالراهب وهي محلة خارج باب الجابية قبل المصلى ومسجد فلوس من شرقيه سمع الحديث من جماعة وروى عنه جماعة وقد روينا من طريقه عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ورواه الخطيب البغدادي وتمم توفي المترجم سنة اثنتين وسبعين ومائتين .

(احمد) بن كيغلغ ابو العباس ولي امرة دمشق غير مرة في ايام المقتدر اول ذلك سنة اثنتين وثلاثمائة وقدم تكين الخاصة والياً لها في المحرم سنة ثلاث وثلاثمائة ثم وليها مرة اخرى سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة في المحرم ثم عزل عنها سنة ثلاث عشرة وكان قبل ذلك قد ولي الغزو فغزا بلاد الروم من طرسوس اول سنة اربع وتسعين ومائتين فأخذ من العدو اربعة آلاف رأس سبى ودواب ومواشي كثيرة وامتعة وصار اليه احد البطارقة بالامان وولي امرة مصر من قبل المقتدر سنة احدى عشرة وثلاثمائة ثم ولي مصر من قبل القاهر بالله في شوال سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وجرت بينه وبين محمد ابن تكين الخاصة امور ثم خلص الامر لابن كيغلغ الى ان قدم محمد بن طغج بن حف الاخشيد اميراً على مصر من قبل الراضي بالله سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة فسلم اليه مصر وكان اديباً ومما بلغني من شعره :

مهما يكن للكاس في ... كفك يوم الغيم لبث
او ما تعلم ان للـ ... ـغيوم ساق مستحث

ومن شعره :

وروينا من طريقه ان الامام الشافعي كان يقول رأيت بالمدينة اربع عجائب ابنة احدى وعشرين سنة جدة ورأيت رجلا فلسه القاضي في مدين نوى ورأيت شيخاً كبيراً يدور على بيوت القيان راجلا يعلمهم الغناء فاذا حضرت الصلاة صلى قاعداً ورأيت رجلا يكتب بالشمال اسرع من اليمين .

(احمد) بن القاسم بن عطية ابو بكر الرازي البزار الحافظ سمع بدمشق وبغيرها وروى عنه جماعة روينا بسندنا من طريقه الى عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رضاء الرب في رضاء الوالد وسخطه في سخط الوالد وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال اكتب ما هو كائن من عمل او اثر او رزق او اجل فكتب ما يكون وما هو كائن الى يوم القيامة ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة وروينا من طريقه ان ابن عيينة كان يقول من طلب الحديث فقد بايع الله قال عبد الرحمن ابن ابي حاتم احمد بن القاسم بن عطية كتبنا عنه وهو صدوق ثقة .

(احمد) بن القاسم بن معروف ابو بكر التميمي ولد بسامرا وقدم مع ابيه دمشق فسكناها روى عن ابي زرعة الدمشقي وجماعة وروى عنه تمام الرازي وابن مندة وجماعة وروينا من طريقه عن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فرغ الله الى كل عبد من خلقه من خمس من اجله وعمله واثره ومضجعه ورزقه قال ابو الحسن الميداني توفي المترجم في شعبان سنة ثمان واربعين وثلاثمائة قال عبد العزيز الكتاني وكان شيخاً مسناً ولم يكن عنده حديث كثير وكان ثقة مأموناً .

(احمد) بن القاسم بن يوسف بن فارس بن سوار المتانحي القاضي روى عن المحاملي والخلال وجماعة وروى عنه جماعة واخبرنا ابو القاسم ابن السمرقندي من طريقه بالسند الى ابي رزين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل الا طيباً ولا تضع الا طيباً وكان سماع المترجم باطرابلس سنة اربع وستين وثلاثمائة .

الرهن لايغلق زاد سعيد بن المسيب في روايته له غنمه وعليه غرمه(١) .

(احمد) بن فياض بن اسماعيل بن الفياض بن عبد الرحمن القرشي سمع الحديث من جماعة وروى عنه جماعة مات سنة ست وتسعين ومائتين وروينا من طريقه حديث ان الله لايقبض العلم انتزاعا الحديث .

(احمد) بن الفيض اظنه اخا محمد بن الفيض بن محمد الغساني روينا من طريقه عن سعيد المقبري عن ابيه ان ابا هريرة ومروان كانا مع جنازة فجلسا قبل ان توضع فجاء ابو سعيد الخدري فاخذ بيد مروان فقال قم فوالله لقد علم هذا لابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان في جنازة لم يجلس حتى توضع قال ابو هريرة صدق .

« حرف القاف في آباء الاحمدين »

(احمد) بن القاسم بن عبيد الله بن مهدي ابو الفرج البغدادي ابن الخشاب الحافظ سكن طرسوس وحدث بدمشق عن ابي القاسم البغوي ومحمد الباغندي وابي بكر بن ابي داود ومحمد بن جرير الطبري والطحاوي وعن جماعة وروى عنه الدارقطني وتمام الرازي وجماعة واخبرنا عبد الكريم ابن حمزة من طريقه عن حميد الطويل انه قال كنا اذا اتينا انس بن مالك قال لجاريته قدمي لاصحابنا ولو كسرا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مكارم الاخلاق من اعمال الجنة وروينا من طريقه عن هلال الرأي انه كان يقول أوثق المودات ماكان في الله عز وجل توفي المترجم سنة اربع وستين وثلاثمائة .

(احمد) بن القاسم بن عبد الوهاب بن ابان خلف ابو الحسن الجمحي روى الحديث عن جماعة وروى عنه ابو الحسين الرازي والد تمام

---

(١) يقال غلق الرهن اذا بقي في يد المرتهن لايقدر راهنه على تحصيله والمعنى انه لا يستحقه المرتهن اذا لم يستفكه صاحبه وكان من افعال الجاهلية ان الراهن اذا لم يؤد ما عليه في الوقت المعين ملك المرتهن الرهن فابطل الاسلام هذا العمل وقوله له غنمه وعليه غرمه معناه عليه اداء مايفكه به وله نمائه وفاضل قيمته .

اليمان عن شعيب بن ابي حمزة عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة فاشهد بـالله انه كذاب ولقد نسخت كتب ابي اليمان لشعيب مالا احصيه واخذت عليها الدراهم غير مرة كنت اكتب الجزء بثلاثة دراهم صحاح فكيف يحدث الحجازي عنه بهذا الحديث حديث ابي الزناد فينبغي ان يكون شيطان لقنه اياه قال ابوهاشم وكان ابو عتبة يعني المترجم جارنا وكان يخضب بالحمرة وكان مؤذن المسجد الجامع وكان عمي واصحابنا يقولون انه كذاب فلم نسمع منه شيئا .

(احمد) بن فضالة بن الصفر بن فضالة بن سـالم اللخمي حدث عن ابيه وروينا من طريقه ان عمر بن الخطاب ارسل الى كعب فقال يـا كعب كيف تجد نعتي قال اجد نعتك قرن حديد قال وما قرن حديد قال لا تخاف في الله لومة لائم قال ثم مه قال ثم يكون خليفة من بعدك تقتله امته ظالمين لـه قال ثم مه قال ثم يقع البلاء بعد .

(احمد) بن الفضل بن العباس ابو بكر النهرواني الدينوري المطوعي سمع الحديث من ابي جعفر الطبري وجماعة وروى عنه جماعة وحدث بدمشق قال محمد بن ابي نصر الحميدي في تاريخ الاندلس دخل الإندلس وحدث بها وقال عبد الله الفرضي القاضي في تاريخ الاندلس ايضا كان المترجم يخبر عن نفسه ان مولده بالدينور وانه تحول الى بغداد وكان يكتب كتابة ضعيفة يخل بالهجاء ولزم محمدا ابن جرير الطبري وخدمه وتحقق به وسمع منه مصنفاته فيما زعم ولم يكن ضابطا لما روى وكان عنده مناكير وقد تساهل الناس فيه وسمعوا منه كثيرا وقال لي محمد بن يحيى لقد كان الدينوري بمصر تتلاعب به الاحداث ويتغامزون عليه ويسرقون كتبه وما كان ممن يكتب عنه بحال ثم قدم الاندلس فاجفل الناس اليه وازدحموا عليه توفي بقرطبة سنة تسع واربعين وثلاثمائة وقد بلغ من السن اثنتين وثمانين سنة .

(احمد) بن الفضل بن عبيد الله ابو جعفر الصائغ اصله مروزي سكن عسقلان وسمع الحديث بدمشق ومصـر وروى عنه ابن خزيمة وجماعة وروينـا بسندنا من طريقه الى ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال

فعليه بالصيام فانه له وجاء (١) قال ابن ابي حاتم محل احمد بن الفرج عندنا على الصدق وضعفه عبد الملك بن محمد بن عوف قال ابن عدي وابو عتبة مع ضعفه احتمله الناس ورووا عنه وهو وسط ليس ممن يحتج بحديثه او يتدين به الا انه يكتب حديثه وقال ابو بكر الخطيب في اثناء ذكر من روى عنه فقد روى عنه عبد الله بن احمد بن حنبل ومحمد بن جرير الطبري وقال ايضا قدم العراق فكتبوا عنه واهلها حسنوا الرأي فيه لكن ابو جعفر محمد ابن عوف بن سفيان الطائي كان يتكلم فيه ورأيت احمد بن عمير يضعف امره وقال ابن مأكولا ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين ومات سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وهذا وهم في وفاته والصواب انه توفي سنة احدى وسبعين وقال ابو هاشم عبد الغافر بن سلامة قال محمد بن عوف ان الحجازي يعني المترجم كذاب كتبه التي عنده لضمرة وابن ابي فديك من كتب احمد ابن النضير وقعت اليه وليس عنده في حديث بقية بن الوليد الزبيدي اصل هو فيها اكذب خلق الله انما هي احاديث وقعت اليه في ظهر قرطاس كتاب صاحب حديث في اولها مكتوب نايزيد بن عبد ربه نابقية ورأيته عند بني ابي عبيدة في سوق الرستن وهو يشرب مع فتيان ومردان وهو يتقاياها يعني الخمر وانا في كوة مشرف عليه في بيت كان لي فيه بحارة السوق سنة تسع عشرة ومائتين وكأني اراه وهو يتقاياها وهي تسيل على لحيته وكان ايام ابي الهرماس يسمونه الغداف وكان له ترس فيه اربع مسامير اذا اخذوا رجلا يريدون قتله صاحوا به اين الغداف فيجيء قائما يضربه بها اربع ضربات حتى يقتله وقد قتل غير واحد بترسه ذاك وما رأيته والله عند ابي المغيرة قط وانما كان يتغنى في ذلك الزمان وحدث عن عقبة بن علقمة وبلغني ان عنده كتابا وقع اليه فيه مسائل ليست من حديثه فوقفه عليها فتى من اصحاب الحديث وقال اتق الله يا شيخ قال محمد بن عوف وبلغني انه حدث حديثا عن ابي

---

(١) هذا الحديث وجدناه في الاصل هكذا والذي رويناه في الصحيحين ومسند احمد وسنن ابي داود والترمذي والنسائي يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء والباءة الجماع والوجاء الخصاء اراد ان الصوم يقطع النكاح كما يقطعه الاختصاء .

احمد بن حنبل لبعض اهل اصبهان ما اعرف اليوم اعرف بمسندات رسول الله من ابن الفرات وقال ابو عروبة هو في عداد ابن ابي شيبة في الحفظ واحمد ابن سليمان الرهاوي في التثبت وكان يقول كتبت عن الف وسبعمائة وخمسين رجلا فادخلت في تصنيفي ثلاثمائة وعشرة وعطلت سائر ذلك وكتبت الف الف حديث وخمسمائة الف حديث فاخذت من ذلك ثلاثمائة الف في التفاسير والاحكام والفوائد وغيره وقدم مصر فاستلقي على قفاه وقال لتأخذوا حديث مصر قال فجعل يقرأ علينا شيخا شيخا من قبل ان يلقاهم وحكى انه ورد اصبهان ولم تكن كتبه معه فاملى كذا وكذا الف حديث عن ظهر قلبه فلما وصلت الكتب اليه قوبلت بما املي فلم يختلف الا في مواضع يسيرة وكان يقول وددت اني اقتل في حب ابي بكر وعمر وكان يقول حضرت مجلس يزيد بن هارون فاملي ثلاثين حديثا فحفظتها فجئت الى منزلي اعلق فعلقت منها ثلاثة فجاءت الجارية وقالت مولاي فني الدقيق فنسيت سبعة وعشرين وبقيت ثلاثة وقال ابن خراش ان احمد بن الفرات يكذب متعمدا قال ابن عدي وهذا الذي قاله ابن خراش تحامل ولا اعرف لابن الفرات رواية منكرة وهو من اهل الصدق والحفظ وقال ابو نعيم الحافظ هو من الطبقة السابعة اقام باصبهان يحدث بها خمسة واربعين سنة توفي في شعبان سنة ثمان وخمسين ومائتين وهو احد الائمة والحفاظ صنف المسند والكتب وقال ابو بكر الخطيب هو احد حفاظ الحديث ومن كبار الائمة فيه وكان قد سافر كثيرا وسمع وجمع في الرحلة بين البصرة والكوفة والحجاز واليمن والشام ومصر والجزيرة وكفى علماء عصره وورد بغداد في حياة ابي عبد الله احمد ابن حنبل وذاكر حفاظها بحضرته وكان احمد يقدمه ويكرمه واستوطن بعد ذلك اصبهان الى آخر عمره وكانت بها وفاته .

(احمد) ابن الفرج بن سليمان ابو عتبة الكندي الحمصي المعروف بالحجازي المؤذن قدم دمشق حاجا وروى بها عن جماعة وروى عنه ابو عبد الرحمن النسائي وجماعة ومما اتصل بسندنا اليه ثم الى انس بن مالك قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليكم بالباءة فمن لم يستطع

« حرف الفاء في آباء الاحمدين »

(احمد) بن فارس بن احمد ابو بكر القرشي لم يقع لي اسم من حدث عنه وحكى الحسين الرازي انه من مشايخ دمشق وانه مات سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة

(احمد) بن الفرات بن خالد ابو مسعود الضبي الرازي الحافظ احد الائمة الثقات والحافظ الاثبات سمع الحديث بدمشق وغيرها عن جماعة وروى عنه ابو داود في سننه وغيره ومما اتصل بنا بالسند اليه الى ابي بن كعب انه قال كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه صلى بهم فقرأ بسورة من الطوال ثم ركع خمس ركوعات وسجد سجدتين ثم قام الثانية فقرأ بسورة من الطوال ثم ركع خمس ركوعات ثم سجد سجدتين وجلس كما هو مستقبل القبلة حتى انجلى كسوفها اخرجه ابو داود في سننه عن ابي مسعود وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة وعندها صبي تسيل منخراه دما فقال ماهذا قالوا انه العذرة فقال ويلكن لاتقتلن اولادكن ايما امرأة اصاب ولدها العذرة (١) او وجع في رأسه فلتأخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه به قال فأمرت عائشة فصنعت ذلك به فبرأ وفي بعض الفاظه سقط قوله بماء ورواه ابو نعيم وقال مسلم احمد بن الفرات سمع ابا داود الطيالسي وقال النسائي سكن اصبهان وحدث عن نفسه فقال كنا نتذاكر الابواب فخاضوا في باب فجاؤا بخمسة احاديث فجئتهم انا بآخر فصار سادسا فنخس احمد بن خنبل في صدري يعني لاعجابه به وقال

---

(١) العذرة بضم العين وجع في الحلق يهيج من الدم وقيل هي قرحة تخرج في الخرم الذي بين الانف والحلق تعرض للصبيان عند طلوع العذرة فتعمد المرأة الى خرقة فتفتلها فتلا شديدا وتدخلها في انفه فتطعن ذلك الموضع فيفجر منه دم اسود وربما اقرحه وذلك الطعن يسمى الدغر يقال عذرت المرأة الصبي اذا غمزت حلقه من العذرة او فعلت به ذلك وكانوا بعد ذلك يعلقون عليه علاقا كالعوذة قاله فى النهاية والحديث رواه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة .

ارادوا انه لما علاه قال للباطل ابعد فقال مسلمة انه والله ما وعظني شعر قط ما وعظني شعر ابن حطان حين يقول :

افي كل عام مرضة ثم نقهة وتنعي ولا تنعي متى ذا الى متى

فيوشك يوم او يوافق ليلة يسوقان حتفا راح نحوك او غدا

فقال له رجل من جلسائه اني والله ما سمعت بأحد اجل الموت ثم افناه قبله حيث يقول :

لم يعجز الموت شيء دون خالقه فان اذا ما ناله الاجل

وكل كرب امام الموت متضع للموت والموت فيما بعده جلل

فقال عبد الاعلي :

من كل حين تصيب الشمس جبهته او الغبار يخاف الشين والشعثا

ويألف الظل كي تبقى بشاشته فسوف يسكن يوما راغما جدثا

في قعر مقفرة غبراء مظلمة يطيل تحت الثرى في جوفها اللبثا

وقال المترجم في تفسير قوله تعالي لافارض ولا بكر عوان الفارض الكبيرة المسنة التي ليس فيها ركوب والبكر هي الصغيرة وانشد :

وانت الذي اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقام على زجل

ولم تعطه بكرا فترضى سمينه فكيف يجازى بالمودة والفضل

(احمد) بن الغمر بن ابي حماد الحمصي روى الحديث عن جماعة ورواه عنه جماعة روينا عنه عن علي رضي الله عنه انه قال الا اخبركم بخير الناس بعد نبيكم ابو بكر وعمر ثم الناس مستوون وعن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يصيح صائح يوم القيامة اين الذين اكرموا الفقراء والمساكين في الدنيا فيجلسون على منابر من نور يحدثون الله عز وجل والناس في الحساب وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مر رجل ممن كان قبلكم بجمجمة فوقف عليها وجعل يفكر فقال يارب انت انت وانا انا فانت العواد بالمغفرة وانا العواد بالذنوب فقيل له ارفع رأسك فانت العواد بالذنوب وانا العواد بالمغفرة فغفر له .

حنين قلوب العارفين الى الذكر ... وتذكارهم وقت المناجاة للسر
اديرت كؤوس للمنايا عليهم ... فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي السكر
همومهم جوالة بمعسكر ... به اهل ود الله كالانجم الزهر
واجسامهم في الارض تبلي بحبه ... وارواحهم في الحجب نحو العلا تسري
فما عرسوا الا بقرب حبيبهم ... وما عرجوا عن مس بؤس ولا ضر

قال ابو بكر ابن ابي العجوز مات الخراز سنة سبع واربعين ومائتين او سنة سبع وسبعين ومائتين انتهى قال الخطيب البغدادي لا شك ان القول بانه توفي سنة سبع واربعين باطل واما القول الثاني فانه اقرب الى الصواب ان كان محفوظا وقيل مات سنة ست وثلاثين .

(احمد) بن عيسى ابو جعفر القمي نزيل بيروت حدث عن ابي عبد الرحمن النسائي وروى عنه ابن مندة وغيره وبالسند اليه من طريق النسائي الى عدي ابن حاتم انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من احد الا سيكلمه الله عز وجل ليس بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا ماقدم من عمله وينظر ايسر منه فلا يرى الا ماقدم من عمله وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقو النار ولو بشق تمرة قال الاعمش وحدثني عمرو ابن مرة الجملي مثله وزاد فيه ولو بكلمة طيبة ورواه الامام احمد بلفظ مامنكم من احد الا سيكلمه الله عز وجل ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن ايمن منه فلا يرى الا شيئا قدمه وينظر عن اشام منه فلا يرى الا شيئا قدمه وينظر امامه فتستقبله النار فمن استطاع منكم ان يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل .

((حرف الغين في اباء احمدين))

(احمد) ويقال محمد بن الغمر بالغين المعجمة ويقال ابن ابي الغمر الدمشقي حكى عن ابي بكر بن عياش وعمر المؤملي العدوي وروى عنه يونس بن عبد الاعلى الصدفي وغيره وقال ابن عياش من امن ان يستثقل ثقل وقال ايضا قال مسلمة لجلسائه أي بيت من الشعر احكم قالوا :

الذي صبا ما صبا ... حتى علا الشيب رأسه

وقال كنت بالبادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسأل الله طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين فطالبتني ان اسأل الله صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول :

ويزعم انه منا قريب　　وانا لانضيع من اتانا
ويسألنا القوي جهدا وصبرا　　كأنا لا نراه ولا يرانا

قال فاخذني الاستقلال من ساعتي وقمت ومشيت. وقال الزهد ان لا يرغب قلبك في مرغوب الدنيا ولا سكن الى موجودها. وقال كنت بمكة ومعي رفيق لي من الورعين فاقمنا ثلاثة ايام لم نأكل شيئا وكان بحذائنا فقير معه كزبرة وركوة مغطاة بقطعة خيش وربما كنت اراه يأكل خبزا حواريا فقلت في نفسي والله لاقولن لهذا نحن الليلة في ضيافتك فقلت له فقال لي نعم وكرامة فلما جاء وقت العشا جعلت اراعيه ولم ار معه شيئا فمسح بيده على سارية فوقع على يده شيء فناولني فاذا درهمان ليس يشبهان الدراهم فاشترينا خبزا واداما فلما مضى لذلك مدة جئت اليه وسلمت عليه وقلت اني مازلت اراعيك تلك الليلة وانا احب ان تعرفني بم وصلت الى ذلك فان كان مما يوصل اليه بعمل فحدثني فقال يا ابا سعيد ماهو الاحرف واحد قلت ما هو فقال تخرج قدر الخلق من قلبك تصل الى حاجتك. وقال ايضا دخلت البادية مرة بغير زاد فاصابتني فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم افكرت في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره فآليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها الى صدري فسمعوا صوتا في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله ولياحبس نفسه في هذا الرمل بالحفرة فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية. وقال المحب يتعلل الى محبوبه بكل شيء ولا يسأل عن شيء ويتبع اثاره ولا يدع استخباره وانشد :

اسائلكم عنها فهل من مخبر　　فمالي بنعمي بعد مكتنا علم
فلو كنت ادري اين خيم اهلها　　واي بلاد الله اذ طعنوا اموا
اذا لسلكنا مسلك الريح خلفها　　ولو اصبحت نعمى ومن دونها النجم

وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول في آخر نفسه :

وقال في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم جبلت القلوب على حب من احسن اليها واعجبا ممن لايرى محسنا غير الله كيف لايميل بكليته اليه وقالت اخته فاطمة سمعت اخي الخراز يقول في تفسير قوله تعالى ولله خزائن السموات والارض خزائنه في السموات العفو وفي الارض القلوب لان الله جعل قلب المؤمن بيت خزائنه ثم ارسل رياحا فهبت فكسته من الشرك والكفر والنفاق والغش والخيانة ثم انشأ سحابة فامطرت ثم انبتت فيه شجرة تحمل الرضا والمحبة والشكر والصفوة والاخلاص والطاعة فهو قوله اصلها ثابت وقال الدقاق قال لي سعيد بن ابي سعيد الخراز طلبت من ابي دانق فضة فقال لي يابني اصبر فلو اراد ابوك ان تركب الملوك الى بيته ما تأبوا عليه. وقال بقيت احدى عشر سنة اتردد من مكة الى المدينة ومن المدينة الى مكة اريد الحج حجة لاارى مكة وارى رب مكة فما صح لي منه يقين فلما كان بعد احدى عشرة سنة وانا راجع من المدينة الى مكة ترآءي لي من بعض الجن فقال لي يا ابا سعيد والله لقد رحمتك من كثرة ترددك في هذا الموضع وقد حضرني فيك ابيات قلت هات فانشأ يقول :

اتيه فلا ادري من التيه من انا   سوى مايقول الناس في وفي جنسي
اتيه على جن البلاد وانسها   فان لم اجد خلقا اتيه على نفسي

قال ابو سعيد فقلت له اسمع يا من لا يحسن يقول ان كنت تحسن ا

قال ابو سعيد فقلت له اسمع يا من لا يحسن يقول ان كنت تحسن ان تسمع وقلت :

ايامن يرى الاسباب اعلى وجوده   ويفرح بالتيه الدني وبالانس
فلو كنت من اهل الدنو لغبت عن   مباشرة الاملاك والعرش والكرسي
وكنت بلا حال مع الله واقفا   تصان عن التذكار للجن والانس
فاسمع صفاتي في الوجود فانني   اذا غبت عن نفسي كغيبوبة الشمس
وقامت صفاتي للمليك بأسرها   وغابت صفاتي حين غبت عن الحس
وغاب الذي من اجله كان غيبتي   فذاك فنائي فافهموا يابني جنسي
فهذا وجودي في المغيب بحاله   اقربه حتى يواري الثرى رمسي
ولست ابالي بعد موتي بصرعتي   ولو صير المحبوب دار الشقا حبسي
اذا كان ودي في ضميري ثابتاً   وكان يراني في العذاب هو عرسي

عسل فيقول لي كل فالعقه واصبح شبعان وهذا في المنام ثم فنى القوت الذي ادخرته فكنت اجيء بعض الطرقات اذا اختلط الظلام الى موضع اصحاب البقل فالتقط منه ماسقط منهم وبقيت على ذلك ايضا وقتا كبيرا ثم كنت اخيط القميص في القرية لقوم مساكين واكتفي باجرته اياما فبينما انا يوما مارا اريد القرية في طلب الخياطة رأيت مسجدا في وسط مقبرة وفيه سدرة كبيرة وفيها نبق اخضر مباح فقلت في نفسي هذا المباح ههنا وانت تريد معاشرة الناس ومعاملتهم فلزمت المقابر اتقلل من ذلك النبق واخذ منه دون البلغة حتى فني النبق ولم يبق منه شيء ثم بقيت ذلك سنين وقوتي العظام ثم مكثت بعد العظام وقوتي الطين اليابس والرطب من الانهار فكنت لا افرق احيانا بين الطين الرطب اذا اخذته من النهر وبين الخبيص من طيبه عندي وما وجدت لاختلاف هذه احوال صيفا ولا شتاء ضيقا من عقل ولا ضعفا في بدن وكنت عند البقل اضعف اذا تناولته. وقال ابو بكر الكتاني تكلم ابو سعيد الخراز بمكة بمسألة علم فانكروا عليه فوجه اليه الامير يقول له قم فاخرج من مكة فتناول نعله وقام ليخرج فقلنا له اجلس يا ابا سعيد حتى ندخل على الامير ونخاطبه ونعرفه بمكانك فقال معاذ الله اسكتوا فلو قال غير هذا اتهمت حالي فيما بيني وبين الله هذا صد من اين يقبلني الا لعلة في وخرج وقال ذنوب المقربين حسنات الابرار. وقال احمد بن شاكر القيرواني ذكر عند المعلم ابي سعيد الخراز اقوام يظهر عليهم سرعة الانتساب الى الله تعالى عند الحوادث ونزول الاحكام فقال ان ابعد الناس عن الله من يدعي الاشارة والقرب واكثرهم اليه اشارة امقتهم عنده. وقال اقل مايلزم المسافر في سفره اربعة اشياء يحتاج الى علم يسوسه وذكر يؤنسه وورع يحجزه ونفس تحمله فاذا كان هكذا لم يبال اكان بين الاحياء أم بين الاموات. وقال الرضا قبل القضا تفويض والرضا مع القضا تسليم وقال هل جزاء الاحسان الا الاحسان هل جزاء من انقطع عن نفسه الا التعلق بربه واهل جزاء من انقطع عن انس المخلوقين الا الانس برب العالمين وهل جزاء من صبر علينا الا الوصول الينا ومن وصل الينا هل يجمل به ان يختار علينا وهل جزاء التعب في الدنيا والنصب فيها الا الراحة في الآخرة وهل جزاء من صبر على البلوى الا التقرب الى المولى وهل جزاء من سلم قلبه الينا ان نجعل توليته الى غيرنا وهل جزاء من بعد عن الخلق الا التقرب الى الحق.

فبينما انا سائر اذ سمعت حساً من ورائي فحفظت قلبي عن الالتفات فاذا الحس قد دنا مني واذا سبعين قد صعدا عى كتفي فلحسا خدي فلم انظر اليهما حيث صعدا ولا حيث نزلا وقال الخراز قال لي بعض مشايخي عليك بمراعاة سرك والمراقبة قال فبينما انا اسير بالبادية اذ انا بخشخشة خلفي فهالني ذلك واردت ان التفت فلم التفت فرأيت شيئاً واقفاً على كتفي فانصرف وانا مراعي لسري ثم التفت فاذا سبع عظيم وقال القشيري حكى عن ابي سعيد الخراز انه قال كنت في بعض الاسفار وكان يظهر لي كل ثلاثة ايام شيء فأكله واستقل فمضت ثلاثة ايام في بعض الاوقات ولم يظهر لي شيء فضعفت وجلست فهتف بي هاتف يقول لي ايما احب اليك سبب او قوة فقلت القوة فقويت من وقتي ومشيت اثنى عشر يوماً لم اذق شيئاً ولم اضعف وقال الخراز العلم من استعملك واليقين ما حملك وقال رأيت ابليس في النوم وهو يمر عني ناحيته فقلت تعالى فقال ايش اعمل بكم ألستم طرحتم عن نفوسكم ما اخادع به الناس قلت وما هو قال الدنيا فلما ولى عني التفت الي وقال غير ان لي فيكم لطيفة قلت وما هي قال صحبة الاحداث وقال ايضاً رأيت ابليس في منامي وكان بيدي عصا فرفعته لاضربه فقال لي قائل هذا لايقرع بالعصا فقلت له بأي شيء يقرع قال من نور مكنون في القلب. وقال ليس في طبع المؤمن قول لا وذلك انه انظر الى مابينه وبين ربه من احكام السكرم استحيا ان يقول لا. وجاء يوما الى رجل من ابناء الدنيا فقال له جئتك من عنده وانا اعوذ به منك وانت تشهد لي بذلك فلا تردني اليه. وقال اذا صدق المريد في بدايته ايده الله بالتوفيق وجعل له واعظا من نفسه كما روى في الحديث وذلك اني اصبت ميزانا ازن به القوت واتقلل كل يوم منه شيئا موزونا معلوما ولزمت العزلة مع ذلك فكأني خوطبت في سري فسمعت قائلا يقول اذا انت اكلت الطعام في كل ليلة فبماذا تفضل على سائر الناس ولكن اجعله في كل ليلتين اكلة فلزمت ذلك وقتا وصعب علي جدا وذلك لامن طريق نفسي وامتناعها علي ولكن لعلمي بأن الطي منزلة عظيمة عالية وهبة من الله جزيلة رفيعة لايعطيها الامن عرف قدرها فرغبت الى الله تعالى فيها فسألته ادامتها لي والتفضل بها علي فوهبها لي بفضله ومنه فكنت أاكل ذلك القوت الذي كنت آكله في كل ليلة واحدة اتناوله في ليلتين وكنت الليلة التي اطويها يأتيني شخص جميل حسن البشرة نظيف الثياب بجام ابيض فيه

ادهم وعن غيره وقال ابو القاسم القشيري صحب الخراز ذا النون المصري والنياجي وابا عبيد اليسري والسري وغيرهم ومات سنة سبع وسبعين ومائتين ومن كلامه كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وقال صحبت الصوفية ماصحبت فما وقع بيني وبينهم خلف فقالوا لم قال لاني كنت معهم على نفسي وقال ابن ماكولا الخراز بخاء معجمة وبعدها راء واخره زاي ابو سعيد الصوفي له تصانيف وقال ابو بكر الطرسوسي الخراز قمر الصوفية وقال الجنيد لو طالبنا الله بحقيقة ماعليه ابو سعيد الخزار لهلكنا قال علي الدينوري قلت لابراهيم بن شيبان وأي شيء كان حاله فقال اقام كذا وكذا سنة يخرز مافاته الحق بين الخرزتين وسئل الخراز هل يصير العارف الى حال يجفوا عليه البكاء قال نعم ان البكاء في اوقات سيرهم الى الله فاذا نزلوا بحقائق القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم وقال المرتعش الخلق كلهم عيال على ابي سعيد الخراز اذا تكلم هو في شيء من الحقائق وقال الجلا بلغني ان الخراز كان مقيما بمكة وكان من افقه الصوفية وكان له ابنان فمات احدهما قبله فرآه في المنام فقال له يابني اوصني فقال ياابت لاتعامل الله الا على الحق قال يابني زدني قال لا تخالف الله فيما يريد قال يا بني زدني قال لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصاً قال فما لبس القميص ثلاثين سنة فقال لابراهيم الخواص ذلك فقال كان احجب ما كان من ربه في ذلك الوقت وقال الكتاني سمعت الخراز يقول الاشتغال بوقت ماض تضييع وقت ثان وكان يقول من ظن انه ببذل المجهود يصل فمتعنى ومن ظن انه بغير الجهد يصل فتمنى وقال ابو القاسم بن مردان كان عندنا بنهاوند فتى يصحبني وكنت انا اصحب ابا سعيد الخراز فكنت اذا رجعت حدثت ذلك الفتى ما اسمع من ابي سعيد فقال لي ذات يوم ان سهل الله لك الخروج خرجت معك حتى ارى هذا الشيخ الذي تحدثني عنه فخرجت وخرج معي ووصلنا الى مكة فقال لي ليس نطوف حتى نرى ابا سعيد فقصدناه وسلمنا عليه فقال الشاب مسألة ولم يحدثني انه يريد ان يسأل عن شيء فقال له الشيخ سل فقال ما حقيقة التوكل فقال الشيخ ان لا يأخذ الحجة من حمولا وكان الشاب قداخذ حجة من حمولا وهو رئيس نهاوند وماعلمت به انا فورد على الشاب امر عظيم وخجل فلما رأى الشيخ ما جاء به عطف عليه وقال ارجع الى سؤالك ثم قال ابو سعيد كنت اراعي شيئاً من هذا الامر في حداثتي فسلكت بادية الموصل

سلام ورضوان وروح ورحمة ومغفرة المولى على ساكنيكما

((ذكر من اسم ابيه عيسى من الاحمدين))

(احمد) بن عيسى بن علي بن ماهان ابو جعفر الرازي المعروف بالحوال سمع الحديث بدمشق من جماعة وروى عنه جماعة وبسندنا اليه ثم الى اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كذب علي معتمدا فلينبوا مقعده من النار (١) ورواه ابو نعيم من هذا الطريق وبالسند اليه ايضا الى عرفجة الثقفي انه قال كان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يأمر الناس بقيام رمضان ويأمر للرجال بأمام وللنساء بأمام ورواه البيهقي ايضا وقال ابو نعيم كان المترجم صاحب غرائب وحديث كثير قدم علينا سنة تسع وثمانين وماتين .

(احمد) بن عيسى بن يوسف ابو جعفر سمع الحديث بدمشق وروى عنه ابن عدي وبالسند اليه ثم الى البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيه واخذ بيده قال فقلت يارسول الله ماكنت احسب هذه المصافحة الامن اخلاق الاعاجم وسنتهم فقال ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا لم يتتاركا حتى يغفر لهما وكان تحديث المترجم بدمشق سنة اربع واربعين وماتين .

(احمد) بن عيسى ابو سعيد الخراز الصوفي البغدادي اعتنى بالحديث ورواه عن جماعة وروى عنه جماعة واجتاز بصيدا في سياحته وبالسند اليه ثم الى عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء الخلق شؤم وشراركم اسوئكم خلقا ورواه ابو نعيم والخطيب البغدادي وقال ابو عبد الرحمن السلمي كان ابو سعيد الخراز امام القوم في كل فن من علومهم يعني الصوفية بغدادي الاصل له في مبادىء امره عجائب وكرامات مشهورة ظهرت بركته عليه وعلى من صحبه وهو احسن القوم كلاما ماخلا الجنيد فانه الامام وقيل ان اول من تكلم في علم الفناء ابو سعيد الخراز وقال الخطيب البغدادي كان الخراز من كبار شيوخنا وكان احد المذكورين بالورع والمراقبة وحسن الرعاية والمجاهدة وحدث شيئا يسيرا عن ابراهيم بن بشار صاحب ابراهيم بن

---

(١) اجمع العلماء على هذا الحديث متواتر وهو يفيد العلم اليقيني .

رؤيا يبرأني الله فوالله ما رام رسول الله مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى اخذه ماكان يأخذه من البرحاء (١) قالت وهو العرق حين ينزل عليه الوحي وكان اذا اوحي اليه يأخذه من البرحاء حتى انه لينحدر عليه مثل الجمان من العراق في اليوم الشاتي من ثقل القرآن الذي انزل عليه فسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكانت اول كلمة تكلم بها ان قال ياعائشة اما بعد فقد برأك الله فقالت امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله فانزل الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الى آخر العشر الآيات كلها فلما انزل الله هذا كله في براءتي قال ابو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا انفق على مسطح شيئا ابدا بعد الذي قال لعائشة فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين الآية فقال ابو بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي فارجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال لانزعها منه ابدا وكان النبي صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش فقال لها يازينب ماذا علمت ورأيت قالت له زينب ماعلمت ولا رأيت الا خيرا احمي سمعي وبصري قالت وهي التي كانت تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع فطفقت اختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك من اهل الافك (٢) ولد المترجم سنة اثنتين وتسعين ومائة ومات وهو قاضي مصر سنة اربع وسبعين ومائتين وهذا وهم والمحفوظ انه مات سنة ست وسبعين وقال محمود بن هلال يرثي اخاه المترجم ويرثي الهيثم ابن اخيه :

ايا ايها القبر ان شوقي اليكما　　طويل وقد افنيت دمعي عليكما
تضمنتما دوني حبيبين فالطفا　　وشخصين حلا بين حفرتيكما
حبيبين كانا مؤنسين فاصبحا　　برعى على طول البلا مؤنسيكما

---

(١) البرحاء شدة الكرب من ثقل الوحي (٢) هذا الحديث رواه احمد في مسنده وخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره وعبد الرزاق الرستغني من طريق موفق الدين ابن قدامة في تفسيره حل الرموز ومفاتيح الكنوز وقال ابن جرير والرستغني قال الزهري حدثنى بطائفة من حديث عائشة جماعة من التابعين وبعضهم كان اوعى من بعض لحديثها من بعض واثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الذي حدثني وبعضهم حدثني يصدق بعضهم بعضا ثم ساقا الحديث وهو لايختلف عما هنا الا بالفاظ يسيرة وقال الرستغنى هذا حديث متفق على صحته واخرجه مسلم عن اسحاق بن راهويه عن عبد الرزاق .

من عبد الله بن ابي فقال من يعذرني من رجل بلغ في اهلي اذاه فوالله ماعلمت الاخيرا ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي فقام سعد بن معاذ فقال يارسول الله انا اعذرك منه ان كان من اخواننا الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا ما امرتنا فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وقد كان قبل ذلك رجلا صالحا استحملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لاتقتلنه ولا تقدر على قتله فقام اسيد ابن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال يعني لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله ليقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين وتبادر الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا والنبي صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل يسكتهم حتى سكتوا فمكثت يومي ذلك لايرقى لي دمع ولا اكتحل بنوم وبت ليلتي كذلك فاصبح ابواي عندي وقد لبثت ليلتي ويومي لايرقى لي دمع ولا اكتحل بنوم وهما يظنان ان البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان وانا ابكي اذ استأذنت امرأة من الانصار علي فاذنت لها فجلست تبكي فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس فلم يجلس قبل ذلك منذ قيل ماقيل ولقد لبثت شهرا لايوحى اليه بشيء فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس جلسة فقال اما بعد يا عائشة فانه قد بلغني كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت المت بذنب فاستغفري الله ثم توبي اليه فان العبد اذا اذنب ثم تاب الى الله تاب الله عليه فلما قضي النبي صلى الله عليه وسلم مقالته قلص (١) دمعي حتى ما احس منه بقطرة فقلت لابي اجب رسول الله فيما قال فقال والله ما ادري ما اقول لرسول الله فقلت لامي اجيبي رسول الله فقالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله واني جارية حديثة السن لم اقرأ كثيرا من القرآن فقلت والله لقد علمت انكم قد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في انفسكم فصدقتم به ولئن قلت اني بريئة والله يعلم اني بريئة لاتصدقوني والله ماجد لي ولكم مثلا الا كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون ثم تحولت فاضطجعت قلى فراشي وانا حينئذ اعلم اني بريئة وما كنت اظن ان الله ينزل في شأني وحيا يتلى لشأني في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في بأمر ولكني كنت ارجو ان يري الله نبيه في النوم

---

(١) قلص ارتفع وذهب وقد تشدد اللام للمبالغة .

الافك عبد الله بن ابي سلول فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمت المدينة شهرا والناس يفيضون في قول الافك لا اشعر بشيء من ذلك وهو يرميني في وجعي واني لاعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت اراه منه حين اشتكى انما يدخل فيقول كيف تيكم ثم ينصرف فذاك يريبني منه ولااشعر بشيء حتى خرجت بعدما نقهت (١) وانا وام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فانطلقت انا وأم مسطح وهي بنت ابي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالة ابي بكر وابنها ابن مسطح بن اثاثه ابن عبادة بن المطلب فاقبلت انا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت فيما ذا اتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت أي هنتاه اولم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تيكم فقلت اتأذن لي آتي ابوي وحينئذ اريد ان استيقن الخبر من قبلهما قالت فاذن لي من الغد فجئت ابوي فقلت لامي ياامه ماذا يتحدث الناس به فقالت يابنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امرأة وضئة (٢) عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا فمكثت تلك الليلة ابكي حتى اصبحت لايرقي لي دمع ولا اكتحل بنوم قالت ثم اصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد وعليا حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق اهله فاما اسامة فاشار على النبي صلى الله عليه وسلم بما يعلم من براءة اهله وبالذي في نفسه من الود لهم فقال يارسول الله هم اهلك وما نعلم الا خيرا واما علي فقال يارسول الله ان الله لم يضيق عليك النساء والنساء سواها كثير فان تسأل الجارية تصدقك فدعا بريرة فقال يابريرة رأيت شيئا يريبك فقالت والذي بعثك بالحق مارأيت عليها امرا قط اغمصه (٣) قط اكثر من انها حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتأتي الداجن (٤) فتأكله فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فاستعذر

---

(١) يقال نقه المريض اذا برىء وافاق وكان قريب العهد بالمرض لم يرجع اليه كمال صحته وقوته (٢) حسنة جميلة (٣) اتساهل عن الخبر فيه (٤) الداجن الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم .

اليه ثم الى عائشة فيما قال لها اهل الافك فبرأها الله مما قالوا وقصتها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يخرج في سفر اقرع(١)بين ازواجه وفي لفظ له بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فاقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بعد مانزل الحجاب وانا احمل في هودجي وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك ودنوا من المدينة وفي لفظ حتى اذا فرغ من غزوه وقفل الى المدينة نودي بالرحيل فخرجت حين اذنوا بالرحيل فتبرزت لحاجتي فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع اظفار (٢) (صوابه ظفار بلا الف) قد انقطع فخرجت في التماسه فحبسني ابتغاؤه وجاء الرهط الذين يرحلون لي فاحتملوا هودجي فحملوه على بعيري الذي كنت اركب عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلهن اللحم (٣) انما تأكل احدانا العلقة(٤)من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج وفي لفظ ثقل الهودج حين رفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش وجئت مبادرة وفي لفظ منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت(٥)منزلي الذي فيه وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينما انا كذلك في منزلي اذ غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فاتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي والله ماتكلمنا بكلمة ولاسمعت من كلامه غير استرجاعه حتى اناخ راحلته فوطىء على يدها فانطلق بالراحلة حتى اتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نهر الظهيرة (٦) وقد هلك من اهل الافك من هلك وكان الذي تولي كبر

---

(١) اقرع من القرعة وهي المساهمة وهي معروفة (٢) الجزع بفتح الجيم الحرز اليماني الواحدة جزعة قال ابن الاثير في نهاية الغريب وفي حديث الافك عقد من جزع ظفار هكذا روى واريد بها جنس من الطيب او شيء من العطر اسود كأنه يؤخذ ويثقب ويجعل فى العقد والصحيح في الروايات انه من جزع ظفار بوزن قطام وهى اسم مدينة لحمير باليمن اه وهو يؤيد الرواية الثانية (٣) معناه لم يكثر عليهن ولم يركب بعضه بعضا (٤) العلقة البلغة من الطعام أي مايسد الرمق (٥) قصدت (٦) أي في وقت الهاجرة وقت توسط الشمس السماء يقال وغرت الهاجرة وغرا واوغر الرجل اذا دخل فى ذلك الوقت كما يقال اظهر اذا دخل فى وقت الظهر .

الله ولم يعطه فاغتم الرجل فقال ابن جوصا لاتجزع واعطاه بكل حديث ذاكره درهما وكان ابن جوصا ذا مال كثير وقال ابن مندة سمعت حمزة الكتاني بمصر يقول عندي عن ابي جوصاء مائتا جزء ليتها كانت بياضا وترك الرواية عنه اصلا وقال الدارقطني تفرد باحاديث ولم يكن بالقوي سمعت دعلج ابن احمد يقول دخلت دمشق وكتبت عن ابن جوصا جزأ ولست احدث عنه فاني رأيت في داره جرو كلب صيني فقلت نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اقتناء الكلب وهذا قد اقتنى كلبا توفي المترجم سنة عشرين وثلاثمائة ودفن بمقبرة باب الصغير .

(احمد) بن عون الله ابو جعفر الاندلسي القرطبي سمع الحديث ببلده ورحل فسمع بدمشق واطرابلس ومكة ومصر وكان رجلا صالحا شديد الانقباض عن اهل الدنيا لايمضي الى احد ولا يداخل احدا انما كان من داره الى مسجده ومن مسجده الى داره قاعدا للناس لاسماع الحديث من غدوة الى الليل وكانت عدة شيوخه الذين روى عنهم اثنين وسبعين رجلا وامرأتين وقال محمد ابن احمد بن مفرج كان المترجم محتسبا على اهل البدع غليظا عليهم مذلا لهم طالبا لمساويهم مسارعا في مضارعهم شديد الوطأة عليهم مشردا لهم اذا تمكن منهم غير مبق عليهم وكان من كان منهم خائفا على نفسه متوقيا لايداهن احدا منهم على حال ولا يسالمه وان عثر لاحد منهم على منكر وشهد عليه عنده بانحراف عن السنة نابذه وفضحه واعلى بذكره والبراءة منه وعيره بذكر السوء في المحافل واغرى به حتى يهلكه او ينزع عن قبيح مذهبه وسوء معتقده ولم يزل دائبا على هذا جاهدا فيه ابتغاء وجه الله الى ان لقي الله عز وجل وله في الملحدين اثار مشهورة ووقائع مذكورة وقال احمد بن ابي الوليد الباجي ان المترجم رجل معروف وقال عبد الله بن الفرضي الاندلسي في تاريخ الاندلس كان شيخا صدوقا صارما في السنة متشددا على اهل البدع وكان لهجا بهذا النوع صبورا على الاذى فيه كتب عنه الناس الحديث قديما وحديثا وكتبت عنه توفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ودفن بمقبرة الربض .

(احمد) بن العلآء بن هلال بن عمر ابو عبد الرحمن الرقي القاضي سمع الحديث من جماعة وروى عنه جماعة وقدم دمشق في ايام احمد بن طولون وكان ممن خلع الموفق بن المتوكل بن المعتصم بها سنة تسع وستين ومائتين وروينا بالسند

فانشدتها ابا علي بن ابي السمرأ باطرابلس وكان ضريرا شاعرا فقال لي قد عارضتها وانشد :

عجبت من عصبة نمت وسمت باسم التقي والنهي وهم جهله
وسـاوس النفس علمهم ولهم مقـالـة في الحلول مفتعلـه
تصـوف القـوم كـي يبلغهم لبـاسهم مـاتبلغ المسـألـه
لو ان مـاهم عليه مـن رغـد ما جعـل القوم زيهـم مثلـه
وقـد تـأتـي لهم بـزيهم من الورى ماتعـاطت القتلـه
اذا تـأملتهـم رأيتهـم نوكي (١) كسـالى اذلة اكلـه

هذا في حق من تشبه بهم وليس منهم وخالفهم في الاخلاق المروية عنهم .

(احمد) بن عمير بن يوسف بن موسى بن جوصا ابو الحسن الحافظ مولى بني هاشم شيخ الشام في وقته رحل وصنف وذاكر روى عن جماعة كثيرين وعنه ابو الحسين الرازي وابو القاسم الطبراني وجماعة وروينا بالسند اليه ثم الى ابي قرصافة انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ابنوا المساجد واخرجوا القمامة منها فمن بنى لله مسجدا بنى الله له بيتـا في الجنة فقال رجل يارسول الله وهذه المساجد التي تبنى قال وهذه واخراج القمامة منها مهور الحور العين وبالسند اليه ايضا الى ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة واخرجه ايضا من طريق الحاكم وقال الطبراني لم يروه عن ابن ثوبـان الا بقية ولم يروه عن بقية الا ابوبقي تفرد به ابن جوصاء وكان من ثقات المسلمين واجلتهم وقد اكثر الحافظ من رواية طرقه ليقوي بعضها بعضا وقال الفيض الغساني صلينا في المسجد مع مروان بن محمد الطاهري فلما انقضت الصلاة قام رجل عند باب الساعات فقل يا معشر المسلمين انـا جوصا كنت يهوديـا واسلمت فصرت اعير باليهودية فلا تعيروني بها فارجع اليها وقال ابن ماكولا جوصا بالجيم وكان مسلم بن محمد البغدادي الزاهد يحسن الثنـاء على جوصا وكان ابو احمد النيسابوري الحافظ حسن الرأي فيه وقال ابومسعود الدمشقي جاء رجل بغدادي الى ابن جوصا فقال له كلما قرات على حديثا من احاديث اهل الشام اعطيك درهما فلم يزل الرجـل يلقي عليه ماشـاء

---

(١) النوك بالضم الحمق وحقيقة الحمق وضع الشيء في غير موضده مع العلم بقبحه .

احمد بن عمرو وكان صدوقا انتهى وقال المترجم صبحت ابا تراب زمانا فكان يقول لي كم تشقى لايجيء منك الا قاضي وكان بعد ذلك لما ولي القضاء اذا سئل عن مسألة في التصوف يقول الكلام في علوم الصوفية محال وذكر عند ابن الديلمي ان المترجم ناصبي (١) فبعث غلاما له معه سيف ومخلاة وقال له ائتني برأسه فجاء الغلام والمترجم يروي الحديث فقال امرت ان احمل الى الامير رأسك فنام على قفاه ووضع الكتاب في يده على وجهه وقال افعل ماشئت فلحقه آخر فقال للغلام امرك الامير ان لا تقتله فقام المترجم ورجع الى الحديث الذي قطعه وتعجب الناس منه وتحير الرسول في امره وكان يوما مارا في السوق مع ابي العباس بن سريج فقال لابي العباس لو لم يكن في ترك الدنيا الا اسقاط الكلف وراحة القلب لكفي وقال محمد بن احمد الكسائي المقري كنت جالسا عند ابن عاصم وعنده قوم فقال رجل ايها القاضي بلغنا ان ثلاثة نفرا كانوا بالبادية يقلبون الرمل فقال احدهم اللهم انك قادر على ان تطعمنا خبيصا على لون هذا الرمل فاذا هم باعرابي بيده طبق فسلم عليهم ووضع الطبق بين ايديهم وعليه خبيص حار فقال ابن ابي عاصم قد كان ذاك وكان الثلاثة عثمان بن صخر الزاهد وابو تراب والمترجم وكان هو الذي دعا وكان يقول لا احب ان يحضر مجلسي مبتدع ولا طعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذي ولا منحرف عن الشافعي ولا عن اصحاب الحديث وكان المترجم فقيها ظاهري المذهب توفي سنة سبع وثمانين ومائتين ودفن بمقبرة روساباد .

(احمد) بن عمرو البغدادي المعروف بالرومي المصري دخل اطرابلس من ساحل دمشق قال رويت لبعض اهل الادب قوله :

رأيت قوما عليهم سمة الخـ ... ـير تحمل الركائب مبتهله
معتزلي الناس في مساجدهم ... سألت عنهم فقيل متكلمه
الوقت والحال والحقيقة ... والبرهان والعس عندهم مسأله
فلم ازل خادما لهم زمنا ... حتى تبينت انهم اكله

---

(١) الناصبي نسبة الى النواصب وهم المتدينون ببغضة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه سموا بذلك لانهم نصبوا له يعني عادوه واظهروا له الخلاف وهم طائفة الخوارج وهم فرق شتى والكلام عليهم يطول ومن راجع الفصل لابن حزم والملل والنحل للشهرستاني وكتاب المعالم للبلادري علم تفصيل احوالهم وسيأتي معظمها في ترجمة سيدنا علي رضي الله عنه من هذا الكتاب .

((ذكر من اسم أبيه عمرو من الاحمدين))

(احمد) بن عمرو بن احمد بن معاذ ابو الحسن العبسي الداراني روى الحديث وروى عنه وبالسند اليه الى جابر بن عبد الله انه قال ان الله انزل صحف ابراهيم في اول ليلة خلت من شهر رمضان وانزل القرآن على محمد لاربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان .

(احمد) بن عمرو بن اسماعيل بن عمر الفارسي المقعد الوراق قدم دمشق وسمع الحديث بها من جماعة وروى عنه جماعة وبالسند اليه ثم الى أم سلمة انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد قال حيثمة احمد بن عمرو ثقة ثقة .

(احمد) بن عمرو بن جابر الطحان الحافظ نزيل الرملة سمع الحديث بدمشق وغيرها من جماعة وروى عنه جماعة وبسندنا اليه ثم الى عائشة انها قالت قلت يارسول الله ارأيت اذا ابدلت الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فاين الناس يومئذ قال على الصراط والى ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش املح فنادي منادي يااهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرأبون وينظرون وكلهم قد رآه فيقولون نعم هذا الموت ثم يؤخذ فيذبح ثم يقال يااهل الجنة خلود فلا موت ويااهل النار خلود فلا موت وذلك قوله عز وجل وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة قال أهل الدنيا في غفلة مات المترجم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .

(احمد) بن عمرو بن الضحاك ابي عاصم النبيل بن مخلد بن مسلم بن رافع ابن رفيع الشيباني الفقيه القاضي محدث ابن محدث اصله من البصرة وسكن اصبهان وولى قضاها وكان مصنفا في الحديث مكثرا منه رحل منها الى دمشق وغيرها وسمع من جماعة وهو مسند عن شيوخ البصريين يروي عن جده لامه ابي سلمية التبوذكي وابي الوليد الطيالسي وابي بكر بن ابي شيبة وجماعة وروى عنه ابو الشيخ وجماعة وروينا بسندنا اليه حديث ان الله قد تكفل لي بالشام واهله وقد تقدم الكلام عليه وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم سمعت من

وعلي الاثم سمعت رسول الله يقول اذا انقطع شسع(١) احدكم فلا يمشي في الاخرى حتى يصلحها وان ولغ الكلب في اناء احدكم فلا يتوضأ فيه حتى يغسله سبع مرات سكن المترجم بغداد دهراً طويلا وحدث بها ثم انتقل الى مصر فنزلها واقام بها حتى مات سنة اربع وتسعين وثلاثمائة وكان ثقة حسن الاصول انتهت اليه الرواية قاله الخطيب البغدادي .

(احمد) بن عمر بن موسى ابن زنجويه البغدادي المحرمي القطان روي الحديث عن جماعة وروى عنه جماعة وروينا بالسند اليه الى معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا شربوا الخمور فاجلدوهم ثم اذا شربوا فاجلدوهم ثم اذا شربوا فاجلدوهم ثم اذا شربوا فاقتلوهم (٢) والى زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في ربيع العرايا (٣) ولم يرخص في غير ذلك قال الخطيب كان ابن زنجوية ثقة ومات سنة اربع وثلاثمائة .

---

(١) الشسع احد سيور النعل الذي يدخل بين الاصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام والزمام السير الذي يعقد فيه الشع وانما نهى عن المشي في نعل واحدة لئلا يكون احد الرجلين ارفع من الاخرى نيكون سببا للعثار وقبيح في المنظر فيعاب فاعله والشرع نهى عن فعل كلما يعاب صاحبه فيه فلتعلم الحكمة ني ذلك (٢) هذا الحديث رواه الترمذي وابو داود وابن ماجة واحمد قال الترمذي في جامعه بعد ان تكلم على الحديث من جهة اسناده وانما كان هذا في اول الامر ثم نسخ بعد هكذا روى محمد بن اسحاق عن محمد ابن المنكدر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان شرب الخمر فاجلدوه قال فان عاد في الرابعة فاقتلوه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب الخمر في الرابعة فضربه ولم يقتله وكذلك روى الزهري عن قبيصة بن ذؤيب عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا قال فرفع القتل وكانت رخصة والعمل على هذا الحديث عند عامة اهل العلم لانعلم بينهم اختلافا في ذلك في القديم والحديث ومما يقوى هذا ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من اوجه كثيرة انه قال لايحل دم امرء مسلم يشهد ان لااله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لديه فليعلم ذلك فان المقام هنا ليس مقام اطالة في البحث (٣) هي ان من لانخل له من ذوي الحاجة يأتي او ان ادارك الرطب ولانقد بيده ليشتريه به لنفسه ولا لعياله ولا نخل له يطعمهم منه ويكون قد فضل من قوته تمر فيجيء الى صاحب النخل فيقول له بعني تمر نخلة او نخلتين يخرصها من التمر فيعطيه ذلك الفاضل من التمر بثمر تلك النخلات ليصيب من رطبها مع الناس فرخص فيه اذا كان دون خمسة اوسق قال الترمذي والعمل على هذا عند بعض اهل العلم منهم الشافعي واحمد واسحاق قال ومعنى هذا عند بعض اهل العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد التوسعة عليهم في هذا لانهم تشكوا اليه وقالوا لانجد مانشتري من التمر الا بالتمر فرخص لهم فيما دون خمسة اوسق ان يشتروها فيأكلون رطبا.

عليه وسلم يقول يحشر الناس ما بين السقط الى الشيخ الفاني (١) توفي المترجم سنة اربع وخمسين ومائتين .

(احمد) بن عمر بن محمد بن خرشند قوله الاصبهاني قدم دمشق في مسجد رحبة البصل (٢) وادركته ولم يتفق لي منه السماع وقد اجازني بجميع حديثه ورويت من طريقه عن ابن عباس قال جاء رجل الى عمر يسأله فجعل عمر ينظر الى رأسه مرة والى رجليه اخرى هل يرى عليه من البؤس شيئاً فقال له عمر هل لك من مال قال نعم اربعون من الابل قال ابن عباس صدق الله ورسوله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب قال عمر ما هذا فقال هكذا اقرأنيها ابي بن كعب قال فاكتبها قال نعم فاكتتبها ولد المترجم سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة بدمشق وكان ثقة ولم يكن الحديث من شأنه وتوفي سنة خمس وخمسمائة ودفن بمقبرة باب الصغير .

(احمد) بن عمر بن عطية ابو الحسن الصقلي المقرى المؤدب وكان يؤدب وحدث بها وبمصر عن المحاملي وغيره وروى عنه تمام الرازي وابو نعيم وجماعة وروينا بسندنا اليه الى ابي رزين قال رأيت ابا هريرة يضرب جبهته ويقول يا اهل العراق تزعمون اني اكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون لكم المهنى

---

(١) السقط بفتح السين وكسرها وضمها والكسر اكثرها الولد الذي يسقط من بطن امه قبل تمامه والشيخ المتقدم في السن (٢) مسجد رحبة البصل هذا المسجد كان قديماً موضع جامع السنانية فلما تولى الوزير سنان باشا ولاية الشام جدده وجعله جامعاً عظيماً قال النجم الغزي في كتابه لطف السحر يوسف بن سنان باشا الوزير الاعظم صاحب الخيرات الكثيرة والمبرات الغزيرة قيل انه انشأ اربعين مسجداً جامعاً يخطب على منابرها في اقطار المملكة العثمانية غير الجسور والخانات وكان كلما مات مملوك له او مولى حفظ ما يرثه منه او يتناوله من بعده فيعمر به مسجداً او غيره وعمر بدمشق جامع السنانية خارج باب الجابية وخارج دمشق (يعني خارج السور) وجامعاً بسعسع وجامعاً بالقطيفة وجامعاً بعيون التجار وعند كل جامع تكية مضمومة اليه وولى الوزارة للسلطان مراد خان ابن سليم خان ثم عزل عنها ثم اعيد وزيراً اعظم وولي دمشق في اثناء ذلك في اوائل سنة خمس وتسعين وتسعمائة وفيها ابتدأ بعمارة سوق السنانية خارج باب الجابية وحضر تأسيس البناء بنفسه واحضر جمعاً من العلماء والمؤذنين وولى على عمارة السوق وعمارة السنانية كلها الامير محمد ابن منجك وجلال الدين شلبي وزين شلبي ثم خرج من دمشق معزولا وولى بعهده خسرو باشا الطواشي ثم اعيد سنان باشا الى الوزارة وبقى بها حتى مات سنة اربع بعد الالف انتهى كلام الغزي وقال الشيخ محمود بن محمد العدوي في ذيله على مختصر تنبيه الطالب كانت مدة ولاية سنان باشا لدمشق ستة او سبعة اشهر وتمت عمارة الجامع سنة ٩٩٩ انتهى وقد اوردت اكثر من هذا في كتابي منادمة الاطلال ومسامرة الخيال .

لاتتبعها شريعة فهي كفر وروى المترجم عن هلال بن العلاء انه قال :

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا   ان بر عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من ارضاك ظاهره   وقد اجلك من يعصيك مستترا

بلغني ان المترجم كان حياً سنة تسع وتسعين وثلاثمائة .

((ذكر من اسم ابيه عمر من الاحمدين))

(احمد) بن عمر بن ابان بن الوليد بن شداد الفارسي من اهل مصر روى عن جماعة وعنه جماعة وروينا من طريقه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التقى موسى وآدم عليهما السلام فقال موسى لآدم انت ابو الناس الذي اغويتهم واخرجتهم من الجنة فقال آدم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه والقى عليك محبة منه فذكر هذا ونحوه مما فضله الله به قال موسى نعم قال آدم تلومني على عمل قد كتبه الله علي قبل ان اعمله وقبل ان اخلق قال فحج آدم موسى .

(احمد) بن عمر بن الاشعث ابو بكر السمرقندي سكن دمشق مدة وكان يكتب بها المصاحف ويقرى القرآن وسمع الحديث واسمعه وكان لجماعة من اهل دمشق فيه رأي حسن ويذكر انه خرج مع جماعة الى ظاهر البلد في فرجة فقدموه ليصلي بهم وكان مزاحاً فلما سجد بهم تركهم في الصلاة وصعد في شجرة فلما طال عليهم انتظاره رفعوا رؤوسهم فلم يجدوه في مصلاه واذا به في الشجرة يصيح صياح السنانير فسقط من اعينهم فخرج الى بغداد وترك اولاده بدمشق ولما وصل بغداد اتصل بعفيف القائمي الخادم فكان يكرمه وانزله في موضع من داره فكان اذا جاءه الفراش بالطعام يذكر اولاده بدمشق ويبكي فحكى الفراش ذلك لعفيف فقال سله عن سبب بكائه فسأله فقال له ان لي بدمشق اولاداً في ضيق فاذا جاءني شيء من الطعام تذكرتهم فأخبره الفراش بذلك فبعث اليهم واستحضرهم ولم يزالوا في ضيافة عفيف حتى مات توفي المترجم سنة تسع وثمانين واربعمائة .

(احمد) بن عمر بن العباس المعروف بابن الجليد روى عن جماعة وعنه جماعة واسندنا من طريقه عن المقدام بن معدي كرب انه سمع رسول الله صلى الله

انك تخشى الله وقلبك فاجر قال ابو بكر الهلالي كان ابن عمار ينصرف الى منزله فيجد اهله قد ناموا وتركوا له شيئا يأكله فكان اذا وافي ثرد خبزه في قصيعة وصب عليه ماتركوه له فاصلحوا في بعض الايام دجاجة وتركوا له شيئا منها وكانوا قد عجنوا وبقي بعضه وتركوا فضلة ماء العجين في اناء آخر فوافى ليلا وقد ناموا فثرد الخبز على عادته واتفق انه اخذ الاناء الذي فيه ماء العجين فصبه على الخبز واكل فلما اصبحوا وجدوا سهمه من الدجاجة على حاله فذكروا له ذلك فقال ما اكلت الا الذي كان في قسمي .

(احمد) بن ابي عمران ابو الفضل الهروي الصوفي سمع الحديث وحدث بها وقد روينا بسندنا اليه الى انس انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله امن العصبية ان يعين الرجل قومه على الحق قال لا (١) وبالسند اليه الى جابر انه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى الظهر رفع يديه اذا كبر واذا ركع واذا رفع رأسه من الركوع وبالسند اليه ايضا الى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهجرة (٢) بين المسلمين فوق ثلاثة ايام او ثلاث ليال وبالسند اليه ايضا الى بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وروى المترجم عن ابي بكر الدقاق انه قال كنت مارا في تية بني اسرائيل فخطر بخاطري ان علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة فهتف بي هاتف من تحت شجرة يا ابا بكر كل حقيقة

---

(١) قيل العصبي هو الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم والتعصب المحاماة والمدافعة وتعصبنا له ومعه نصرناه والصحيح ان العصبي هو ان يدعو الرجل الى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا او مظلومين والحديث الذي في الاصل اخرجه ابن ماجة عن فسيلة الشامية عن ابيها ولفظه سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أمن العصبية ان يحب الرجل قومه قال لا ولكن من العصبية ان يعين الرجل قومه على الظلم وروى ابو داود بعضه ولفظه قلت يا رسول الله ما العصبية قال ان يعين الرجل قومه على الظلم . فهذا هو تفسير العصبية ومنه يعلم بيان المحمود منها والمذموم (٢) الهجرة هنا الهجر الذي هو ضد الوصل يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة او تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان من ذلك في جانب الدين فان هجرة اهل الاهواء والبدع واجبة على مر الاوقات ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع الى الحق فانه عليه الصلاة والسلام لما خاف على كعب بن مالك واصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك امر بهجرانهم خمسين يوما وقد هجر نسائه شهراً وهذه الهجرة في الحقيقة نوع من التربية لا انها حرمان من الدين فليعلم الفرق بينهما .

الملائكة حراس السماء واصحاب الحديث حراس السنة والصوفية حراس الله وقال المترجم سألت سمنونا عن اول مقام يستحق به العبد ان يقال له عارف فقال هو ان يكون واقفا بعلمه على همه يعرف كلّ هم يخطر على قلبه وقال سمنون اذا بسط الجليل غدا بساط المجد دخلت ذنوب الاولين والآخرين في حواشية واذا بدت ذروة من عين المجد الحقت المسيء بالمحسن ·

(احمد) بن علي السكري امام الجامع بدمشق له ذكر ولا اعلم له رواية توفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

(احمد) بن علي المروزي الصفار حدث بدمشق سنة اثنين وعشرين واربعمائة وروى عنه جماعة .

(احمد) بن علي الموصلي الجوهري المقري الاديب حدث باطرابلس وقدم دمشق سنة ستواربعين وثلاثمائة وروينا بسنده الى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انصر اخاك ظالما او مظلوما فقلت يارسول الله انصره مظلوما فكيف انصره ظالما قال تمنعه من الظلم فقال ذلك نصرك اياه .

(احمد) بن عمار بن نصير السلمي روينا بسندنا اليه عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس للدين دواء الا القضاء والوفاء والحمد قال الخطيب احمد بن عمار بن نصير الشامي مجهول وهذا حديث منكر وقال البرقاني والدراقطني هو من المتروكين وقال الدارقطني ايضا هو متروك الحديث .

(احمد) بن عمار ابو بكر الاسدي رجل من المتعبدين صحب ابا بكر بن سند حموية وقال خرجنا مع المعلم في جنازة ومعه جماعة من اصحابه فرأى في طريقه كلابا مجتمعة بعضها يلعب مع بعض ويتمرغ عليه ويلحسه فالتفت الى اصحابه فقال انظروا الى هذه الكلاب مااحسن اخلاق بعضها مع بعض قال ثم عدنا من الجنازة وقد طرحت جيفة وتلك الكلاب مجتمعة وهي يتهارش بعضها مع بعض ويخطف هذا من هذا ويعوي عليه وهي تتقاتل على تلك الجيفة فالتفت المعلم الى اصحابه فقال لهم قد رأيتم يا اصحابنا متى لم تكن الدنيا بينكم فانتم اخوان ومتى ماوقعت الدنيا بينكم تهارشتم عليها تهارش الكلاب على الجيفة وقال المترجم سمعت ابا عبيد الله البسري يقول النفاق خبث السريرة فاتق الله ان ترى الناس

وقد سمع المترجم الكثير عن بن شاذان والدارقطني قال الخطيب البغدادي كان المترجم يحرف في كلامه ويذكر اشياء تدل على تخليطه وقلة تحصيله ولد بالكرخ سنة ست وستين وثلاثمائة وبلغنا كونه بتبريز حيا سنة خمس واربعمائة وبلغني انه مات سنة احدى وستين واربعمائة اه فان صح هذا كان من المعمرين الكبار .

(احمد) بن علي بن يعقوب ابو الحسين البصري المقري قدم دمشق واستوطنها وكان له سماع سنة احدى عشرة وخمسمائة وكان يقرأ بالصوت في الاعزية قال الحافظ ادركته ورأيته كثيراً ولم اسمع منه شيئا ولم يكن الحديث من شأنه وكان يقرأ القرآن بالحان غير مستطابة .

(احمد) بن علي بن يوسف الخزاز المري روى عن جماعة وروى عنه جماعة ومما اسندناه عنه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول مايحاسب به العبد يوم القيامة ان يقال الم اصح جسمك واروك من الماء البارد والخزاز بخاء معجمة بعدها راء آخره زاي

(احمد) بن علي اظنه ابا عمرو الصوفي نقل عن ابن يزداتيار انه قال

تناقض مالنا الا السكوت له وان نعوذ بمولانا من النار

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينا

فأجاب القاضي عبد الوهاب المالكي بقوله :

صيانة الجسم اغلاها وارخصها صيانة المال فافهم حكمة لباري

وقد افاد بعض شارحي كلام المعري ان الذي يظهر ان القاضي لم يدرك مقاصد المعري فلم يكن كلامه جوابا له اه واذا تأملت الامر بعين متدبر وجدت ان المعري قد اورد سؤالا ولم يكن في مقام الاعتراض على الشرع ثم انه ابرز السؤال في مقام التهويل كما هو شأن الملغزين فابان ان هنا تناقضا ولكن لا يليق بنا ان ننسبه الى المخالفة بدليل قوله وان نعوذ بمولانا من النار ثم فسره بانه لاي حكمة كانت دية اليد اذا قطعت خمسمائة دينار ثم اذا سرقت ربع دينار تقطع ويكون قطعها هدرا فكان حق الجواب ان يقال الفرق بينهما كالفرق بين الامانة والخيانة فانه في الاول لما كان صاحب اليد شريفا في ذاته كان كل جزء من اجزائه ثمينا ولكن لما تدنس بالخيانة سقط شرف جسمه ومثله قاطع الطريق اذا قتله انسان مدافعة عن نفسه كان دمه هدرا بخلاف ما اذا قتل معصوما فانه يقتل به هذا وللمعري اشارات الى حكم يظنها من لم يدرك مداركها انها زندقة والحاد ولكن اذا فهمت مسالكه أتضحت الحقيقة من مقاصده .

الخاء المعجمة وبالياء المثناة من تحت المضمومة وكانت وفاته في نصف شعبان سنة تسعين ومائتين .

(احمد) بن علي بن يزيد ابو جعفر العكبري السوادي ويعرف بخسرو حدث عن جماعة منهم ابو نعيم وروى عنه ابن صاعد وغيره ومما رويناه بالسند اليه ثم الى ابن مسعود قال ينادي مناد عند حضرة كل صلاة يابني آدم قوموا فاطفئوا ما اوقدتم على انفسكم فينادي عند صلاة الصبح يابني آدم قوموا فاطفئوا مااوقدتم على انفسكم فيتطهرون ويصلون فيغفر لهم ثم ينادي عند صلاة الاولى يابني آدم قوموا فاطفئوا ما اوقدتم على انفسكم فيتطهرون ويصلون فيغفر لهم ما بينهما فاذا صلى العصر نادى مثل ذلك فينامون ولا ذنب لهم ثم يصبحون فمدلج في خير ومدلج في شر وروى المترجم عن سعيد ابن عبد العزيز قال ان رقيقا لحبيب بن مسلمة ضاق يوما في شيء فقال له حبيب ان استطعت ان تغير خلقك باحسن منه فافعل والا فيسيعك من اخلاقنا ما ضاق عنا من خلقك .

(احمد) بن علي بن يحيى بن العباس بن منصور الاسد باذي الاديب قدم دمشق حاجا سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة وحدث بها وببغداد وروى عنه الخطب البغدادي وجماعة ومما اسندناه عنه من طريق الخطيب عن بن عمر انه قال كانت امرأة تأتي قوما تستعير منهم الحلي ثم تمسكه فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لتتب هذه المرأة الى الله والى رسوله وترد على الناس متاعهم قم يا فلان فاقطع يدها وروي هذا الحديث عاليا من طرق متعددة ورواه البزار والنسائي في سننه(١)

---

(١) رواه النسائي في المجيء من طرق متعددة ان أمرأة كانت تستعير الحلي في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعارت من ذلك حليا فجمعته ثم امسكته فقال رسول الله لتتب هذه المرأة وتؤدي ماعندها مرارا فلم تفعل فأمر بها فقطعت اه ومنه تعلم ان في الاصل سقط قوله فلم تفعل واختلف العلماء في هذه المسألة فقال كثير منهم لاقطع على من جحد العارية وقالوا انما ذكرت العارية هنا تعريفا لحالها الشنيعة لا لانها سبب القطع وسبب القطع انما كان السرقة لاجحد العارية وقال احمد واسحاق بالقطع وقول الراوي فأمر بالفاء ظاهر في قولهما وبعيد عن التأويل وقد جاء في بعض الروايات ماهو كالصريح في ذلك وما جاء من لفظ السرقة في بعض الروايات فهو محتمل للتأويل والله اعلم (لطيفة) اورد على القطع في السرقة ابو العلاء المعري سؤالا فقال :

نصر الله والفتح حين انزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ان نفسه نعيت اليه

(احمد) بن علي بن محمد النحوي الرماني المعروف بالشرابي الاديب حدث بكتاب اصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت وحدث عن جماعة وروى عنه جماعة قال عبد العزيز الكتاني توفي في شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة واربعمائة ودفن خارج باب الفراديس وكان قد سمع اصلاح المنطق على علي الاخفش اكثر من عشرين مرة .

(احمد) بن علي بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن الحسين بن ابراهيم ابن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب النصيبي قاضي دمشق في ايام المنتصر سمع الحديث من جماعة قال ابو القاسم النسيب كان ابو الفتيان بن حيوش يوما مع الشريف احمد يعني المترجم فقال الشريف وددت اني كنت في الشجاعة مثل علي وفي السخاء مثل حاتم وذكر غيرهما فقال له ابو الفتيان وفي الصدق مثل ابي ذر الغفاري يعرض له بانه كذاب لان المترجم كان يرمي بالكذب توفي سنة ثمان وستين واربعمائة ودفن في داره ثم نقل الى مقبرة الباب الصغير .

(احمد) بن علي بن مسلم الابار الخيوطي النخشبي ثم البغدادي اعتنى بالحديث وروى عن جماعة وروينا بالسند اليه ومنه الى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من فارق الروح الجسد وهو بريء من ثلاث دخل الجنة الكبر والغلول والدين وحكى عن نفسه قال رأيت بالاهواز رجلا قد حف شاربه واظنه قد اشترى كتبا وتصدر للفتيا فذكر اصحاب الحديث امامه فقال ليسوا بشيء وليس يسوون شيئا فقلت له انك لاتحسن تصلي قال انا قلت نعم ايش تحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحت ورفعت يديك فسكت فقلت له ايش تحفظ عن رسول الله اذا وضعت يديك على ركبتك فسكت فقلت ايش تحفظ عن رسول الله اذا سجدت فسكت فقلت مالك لاتتكلم الم اقل لك انك لاتحسن تصلي انت انما قيل تصلي الغداة ركعتين والظهر اربعا فالزم ذا يكون خيرا لك من ان تذكر اصحاب الحديث فلست بشيء ولاتحسن شيئا قال الخطيب وكان المترجم ثقة حافظا متقنا حسن المذهب والخيوطي بضم

وقال وسمعت خالي ابو المعالي محمد يحيى بن علي القرشي يحكي انه كان يجلس في اكثر الليالي في الجامع مع ابي محمد بن البري فاذا قرب وقت الاذان للمغرب يقول احدهما لصاحبه انت على وضوء فيقول لا فيقول ولا انا فيقومان يخرجان يتمشيان في للبادين رائحين والناس دخول الى الصلاة .

ومن شعر المترجم ·

وقالوا لم سلوت قضيب بان رشيق القد جل عن القياس
فقلت سلوته وصبرت لما عسى يعسو عسوا فهو عاس

وقال جعفر بن دواس الكتامي في المترجم :

ابن الفرات خيال في تبختره يمشي فواعجبا للميت الماشي
كأن اثوابه من فوقه كفن والشيخ جاؤا به من عند نباش
كالغصن ماس احاه كي يغيره دهر ولكن لعمري غصن طراش

توفي يوم السبت الثاني عشر من صفر سنة اربع وتسعين واربعمائة بدمشق .

(احمد) بن علي بن محمد بن بطة ابو بكر البغدادي الاديب قدم دمشق وحدث بها عن محمد بن الحسن بن دريد الازدي وسمع منه احمد ابن محمد ابن بشرام والحسن السقلي النحويان وعبد الله بن عطية المفسر ومن شعره وقد روى قول ميمون بن صفوان من رضي من صلة الاخوان بلا شيء فليواخ اهل القبور فنظمه ابن بطة فقال :

لان كنت ترضى من اخ ذى مودة اخا بلا شيء فواخ المقابرا
فلا خيرها يرجى ولا الشر يتقي ولا حاسد منها يظل محاذرا

ومن شعره ايضاً

لا تصنعن الى اللئام صنيعة فيضيع ما تأتي من الاحسان
وصنع الصنائع في الكرام فشكرها باق عليك بقية الازمان

ومنه ايضاً

ماشدة الحرص وهو قوت وكل ما بعده يفوت
لاتجهد النفس في ازدياد فقصير ما اننا نموت

(احمد) بن علي بن محمد الدولابي البغدادي الخلال حدث بدمشق عن عبد الله بن محمد البعلبكي وروى عنه الحسين الحماني وعبد العزيز الكتاني وروينا من طريقه بسنده الى ابي بكرة انه قال ان سورة اذا جاء

رآني على تلك الحالة رق لي وقال انت في حل فاقبل الدود يتناثر من يدي ويسقط على الارض فهاله ذلك وانصرف فاستوقفته واخذته الى منزلي ودعونا بابني وقلت له احفر في هذه الزاوية فاخرج منها جرة فيها ثلاثون الف درهم فقلت اعدد منها عشرة آلاف فاستعن بها ثم قلت خذ منها عشرة آلاف اخرى اجعلها في فقراء جيرانك وقراباتك فقام لينصرف فقلت اخبرني هل دعوت علي فقال انا اخبرك لما اخذت السمكة مني وضربت راسي رفعت راسي الى السماء وبكيت وقلت يارب خلقتني وخلقته وجعلته قويا وجعلتني ضعيفا ثم سلطته علي فلا انت منعتني من ظلمه ولا انت جعلتني قويا فامتنع من ظلمه فاسألك بالذي خلقته قويا وجعلتني ضعيفا ان تجعله عبرة لخلقك فبكيت وقلت لقد اجاب الله دعائك وجعلني عبرة .

(احمد) بن علي بن الفرج ابوبكر الحلبي الحبال الصوفي اعتنى بالحديث وروى عن البغوي وابي القاسم الزجاجي وجماعة وروى عنه تمام الرازي وابو سعيد الماليني وجماعة ومن مروياتنا عنه من طريق الامام احمد بن حنبل بسنده الى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وكل مسكر خمر وروي عن سفيان الثوري انه قال ان الرجل ليخدعني بالحديث قد سمعته انا قبل ان تلده امه فيحملني حسن الادب ان اسمعه منه.

(احمد) بن علي بن الفضل بن طاهر بن الحسين بن جعفر بن الفضل ابن جعفر بن موسى بن الفرات ابو الفضل اعتنى بالحديث وسمع من جماعة وكان من اهل الادب والفضل الا انه كان يتهم برقة الدين وكان له شعر وكان قد اوقف خزانة كتب في الجامع الكبير ومما اتصل باسنادنا بالرواية عنه ما اخرجه عن ابي هريرة انه قال راح عثمان حاجا ومعه علي بن ابي طالب وادخلت على محمد بن جعفر امرأته فبات معها حتى اصبح ثم غدا فحلق الناس فرآه عثمان وعليه ردغ العصفر وريحة طيبة فانتهره وافف به وقال ايلبس المعصفر وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال له ان رسول الله لم ينهك ولا اياه انما نهاني وكان مولد المترجم في العشر الاول من ذي الحجة سنة احدى عشرة واربعمائة بدمشق وهو رافضي قاله محمد بن صابر قال وسألته عن نسبه فانتمى الى ابن الفرات الورس وليس هو من ولده وليس بثقة في روايته.

فجئـت اسـعى واذا بـــه قد شد والحـاجب في زاويه
فقـال من انـت الذي جئته وقت الغدا قلت ابو العـاليه
فقـام يجري بعصـا ضخمة وكـاد ان يـكسر اضـلاعيه
فطرت مرعوبـا ونــاديته أم الــذي يحجبــه زانيه

فسمع غلمانه يردوه عليه فأمر بضرب عنقي فخرجت مرعوباً وتركت كلما املكه وكان ذلك سببه استخفافي بالرجل وعجبي بنفسي وها انا معكم ولو كنت رفقت لم يصبني هذا وكل مانحن فيه بقضاء الله عز وجل فقدم القوم وصاروا الى البصرة واغناهم الله عز وجل .

(احمد) بن علي بن عبيد الله بن علي ابو نصر السلمي الدينوري الصوفي المقري سمع الحديث بدمشق ومكة ومصر وحدث عنه جماعة ومما اتصل بنا من سنده مارواه بطريقه عن النعمان بن بشير ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية ومن مروياته ايضاً عن عمر بن دينار انه قال كان من بني اسرائيل رجل قائم على ساحل البحر فرأى رجلا وهو ينادي باعلى صوته الا من رآني فلا يظلم احدا قال فدنوت منه وقلت ياعبد الله ما قصتك ومالذي بك فقال ادن مني اخبرك كنت رجلا شرطياً فحبب الي هذا الساحل فرأيت رجلا صيادا قد اصطاد سمكة فسألته ان يهبها لي فابى فسألته ان يبيعنيهـا فابى فضربت رأسه بسوط كان معي واخذت منه السمكة وحملتها الـى منزلي وقد ضربت على اصبعي التي علقت بها السمكة فاصلحوها وقدمت الي فضربت على اصبعي حتى صحت وبكيت وكـان لي جار معالج فاتيته وقلت اصبعي فقال لي هو اكلة ان انت رميت بها والا هلكت فرميت بهـا فوقع الضربان في عضدي فخرجت من منزلي هاربا على وجهي اصيح وابكي فبينما انا اصيح في البلاد وقعت لي شجرة دوحاء فاويت اليها فنعست فاتاني آت فقـال لي لم تقطع اعضائك وترميها رد الحق الـى اهله وانح قال فانتبهت فعلمت ان ذلك من قبل الله عز وجل فاتيت الصياد فوجدته قبل ان يخرج شبكته فانتظرته حتى اخرجها فاذا فيها سمكة كبيرة فدنوت منه وقلت ياعبد الله اني مملوكك فاعتقني فقال ماعرفك فقلت انا الشرطي الـذي ضربت رأسـك بـالسوط واخذت سمـكتك واريته يدي فلمـا

ومما حكاه بسنده الى صالح بن عبيد البغدادي ان ثلاثة نفر اخرجوا من بغداد فجمعتهم طريق البصرة فقعدوا في بعض الطريق يتحدثون فقال احدهم أي شيء اجود ما يجتنبه الانسان في الدنيا فقال بعضهم المزاح وقال الآخر التيه والصلف وقال الآخر الاستخفاف بالناس فقال احدهم ليخبرنا كل واحد مما لحقه فقال صاحب المزاح انا اخبركم خبري وذلك اني كنت بزازا في الكرخ وكان لي دكان فيها غلمان واجرا وانا بخير من الله فخرجت الى دكاني يوما فقعدت فيها فلم اشعر الا بمحنث قد عبرني فحملني البطر والغرة بالله على المجون فقلت كيف اصبحت يا اختي فاجابني بجواب مسكت فاسقط في يدي وخجلت وضحك كل من سمعه وشاع ذلك في البلد حتى تحدث به النساء على مغازلهن والصبيان في الكتاتيب وكنت لا اعبر بشارع الا قالوا هذا التاجر وصاحوا خلفي كيف باتت اختك فلم اطق الكلام وخرجت على وجهي وتركت كلما املكه وكان ذلك سبب مزاحي وها انا معكم نادم وما تنفعني الندامة وقال صاحب التيه والصلف اخبركم خبري اني كنت اتقصف وكان علي من الله نعم فما اخذتها بشكر وكان لي ندماء افضل عليهم فخرجت يوما وهم حولي فرأيت على الطريق اعمى يفسر المنامات فقلت لاصحابي تعالوا بنا حتى نسخر من هذا الاعمى فسلمت عليه فرد السلام فقلت يا اعمى اني رأيت رؤيا اريد ان اقصها عليك فقال سل مابدأ لك فقلت رأيت كأني اكل سمكا طريا فلما شبعت منه جعلت كأني ادخله في دبري فصفق الاعمى بيديه وقال كلاماً قبيحاً فلما شاع ذلك في الناس وتحدثوا به كنت لا اعبر في طريق الا قالوا لي ذلك الكلام فلم اطق الكلام وخرجت على وجهي وكان ذلك سببه التيه والصلف الذي كان لي وتركت كلما املكه وها انا معكم فقال صاحب الاستخفاف بالناس اني كنت حاجبا لشداذ والي الجسرين وكان اذا اراد ان يأكل امرني باخذ بابه لايدخل اليه احد فلم اشعر يوما الا وقد جاءني رجل يريد ان يدخل عليه فمنعته استخفافاً به ولما تقدم الي صاحبي قال ياهذا انا ابو العالية وصاحبك تقدم الي ان اجيئه في هذا الوقت فرددته فقال ما ابرح فحملني استخفافي به ان ضربته بعصاً كانت في يدي فولى عني وانشأ يقول :

مدحت شداداً فقال ائتني … بالله في المنزل ياراوية

القاضي تولى القضاء بدمشق وكان يلي القضاء قبل ذلك بحمص وحدث بدمشق وروى عنه النسائي في سننه وروي من طريقه الى انس بن مالك ان رجلا اطلع من بعض حجر النبي صلى الله عليه وسلم فقام اليه بمشقص او بمشاقص ثم مشى نحوه قال فكأني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم يتختل له ليطعنه (١) وبسنده ايضاً الى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المسح على الخفين للمسافر ثلاث وللمقيم يوم وليلة توفي المترجم سنة تسعين ومائتين وقيل سنة اثنتين وتسعين وكان قد بلغ التسعين سنة او دونها وقال النسائي هو ثقة .

(احمد) بن علي ابو البركات البغدادي المعروف بابن القيار قدم دمشق وسمع بها من ابي بكر الخطيب ومن مروياته عن مكرم البغدادي :

اخفي هواك وما يخفي له اثر ... من دمع عينيه يجري كيف يستتر
فان ابح اخش من واش ينم بنا ... بين الورى حسدا منه فيبتهر
وان كتمت امت في حبكم كمدا ... يعيش مثلي لا يصفو له كدر

(احمد) بن علي بن عبد الله بن مهران ابو جعفر الكوفي روي عن ابي عبد الله احمد السكوتي وروى عنه تمام ومما اتصل بأسناده الى ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه .

(احمد) بن علي بن عبد الله بن سعيد بن احمد ابو الخير الكلفي الحمصي الحافظ حدث بدمشق عن الخرائطي وابن الحكم وجماعة وروى عنه تمام بن محمد الرازي وجماعة ومما اتصل بنا من روايته ما رواه بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا الاحصان احصانان احصان عفاف واحصان نكاح

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ولفظه ان اعرابيا اتى باب النبي صلى الله عليه وسلم فالقم عينه خصاصة الباب فبصر به النبي صلى الله عليه وسلم فتوخاه بحديدة او عود ليفقأ عينه فلما ان ابصره انقمع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما انك لو ثبت لفقأت عينك والمشقص بكسر الميم وفتح القاف سهم له نصل عريض وقيل هو النصل العريض بنفسه وقوله يختل له أي يخدعه ويراوغه والخصاصة بفتح الخاء الثقب والشق ومعناه انه جعل الشق الذي في الباب محاذيا لعينيه وتوخاه قصده وفيه تهديد لمن يريد ان يتطلع على الناس في بيوتهم وانه لو فقأت عينه لكانت هدرا.

الله عليه وسلم لا صاعي تمر بصاع ولا صاعي حنطة بصاع ولا درهمين بدرهم توفي سنة اثنتين وستين واربعمائة وقال احمد بن خيرون كان شيخاً كذاباً يدعي ما لم يسمع ويسمع لنفسه فيما لم يسمع ويدعي اشياء ويخلق شيوخاً ولد بالكرخ سنة ست وستين وثلاثمائة .

(احمد) بن علي بن الحسن بن ابي الفضل ابو مضر بن الكفرطابى المقري حدث عن جماعة وروي من طريقه عن انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليجيئن الفقير متعلقاً بجاره الغني يقول يا رب سل هذا لم اغلق بابه دوني ومنعني فضله وروي ايضاً بالسند الى حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قتات (١) توفي المترجم سنة احدى وخمسين واربعمائة في جمادى الآخرة وقيل سنة اثنتين وخمسين .

(احمد) بن علي بن الحسين الخياط حدث عن جماعة روى بأسناده عن الربيع بن سليمان قال سئل الشافعي عن الظرف فقال هو الوقوف مع الحق كما وقف وكان المترجم ثقة .

(احمد) بن علي بن الحسين ابو زرعة الرازي روى عن جماعة وعنه جماعة ومن مروياته ما رواه متصلا الى ابن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم وانما كان بينهما قدر ما ينزل هذا ويرقى هذا .

(احمد) بن علي بن الحسين ابو العباس الطبري القاري سمع الحديث بمرو ومن الاحاديث المتصلة بسنده الى انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة (٢) .

(احمد) بن علي بن الحسين بن زيد المعروف بابن الكوفي العطار قال الحافظ لم اسمع منه شيئاً ولم يكن الحديث من شأنه مات سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ودفن بمقبرة باب الفراديس .

(احمد) بن علي بن سعيد بن ابراهيم ابو بكر الاموي المروزي

---

(١) القتات النمام يقال قت الحديث يقته اذا زوره وهيئاه وسواه (٢) الجنة بضم الجيم الوقاية ومعناه انه وقاية من الاثام .

يقول ما رأيت اعجب من امر هذا الاصم كان يختلف معنا الى الربيع بن سليمان وكان منزل ياسين بن عبد الاحد الفتياني لزيق منزل الربيع ولم يسمع منه الاصم فكتبت قوله هذا وناولته ابا العباس الاصم فصاح وقال يا معشر المسلمين بلغني ان ابن حسنويه يروي عن الربيع بن سليمان وابن عبد الحكم وغيرهما من شيوخي من اهل مصر ويذكر انه كان معي بمصر ووالله ما التقينا بمصر قط ولاعرفته الابعد رجوعي من مصر قال الحاكم سمعت محمد بن صالح بن هاني الثقة المأمون يقول كان ابن حسنويه يديم الاختلاف معنا الى السرى بن خزيمة واقرانه ثم شيعناه يوم خروجه الى الري الى ابي حاتم الرازي وانما المنكر من حاله روايته عن قوم تقدم موتهم وهو في الجملة غير صحيح بحديثه غير ان النفس تأبى عن ترك مثله وقال الحاكم ايضا كان الخسنوي احد المجتهدين بالعبادة في الليل والنهار ومن البكائين ومن الخمسة الملازمين لمسجد محمد بن عقيل الخزاعي سمع بنيسابور وبغداد والري ورحل الى ابي عيسى الترمذي فكتب عنه جملة من مصنفاته ولو اقتصر على هذه السماعات الصحيحة التي ذكرتها لكان اولى غير انه لم يقتصر عليها وحدث عن جماعة من ائمة المسلمين اشهد بالله انه لم يسمع منهم وكنت اغار عليه بعد ان غفلت عنه وكنت اسأله عن لقاء اولئك الشيوخ قال الخطيب ويغلب على ظني انه عاش الى ما بعد سنة اربعين وثلاثمائة .

(أحمد) بن علي بن الحسن ابو بكر الاطرابلسي يعرف بابن ابي السند عني بالحديث وحدث عن جماعة وروى عنه ابو علي الاهوازي وروى من طريقه عن جابر بن عبد الله انه قال لما نزلت قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك ومد بها صوته او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذا اهون وهذا ايسر ورواه النسائي وروى من طريق المترجم عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب مذمة الرضاع العبد والامة .

(احمد) بن علي بن الحسن بن منصور الاسد اباذي المقري قدم دمشق وحدث بها ومن مروياته عن ابي سعيد الخدري انه قال قال رسول الله صلى

وشهود (١) وروى ايضا من طريق ابي بكر الخطيب متصلا بالمترجم باسناده الى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مس احدكم ذكره فليتوضأ ونسب السماخي المترجم الى بغداد قال الخطيب البغدادي لا احسب السماخي ضبط كنية ابن خميرة ولا اصاب في نسبته اياه الى بغداد والسماخي سيء الحال في الرواية اه قدم المترجم دمشق في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ونزل المصيصة وحدث بها وكان فيما يقال احد الحفاظ.

(احمد) بن علي بن الحسن بن شاذان المقري التاجر المعروف بالحسنوي النيسابوري سمع الحديث بدمشق وصور والرملة ومصر وبلخ واليمن وروى عنه ابو عبد الله الحاكم وجماعة وخرج له الحافظ بسنده الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنية وانما لامرىء مانوى وروى البيهقي عن المترجم انه قال دخلت الشام سنة ست وستين ومائتين وكان ابن اثنتي عشرة سنة ومولده سنة ثمان واربعين ومائتين قال ابو عبد الله الحافظ دخلت على الحسنوي يوما فوجدته ضيق الصدر فقال الا تراقبون الله في توقير المشايخ امالكم حياء يحجزكم عن تحقير المشايخ فسألته ما اصابه فقال جاءني ابو علي المعروف بالحافظ وانكر علي روايتي عن احمد بن رجاء المصيصي وهذا كتابي وسماعي منه ثم قال رأيت والله من هو اكبر من المصيصي فقد كتبت عن ثلاثة عن عبد الرحمن ابن مهدي وعن ثلاثة عن مروان بن معاوية الفراري وهذا حفيدي واشار الى كهل واقف وهو ابن نيف وثلاثين سنة وقد احصيت من شيوخي من اسمه احمد فبلغوا مائة وعشرين شيخا وقال ابن مندة ان الحسنوي كان شيخا اتى عليه مائة وعشر سنين وسألت عنه ابا زرعة فقلت هل حدث الحسنوي بجرجان فقال هو كذاب وقال ابو عبد الله الحافظ سمعت الحسنوي

---

(١) اخذ به الشافعي واحمد فاشترطا في النكاح الولي والشهود سواء كانت المتزوجة بالغة أم لا وذهب اصحاب ابي حنيفة الى اشتراط الولي في القاصرة عن درجة البلوغ دون البالغة فقالوا اذا زوجت البالغة نفسها بحضرة شاهدين صح نكاحها والذي استقر عليه رأي المالكية ان من شروط صحة النكاح شهادة رجلين عدلين غير الولي ومن شرطه ايضا ولي يحصل النكاح منه ومن غيره فهم موافقون لما عليه الشافعية والحنابلة .

قال مكي بن عبد السلام المقدسي مرض ابو بكر الخطيب ببغداد في النصف من شهر رمضان الى ان اشتد به الحال غرة ذي الحجة واستاء منه واوصى الى ابن فيرون وجعل وقف كتبه على يده وفرق جميع ماله وهو مائتا دينار في وجوه البر وعلى اهل العلم والحديث وتوفي يوم الاثنين رابع ساعة السابع من ذي الحجة سنة ثلاث وستين واربعمائة واخرج الغد يوم الثلاثا طلوع الشمس وعبروا به من الجانب الشرقي على الجسر الى الجانب الغربي الى مسجد معروف وحضر الصلاة عليه خلق كثير ثم صلي عليه بباب حرب ودفن الى جانب قبر بشر الحافي في مقبرة باب حرب وكان المترجم اليه المنتهى في علم الحديث وحفظه وله ستة وخمسون مصنفاً في علم الحديث فمنها تاريخ بغداد مائة وستة اجزاء وكان يذهب الى مذهب ابي الحسن الاشعري وكان ثقة حافظاً متقناً متيقظاً متحرزاً مصنفاً .

(احمد) بن علي بن جعفر بن محمد ابو بكر الحلبي الوراق بن البرامي المعروف بالواصلي سكن دمشق وحدث عن جماعة وروى عنه جماعة من كلامه انه قال اشتكت عيني فشكوت الى علي بن المسلم الفقيه فقال لي انظر في المصحف ثم روى حديثاً مسلسلا الى عبد الله ابن مسعود قال ان عيني اشتكت فشكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انظر في المصحف ومن شعر المترجم :

قالت ومدت يدا نحوي تود عني وخيرة البين تأبى ان نمد يدا
اميت انت أم حي فقلت لها من لم يمت يوم بين لم يمت ابدا

(احمد) بن علي بن الحسن بن محمد بن شاهمرد الصيرفي الفقيه البصري المعروف بابن خميرة ويقال ابن خمرويه حدث بدمشق عن ابي داود السجستاني وجماعة وروى عنه ابو الحسين الرازي وجماعة وروى الحافظ من طريقه عن جابر بن عبد الحميد الفراوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان ابن آدم يفر من رزقه كما يفر من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت وروى ايضا من طريقه عن ابي بردة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكاح الا بولي

مثل نفسه وقال الفيروز اباذي ابو بكر الخطيب يشبه بأبي الحسن الدارقطني ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه وقال غيث بن علي الصوري كان الخطيب معنا في طريق الحج وكان يختم كل يوم ختمة الى قرب الغياب قراءة يترتيل ثم يجتمع عليه الناس وهو راكب يقولون حدثنا فيحدثهم وكتب ابو بكر البرقاني الى ابي نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني الحافظ كتاباً يقول في فصل منه وقد نفذ الى ما عندك عمداً متعمداً ابو بكر احمد بن علي بن ثابت ايده الله وسلمه ليقتبس من علومك ويستفيد من حديثك وهو بحمد الله ممن له في هذا الشأن سابقة حسنة وقدم ثابت وفهم به حسن وقد رحل فيه وفي طلبه وحصل له منه ما لم يحصل لكثير من امثاله الطالبين له وسيظهر لك منه عند الاجتماع من ذلك مع التورع والتحفظ وصحة التحصيل ما يحسن لديك موقعة وتجمل عندك منزلته وانا أرجوا اذا صحت لديك منه هذه الصفة ان يلين لك جانبه وان يتوقر ويحتمل منه ما عساه يوده من يتقبل في الاكثار وزيادة في الاصطبار فقد ما حمل السلف من الخلف ما ربما ثقل وتوفروا على المستحق منهم بالتخصيص والتقديم والتفضيل ما لم ينله الكل منهم وقال ابو الوليد ان الخطيب رجل حافظ متقن ومن نظم الخطيب صاحب الترجمة :

لا تغبطن اخا الدنيا لزخرفها ... ولا للذة وقت عجلت فرحاً
فالدهر اسرع شيء في تقلبه ... وفعله بين للخلق قد وضحا
كم شارب عسلا فيه منيته ... وكم تقلد سيفاً من به ذبحا

وقال ابو الخطاب بن الجراح يمدح المترجم :

فاق الخطيب الورى صدقاً ومعرفة ... فعجز الناس في تصنيفه اكتبا
حمى الشريعة من غاو يدنسها ... حمى الشريعة من غاويدنسها
جلا محاسن بغداد فأودعها ... تاريخه مخلصاً لله محتسبا
وقام في الناس بالقسطاس منزوياً ... عن الهوى وأزال الشك والريبا
سقى ثراك ابا بكر على ظمأ ... جون ركام تسح الواكف السربا(١)
ونلت فوزاً ورضواناً ومغفرة ... اذا تحقق وعد الله واقتربا
يا احمد بن علي طبت مضطجعاً ... وباء شانيك بالاوزار محتقبا (٢)

---

(١) الجون من اسماء الاضداد يطلق على الابيض وعلى الاسود والمراد هنا السحاب الاسود. والركام المجتمع ووكف قطر والسرب المرسل المتتابع (٢) الشاني المبغض ومحتقبا معناه حاملا للاوزار في حقيبه أي متاعه .

الخميس لست بقين من جمادى الآخر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة واول ما سمعت في المحرم سنة ثلاثة واربعمائة وكان يقول انه لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات وسأل الله ثلاث حاجات آخذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له فالحاجة الاولى ان يحدث بتاريخ بغداد ببغداد والثانية ان يملي الحديث بجامع المنصور والثالثة ان يدفن اذا مات عند قبر بشر الحافي فلما عاد الى بغداد حدث بالتاريخ بها ووقع اليه جزء فيه سماع الخليفة القائم بأمر الله فحمل الجزء ومضى الى باب حجرة الخليفة وسأل ان يؤذن له في قراءة الجزء فقال الخليفة هذا رجل كبير في الحديث وليس له الى السماع مني حاجة ولعل له حاجة اراد ان يتوصل اليها بذلك فسلوه ما حاجته فسئل فقال حاجتي ان يؤذن لي بالاملاء في جامع المنصور فتقدم الخليفة الى نقيب النقباء بأن يأذن له في ذلك فحضر النقيب واملى الخطيب بجامع المنصور ولما مات أرادوا دفنه عند قبر بشر فكان الموضع الذي بجنبه قد حفر فيه احمد بن علي الطرثيني قبراً لنفسه وكان يمضي الى ذلك الموضع ويختم فيه القرآن ويدعو فمضى على ذلك عدة سنين فلما مات الخطيب سألوه ان يدفنوه فيه فامتنع وقال هذا قبري قد حفرته وختمت فيه عدة ختمات لا امكن احدا من الدفن فيه وهذا مما لا يتصور فانتهى الخبر الى ابي سعيد الصوفي شيخ الشيوخ فقال له يا شيخ لو كان بشر بن الحارث الحافي في الاحياء ودخلت انت والخطيب عليه ايكما كان يقعد الى جانبه انت ام الخطيب فقال بل الخطيب كذا ينبغي ان يكون في حالة الممات فانه احق به منك فطاب قلبه وسمح بالقبر وقال علي بن هبة الله الحافظ ان الخطيب البغدادي كان آخر الاعيان ممن شاهدناه معرفة واتقاناً وحفظاً وضبطاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفنناً في علته واسانيده وخبرة برواته وناقليه وعلماً بصحيحه وغريبه وفرده ومنكره وسقيمه ومطروحه ولم يكن للبغداديين بعد ابي الحسن علي بن عمر الدارقطني من يجري مجراه ولا قام بعده منهم بهذا الشأن سواه وقد استفدنا كثيراً من هذا اليسير الذي نحسنه به وعنه وتعلمنا شطراً من هذا القليل الذي نعرفه بتنبيهه ومنه فجزاه الله عنا الخير ولقاه الحسنى وقال المؤتمن بن احمد الحافظ ما اخرجت بغداد بعد الدارقطني احفظ من ابي بكر الخطيب قال وسألت احمد بن محمد البرداني الحافظ الحنبلي ببغداد هل رأيت مثل ابي بكر الخطيب في الحفظ فقال لعل الخطيب لم ير

الامام الشافعي انه قال كان فلان يفتي ويضمن ويقول ما كان فيه من اثم فهو علي وقال ابن ماكولا قال لي ابو اسحاق الحبال بمصر ان عبد الغني بن سعيد قال جئت يوماً الى علي بن زريق فقال ألا اعجبك من الجرجاني يعني المترجم ذاكرني بحديث ليحيى بن سعيد القطان عن يحيى بن سعيد الاعمال بالنية فأنكرت عليه ذلك فقلت انا ان هذا الحديث اخطأ فيه الاعشى بخراسان فقال ابن زريق سمعت النسوي يقول حديث الاعمال بالنية حديث جليل تفرد به يحيى بن سعيد الانصاري وقول عبدالغني ان الاعشى اخطأ فيه خطأ فقد رواه غيره من طرق متعددة.

(احمد) بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي ابو بكر الخطيب البغدادي الفقيه الحافظ احد الائمة المشهورين والمصنفين المكثرين والحفاظ المبرزين ومن ختم به ديوان المحدثين كان ابوه حافظاً القرآن قرأ على ابي حفص الكتاني وكان خطيباً بدريحان قرية من قرى بغداد نحواً من عشرين سنة سمع ابو بكر الكثير ببغداد ونيسابور واصبهان والري والدينور والكوفة وغيرها وقدم دمشق سنة خمس واربعين واربعمائة حاجاً فسمع الحديث بها وتوجه منها الى الحج ثم قدمها سنة احدى وخمسين فسكنها مدة وحدث بها بعامة مصنفاته وروى عنه الحافظ من طريقه بسنده الى ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاوسط من شهر رمضان فاعتكف عاماً حتى اذا كانت ليلة احدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج فيها من صبيحتها من اعتكافه فقال من كان اعتكف يعني فليعتكف العشر الاواخر فقد رأيت هذه الليلة ثم انسيتها ولقد رأيتني اسجد من صبيحتها في ماء وطين فالتمسوها في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر قال ابو سعيد فأمطرت السماء من تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف فأبصرت عيناي رسول الله صلى الله عيه وسلم انصرف عنا وعلى جبهته اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين وقال ابن زريق قال لنا ابو بكر الخطيب كنت كثيراً اذاكر البرقاني بالاحاديث فيكتبها عني ويضمنها جموعه وروى الحافظ من طريق الخطيب عن رجل من بني سليم يقال له خفاف قال سألت بن عمر عن صوم ثلاثة في الحج وسبعة اذا رجعته قال اذا رجعت الى اهلك قال الخطيب اول ما سمعت الحديث وقد بلغت احدى عشرة سنة لاني ولدت في يوم

دعى اصحابه الى دعوة في دور السوقة ومن ليس من اهل التصوف لايخبر الفقراء وكان يطعمهم شيئا فاذا فرغوا اخبرهم ومضى بهم فكانوا قد اكلوا فى الوقت ولا يمكنهم مد ايديهم الى طعام الدعوة الا بالتعذر وانما كان يفعل ذلك لئلا يسوء ظنون الناس بهذه الطائفة فيأثمون بسببهم وكان يمشي على اثر الفقراء يوما وكذا كانت عادته ان يمشي على اثرهم وكانوا يمضون الى دعوة فقال انسان هؤلاء المستحلون وبسط لسانه فيهم وقال ان واحدا منهم استقرض مني مائة درهم ولم يردها ولست ادري اين اطلبه فلما دخلوا دار الدعوة قال الروزبادي لصاحب الدار وكان من محبي هذه الطائفة ائتني بمائة درهم ان اردت سكون قلبي فأتاه بها في الوقت فقال لبعض اصحابه احمل هذه المائة الى البقال الفلاني وقل له هذه المائة التي استقرضها منك بعض اصحابنا وقد وقع له في التأخير عذر وقد بعثها الآن فاقبل عذره فمضى الرجل وفعل فلما رجعوا من الدعوة اجتازوا بحانوت البقال فأخذ البقال في مدحهم وصار يقول هؤلاء السادة الثقات الامناء الصلحاء وما في هذا الباب وقال اقبح من كل قبيح صوفي شحيح وكان الروزبادي يتمثل بقول محمد بن الزبرقان :

دين النبي محمد مختار نعم المطية للفتى الآثار
لاتخدعن عن الحديث واهله فالرأي ليل والحديث نهار

ومن كلام المترجم :

اذا انت صاحب الرجال فكن فتى كـأنك مملوك لـكل رقيق
وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا على الكبد الحري لـكل صديق

وقال ايضاً :

اهـلا بمن زار فمـا وارد احق بـالاكرام من زائـر
ونحن ونحن لانسام من امنا ونضمر الحزن على السائر

وقال احمد بن عطاء بن احمد ابن اخت الروزبادي ان خالي كان عارفا بانواع من العلوم منها علم القرآآت وعلم الشريعة وعلم الحقيقة وكانت له اخلاق فى التجريد يختص بها وبها يربو على اقرانه كتعظيم الفقر واهله ورياضة الفقراء ومراتبهم وهو أوحد مشايخ وقته في بابه وطريقته توفي في ذي الحجة سنة تسع وستين وثلاثمائة فجأة في قرية يقال لها منوات من عمل عكا وحمل الى صور فدفن

مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الولاء (١) وعن هبته ورواه اليغوي وكان الروزبادي يقول من خرج الى العلم نفعه قليل العلم وقال العلم موقوف على العمل والعمل موقوف على الاخلاص والاخلاص لله يورث الفهم عن الله عز وجل وكان يقول كان منى استقصاء في امر الطهارة فضاق صدري ليلة من كثرة ما صببت من الماء ولم يسكن قلبي فقلت يا رب محفوظ محفوظ فسمعت هاتفاً يقول العفو في العلم فزال عني ذلك وقال ابو عبد الرحمن السلمي دخل الروزبادي دار بعض اصحابه فوجده غائباً وباب بيته مقفل فقال صوفي وله باب مقفل اكسروا القفل فكسروه فأمر بجميع ما وجدوا في الدار والبيت فألقوه الى السوق وباعوه واصلحوا وقتاً من الثمن وقعدوا في الدار فدخل صاحب المنزل ولم يمكنه ان يقول شيئا فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها كساء فدخلت بيتاً ورمت الكساء وقالت يا اصحابنا هذا ايضاً من جملة المتاع فبيعوها فقال الزوج لها لم تكلفي هذا باختيارك فقالت اسكت مثل الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيء نؤخره عنه وسئل احمد بن عطاء الله عن قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فقال ان الله جل ثناؤه خلق الخلق مرتبة بعد مرتبة ونقله من حال الى حال كما قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى قوله فتبارك الله احسن الخالقين وخلق آدم ليس على هذه الاحوال وانما خلق صورته كما هي ثم نفخ فيه من روحه فلأجله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته (٢) وقال ايضاً كلمنى جمل فى طريق مكة رأيت الجمال والمحامل عليها وقد مدت اعناقها في الليل فقلت سبحان من يحمل عنها ما هي فيه فالتفت الي جمل فقال لي قل جل الله فقلت جل الله وقال كنت راكباً جملا فغاصت رجلا الجمل في الرمل فقلت جل الله فقال الجمل جل الله وكان اذا

---

(١) الولاء هو ان يكون الانسان عبد ثم يعتقه فاذا مات لعبد عن وارث ورثه المعتق او ورثة المعتق وكانت العرب تبيع الولاء وتهبه فنهي عنه لان الولاء كالنسب فلا يزول بالازالة (٢) الضمير فى صورته يرجع الى آدم لا الى الله تعالى كما يقوله بعض الاغبياء وهذا المرجع هو مراد الروزبادي

من طريق الحاكم ومن طريقه عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ينح عليه (١) يعذب قال الحاكم تفرد به الحكم عن منصور وروى عنه وعن ابن خزيمة عن عبيد بن محمد الوراق قال كان بالرملة رجل يقال له عمار وكانوا يقولون انه من الابدال فاشتكى بطنه فذهبت اعوده وقد بلغني عنه رؤيا رآها فقلت له رؤيا حكوها عنك فقال لي نعم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله ادع لي بالمغفرة فدعى لي ثم رأيت الخضر بعد ذلك فقلت ما تقول في القرآن فقال كلام الله ليس بمخلوق قلت فما تقول في النبيذ فقال انه الناس عنه فقلت هؤلاء انها هم فليس ينتهون فقال من قبل فقد قبل ومن لم يقبل فدعه قلت فما القول في بشر ابن الحارث قال مات من يوم مات وما على ظهر الارض اتقى لله منه قلت واحمد بن حنبل فقال لي صديق قلت له فالحسن الكرابيسي فغلظ في امره قلت فما تقول في امي فقال تمرض وتعيش سبعة ايام ثم تموت فكان كما قال وكان المترجم ثقة حسن الحديث توفي في شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين وثلاثمائة ومولده سنة خمس وخمسين ومائتين .

(احمد) بن عثمان بن البقال ابو سعيد البغدادي الفقيه حدث عن البغوي وابي بكر بن ابي داود وجماعة وسمع من جماعة واخرج الحافظ من طريقه عن حذيفة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وروى عنه من طريق مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن بيع الرطب بالتمر فقال اينقص اذا يبس فقالوا نعم قا فلا اذا هكذا رواه ولم يذكر الصحابي والمحفوظ انه عن سعد بن ابي وقاص نزل المترجم دمشق وحدث بها ولم يتصل بنا تاريخ وفاته غاية الامر ان حديثه بدمشق كان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة .

(احمد) بن عطاء بن احمد بن محمد بن عطاء ابو عبد الله الروزبادي الصوفي سكن صور وسمع الحديث من جماعة منهم المحاملي والدولابي وابو بكر ابن ابي داود والبغوي واخذ الحديث عنه جماعة وروي من طريقه بسنده الى

---

(١) ينح بالبناء للمجهول مشتق من النياحة ومعناه ان الميت يعذب بنياحة اهله عليه فليتق الله اهله به .

الخيل اكان سيرنا هذا في الكتاب السابق قال نعم قلت يا رسول الله اني شاب وليس لي طول (١) اتزوج به النساء او انكح به النساء وانا اخاف العنت (٢) فسكت عني ثم قلت له الثانية فسكت عني ثم قلت له الثالثة فاقبل علي بوجهه ثم قال ياابا هريرة او يا ابا هرجف القلم بما انت لاق فاختصر على ذالك او ذع وروى ايضا عن عبد الرحمن بن بشر الحضرمي قال ان كنت لادخل البلدة من البلدان في الحديث الواحد لاسمعه وكان المترجم ثقة حافظا مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين .

(احمد) بن غثمان بن عبد الرحمن النسوي سمع من دحيم وابي الجوزاء وجماعة وروى عنه ابو بكر احمد بن علي الرازي وجماعة ومما روينا عنه بسنده الى ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى كل يوم هو في شأن قال من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع اقواما ويضع آخرين رحل المترجم الى خراسان والحجاز والعراق وحدث بنيسابور سنة اربع وثمانين ومائتين وحدث بجرجان سنة احدى وسبعين ومائتين .

(احمد) بن عثمان بن الفضل بن بكر ابو بكر الربعي البغدادي المقري المعروف بغلام السباك قرأ القرآن العظيم برواية ابي بكر بن العلاء وحكى ابو الحسن عبد القاهر الصائغ انه كان يقول ثقل علي سمعي وكان ابو الفتح بن المقري يقرأ على وكان جميل الوجه فكنت اصرف بصري الى فمه ولسانه مراعاة لقرائته وكان الناس يقفون ينظرون اليه لجماله فاتهمت فيه فساءني ذلك فسألت الله ان يرد علي سمعي فرده علي سكن المترجم دمشق وقرأ بها القرآن على قراءة ابي عمر بن العلاء ومات سنة خمس واربعين وثلاثمائة

(احمد) بن عثمان بن يحيى بن عمرو بن بيان بن فروخ ابو الحسين البغدادي المقري الفطستي البزاز المعروف بالادمي سمع محمد بن عثمان بن ابي شيبة وجماعة وروى عنه الحاكم وابن رزقويه وجماعة وخرج له الحافظ بسنده الى خلاد بن السائب عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فامرني ان امر اصحابي ان يرفعوا اصواتهم بالاهلال (٣) وروى

---

(١) بفتح الطاء القدرة والغنى والسعة ومثله الطائل والطائلة (٢) العنت الفجور والزنا (٣) الاهلال التلبية بالحج .

(احمد) بن عتبة بن مكين ابو العباس السلامي الجريري المطرز الاطروش الاحمر روى عن محمد بن جعفر الخرائطي وابي الفضل العباس ابن الفضل الدينوري وجماعة وروى عنه تمام الرازي وابو الحسن بن السمسار وجماعة ومن احاديثه المتصلة بالرواية الى الحافظ بسنده الى محمد بن ابراهيم بن عبيد بن رفاعة انه حدثه ان ابا سعيد صنع طعاما فدعا النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة فقال كلوا فقال رجل منهم انا صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلف لك اخوك وصنع طعاما فافطر وصم يوما غيره ان احببت (١) . توفي احمد المذكور في شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وكان ثقة نبيلا مأمونا .

« ذكر من اسم ابيه عثمان »

(احمد) بن عثمان بن ابراهيم ابو بكر البغدادي العلقي حدث بدمشق عن محمد بن عبد الملك الدقيقي وعبد الله بن محمد بن ابي الدنيا وروى عنه ابو بكر محمد بن سليمان البندار وروى من طريقه عن انس بن مالك عن امه أم سليم قالت لم نر لفاطمة رضي الله عنها دما في حيض ولا نفاس (٢) .

(أحمد) بن عثمان بن سعيد بن ابي يحيى ابو بكر بن ابي سعد الاحول يعرف بكرنيب سمع بدمشق احمد بن ابي الحواري وبغيرها احمد بن حنبل وجماعة وروى عنه محمد بن جعفر الطبري وروى عنه من طريق الدارقطني عن ابي هريرة قال قلت يارسول الله في غزوة حنين والخيل تمزع بنا (٣) في ادبار

---

(١) هذا الحديث له شواهد في الكتب الصحاح وبه وبغيره استدل من قال ان من افسد صوم النفل لاقضاء عليه (٢) للحفاظ في هذا الحديث مقال ولا يلزم من عدم الرؤية انتفاء المرئي وسيأتي بيان درجته (٣) تمزع على لفظ المضارع معناه تتقطع .

الكواكب العلياء والاجرام السماوية وان في ذلك لتبصرة لمن القى السمع وهو شهيد والاعجب من هذا ان متفلسفتنا اذا سمعوا ان اميركيا استحضر روح رجل في اقصى الصين يذعنون ويصدقون ثم اذا سمعوا قضية المعراج بادروا الى الانكار كأنهم يعتقدون ان ذلك الاميركي اقدر من الخالق جل وعلا فالعاقل المحقق هو الذي لايسلم بشيء الا بعد اقامة البراهين عليه ولا ينفيه الا بعد اقامة الادلة على نفيه وما لم يقم عليه عنده دليل النفي او الاثبات يجعله موقوفا ويقول وفوق كل ذي علم عليم .

مثل ذلك حتى رجعت اليه فقال بم امرت فقلت امرت بعشر صلوات قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف الى امتك فرجعت الى ربي قلت أي رب خفف عن امتي فانها اضعف الامم فوضعني خمسا وجعلها خمسا فناداني ملك عندها تمت فريضتي وخففت عن عبادي واعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها ثم رجعت الى موسى عليه السلام فقال بم امرت قلت بخمس صلوات قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فانه لايؤده أي لايعجزه شيء فسله التخفيف لامتك فقلت رجعت الى ربي حتى استحييته ثم اصبح بمكة يخبرهم بالعجائب ويقول اني رأيت البارحة بيت المقدس وعرج بي الى السماء ورأيت كذا ورأيت كذا فقال ابو جهل بن هشام الا تعجبون مما يقول محمد يزعم انه اتى البارحة بيت المقدس ثم اصبح فينا واحدنا يضرب مطيه مصعدة شهرا ومنقلبة شهرا فهذا مسيرة شهرين في ليلة واحدة قال فاخبرهم بعير لقريش لما كان مصعدا وقال رأيتها في مكان كذا وكذا وانها نفرت فلما رجعت رأيتها عند العقبة فاخبرهم بكل رحل وبعيره كذا وكذا ومتاعه كذا وكذا فقال ابو جهل يخبرنا باشياء فقال رجل من المشركين انا اعلم الناس ببيت المقدس وكيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل فان يكن محمد صادقا فسأخبركم وان يكن كاذبا فسأخبركم فجاءه ذلك المشرك فقال يامحمد انا اعلم الناس ببيت المقدس فاخبرني كيف بناءه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل قال فرفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس من مقعده فنظر اليه كنظر احدنا الى بيته وجعل يقول بناؤه كذا وكذا وقربه من الجبل كذا وكذا فقال الآخر صدقت فرجع الى اصحابه فقال صدق محمد فيما قال او نحوا من هذا الكلام (١) .

---

(١) فوائد منثورة تتعلق بهذا الموضوع على سبيل الاختصار لان القصة افردت بالتأليف فلا حاجة الى الاطالة بها . منها قيل انه عليه الصلاة والسلام نزل بيت لحم ليلة المعراج وصلى فيه ولم يصح ذلك عنه البتة . قاله الحافظ بن الجوزي والقصة رواها البزار وابن ابي حاتم وبن مردويه والبيهقي في الدلائل وصححها فما قاله بن الجوزي فيه نظر ومنها ان الاسراء الى بيت المقدس والمعراج كانا في ليلة واحدة ولا تعدد في القضية وهو الصحيح المعتمد عند اهل العلم . ومنها ان بعض الاذهان الجامدة الذين يرون العلم انكار كل شيء يعترضون على قضية المعراج ولم يعلموا ان هذا الزمن قد اثبته تمام الاثبات وبيانه ان مخلوقا اخترع السفن البرية فجعلت تطوي المسافات وتقرب البعيد من البلدان الى بعضها وقد بين صلى الله عليه وسلم ان من علامات الساعة تقارب البلدان وهذا الخبر كان قبل حينه باكثر من الف سنة واخترع ايضا الاسلاك البرقية والبرقيات بدون سلك واستخدم القوى الكهربائية التى في الهواء واخترع السفن الطيارة فاستخدم الماء والهواء وهو مخلوق عاجز افيعجز خالق الخلق من ان يسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم الى

ابراهيم خليل الرحمن ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي واذا انا بامتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كانها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد (١) فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الاخرون الذين عليهم ثياب رمد وهم على خير فصليت انا ومن معي في البيت المعمور ثم خرجت انا ومن معي والبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه الى يوم القيامة ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تكاد تغطي (٢) هذه الامة فاذا فيها عين تجري يقال لها سلسبيل يشتق منها نهران احدهما الكوثر ويقال له نهر الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ماتقدم من ذنبي وما تأخر ثم اني رفعت الى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن انت قالت لزيد بن حارثة واذا انا بانهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى واذا رمانها كانه الدلاء عظماً (٣) واذا انا بطيرها كانها بختكم (٤) هذه فقال عندها صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اعد لعباده الصالحين مالا عين رأته ولا اذن سمعته ولا خطر على قلب بشر قال وعرضت على النار فاذا فيها غضب الله وزجره ونقمته لو طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها ثم اغلقت دوني ثم اني رفعت الى سدرة المنتهى اذ يغشى السدرة مايغشى وكان بيني وبينه قاب قوسين او ادنى قال ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة قال وفرضت علي خمسون صلاة وقال لك بكل حسنة عشرة اذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة واذا عملتها كتبت لك عشرا واذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء فان عملتها كتبت لك سيئة واحدة ثم رفعت الى موسى عليه السلام فقال ماامرك ربك قلت بخمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك فان امتك لاتطيق ذلك ومتى لاتطيقه تكفر فرجعت الى ربي فقلت يارب خفف عن امتي فانها اضعف الامم فوضع عني عشرا وجعلها اربعين فما زلت اختلف بين موسى وربي كلما اتيت عليه قال لي

---

(١) ثياب رمد أي غبر فيها كدورة كلون الرماد ومفرد الرمدا رمد (٢) لفظة تغطي كان موضعها بياض في الاصل فكشفت عنها في الكتب الصحاح والمسانيد فلم اجد هذه الرواية حتى رأيتها في كتاب معارج الانوار للسفاريني فوضعتها وزاد السفاريني فقال وفي رواية الورقة منها تظل الخلق على كل ورقة ملك وماخذه في كتابه من كتاب الوفا للحافظ الجوزي (٣) الدلاء جمع دلو (٤) البخت والبختي من الابل وجمعه بخاتي .

هنية فاذا انا باقوام بطونهم مثل البيوت كلما نهض احدهم خر يقول اللهم لاتقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون فتجيء السابلة فتطأهم قال فسمعتهم يضجون الى الله تبارك وتعالى فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء من امتك الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال ثم مضيت هنية فاذا انا باقوام مشافرهم كمشافر الابل (١) فيفتح على افواههم ويلقمون الجمر ثم يخرج من اسافلهم فسمعتهم يضجون الى الله فقلت ياجبريل من هؤلاء قال امتك الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ثم مضيت هنية فاذا انا بنساء يعلقن بثديهن يضجون الى الله فقلت ياجبريل من هؤلاء النساء قال هؤلاء الزناة من امتك قال ثم مضيت هنية فاذا انا باقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال له كل ما كنت تأكل من لحم اخيك قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من امتك اللمازون (٢) ثم صعدنا الى السماء الثانية فاذا انا برجل احسن ماخلق الله قد فضل على الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب قلت ياجبريل من هذا قال هذا اخوك يوسف ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي ثم صعدت الى السماء الثالثة فاذا انا بيحيى وعيسى عليهما السلام ومعهما نفر من قومهما فسلمت عليهما وسلما علي ثم صعدت الى السماء الرابعة فاذا انا بادريس قد رفعه الله مكانا عليا فسلمت عليه وسلم علي ثم صعدت الى السماء الخامسة فاذا انا بهارون ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء فكان لحيته الى نصف سرته من طولها فقلت ياجبريل من هذا قال هذا المحبب في قومه هارون بن عمران ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي ثم صعدت الى السماء السادسة فاذا انا بموسى بن عمران رجل ادم كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميصين واذا هو يقول يزعم الناس اني اكرم على الله من هذا بل هو اكرم على الله مني قال فقلت ياجبريل من هذا قال هذا اخوك موسى بن عمران ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فرد علي السلام ثم صعدت الى السماء السابعة فاذا انا بابينا ابراهيم خليل الرحمن ساند ظهره الى البيت المعمور كاحسن الرجال فقلت يا جبريل من هذا قال هذا ابنوك

---

(١) المشفر الشفة (٢) الهمز الغيبة والوقيعة في الناس وذكر عيوبهم واللمز العيب والوقوع في الناس وقيل اللمز العيب في الوجه والهمز العيب بالغيب .

عليه فبينما انا اسير عليه اذ انا بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله فقالت يا محمد انظر الي اسألك فلم التفت اليها ولم اقم عليها حتى اتيت بيت المقدس فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبياء توثقها به فاتاني جبريل بأنائين احدهما خمر والآخر لبن فشربت اللبن وتركت الخمر فقال جبريل اصبت الفطرة فقلت الله اكبر الله اكبر قال جبريل ما رأيت في وجهك هذا فقلت بينما انا اسير اذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظر الي اسألك فلم اجبه ولم اقم عليه فقال ذلك داعي اليهود اما انك لو اجبته لتهودت امتك وبينما انا اسير اذ دعاني داع عن يساري فقال يا محمد انظر الي اسألك فلم التفت اليه ولم اقم عليه قال ذاك داعي النصارى اما انك لو اجبته لتنصرت امتك وبينما انا اسير اذ انا بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول يا محمد انظر الي اسألك فلم اجبها ولم اقم عليها قال تلك الدنيا اما انك لو اجبتها او اقمت عليها لا اختارت امتك الدنيا على الآخرة قال ثم دخلت انا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين ثم اتيت بالمعراج الذي تعرج عليه الارواح (١) فلم تر الخلائق احسن من المعراج اما رأيتم الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء فانما يشق بصره طامحا الى السماء لعجبه بالمعراج قال فصعدت انا وجبريل فاذا بملك يقال له اسماعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون الف ملك مع كل ملك واحد من جنده سبعون الف ملك قال وقال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فاستفتح جبريل باب السماء قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد بعث اليه قال نعم فاذا انا بآدم كهيئة يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه ارواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه ارواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين ثم مضيت هنية فاذا انا باخونة عليها لحم ليس مشرح ليس يقربها احد واذا انا باخونة(٢) عليها لحم قد اروح ونتن عندها اناس يأكلون منها فقلت ياجبريل من هؤلاء فقال هؤلاء من امتك يتركون الحلال ويأتون الحرام قال ثم مضيت

---

(١) هذه الرواية تؤيد ان المعراج كان امرا روحيا برزخيا كما مر بيانه سابقا (٢) جمع خوان السفرة التى يوضع عليها الطعام .

الى ابيك ابراهيم قال فاندفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال ابراهيم يا جبريل من هذا قال هذا ابنك احمد فقال مرحبا بالنبي الامي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لامته يابني انك لاق ربك الليلة وان امتك آخر الامم واضعفهم فان استطعت ان تكون حاجتك اوجلها في امتك فافعل قال ثم اندفعنا حتى اتيت الى المسجد الاقصى فنزلت وربطت الدابة بالحلقة التي بباب المسجد التي كانت الانبياء تربط بها ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد ثم اتيت بكأسين من عسل ولبن فاخذت اللبن فشربته فضرب جبريل منكبي وقال اصبت الفطرة ورب محمد قال ثم اقيمت الصلاة فاممتهم ثم انصرفنا فاقبلنا وقال ابن مسعود في قوله تعالى اذ يغشى السدرة مايغشى قال فراش من ذهب اعطى نبيكم عندها ثلاثا فرضت عليه الصلاة واعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لامته المفخمات (١) مالم يشرك به شيئا وقال ايضا لما اسرى برسول الله انتهى به الى سدرة المنتهى وهو في السماء السابعة او السادسة اليها ينتهى مايخرج من تحتها فيقبض منها واليها ينتهي مابسط من فوقها فيقبض منها وفي رواية والى السدرة ينتهي ما يعرج من الارواح فيقبض منها واليها ينتهي مايهبط به من فوقها فيقبض واخرج البهقي عن ابي سعيد الخدري ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له يارسول الله اخبرنا عن ليلة اسري بك فيها فقال قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله الآية قال فاخبرهم قال بينما انا نائم عشاء في المسجد الحرام اذ اتاني آت فايقظني فاستيقظت فلم ارشيئا فاذا انا بهيئة خيال فاتبعته ببصرى حتى خرجت من المسجد فاذا انا بدابة ادني اشبهه بدوابكم هذه بغالكم هذه مضطرب الاذنين يقال له البراق وكانت الانبياء تركبه قبلي يقع حافره مد بصره فركبته فبينما انا اسير عليه اذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظر الي اسألك فلم اجبه ولم اقم عليه وبينما انا اسير اذ دعاني داع عن يساري يا محمد انظر الي اسألك فلم اجبه ولم اقم عليه فبينما انا اسير عليه اذ دعاني داع عن يساري يا محمد انظر الي اسألك فلم اجبه ولم اقم

---

(١) المفخمات الذنوب العظام .

فلو شئت ان امس السماء لمسستها وانا اقلب طرفي فالتفت الى جبريل فاذا هو كأنه حلس لاطي (١) فعرفت فضل علمه بالله تعالى على وفتح لي باب من السماء ورأيت النور الاعظم وسمعت رفرفة الدر والياقوت واوحى الله الى ماشاء ان يوحي ورواه من طريق فيه ابو يعلى الموصلي عن ابن مسعود ولفظه اتيت بالبراق فركبت خلف جبريل فسار بنا فكان اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت قدماه فسار بنا في ارض غمة منتنة حتى انتهينا الى ارض فتخاء طيبة فقلت ياجبريل انا كنا نسير في ارض غمة(٢)وانا افضينا منها الىارض فتخاء(٣)طيبة فقال تلك ارض النار وهذه ارض الجنة فاتيت على رجل قائم يصلي فقال من هذا ياجبريل فقال هذا اخوك محمد فرحب بي ودعى لي بالبركة وقال سل لامتك اليسر فقلت من هذا ياجبريل فقال هذا اخوك عيسى ثم سار فاتينا على رجل فقال من معك ياجبريل فقال هذا اخوك محمد فرحب بي ودعى لي وقال سل لامتك اليسر فقلت من هذا ياجبريل فقال هذا اخوك موسى ثم سرنا فرأينا مصابيح وضوأ فقلت ماهذا ياجبريل فقال هذه شجرة ابيك ابراهيم اتحب ان تدنو منها قلت نعم فدنونا منها فرحب بي ودعى لي بالبركة ثم مضينا حتى اتينا بيت المقدس ونشرت لي الانبياء من سمى الله ومن لم يسم فصليت بهم غير أولئك الثلاثة عيسى وموسى وابراهيم ورواه من طريق آخر بنحو ما تقدم ولفظه اتاني جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل فحملني عليه ثم انطلق يهوي بنا كلما صعد عقبة استوت رجلاه كذلك مع يديه واذا هبط استوت يداه مع رجليه حتى اذا مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال ازو شنؤة وهو يركع ويقول اكرمته وفضلته فقال فدفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال من هذا معك ياجبريل فقال هذا احمد فقال مرحبا بالنبى الامي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لامته ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل قال هذا موسى بن عمران قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك قلت ويرفع صوته على ربه قال ان الله قد عرف حدته قال ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمارها السرج تحتها شيخ وعياله فقال لي جبريل اعمد

---

(١)الحلس الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب(٢)الغمة الضيقة(٣)الارض الفتخاء اللينة.

المنتهى ودنا الجبار رب العزة وتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه فيما اوحى خمسين صلاة وفيه انه كلما راجعه موسى التفت الى جبرييل يستشيره فلا يكره ذلك جبريل وروى من طريق آخر وفيه ثم مضى به في السماء فاذا بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد واذا هو مسك اذفر فقال ياجبرييل ماهذا النهر فقال هذا الكوثر الذي سمي لك ربك وروى حديث انس من وجه آخر فقال لما جاء جبرييل بالبراق فكانما ضربت اذنيها فقال لها جبرييل مه يابراق فوالله ماركبك مثله فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير اذا هو بعجوز تأتي على جانب الطريق فقال ماهذه ياجبرييل قال سر يا محمد فسار ماشاء الله ان يسير فاذا هو بشيء يدعوه متنحى عن الطريق يقول هلم يامحمد فقال له جبريل سر يا محمد فسار ماشاء الله ان يسير ثم لقي خلقا من الخلق فقال له الاول السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا حاشر فقال له جبرييل اردد السلام يامحمد فرد السلام ثم لقيه الثاني فقال له مثل مقالة الاول ثم لقيه الثالث فقال له مثل مقالة الاولين حتى انتهى الى بيت المقدس فعرض عليه الماء واللبن والخمر فتناول اللبن فقال له جبريل اصبت الفطرة لو شربت الماء لغرقت امتك ولو شربت الخمر لغويت وغويت امتك ثم بعث آدم فمن دونه من الانبياء لرسول الله عليه الصلاة والسلام تلك الليلة ثم قال له جبرييل اما العجوز التي رأيت على جنب الطريق فهي الدنيا ولم يبق من عمرها الا ما بقي من عمر تلك العجوز واما الذي اراد ان تميل اليه فذلك عدو الله ابليس اراد ان تميل اليه واما الذين سلموا عليك فهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وروى الحافظ حديث المعراج بمثل الاول من طريق ابي بكر دحية بن طاهر وفي آخره فاوحى الى اني خيرتك ان شئت ملكا وان شئت نبيا عبدا فقلت اختار ان اكون نبيا عبدا واخرج من طريق ابي بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل فوكز كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعدت في احدهما وقعد في الاخرى فنمت فارتفعت حتى سدت الخافقين (١)

---

(١) هذه الرواية تفتح لك سرا عجيبا من اسرار المعراج وتعلمك بانها حالة روحانية ملكوتية وترفعك الى علم اليقين حتى كأنها تمثل لك الحال عيانا ان كنت ممن يشرق فؤاده بانوار الملكوت ويعرف بقدرة الحي القيوم وربما يرى العارف اخذه عن احساسه واختطافه عن اناسه ما كذب الفؤاد ما رأى وفى انفسكم افلا تبصرون .

فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جوفه ثم اتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشو ايمانا وحكمة فحشى به صدره وصعد به الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السماء من هذا قال جبريل ثم ساق الحديث على نحو ما تقدم وفي آخره ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة

ومعاوية لم يقولا كان مناما وانما قالا اسرى بروحه ولم يفقد جسده وفرق بين الامرين فان مايراه النائم قد يكون امثالا مضروبة للمعلوم في الصور المحسوسة فيرى كأنه قد عرج به الى السماء وذهب به الى مكة واقطار الارض وروحه لم تصعد ولم تذهب وانما ملك الرؤيا ضرب له المثال والذين قالوا عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم طائفتان طائفة قالت عرج بروحه وبدنه وطائفة قالت عرج بروحه ولم يفقد بدنه وهؤلاء لم يريدوا ان المعراج كان مناما وانما ارادوا ان الروح ذاتها اسرى بها وعرج بها حقيقة وباشرت من جنس ماتباشر بعد المفارقة وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها الى السموات سماء سماء حتى ينتهي بها الى السماء السابعة فتقف بين يدي الله عز وجل فيأمر فيها بما يشاء ثم تنزل الى الارض فالذي كان لرسول الله ليلة الاسراء اكمل مما يحصل للروح عند المفارقة ومعلوم ان هذا امر فوق مايراه النائم لكن لما كان مقام رسول الله خارقا للعادة فشق بطنه وهو حي لا يتألم من ذلك عرج بذات روحه المقدسة حقيقة من غير اماتة ومن سواه لاينال بذات روحه الصعود الى السماء الا بعد الموت والمفارقة فالانبياء انما استقرت ارواحهم هناك بعد مفارقة الابدان وروح رسول الله صعدت الى هناك في حال الحياة ثم عادت وبعد وفاته استقرت في الرفيق الاعلى مع ارواح الانبياء ومع هذا فلها اشراق على البدن واشراف وتعلق به بحيث يرد السلام على من سلم عليه وبهذا التعلق رأى موسى قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة ومعلوم انه لم يعرج بموسى من قبره ثم رد اليه وانما ذلك مقام روحه واستقرارها وقبره مقام بدنه واستقراره الى يوم معاد الارواح الى اجسادها فرآه يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة كما انه عليه الصلاة والسلام في ارفع مكان في الرفيق الاعلى مستقرا هناك وبدنه في ضريحه غير مفقود واذا سلم عليه المسلم رد الله روحه حتى يرد عليه السلام ولم يفارق الملأ الاعلى ومن غلظت طباعه وكثف ادراكه عن ادراك هذا فلينظر الى الشمس في علو محلها وتعلقها وتأثيرها في الارض وحياة النبات والحيوان بها هذا وشأن الروح فوق هذا فلها شأن وللابدان شأن وهذه النار تكون فى محلها وحرارتها تؤثر في الجسد البعيد عنها مع ان الارتباط والتعلق للذي بين الروح والبدن أقوى واكمل من ذلك واتم فشأن الروح اعلى من ذلك والطف

فقل للعيون الرمد اياك ان ترى   سنا الشمس فاستغشي ظلام اللياليا

وقال النووي في شرح مسلم والحق الذي عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه اسري بجسده الشريف والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها الا بدليل ولا استحالة فى حملها عليه فيحتاج الى دليل .

واذا نظر قبل شماله بكى وفيه قال انس فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه قد ذكر انه وجد في السماء الدنيا آدم وابراهيم في السماء السادسة وفيه واخبرني ابن حزم ان ابن عباس وابا حبة الانصاري انهما كان يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت الى مستوى اسمع فيه صرير الاقلام وزاد في اخره ثم انطلق بي الى سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ماهي ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك وهذه الرواية بهذه الزيادة متفق عليها ايضا رواها البخاري ومسلم واما الرواية عن ابي كعب فقد اخرجها عبد الله بن احمد بن حنبل في زوائد المسند واما حديث انس نفسه فاوله اتيت وانا في بيتي فانطلق بي الى زمزم فشرح صدري قال انس انه ليرينا اثره ثم غسل بماء زمزم ثم ساق الحديث على نحو ماتقدم وزاد عند كلام الانبياء مرحبا بك من اخ ومرحبا بك من رسول ورواه من طريق ابي يعلى عن انس ايضا ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بالبراق وهي دابة فوق البغل ودون الحمار يضع حافره حين ينتهي طرفه قال فركبته حتى سار بي فاتيت على بيت فربطت الدابة بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فاتاني جبريل باناء من خمر واناء من اللبن فاخذت اللبن فقال لي جبريل اخترت الفطرة ثم ساق الحديث على نمط ماتقدم وفيه عند ذكر السماء الثالثة فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرجعت ودعى لي بخير ثم ذكر لفظ ودعا لي بخير عند الاجتماع بالانبياء وروى الدار قطني حديث انس ايضا ولفظه ليلة اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحي اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم هو هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال احدهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه (١) وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولاتنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه

---

(١) اختلف العلماء في الاسراء هل كان بالروح والجسد أم بالروح فقط فنقل ابن اسحاق عن عائشة ومعاوية انهما قالا انما كان الاسراء بروحه ولم يفقد جسده ونقل عن الحسن البصري نحو ذلك فقال في زاد المعاد لكن ينبغي ان يعلم الفرق بين ان يقال كان الاسراء مناما وبين ان يقال كان بروحه دون جسده وبينهما فرق عظيم وعائشة

القطان عن هشام عن قتادة عن انس عن مالك بن صعصعة فقال وسألته ان يخفف عني فخفف الى عشرين ثم الى عشر ثم الى خمس فاتيت على موسى فاخبرته فقال لي مثل مقالته الاولى فقلت اني استحي من ربي من كم ارجع اليه فنودي ان قد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي واجزي بالحسنة عشر امثالها ثم رواه من طريق البغوي بنحو اللفظ الذي تقدم وفيه بعض زيادات نذكرها هنا منها انه قال عند ذكر البراق يضع خطوه عند اقصى طرفه (١) ومنها ان آدم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح وفيه عند ذكر بقية الانبياء مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ومنها انه قال بعد حكاية السدرة واتيت بانائين احدهما خمر والآخر لبن فعرضا علي فاخترت اللبن فقال اصبت اصاب الله بك وبامتك الفطرة ومنها ان حط الصلاة كان خمسا خمسا وفيه فقد رجعت الى ربي حتى استحييت ولكن ارضى واسلم ورواه ابويعلى الموصلي وقال الحافظ بعد ان رواه مختصرا ومطولا على مامر هذا حديث متفق على صحته اخرجه البخاري وقد اختلف فيه على انس ابن مالك على وجوه فرواه عنه قتادة ورواه الزهري عن انس فاختلف عنه فيه فروى عنه عن انس عن ابي ذر وروى عنه انس عن ابي بن كعب وروى عن انس نفسه فاما حديث الزهري عن ابي ذر ففيه انه قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري وساق نحوا مما تقدم الا ان فيه فلما علونا السماء الدنيا اذا رجل عن يمينه اسودة (٢) وعن يساره اسودة فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن يساره بكى قال فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقلت ياجبريل من هذا فقال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه (٣) فاهل اليمين منهم اهل الجنة واهل الاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك

---

(١) اشار بهذا الى ان سير البراق كان خارقا للعادة وقد اخذ الحنابلة وغيرهم من هذا ان من طويت له [illegible] البعيدة في الساعة الواحدة يتناوله اسم المسافر وتشمله احكام السفر باعتبار القصر والفطر فعلى هذا ان المسافر في السفينة البرية او البحرية تعتبر المسافة في حقه بسير الاثقال ودبيب الاقدام كما قرره الفقهاء لا باعتبار سير السفين الذي هو راكب لها وهذا يشمل النجاب وراكب الطيارات وغيرها فليعلم (٢) الاسودة جمع قلة السوداء وهو الشخص لانه يرى عن بعد بعد اسود وجمع الاسودة اساود (٣) النسم جمع نسمة [illegible] .

ومن معك قال محمد قيل اوقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء فاتيت على هارون فسلمت عليه فقال مرحبا بك من اخ ونبي فاتينا السماء السادسة فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء فاتيت على موسى فسلمت عليه فقال مرحبا بك من اخ ونبي فلما جاوزت بكى قيل وما ابكاك فقال يارب هذا الغلام الذي بعثته بعدي يدخل الجنة من امته اكثر وافضل مما يدخل من امتي فاتيت السماء السابعة قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء فاتيت على ابراهيم فسلمت عليه فقال مرحبا بك من ابن ونبي فرفع الى البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لايعودون فيه اخر ما عليهم ورفعت الى سدرة المنتهى فرأيت نقبها كأنه قلال هجر وورقها كأنه اذان الفيلة ورأيت في اصلها اربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان فسألت جبريل فقال اما هذا الباطنان فمن الجنة واما هذان الظاهران فالنيل والفرات وفرضت على خمسون صلاة فاقبلت على اتيت على موسى فقال ماصنعت قلت فرضت علي خمسون صلاة قال اني اعلم بالناس منك (١) وقد عالجت بني اسرائيل اشد المعالجة وان امتك لن يطيقوا ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف عنك فرجعت الى ربي فسألته التخفيف فخففها عني فجعلها اربعين صلاة فاقبلت حتى اتيت على موسى قال ما صنعت قلت جعلها اربعين صلاة قال اني اعلم الناس منك وقد عالجت بني اسرائيل اشد المعالجة وان امتك لن يطيقوا ذلك فارجع الى ربك فاسأله ان يخفف عنك فرجعت اليه فسألته ان يخفف عني فجعلها ثلاثين فاقبلت حتى اتيت على موسى فقال ماصنعت قلت جعلها ثلاثين صلاة قال اني اعلم بالناس منك وقد عالجت بني اسرائيل اشد المعالجة وان امتك لن يطيقوا ذلك فارجع الى ربك فاسأله ان يخفف عنك فرجعت الى ربي فسألته التخفيف عني فجعلها عشرين الى هنا روى الحافظ الحديث وقطعه ثم اتمه من طريق يحيى بن سعيد

---

(١) فيه دليل على انه يجب على العالم ان يكون عارفا باحوال زمانه وبعوائدهم حتى يمكنه [illegible] ى ما فيه الخير والى ما فيه نجاحهم وفلاحهم .

« باب ذكر عروجه الى السماء واجتماعه »

بجماعة من الانبياء (١)

عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان زاد في رواية الامام احمد في مسنده اذا اقبل احد الثلاثة بين الرجلين فاتيت بطست من ذهب ملىء ايماناً وحكمة فشق من النحر الى مراق البطن واخرج القلب فغسل بماء زمزم ثم ملىء ايماناً وحكمة وأوتيت بدابة ابيض دون البغل وفوق الحمار يقال له البراق فانطلقت انا وجبريل حتى أتينا السماء الدنيا فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قالوا مرحباً به ونعم المجيء جاء فأتيت على آدم فسلمت عليه فقال مرحباً بك من ابن ونبي ثم اتينا السماء الثانية قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قالوا مرحباً به ونعم المجيء جاء فاتيت على يحيى وعيسى عليهما السلام فسلمت عليهما فقالا مرحبا بك من اخ ونبي فاتينا السماء الثالثة قيل من هذا قال جبريل قيل رمن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به نعم المجيء جاء فاتيت على يوسف فسلمت عليه فقال مرحبا بك من اخ ونبي فاتينا السماء الرابعة قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء فاتيت على ادريس فسلمت عليه فقال مرحبا بك من اخ ونبي فاتينا السماء الخامسة قيل من هذا قال جبريل قيل

(١) اختلفت كلمة العلماء في تاريخ المعراج فحكى الواقدي عن رجاله انه كان لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان في السنة الثانية عشرة من المبعث وحكى عن اشياخ له انه كان ليلة سبع عشرة خلت من شهر ربيع الاول وقال هو الزهري انه كان قبل الهجرة بسنة وادعى ابن حزم فيه الاجماع وهو قول ابن عباس وعائشة وقيل كان قبل الهجرة بثمانية اشهر وقيل بستة اشهر فمن قال بسنة قال كان في شهر ربيع الاول ومن قال بثمانية اشهر قال كان في رجب ومن قال بستة اشهر قال كان في رمضان واختار الحافظ عبد الغني المقدسي انه كان ليلة سبع وعشرين خلت من رجب والله اعلم .

ان لم ير شيئا ترك الناس واتشح بثوب وارتدى بأخر واقبل الى البيت الحرام فطاف اسبوعاً ثم انشأ يقول :

يارب ان محمدا لم يوجد   فجميع قومي كلها متردد

قالت حليمة فسمعت مناديا ينادي من حواليهم معاشر القوم لاتضجوا فأن لمحمد ربا لايخذله ولا يضيعه فقال عبد المطلب يا أيها الهاتف فمن لنا به فقال بوادي تهامة عند الشجرة اليمنى فاقبل عبد المطلب راكبا فلما كان ببعض الطريق تلقاه ورقة بن نوفل فصارا جميعاً يسيران فبينما هم كذلك إذ بالنبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يجذب اغصانها ويبعث بالورق فقال عبد المطلب من انت يا غلام فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال عبد المطلب فدتك نفسي وانا جدك عبد المطلب ثم احتمله على عاتقه ولثمه وضمه الى صدره وجعل يبكي ثم حمله على قربوس سرجه ورده الى مكة فاطمأنت قريش فلما اطمأن الناس نحر عبد المطلب عشرين بعيراً وذبح اكبشاً وبقراً وجعل طعاماً واطعم اهل مكة قالت حليمة ثم جهزني عبد المطلب بأحسن جهاز وصرفني فانصرفت الى منزلي واذا بكل خير دنيا لا احسن وصف كنه خيري وصار محمد عند جده قالت حليمة وحدثت عبد المطلب بحديثه كله فضمه الى صدره وبكى وقال يا حليمة ان لابني شأناً وودت اني ادرك ذلك الزمان هذا حديث غريب جدا وفي رواته يعقوب بن جعفر وهو غير مشهور في الرواية والمحفوظ من حديث حليمة ما تقدم من قبل من رواية عبد الله بن جعفر . وقال بن غنم . نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فشق بطنه (١) ثم قال جبريل قلب واع فيه اذنان يسمعان وعينان يبصران محمد رسول الله المقفى الحاشر قلبك قيم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة .

---

(١) اورد ابن حجر في شرح الهمزية لطيفة على قول الابوصيري (شق عن قلبه واخرج منه. مضغة عند غسله سوداء) فقال انما خلقت هذه المضغة فيه ثم اخرجت لانها من جملة الاجزاء الانسانية فعدمها نقص في الابدان وايضا فاخراجها بعد خلقها على هذه الصورة البديعة ادل دليل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقة بدونها اهـ وروى الطيالسي والحارثي في مسنديهما وابو نعيم ان جبريل وميكائيل شقا صدره صلى الله عليه وسلم وغسلاه ثم قالا اقرأ باسم ربك الآيات وثبت في البخاري وغيره انه شق قلبه ليلة الاسراء وهو بالمسجد وجميع ماورد من الشق واخراج القلب وغيرهما انما هو من الامور الخارقة للعادة والقدرة صالحة له.

واصلح شاني فسمعت وجبة (١) شديدة فالتفت فلم ار شيئا فقلت معاشر الناس ابن الصبي فقالوا أي الصبيان قلت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي نضر الله به وجهي واغني عيلتي واشبع جوعتي ربيته حتى اذا ادركت به سروري واملي اتيت به الى داره لاخرج من امانتي فاختلس من يدي من غير ان تمس قدميه الارض واللات والعزى لان لم اره لارمين بنفسي من شاهق الجبل ولا تقطعن اربا اربا فقال الناس انا لنراك غائبة عن الركبان ما معك محمد قالت قلت الساعة كان بين ايديكم قالوا مارأينا شيئا فلما ايسوني وضعت يدي على رأسي فقلت وامحمداه وا ولداه ابكيت الجواري الابكار لبكائي وصاح الناس معي بالبكاء حرقة لي فاذا أنا بشيخ كبير كالفاني متوكا على عكاز له قالت فقال لي مالي اراك تبكين وتصيحين قالت فقلت فقدت ابني محمدا قال لاتبكي انا ادلك على من يعلم علمه وان شاء ان يرده عليك فعل قالت قلت دلني عليه قال الصنم الاعظم قالت ثكلتك امك كأنك لم تعلم مانزل باللات والعزى في الليلة التي ولد فيها محمد قال انك لاتهتدين ولا تدرين ماتقولين انا ادخل عليه فأسأله ان يرده عليك قالت حليمة فدخل وانا انظر فطاف بهبل اسبوعا وقبل رأسه وقال له ياسيدي لم تزل منعما على قريش وهذه السعدية تزعم ان محمدا قد ضل قالت فانكب هبل على وجهه وتساقطت الاصنام بعضها على بعض ونطقت او نطق منها فقالت اليك عنا ايها الشيخ انما هلاكنا على يد محمد قالت فاقبل الشيخ ولآسنانه اصطكاك ولركبتيه ارعاد وقد ألقي عكازته بين يديه وهو يبكي ويقول ياحليمة لاتبكي ان لابنك دينا لايضيعه فاطلبيه على مهل قالت فخفت ان يبلغ الخبر عبد المطلب فيبكي فقصدت قصده فلما نظر الي قال اسعدية نزل بك أمر نحوس قالت فقلت بل النحس الاكبر ففهمها مني وقال لعل ابنك قد ضل منك قالت نعم ان بعض قريش اغتاله فقتله فسل عبد المطلب سيفه وغضب وكان اذا غضب لم يلتفت له احد لشدة غضبه فنادى باعلى صوته ياسبيل وكانت دعوتهم في الجاهلية فاجابته قريش باجمعهم فقالوا ماقصتك يا أبا الحارث فقال فقد ابني محمد فقالت قريش اركب نركب معك فان شققت جبلا شققناه معك وان خضت بحرا خضناه معك ثم انه ركب فركبت معه قريش جميعاً فاخذوا على مكة وانحدر الى اسفلها فلما

---

(١) الوجبة صوت الساقط فتسمع له هدة .

عليه هل من مستغفر فاغفر له ذنبه هل من سائل فاعطيه سؤاله قال فوثب العامري وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله انتهى وهذا حديث غريب وفي رجال اسناده من يجهل حاله واخرج البيهقى عن سليمان ابن علي بن عبد الله بن عبـاس انه قال كانت حليمة بنت ابي ذؤيب التي ارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث انها لما فطمت رسول الله تكلم قالت سمعته يقول كلاما عجيبا سمعته يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا فلما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيتجنبهم فقال لي يوما من الايام يا اماه مالي لا ارى اخوتي بالنهار قلت فدتك نفسي يرعون غنما لنا فيروحون من ليل الى ليل فاسبل عينيه وبكى وقال ياماه فما اصنع ههنا وحدي ابعثيني معهم قلت وتحب ذلك قال نعم فلما اصبح دهته وكحلته وقمصته وعمدت الى خرزة جزع يمانية فعلقتها في عنقه من العين واخذ عصا وخرج مع اخوته فكان يخرج مسرورا فلما كان يوما من ذلك خرجوا يرعون بهماً لنا حول بيوتنـا فلما انتصف النهار اذا انا بابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح قد علاه البهر (١) باكيا ينادي يا ابة يا امة الحقا اخي محمدا فما تلحقاه الا ميتا قلت وما قصته قالا بينا نحن قيام نترامى ونلعب اذ اتاه رجل فاختطفه من اوساطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق من صدره الى عانته ولا ادري ما فعل به ولا اظنكما تلحقاه ابدا الا ميتا قالت فاقبلت انا وابوه يعني زوجها نسعى سعياً فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصاً ببصره الى السماء يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلت مابين عينيه وقلت فدتك نفسي ماالذي دهاك قال خيرا ياماه فاخبرها خبره على نحو ماتقدم وذكرت خبر الكاهن ثم قالت فاتيت به منزلي فما اتيت يعلم الله منزلا من منازل بني سعد بن بكر الا وقد شممنا منه ريح المسك الازفر وكان في كل يوم ينزل عليه رجلان ابيضان فيغيبان في ثيابه ولا يظهران فقال الناس رديه ياحليمة الى جده عبد المطلب واخرجيه من امانتك قالت فعزمت على ذلك فسمعت مناديا ينادي هنيئا لك يابطحاء مكة اليوم يرد عليك النور والدين والبهاء والكمال فقد امنت ابد الابدين ودهر الداهرين قالت فركبت اتاني وحملت النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي اسير حتى اتيت الباب الاعظم من ابواب مكة وعليه جماعة فوضعته لاقضي حاجة

---

(١) البهر ما يعتري الانسان عند السعي الشديد والعدو من التهيج وتتابع النفس .

للأمر الذي سألتني عنه قصصا وبناء فاجلس حتى انبئك عنه فحقيقة قولي وبدء شأني فجلس العامري وتهافت العرب حذوا بين يدي رسول الله فقال ان ابي لما بنى بـامي وحملت رأت ان نورا خرج من جوفها فجعلت ةتبعه بصرها حتى ملأ مابين السموات والارض نورا فقصت ذلك على حليمة من اهلها فقالت لها والله لان صدقت رؤياك ليخرجن من بطنك غلام يعلو ذكره بين السماء والارض وكان هذا الحي من بني سعد بن هوازن ينتابون (١) نساء اهل مكة فيحضنون اولادهم وينتفعون بخيرهم وان امي ولدتني في العام الذي قدموا فيه وكان قد مات والدي فكنت يتيما في حجر عمي ابي طالب فاقبل النسوان يتدانين ويقلن ضرع صغير (٢) لااب له فما عسانا ان ننتفع به من خيره وكانت فيهن امرأة يقال لها أم كبشة بنت الحارث فقالت والله لاانصرف عامي هذا خائبة فاخذتني والقتني على صدرها فدر لبنها فحضنتني فلما بلغ ذلك عمي ابا طالب اقطعها ابلا ومقطعات من الثياب ولم يبق عم من عمومتي الا اقطعها وكساها فلما بلغ ذلك النسوان قلن والله يا أم كبشة لو علمنا بركة تكون هكذا ماسبقتينا اليه ثم ترعرعت وكبرت وقد بغض الى اصنام قريش والعرب فلا اقربها ولا آتيها حتى اذا كان بعد زمين خرجت بين اتراب (٣) لي من العرب نتقاذف بالاجلة يعني البعر واذا بثلاثة نفر مقبلين معهم طست من ذهب مملوء ثلجا فقبضوا علي من بين الغلمان فلما رأى ذلك الغلمان انطلقوا هرابا ثم رجعوا فقالوا يا معشر النفران هذا الغلام ليس منا ولا من العرب (٤) وانه لابن سيد قريش وبيضة (٥) المجد وما من حي من احياء العرب الا لابائه في رقابهم نعمة مجللة فلا تصنعوا بقتل هذا الغلام شيئا فان كنتم لابد قاتليه فخذوا احدنا فاقتلوه مكانه ثم ساق نحوا مما تقدم وفي آخره فقال العامري يامحمد فأي المسمعات اسمع قال جوف الليل الدامس اذا هدأت العيون فان الله تعالى حي قيوم يقول هل من تائب فاتوب

---

(١) ينتابون أي يقصدونهم مرة بعد مرة (٢) الضرع النحيف الضاوي الجسم (٣) الترب بكسر التاء اللدة والسن ومن ولد معك وفي كتاب الترقيص للازدي الاتراب الاسنان لا يقال الا للاناث ويقال للذكور الاسنان والاقران (٤) يغني من عرب قبيلتهم (٥) بيضة المجد معناه مجتمعه وموضع سلطانه ومستقر دعوته وبيضة الدار وسطها ومعظمها .

واجن ولو علمت ان هذا يكون من قولك ماآتيتك به ثم احتملوني وردوني الى اهلي فاصبحت مغموما مما دخل بي واصبح اثر الشق مابين صدري الى منتهى عانتي كأنه شراك فذاك حقيقة قولي وبدء شأني فقال العامري اشهد ان لا اله الاالله وان امرك حق فانبئني اشياء اسألك عنها قال سل عنك وكان يقول للسائلين قبل ذلك سل عما بدا لك فقال يومئذ للعامري سل عنك فانها لغة بني عامر فكلمه بما يعرف فقال العامري اخبرني يا ابن عبد المطلب ماذا يزيد في الشر فقال التمادي قال فهل ينفع البر بعد الفجور قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ان التوبة تغسل الحوبة (١) وان الحسنات يذهبن السيأت فاذا ذر العبد ربه في الرخاء اعانه عند البلاء قال العامري وكيف ذلك يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بان الله تعالى يقول لااجمع لعبدي ابدا امنين ولا اجمع له ابدا خوفين ان هوامنني في الدنيا خافني يوم اجمع فيه عبادي وان هو خافني في الدنيا امنته يوم اجمع فيه عبادي في حظيرة القدس فيدوم لـه امنه ولا امحقه فيمن امحق فقال العامري يا ابن عبد المطلب الى م تدعو قال ادعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وان تخلع الانداد (٢) وتكفر باللات والعزى وتقر بما جاء من الله من كتاب ورسـول وتصلي الصلـوات الخمس بحقائقهن وتصوم شهرا من السنة وتؤدي زكاة مالك فيطهرك الله به ويطيب لك مالك وتحج البيت اذا وجدت اليه سبيـلا وتغتسل من الجنابة وتقر بالبعث بعد الموت وبالجنة والنـار قال يا ابن عبد المطلب فاذا انا فعلت هذا فما لي قال النبي صلى الله عليه وسلم جنـات عدن تجري من تحتها الانهـار خالدين فيهـا وذلك جزاء من تزكى قال يا ابن عبد المطلب هـل مع هذا من الدنيا شيء فانه يعجبنا الوطـاءة في المعيشة فقـال النبي صلى الله عليـه وسلم نعم النصر والتمكين في البـلاد فاجاب العامري وانـاب رواه ابو يعلى وابو نعيم وفـي اسنـاده مـكحول عن شداد ومكحول لم يدرك شدادا وروى الحديث من طريق آخر بـاخصر من هذا وفيـه فقال له يـا اخا عامر ان

---

(١) الحوبة الاثم وتفتح الحاء وتضم وقيل الفتح لغة الحجاز والضم لغة تميم (٢) الانداد جمع ند بالكسر وهو مثل الشيء الذي يضاده في اموره ويناده أي يخالفه ويريد بـالند ما كـانوا يتخذونه آلهة من دون الله .

قام الثالث فنحى صاحبيه فامر بيده بين ثديي ومنتهى عانتي فالتأم ذلك الشق باذن الله ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا فقال الاول الذي شق بطني زنوه بعشرة من امته فوزنوني فرجحتهم ثم قال زنوه بمائة من امته فوزنوني فرجحتهم ثم قال زنوه بالف من امته فوزنوني فرجحتهم قال دعوه فلو وزنتموه بامته جميعا لرجح بهم ثم قاموا الى فضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري مايراد بك من الخير اقرت عينك فبينما نحن كذلك اذ اقبل الحي بحذافيرهم واذا ظئري امام الحي تهتف باعلى صوتها وهي تقول ياضعيفاه فاكبوا علي يقبلوني ويقولون ياحبذا انت من ضعيف ثم قالت ياوحيداه فاكبوا علي وضموني الى صدورهم وقالوا حبذا انت من وحيد ماانت بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنون من اهل الارض ثم قالت يايتيماه استضعفت من بين اصحابك فقتلت لضعفك فاكبوا علي وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وقالوا ياحبذا انت من يتيم ما اكرمك على الله لو تعلم ماذا يراد بك من الخير فوصلوا الى شفير الوادي فلما بصرت بي ظئري قالت يابني الاادركك حيا بعد فجاءت حتى اكبت على فضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده اني لفي حجرها قد ضمتني اليها وان يدي لفي يد بعضهم وظننت ان القوم يبصرونهم فاذا هم لا يبصرونهم فجاء بعض الحي فقال هذا غلام اصابه لمم او طائف من الجن فانطلقوا بنا الى الكاهن ينظر اليه ويداويه فقلت له ياهذا ليس بي شيء مما تذكرون ان لي نفسا سليمة وفواداً صحيحا وليس بي قلبة(١) فقال ابي وهو زوج ظئري الاترون كلامه صحيحا اني لارجو ان لا يكون بابني بأس فاتفق القوم على ان يذهبوا بي الى الكاهن فاحتملوني حتى ذهبوا بي اليه فقصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى اسمع من الغلام فانه اعلم بأمره فقصصت عليه امري من اوله الى آخره فلما سمع مقالتي ضمني الى صدره ونادى باعلى صوته ياللعرب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه ليبدلن دينكم وليسفهن احلامكم واحلام ابائكم وليخالفن امركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله فانتزعتني ظئري من يده وقالت لاانت اعته منه(٢)

---

(١) ما بي قلبه أي ما بي الم ولا علة واللمم طرف من الجنون يلم بالانسان أي يقرب منه ويعتريه (٢) المعتوه المجنون المصاب بعقله .

انبئت انك تزعم انك رسول الله الى النـاس ارسلك بما ارسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء الاوائل وانك قد تفوهت بعظيم انما كانت الانبياء والملوك في بيتين من بني اسرائيل بيت نبوة وبيت ملك فلا انت من هؤلاء ولا انت من هؤلاء انما انت رجل من العرب ممن يعبد الحجارة والاوثان فمالك والنبوة ولكن لكل امر حقيقة فانبئني بحقيقة قولك وبدو شأنك فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم مسألته وفي رواية وكان النبي صلى الله عليه وسلم حليما لايجهل ثم قال يا اخا بني عامر ان الحديث الذي تسأل عنه نبأ ومجلسا فاجلس فثنى رجليه وبرك كما يبرك البعير فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا اخا بني عامر ان حقيقة قولي وبدء شاني دعوة ابي ابراهيم وبشرى اخي عيسى بن مريم واني كنت بكر امي وانها حملتني كأثقل ماتحمل النساء حتى جعلت تشكي الى صواحبها ثقل ماتجد وان امي رأت في المنام ان الذي في بطنها نور قالت فجعلت اتبع بصري النور فجعل النور يسبق بصري حتى اضاء لي مشارق الارض ومغاربها ثم انها ولدتني فلما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر واسترضع لي في بني جشم بن بكر فبينا انا ذات يوم في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان اذ انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملآن من ثلج فاخذوني من بين اصحابي وانطلق اصحابي هرابـاً حتى انتهوا الـى شفـير الـوادي ثـم اقبلـوا عـلى الرهـط فقالوا مالكم ولهذا الغلام انه غلام ليس منا وهو ابن سيد قريش وهو مسترضع فينا من غلام يتيم ليس به اب فماذا يرد عليكم قتله ولا كنتم لابد فاعلين فاختاروا منا اينا شئتم فليأتكم فاقتلوه مكانه ودعوا هذا الغلام فلم يجيبوهم فلما رأى الصبيـان ان القوم لايجيبوهم انطلقوا هرابا مسرعين الى الحي يؤذنونهم ويستصرخونهم على القوم فعمد الى احدهم فاضجعني الى الارض اضجاعا لطيفا ثم شق مابين صدري الى متن عانتي وانا انظر فلم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشاء بطني فغسله بذلك الثلج فانعم غسله ثم اعادها مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده في جوفي فاخرج قلبي وانا انظر فصدعه فاخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة كأنه يتناول شيئا فاذا انا بخاتم في يده من نور يخطف ابصار الناظرين من دونه فختم قلبي فامتلأ نورا وحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم

فأضجعاني فقال لصاحبه افلق صدره ففلق صدري فيما ارى بلا وجع ولا ألم ولا دم فقال اخرج منه الغل والحسد وادخل فيه الرأفة والرحمة قال فأخرج علقة فرمى بها ثم استخرج شيئاً مثل الفضة فأدخله فيه وقال هذه الرأفة والرحمة ثم قال بابهامه اليمنى على صدري ثم قال اغد واسلم ثم قمت ثم جئت يعني ما غدوت به من رحمتي للصغير ورأفتي على الكبير ورواه عبد الله بن احمد بن حنبل وروى ابو يعلي الموصلي عن عبدة ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف كان اول شأنك فقال كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت انا وابن لها في بهم (١) لنا ولم نأخذ معنا زاداً فقلت يا اخي اذهب فأتنا بزاد من عند امنا فانطلق اخي ومكثت عند البهم فأقبل الي طيران ابيضان كأنهما نسران فقال احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فأقبلا يبتدراني فأخرجاني فبطحاني للقفا فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال احدهما لصاحبه اءتني بماء ثلج فغسلا به جوفي ثم قال اءتني بماء برد فغسلا به قلبي ثم قال ائتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال احدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة وقال احدهما لصاحبه اجعله في كفة واجعل الفاً من امته في كفة فاذا انا لأنظر الى الالف فوقي اشفق ان يخر علي بعضهم فقال لو ان امته وزنت به لمال بهم ثم انطلقا وتركاني وفرقت فرقاً شديداً ثم انطلقت الى امي فأخبرتها بالذي لقيته فأشفقت ان يكون قد التبس بي فقالت أعيذك بالله فرحلت بعيراً لها وجعلتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغتني الى امي فقالت اديت امانتي وذمتي وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها ذلك وقالت اني رأيت خرج مني نور اضاءت منه قصور الشام وبالسند المتصل الى مكحول عن شداد بن اوس انه قال بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل من بني عامر وهو سيد قومه وكبيرهم ومدرههم (٢) يتوكأ على عصاه فقام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه الى جده فقال يا ابن عبد المطلب اني

---

(١) البهم جمع بهمة وهي ولد الضان الذكر والمؤنث وجمع البهم بهام واولاد المعزى السخال فاذا اجتمعا اطلق عليهما البهم والبهام (٢) المدره كمنبر السيد الشريف والمقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال ومنه قولي من قصيدة حماسية :

وسريت في جنح الدياجي للعلا ... حتى غدوت قبيل صبحى مدرها

فشق قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان (١) وعلق الدم فطرحهما ثم قال احدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء (٢) ودعى بالسكينة كأنها درة كهرة بيضاء فأدخلت قلبي ثم قال احدهما لصاحبه خط بطنه فخاطا بطني وجعلا الخاتم بين كتفي فما هو الا ان وليا عني فكأنما اعاين الامر معاينة وروي حديث انس من طرق متعددة في بعضها اختلاف في الالفاظ ولنذكر مواضع الاختلاف منها اتماماً للفائدة فرواه ابن وهب بلفظ اتى رسول الله ثلاث ليال فقيل خذوا خيرهم وسيدهم فأخذوا رسول الله فعمدوا به الى زمزم وفي رواية الزهري ان نبي الله قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري فغسله من ماء زمزم واخرج المحاملي عن ابي بن كعب انه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما اول ما أنكرت من امر النبوة فقال اني لفي صحراء وفي لفظ ابن عشرين واشهر اذ بكلام فوقي يهوي الي اسمعه فأذا رجل يقول للآخر اهو هو قال نعم فاستقبلاني بوجوه وفي لفظ لم ارها لخلق قط لم ار مثل بياضها قط وعليهما ثياب لم ار مثل حسنها وطولها وارواح لم اجد ريحاً من احد قط مثله قال فأخذ احدهما بضبعي(٣) واخذ الآخر بضبعي الآخر لا احد يمسهما مساً فقال احدهما للآخر اضجعه قال

---

(١) مغمز الشيطان هو الذي يغمزه أي يكبسه الشيطان من كل مولود (٢) الملاة الازار والريطة (تذبيل) اختلف الروايات في هذا الباب فروى انه اتاه ملكان وفي رواية ثلاثة فالملكان جبريل وميكائيل والثالث لم يعلم اسمه وفي رواية جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وقد روى الحديث من طريق غريبة تدل على انه نزل عليه كركيان فشق احدهما بمنقاره جوفه ومج الآخر فيه بمنقاره ثلجا وبردا رواها البيهقي وفي رواية نسران ولا منافاة في ذلك لان الروايات ان صحت كانت بحسب الرؤ" وقوله في بعض الروايات فانتقع لونه لبس المراد ان لونه تغير لالم حصل له بل المراد انه خاف لانه امر غريب طرا عليه ولذلك قال ابن الجوزي فشقه وماشق عليه واعلم ان شق صدره صلى الله عليه وسلم عند مرضعته حليمة انما وقع مرة واحدة فما ورد من اختلاف الالفاظ في الاحاديث الواردة في ذلك اما لاخباره بذلك في عدة مجالس كما هو المعلوم فكان يطيل في بعضها ويذكر اشياء يطويها في بعض المجالس الاخرى واما الان كل واحد من رواة احاديث ذلك حدث بماحفظه وترك ما لم يحفظه من ذلك وعبر عما فهمه بعبارة عبر عنها غيره بعبارة اخرى فوقع في بعض الروايات اختصار وطوى بعض اشياء وردت من وجوه وطرق اخرى وروى انه اعيد شق صدره وهو ابن عشر سنين وسيأتي لهذا مزيد بيان في محلة ان شاء الله (٣) الضبع بسكون الباء وسط العضد وقيل هو ما تحت الابط .

الم يأت قومي ان لله دعوة يفوز بها اهل السعادة والبر
اذا بعث المبعوث من آل غالب بمكة فيما بين زمزم والحجر
هنالك فابغوا نصرة ببلادكم بني عامر ان السعادة في النصر

ثم قضى من ساعته .

« باب تطهير قلبه من الغل (١) وانقاح (٢) »
جوفه بالشق والغسل

عن انس بن مالك انه قال اتى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الصبيان فصرعه فشق بطنه ثم استخرج قلبه فشقه فاستخرج منه علقة ثم قال هذا حظ الشيطان منه ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم اعاده مكانه ولأمه (٣) ثم اخاطه قال انس فكنت ارى اثر المخيط على بطنه ورواه ابو يعلي الموصلي وزاد فيه وجاء الغلمان يسعون الى امة يعني ظئره فقالوا ان محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون ورواه ابو القاسم البغوي ورواه ابن وهب ايضاً ولفظه عن انس ان الصلاة فرضت بمكة وان ملكين اتيا رسول الله فذهبا به الى زمزم فشقا بطنه فاخرج حشوته في طست من ذهب فغسلاه بماء زمزم ثم كبسا جوفه حكمة وعلماً واخرج ابو داود الطيالسي عن ابي ذر الغفاري انه قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبي حتى علمت ذلك واستيقنت انك نبي قال يا ابا ذر اتاني ملكان وانا ببطحاء مكة فوقع احدهما على الارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال احدهما لصاحبه اهو هو قال هو هو قال فزنه برجل قال فوزنت برجل فرجحته ثم قال زنه بعشرة فوزناني بعشرة فوزنتهم ثم قال زنه بمائة فرجحتهم ثم قال زنه بالف فوزناني فرجحتهم فجعلوا ينتشرون علي من كفه الميزان قال فقال احدهما للآخر لو وزنته بامته لرجحها ثم قال احدهما لصاحبه اخرج قلبه او قال شق قلبه

---

(١) الغل الحقد والشحناء (٢) انقاح جوفه تطهيره يقال نقح العظم اذا استخرج مخه ونقح الكلام اذا هذبه واحسن اوصافه (٣) اطبق بعضه علي بعض .

فانشده قوله :

كم قد تحطمت القلائص في الدجي　　في مهمه قفر من الفلوات
قل من التوريس ليس بقاعه　　نبت من الاسنات والاربات
اني اتاني في المنام مساعد　　من نحو وجرة كان لي ومواتي
يدعوا اليك لياليا ولياليا　　ثم انثنى عني وليس بآت
فركبت ناجية اضر ببينها　　جرى تخب به على الاكمات
حتى وردت الى المدينة جاهدا　　كيما انال فنفرج اللذات

قال فاستحسنها رسول الله وقال ان من البيان لسحرا وان من الشعر كالحكم وروى ابن ابي شيبة عن طلحة قال وجد في البيت كتاب في حجر منقور في الهدمة الاولى فدعى رجل فقرأه فاذا فيه عبدي المنتخب المتمكن المنيب المختار مولده بمكة ومهاجره طيبة لايذهب حتى يقيم السنة العوجاء ويشهد ان لا اله الا الله امته الحامدون يحمدون الله بكل اكمة يأتزرون على اوساطهم ويطهرون اطرافهم وروى الخرائطي عن جامع بن خيران انه قال لما حضرت بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر الوفاة اجتمع اليه قومه من غسان فقالوا انه قد حضر من امر الله ماترى وقد تركنا نأمرك بالتزويج في شبابك فتأبى وهذا اخوك الخزرج له خمسة بنين وليس لك ولد غير مالك قال لن يهلك ترك مثل مالك ان الذي يخرج النار من الوشمة قادر أن يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا وكل الى موت ثم اقبل على مالك فقال أي بني المنية ولاالدنية والعقاب ولا العتاب والتجلد ولا التلدد القبر خير من الفقر انه من قل ذل ومن كرم الكريم الدفع عن الحريم والدهر يومان فيوم لك ويوم عليك فاذا كان لك فلا تبطر واذا كان عليك فاصطبر وكلاهما سينحسر ليس يفلت منهما الملك المتوج ولا اللئيم المعلج سلم ليومك حياك ربك ثم قال :

شهدت السبايا يوم آل محرق　　وادرك عمري صيحة الله في الحجر
فلم ارذا ملك من الناس واجدا　　ولا سوقة الا الى الموت والقبر
فعل الذي اردى ثمودا وجرهما　　سيعقب لي نسلا على آخر الدهر
تقربهم من آل عمرو بن عامر　　عيون لذي الداعي الى طلب الوتر
فان تكن الايام ابلين جدتي　　وشيبن رأسي والمشيب مع العمر
فان لنا ربا علا فوق عرشه　　عليما بما نأتي من الخير والشر

فقام وركبنا واغتفرنا هذه له ومكثنا بعد ذلك حينا ثم دعانا فقال هل لكم في غزوة تهب لكم عزا وتجعل لكم حرزا ويكون في ايديكم كنزا قلنا ما احوجنا الى ذلك فقال اركبوا فركبنا وقلنا ماتقول فقال بنوا الحارث بن مسلمة ثم قال قفوا فوقفنا ثم قال عليكم بفهم ثم قال ليس لكم فيهم دم بمضرهم ارباب خيل ونعم ثم قال لارهط دريد بن الصمة قليل العدد وفي الذمة ثم قال لا ولكن عليكم بكعب بن ربيعة واشكروها صنيعة عامر بن صعصعة فلتكن فيهم الوقيعة قال فلقيناهم فهزمونا وفضحونا فرجعنا وقلنا ويلك ماذا تصنع بنا قال مادري كذبني الذي يصدقني اسجنوني في بيتي ثلاثا ثم ائتوني ففعلنا به ذلك ثم اتيناه بعد ثالثة ففتحنا عنه فاذا هو كأنه جمرة نار فقال يا معشر دوس حرست السماء وخرج خير الانبياء قلنا اين قال بمكة وانا ميت فادفنوني في رأس جبل فاني سوف اضطرم نارا وان تركتموني كنت عليكم عارا فاذا رأيتم اضطرامي وتلهبي فاقذفوني بثلاثة احجار ثم قولوا مع كل حجر باسمك اللهم فاني اهدأ واطفأ قال وانه مات فاشتعل نارا ففعلنا به ما امر وقذفناه بثلاثة احجار نقول مع كل حجر باسمك اللهم فخمد وطفى واقمنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرونا بمبعثك يارسول الله وروى ابن أبي شيبة عن ابن عباس انه قال ان قريشا اتوا امرأة كاهنة فقالوا لها اخبرينا باشبهنا بصاحب هذا المقام يعني ابراهيم عليه السلام فقال ان انتم جزرتم كبيشا على هذه السهلة ثم مشيتم انبأتكم قال فجزروا ثم مشى الناس عليها فابصرت محمد بن عبد الله فقالت هذا اقربكم اليه شبها قال فمكثوا بعد ذلك عشرين سنة او ماشاء الله ثم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقال رجل من خثعم كانت العرب لاتحرم حلالا ولا تحلل حراما وكانوا يعبدون الاوثان ويتحاكمون اليها قال فبينما هم ذات ليلة عند وثن لنا جلوس وقد تقاضينا اليه في شيء وقع بيننا ليفرق بيننا اذ هتف بنا هاتف يقول :

يا ايها الناس ذووا الاجسام ما انتم وطايش الاحلام

الى آخر الابيات المتقدمة وانما كررنا القصة لزيادة يسيرة رأيناها بها وروى البيهقي عن نايل بن طفيل بن عمرو الدوسي ان النبي صلى الله عليه وسلم قعد في مسجده عند منصرفه من الطائف فقدم عليه حقاف بن نضلة الثقفي

اعدل ذي حكم من الحكام يأمر بالصلاة والصيام
والبر والصلات للارحام ويزجر الناس عن الآثام
والرجس والاوثان والحرام من هاشم في ذروة السنام
مستعلناً في البلد الحرام

قال فلما سمعنا ذلك تفرقنا عنه واتينا النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وروى الخرائطي عن مرداس بن قيس الدوسي انه قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت عنده الكهانة وما كان مما من يعنوها عند مخرجه فقلت يا رسول الله قد كان عندنا من ذلك شيء اخبرك به ان جارية منا يقال لها خلصة لم نعلم عليها الا خيراً اذ جاءتنا فقالت يا معشر دوس العجب العجب لما اصابني هل علمتم الا خيراً قلنا وما ذاك قالت اني لفي غنمي اذ غشيتني ظلمة ووجدت كحس الرجل مع المراة وقد خشيت ان اكون قد حبلت حتى اذا دنت ولادتها وضعت غلاماً ما اغضف (١) له اذنان كأذني الكلب فمكث فينا حتى انه ليلعب مع الغلمان اذ وثب وألقى ازاره وصاح بأعلا صوته وجعل يقول يا ويله يا ويله يا عوله يا عولها يا ويل غنم ويا ويل فهم من قابس النار الخيل والله وراء العقبة فيهن فتيان حسان نجبة قال فركبنا فأخذنا الاداة وقلنا يا ويلك ما ترى قال اهل من جارية طامث (٢) قلنا من لنا بها فقال شيخ مناهي والله عندي عفيفة الام فقلنا فجعلها فأتى بالجارية وطلع الجبل وقال للجارية اطرحي ثوبك واخرجي في وجوههم وقال للقوم اتبعوا اثرها ثم صاح برجل منا يقال له احمر بن حابس فقال يا احمر بن حابس عليك اول فارس فحمل احمر فطعن اول فارس فصرعه وانهزموا وغنمناهم قالوا فابتنينا عليه بيتا وسميناه ذا الخلصة وكان لا يقول لنا شيئا الا كان كما يقول حتى اذا كان مبعثك يارسول الله قال لنا ذات يوم يامعشر دوس نزلت بنوا الحارث بن كعب فاركبوا فركبنا فقال لنا اكدسوا (٣) الخيل كدسا واحشوا القوم رمسا القوهم غدية واشربوا الخمر عشية قال فلقيناهم نهزمون وفضحونا فرجعنا اليه فقلنا ما حالك وما الذي صنعت بنا فنظرنا اليه وقد احمرت عيناه وابيضت اذناه وانزم غيظاً حتى كاد ان ينفطر واقامنا

(١) قال في الصحاح الغضف بالتحريك استرخاء الاذن (٢) حائض (٣) الكدس اسراع المثقل في السير أي اسرعوا في الجبل اسراعا .

وما يكون من امره فمات ابن ذي يزن قبل ان يحول الحول فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول يا معشر قريش لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان كثر فانه الى نفاد ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره فاذا قيل له وما هو او متى ذلك قال سيعلم ولو بعد حين وفي ذلك يقول امية بن عبد شمس :

جلبنا النضح نحقبه المطايا على اكوار اجمال ونوق (١)
مغلغلة مراتعها تعالى الى صنعاء من فج عميق (٢)
تؤم بنا ابن ذي يزن ويعري ذوات بطونها أم الطريق (٣)
وترعى من مخالبه عروقا مواصلة الرميض الى بروق (٤)
فلما وافقت صنعاء حلت بدار الملك والحسب العتيق

قال البيهقي وقد روي هذا الحديث في تاريخ اليمن من طريق الكلبي وقال محمد بن اسحق حدثني شيخ من الانصار يقال له عبد الله بن محمود من آل محمد بن مسلمة قال بلغني ان رجالا من خثعم كانوا يقولون ان مما دعانا الى الاسلام انا كنا قوماً نعبد الاوثان فبينا نحن ذات يوم عند وثن لنا اذ اقبل نفر يتقاضون اليه يرجون الفرج من عنده لشيء شجر بينهم يعني وقع فيه خلاف بينهم اذ هتف بهم هاتف من الصنم فجعل يقول :

يا ايها الناس ذوي الاجسام من بين اشياخ الى غلام
ما انتم وطائش الاحكام ومسند الحكم الى الاصنام
اكلكم في حيرة نيام أم لا ترون ما ارى امامي
من ساطع يجلو دجى الظلام قد لاح للناظر من نهام
ذاك نبي سيد الانام قد جاء بعد الكفر بالاسلام
اكرمه الرحمن من امام ومن رسول صادق الكلام

---

(١) النضح والنضاح الغلمان وهم العبيد ونحقبه نردفه على المطايا والاكوار جمع كور بضم الكاف وهو الرحل باداته والاجمال جمع جمل (٢) تغلغل في الشيء دخل فيه ومعناه انها داخلة في مراتعها يعني مرعاها وهي تعالى أي تصعد والفج الطريق الواسع بين الجبلين والعميق البعيد (٣) تؤم تقصد وقوله ويعري الخ معناه ان أم يعني قصد الطريق يجعل ذوات بطونها أي ما فيهاخالية من الغذاء وهو كناية عن الجوع (٤) خلب النبات قطعه أي ترعى من النبات المقطوع عروقا حالة كونها مواصلة الرمضين وهو شدة وقع الشمس على الارض والمراد شدة الحر حتى تنتقل الى بروق وهو مواقع الغيث .

قال اذا ولد مولود بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة قال عبد المطلب ابيت اللعن لقد ابت بخير ما آب به وفد قوم ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته من ان يزيدني من السرورة اياي سرورا قال ابن ذي يزن هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اوليائه ويذل بهم اعداؤه يضرب بهم الناس عن عرض ويستفتح بهم كرائم الارض يكسر الاوثان ويخمد النيران ويعبد الرحمن ويزجر الشيطان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد المطلب ايها الملك عز جدك وعلا كنفك ودام ملكك وطال عمرك فهل الملك سارني بافصاح قد وضح لي بعض الايضاح فقال ابن ذي يزن والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب انك يا عبد المطلب لجده غير كذب فخر عبد المطلب ساجدا فقال ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا امرك فهل احسست شيئا مما ذكرت لك فقال ايها الملك كان لي ابن وكنت به معجبا وبه رفيقا فزوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب فجاءت بغلام فسميته محمدا فمات ابوه وامه فكفلته انا وعمه قال ابن ذي يزن ان الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولم يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست آمنا ان تدخلهم التعاسة من ان تكون لكم الرياسة فيطلبون له الغوائل وينصبون له الحبائل وهم فاعلون ذلك او اتباعهم غير شك ولولا اني اعلم ان الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى اجعل مدينة يثرب دار ملكي فاني اجد الكتاب الناطق والعلم السابق يقول ان يثرب هي استحكام امره واهل نصرته وموضع قبره ولولا اني اقيه الآفات واحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه امره ولا وطأت على اسنان العرب يعني شجعاتهم وشيوخهم كعبه ولكني صارف ذلك اليك عن غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم فامر لكل رجل منهم بعشرة اعبد سود وعشرة اماء سود ومائة من الابل وحلتين من البرود وبخمسة ارطال ذهب وعشرة ارطال فضة وكرش مملوء عنبرا وامر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال اذ جاءك الحول فأتني بخبره

اخضران مرتديا باحدهما متزرا بالآخر وسيفه بين يديه وعن يمينه وعن شماله الملوك والقواد وفي لفظ وهو جالس على سرير من ذهب وحوله اشراف اليمن على كراسي من الذهب فدخل عليه الآذن فاخبره بمكانهم فدنا عبد المطلب واستأذنه في الكلام فقال له ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد اذنا لك فقال عبد المطلب ان الله احلك ايها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا باذخا شامخا وانبتك منبتا طابت ارومته وعزت جرثومته ونبت اصله وبسق فرعه في اكرم موطن واطيب معدن فانت ابيت اللعن ملك العرب وربيعها الذي تخصب به البلاد ورأس العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي يلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا منهم خير خلف ولن يهلك الله من انت خلفه ولن يخمل ذكر من انت سلفه. ونحن ايها الملك اهل حرم الله وسدنة بيته اشخصنا اليك الذي ابهجنا من كشف الضر الذي قدحنا أي اثقلنا فنحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة فقال سيف من انت ايها المتكلم فقال انا عبد المطلب بن هاشم فقال ابن اخينا قال نعم قال ادنه فادناه ثم اقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا واهلا وان لمثلها مثلا. وكان اول من تكلم بها. وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا (١) يعطي عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانتم اهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما اقمتم والحباء اذا ظعنتم (٢) ثم قال لهم انهضوا الى دار الضيافة والوفود والاقامة واجري عليهم الانزال فاقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا يأذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فادنى مجلسه واخلاه ثم قال يا عبد المطلب اني مفض اليك من سر علمي امرا لو غيرك يكون لم ابح به اليه ولكني رأيتك معدنه فاطلعتك طليعته فلتكن عندك مطوية حتى يأذن الله تعالى فان الله تعالى بالغ امره اني اجد في الكتاب والعلم المخزون الذي ادخرناه لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة العلم وفخر الممات للعرب عامة ولرهطك كافة ولك خاصة قال عبد المطلب ايها الملك مثلك سر وبر فما هو فداك اهل الوبر زمرا بعد زمر

---

(١) الربحل بكسر الراء وفتح الباء الكثير العطاء والجزل العظيم الكثير (٢) الحباء العطاء وظعنتم اتمتم والانزال لوازم الضيافة .

غمدان (١) الذي ذكره امية بن ابي الصلت بقوله :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعا في رأس غمدان دار منك محلالا (٢)

واشرب هنيأ فقد شالت نعامتهم واسبل اليوم في برديك اسبالا (٣)

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا (٤)

وكان الملك مضمخا بالعنبر يلوح وبيص المسك في مفرق رأسه وعليه بردان

---

(١) غمدان بضم الغين المعجمة وسكون الميم كعثمان اسم قصر وكان احد القصور التي بنيت لبلقيس بامر من سليمان عليه السلام وفي القاموس غمدان كعثمان قصر بناه يشرخ باربعة وجوه احمر وابيض واصفر واخضر وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف بين كل سقفين اربعون ذراعا قال في التاج واختلف في بانيه فقيل هو سليمان وفي الروض الانف هو حصن كان لهوذة بن علي ملك اليمامة وذكر ابن هشام ان غمدان انشأه يعرب بن قحطان واكمله بعده وائل بن حميد بن سبا وكان ملكا متوجا كأبيه وجده والذي رجحه جماعة انه من بناء يشرخ بن الحارث ابن صيفى بن سبا جد بلقيس وهذا القصر لم يزل قائما حتى هدمه عثمان رضي الله عنه . وقصة الواقعة المذكورة ان اعراب الحبش كانوا قد استولوا على ملك اليمن واهلكوا الحرث والنسل وعاثوا في البلاد وافسدوا فيها فلما طال البلاء على اهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن الحميري حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكى اليه امر الحبشة وسأله ان يدفعهم عن البلاد ويبعث الى اليمن من شاء من الروم فيكون ملك اليمن فلم يشكه فاتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من ارض العراق وشكا اليه حالة اليمن فقال له النعمان ان لي وفادة على كسرى في كل عام فاقم عندي حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فادخله على كسرى وكان يجلس في ايوانه فاذا كان على رأسه التاج برك من رآه لهيبته فشكى اليه حالة اليمن فلم يشكه وانعم عليه بعشرة آلاف درهم فلما خرج من عنده اخذ ينثر الدراهم على الناس فعلم كسرى فسأله عن السبب فقال ما اصنع به ماجبال ارضى التي جئت منها الا ذهب وفضة وانما قال ذلك ليرغبه فيها فجمع كسرى وزرائه فقال ماترون في امر هذا الرجل وحاله فقالوا ان في سجونك رجالا قد حبستهم للقتل فلو بعثتهم فان يهلكوا كان الذي اردت بهم وان ظفروا كان ملك لك ازددته فبعث معه كسرى من كان في سجونه وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم رجلا من عنده يقال له وهزر ثم ارسلهم كسرى مع سيف وضم اليهم رجالا فكان الجيش سبعة آلاف وخمسمائة فارس من الفرس ثم جمع سيف الى هذا الجيش ما استطاع من قومه فخرج اليهم مسروق بن ابرهة ملك اليمن والتحم القتال حتى ولت الحبشة وانهزموا ودخل وهزر وجيشه صنعاء وصارت اليمن بيد الفرس يتداولون ملكها حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وكانت ملوك اليمن تحت امارة امراء كسرى (٢) محلالا حال من فاعل اشرب والمعنى اشرب حال كونك محلالا أي كثير الحلول (٣) شالت نعامتهم يقال شالت نعامة القوم اذا ماتوا وتفرقوا كأنهم لم يبق منهم الا بقية والنعامة الجماعة قاله في النهاية (٤) القعبان تثنية قعب وهو قدح يروى الرجل قاله الزمخشري في اساس البلاغة وقوله شيبا معناه خلطا .

جمع حقف وهي ما انعطف من الارض والرمل والدعادع من دعدعت الريح الشجر اذا حركته تحريكاً شديداً ودعادع شدائد والموئل المكان الذي يلجأ اليه ومهويل مخوف والطود الجبل واديهب الظلمة وعسعس اشتدت ظلمته وقيل ادبار الليل والاجم غابة الاسود ودجيات جمع دجية وهي الظلمة وكذلك الدياجي والبهم واكترث معناه كان له به عناية واهتمام والمور الطريق السهلة ويشقشق يهدر ولغب يغب دهش واعجب به وخوزان وما بعده انواع من النبت والاب المرعى ونهلت شربت وعللت شربت ايضاً شربة ثانية بعد اولة وتهدّل تذلل واسترخى البرير ثمر الاراك والملحود الذي في اللحد والجدث القبر وفرقوا خافوا والمنهج الباقي وخوارة رخوة وتغرغرت تردد فيها الدمع وجدكما معناه جدكما وهو ضد الهزل والصدا الصوت الذي يسمعه المصوت عقيب صياحه راجعاً اليه من الجبل والبناء المرتفع ولا يكون الصدى الا للحي المصوت او للصوت . وعوله مأخوذ من العويل وهو البكاء . واللوعة الوجد . والعقار الخمر والوقاية ما توقى به الشيء والفداء ممدود لكنه قصره لضرورة الشعر والقصر لغة فيه والامة الجماعة والامة المعلم للخير والامة الواحد في الخير والله تعالى اعلم .

« وفود قريش على سيف بن ذي يزن »

روى البيهقي وغيره ومحمد بن السائب الكلبي عن ابي صالح السمان عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما ظهر النعمان بن قيس على الحبشة ولفظ البيهقي لما ظهر سيف بن ذي يزن وهو الصحيح وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين اتته وفود العرب وشعرائها واشرافها تهنيه بما ساق الله اليه من الظفر وتمتدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه وقد كان فيمن اتاه من الوفود وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم وامية ابن عبد شمس وعبد الله جدعان وخويلد بن اسد ووهب بن عبد مناف ابن زهرة في ناس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء فاذا هو في رأس

نه امة وحدة . هذا حديث غريب .

« تفسير الالفاظ اللغوية الواقعة فيه »

السحوق الطويلة والعتيق الفحل من الابل والدنيل ضرب من السير وهو اعلى من العنق والضرغام من اسماء الاسد ودوموا من تدوير العمامة وهو من الدوامة التي تستدام وتردوا ارتدوا السيوف جعلوها بمنزلة الاردية فتقلدوها والغيل الشجر الملتف وذو لبدة الذي تكاثف وبره على منكبه ومهول من الهول ومثلوا انتصفوا ودلف مشى بسرعة مع تقارب الخطا وحسر كشف والفرقد الارض الغليظة المرتفعة ذات الحصى والآل السراب والصحاصح جمع صحصح وهو الفضاء الواسع وتخال تظن والكلال التعب ودهماء برية سوداء وارقلتها من الارقال وهو ضرب من السير والقلاص جمع قلوص وهي الناقة والجياد الخيل وتجمع من جمع الفرس اذا اعتن فارسه على رأسه حين عثرته والكماة جمع كمى وهو الفارس الذي عليه آلة الحرب والحوبة واحدة الحوب وهو الاثم والرائد الذي يرسله القوم ليكشف لهم مواضع العشب والماء والبتول المرأة التي قطعت عن الازواج واقفوا اتبع واطلب والسبط ههنا الامة وفي غير هذا الموضع ولد الولد ويتقفر يطلب الارض الخالية من الانيس ويكنه يغطيه ويتحسى يحسو وبيض النعام كانوا يملؤن البيض ماء ويدفنوه في الارض التي لا ماء فيها فاذا احتاجوا الى الماء استخرجوا بيض النعام وحسوا ما فيه وتأله تعبد والحقب جمع حقبة وهي السنة وجواه طول مرضه والخافقان هو الجو ومطاراً معناه قد استطار وعلا والاشمط شائب الشعر وحوسة من خشب اصل الحوس شدة الاختلاط ومداركة الضرب ورجل احوس جريء لا يرده شيء والمعنى هنا طلب شيئاً مع شدة الطلب له ويحار يرجع والاورق البعير الذي في لونه رمدة والمرتق المعجب والاشتان المتفرقون والدجى الاسود وزناج بات والابان الوقت والكلل الصدر وغابر يأتي ومنيف مشرف لطوله واشدق واسع الشدقين وشرب هرب والفيافي البراري وكذلك النفانف سميت بذلك لكثرة الهواء بها والتنائف جمع تنوفة وهي القفر من الارض وكذلك الفيافي ايضاً والحقائف

بها مطيرا وباكرها المزن بكورا فخلالها شجر وقرارها نهر فجعل يرتع ابيا واصيد ظبيا حتى اذا آكل واكلت ونهلت ونهل وعلت وعلل وحللت عقاله وعلوت خلاله واسعة سخاله واغتنم الجملة وتركا لنيله يسبق الريح ويقطع عرض البر الفسيح حتى اشرف بي على واد وشجر من شجر عال مورقة مونقة قد هدلت اغصانها كأنما بزرها حب فلفل فدنوت فاذا انا بقس بن ساعدة في ظل شجرة بيده قضيب من اراك ينكث به الارض وهو يترنم ويشعر فيقول :

يا ناعي الموت والملحود في جدث　　علمهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوماً يصاح لهم　　فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا
حتى يعودوا بحال غير حالهم　　خلقا جديداً كما من قبله خلقوا
منهم عراة وفيهم في ثيابهم　　منها الجديد ومنها المنهج الخرق

قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام واذا انا بعنز خوارة في الارض ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به ويتمسحان باثوابه واذا احدهما سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر الى الماء فضربه بالقضيب الذي في يده وقال ارجع ثكلتك امك حتى يشرب الذي ورد قبلك على الماء قال فرجع ثم ورد بعده فقلت له ماهذان القبران فقال هذان قبرا اخوين لي كانا يعبدان الله تعالى في هذا المكان لايشركان بالله شيئا فادركهما الموت فقبرتهما وها انا بين قبريهما حتى الحق بهما ثم نظر اليهما فتغرغرت عيناه بالدموع وانكب عليهما وجعل يقول :

الم تريا اني بشمعان مفرد　　ومالي فيها من خليل سواكما
خليلي هبا طال ما قد رقدتما　　اجد كما لا يقضيان كراكما
الم تريا اني بشمعان مفرد　　ومالي فيها من خليل سواكما
مقيم على قبريكما لست مبارحا　　طوال الليالي او اغيب حداكما
ابكيكما طول الحياة وما الذي　　يرد على ذي عولة اتكاكما
يأننا والموت اقرب غائب　　بروحي في قبريكما قد اتاكما
آمن طول يوم لا بجيبان داعياً　　كأن الذي يسقي العقار سقاكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية　　لجدت بنفسي ان تكون فداكما

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا اني ارجوا ان يبعثه

الصوت فقال ياسيد المرسلين وصفوة رب العالمين لقد رايت من قس عجبا وشهدت منه مرغبا فقال وما الذي رأيته منه وحفظته عنه فقال خرجت في الجاهلية اطلب بعيرا لي شرد مني افقو اثره واطلب خبره في فيافي او حقائف ذات دعادع وزعادع وليس للركب فيها مقيل ولا لغير الجن سبيل واذا بموئل هول في طود عظيم ليس به الا اليوم وادركني الليل فولجته مذعورا لا آمن فيه حتفي ولا اركن الى غير سيفي فبت بليل طويل كانه بليل موصول ارهب الكوكب وارمق الغيهب حتى اذا عسعس الليل وكاد الصبح ان يتنفس هتف بي هاتف يقول :

يا أيها الراقد في الليل الاجم قد بعث الله نبيا في الحرم
من هاشم اهل الوفاء والكرم يجلو دجنات الدياجي والظلم

قال فادرت طرفي فما رأيت شخصاً ولا سمعت له فحصا فانشأت اقول :

يا ايها الهاتف في داجي الظلم اهلا وسهلا بك من طيف الم
بين هداك الله في لحن الكلم ماذا الذي تدعو اليه يغتنم

قال فاذا انا بنحنحة وقائل يقول ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمدا بالخير صاحب النجيب الاحمر والتاج والمغفر والوجه الازهر والحاجب الاقمر والطرف الاحور صاحب قول شهادة ان لا اله الا الله فذلك محمد المبعوث الى الاسود والابيض اهل المدر والوبر ثم انشأ يقول :

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث
لم يخلقنا سدى من بعد عيسى والمرث
ارسل فينا محمدا خير نبي قد بعث
صلى الله عليه ما حج له ركب وحث

قال فذهلت عن البعير والبسني السروح ولاح الصباح واتسع الايضاح فنزلت المور واخذت الجبل فاذا انا بالعتيق يشقشق الى النوق فاخذت بخطامه وعلوت سنامه فمرح طاعة وهزته ساعة حتى اذا لعب وذل منه ما صعب وحميت الوسادة وبردت المزادة فاذا الزاد قد هش له الفؤاد بركته فبرك واذنت له فنزل في روضة خضرة نضرة عطرة ذات حوذان وقريان وعنقران وعنبران ونعنع وشيح وخلى واتاح وخيتحات ونزار وشقائق وبهار كأنها قد مات الجو

رضي الله عنه قائماً فقال يا رسول الله اني احفظه وكنت حاضراً ذلك اليوم بسوق عكاظ حين خطب فأطنب ورغب ورهب وحذر وانذر وقال في خطبته ايها الناس اسمعوا وعوا واذا دعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت نبات ومطر وارزاق واقوات واباء وامهات واحياء واموات جميع واشتات وآيات بعد آيات ان في السماء لخبراً وان في الارض لعبرا ليل داج وسماء ذات ابراج وارض ذات ارتياج وبحارا ذات امواج (١) مالي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا أم تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما لم يكن خائنا فيه ولا آثماً ان لله دينا هو احب اليه من دينكم الذي عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم زمانه وادركم ابانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يامعشر اياد من الاباء والاجداد من المريض والعواد اين الفراعنة الشداد اين من بني وشيد وزخرف وجدد وغره المال والولد اين من طغى وبغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى الم يكونوا اكثر منكم اموالا وابعد منكم آمالا واطول منكم اجالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فصارت عظامهم بالية وبيوتهم خالية وعمرتها الذئاب العادية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم انشأ يقول :

في الذاهبين الاولـ — ين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا — للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها — تمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي — ولا من الباقين غابر

ورواية الخرائطي في كتاب هواتف الجان :

لا من مضى يأتي اليـ — ك ولا من الماضين غابر
ايقنت اني لا محا — لة حيث صار القوم صائر

قال فجلس ثم قام رجل من الانصار بعده كأنه قطعة جبل ذو هامة عظيمة وقامة جسيمة قد دور عمامته وارخى ذؤابته منيف منوف اشدق حسن

---

(١) وفي كتاب المعمرين زيادة وهي نجوم تغور وبحار تمور ولا تغور وسقف مرفوع ومهاد موضوع

مد يدك فأنا اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله قال فآمن الجاورد وآمن من قومه كل سيد فسر رسول الله به سروراً وابتهج حبورا وقال يا جاورد هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قساً (٢) فقال كلنا نعرفه يا رسول الله وانا من بين قومي كنت اقفوا اثره واطلب خبره وهو سبط من اسباط العرب صحيح النسب فصيح اذا خطب ذا شيبة حسنة عمر سبعمائة سنة يتقفر القفار لا تكنه دار ولا يقره قرار يتحسى في تقفره بيض النعام ويأنس بالوحش والهوام يلبس المسوح ويتبع السياح على منهاج المسيح لا يفر من الرهبانية ويقر لله بالوحدانية تضرب بحكمته الامثال وتكشف به الاهوال وتتبعه الابدال ادرك رأس الحواريين شمعان فهو اول من تأله من العرب واعبد من تعبد في العقب وايقن بالبعث والحساب وحذر سوء المنقلب والممات ووعظ بذكر الموت وامر بالعمل قبل الفوت الحسن الالفاظ الخاطب بسوق عكاظ العالم بشرق وغرب ويابس ورطب واجاج وعذب كأني انظر اليه والعرب بين يديه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب اجله وليوفين كل عامل عمله وانشأ يقول :

هاج القلب من جواه اذا كا ... ن وليال خلا لهن نهار
ونجوم يحثها قمر اللي ... ل وشمس في كل يوم تدار
ضوؤها يطمس العيون وارعا ... د شديد في الخافقين مطار
وغلام واشمط ورضيع ... كلهم في التراب يوما يزار
وقصور مشيدة حوت الخ ... ير واخرى خلت لهن فقار
وكبير مما تقصر عنه ... جوبة الناظر الذي لايحار
والذي قد ذكرت دل على الل ... ه نفوسا لها هدو واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك ياجاورد فلست انساه بسوق عكاظ على جمل له اورق وهو يتكلم بكلام موثق ماظن اني احفظه فهل فيكم يامعشر المهاجرين والانصار من يحفظ لنا منه شيئا فوثب ابو بكر الصديق

---

(١) قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر وقيل حذافة بن زهر بن اياد بن نزار كذا في كتاب المعمرين لابي حاتم السجستاني وقال عنه انه اول من آمن بالبعث من اهل الجاهلية واول من توكأ على عصا واول من قال اما بعد وكان من حكماء العرب .

رجل منهم كالنخلة السحوق على ناقة كالفحل العتيق قد جنبوا الجياد واستعدوا للجلاد مجدين في مسيرهم حازمين في امرهم يسيرون ميلا ويقطعون ميلا فميلا حتى اناخوا عند مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل الجارود على قومه والمشائخ من بني عمه فقال يا قوم هذا محمد الاغر سيد العرب وخير بني عبد المطلب فاذا دخلتم عليه ووقفتم بين يديه فاحسنوا عنده الاسلام واقلوا عنده الكلام فقالوا باجمعهم ايها الملك الهمام والاسد الضرغام لن نتكلم ان حضرت ولن نتجاوز ما امرت فقل ماشئت فانا سامعون واعمل ماشئت فانا تابعون فنظر الجارود في كل كمي صنديد قد دوموا العمائم واتزروا بالصوارم يسحبون أذيالهم ويتناشدون الاشعار ويتذاكرون مناقب الاخيار لا يتكلمون طويلا ولا يسكتون عناء ان امرهم ائتمروا وان زجرهم انزجروا كأنهم اسد يقدمها ذو لبدة مهول حتى مثلوا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل القوم المسجد وابصرهم من كان به دلف الجارود امام النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه وانشأ يقول :

يا نبي الهدى اتتك رجال	قطعت نداُفدا وآلا فآلا
وطوت نحوك الصحاصح طرا	لا تخال الكلال فيك كلالا
كل دهناء يقصر الطرف عنها	ارقلتها قلاصنا إرقالا
وطوتها الجياد تجمح فيها	بكماة كالنجم تتلألأ
تتقي دفع بؤس يوم عبوس	اوجل القلب ذكره ثم هالا

فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فرح فرحا شديدا وقربه وادناه ورفع مجلسه وحياه واكرمه وقال يا جاورد لقد تأخر بك وبقومك الموعد وطال بكم الامد فقال والله يا رسول الله لقد اخطأ من اخطأك قصده وعدم رشده وتلك وايم الله خسة واعظم حوبة والرائد لا يكذب اهله ولا يغش نفسه لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذي بعثك بالحق نبياً واختارك للمؤمنين اماماً اني لانا قد وجدت وصفك في الانجيل وقد بشر بك ابن البتول (١) فطول التحية لك والشكر لمن اكرمك وارسلك لا اثر بعد عين ولا شك بعد يقين

---

(١) قال ابن اسحاق قدم الجارود على النبي صلى الله عليه وسلم وكان نصرانيا فقال يا رسول الله اني علي دين واني تارك ديني لدينك فتضمن لي بما فيه فقال نعم انا ضامن لذلك ان الذي ادعوك اليه خير من الذي كنت عليه فاسلم واسلم اصحابه .

شيبة عن شعيب بن شعيب عن ابيه عن جده انه قال كان بمر الظهران راهب يقال له عيصا من اهل الشام وكان متخفرا بالعاص بن وائل وكان قد اتاه الله علما كثيرا وجعل فيه منافع كثيرة لاهل مكة من طب ورفق وعلم وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة في كل سنة فيلقى الناس ويقول انه يوشك ان يولد فيكم مولود يا اهل مكة تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فمن ادركه واتبعه اصاب خيرا كثيرا واصاب حاجته ومن ادركه وخالفه فقد اخطأ حاجته وتالله ماتركت ارض الخمر والخمير والامن ولا حللت ارض البؤس والجوع والخوف الا في طلبه وكان لا يولد بمكة مولود الا سأل عنه فيقول ما جاء بعد فيصفه ويكتم ذلك الذي قد علم انه يلقاه من قومه مخافة على نفسه ان يكون ذلك داعية الى ان يؤذى يوما من الايام فلما كانت صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى اتى عيصا فوقف في اصل صومعته ثم نادى يا عيصا فناداه من هذا فقال انا عبد الله فاشرف عليه فقال كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت احدثكم به ولد يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين قال فانه قد ولد لي مع الصبح مولود قال فما سميته قال محمدا فقال والله لقد كنت اشتهي ان يكون هذا المولود فيكم اهل البيت لثلاث خصال بها نعرفه فقد اتى عليهن منها ان نجمه طلع البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمدا انطلق فان الذي كنت احدثكم عنه هو ابنك قال فما يدريك انه ابني ولعله ان يولد من غيري فان ههنا مولودين عدة فقال قد وافق ابنك الاسم ولم يكن الله عز وجل ليشبه علمه على العلماء لانهم حجته وآية ذلك الآن يشتكي اياما ثلاثة ثم يعافى فاحفظ لسانك وفمك فانه لم يحسد حسده احد قط ولم يبغ على احد كما يبغي وان يعين عليه حتى تبدو معالمه ثم يدعو فيظهر لك من قومك ما لاتحتمله الا على صبر وعلى ذل فاحفظ لسانك قال فما عمره قال ان طال عمره او قصر لم يبلغ السبعين يموت في ستين او في احدى وستين او ثلاث وستين وبين الستين والسبعين اكثر اعمارا امته وروى البيهقي عن ابن عباس قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيدا في قومه مطاعا عظيما في عشيرته ظاهر الادب شامخ النسب بديع الجمال حسن الفعال ذا منعة ومال في وفد عبد القيس من ذوي الاخطار والاقدار والفضل والاحسان كل

وخرت له الاوثان طرا وان عدت قلوب ملوك الارض طرا من الرعب
ونار جميع الفرس ناحت واظلمت وقد باتشاه الفرس فيأعظم الكرب
وصدت عن الكهان بالغيب جنها فلا مخبر منهم بحق ولا كذب
فيآل قصي ارجعوا عن ضلالكم وهبوا الى الاسلام والمنزل الرحب

فلما سمعوا ذلك خلصوا نجياً فقال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض فقالوا اجل فقال لهم ورقة بن نوفل تعلمون والله ما قومكم على دين ولقد اخطأوا المحجة وتركوا دين ابراهيم ما حجر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر يا قوم التمسوا لانفسكم ديناً قال فخرجوا عند ذلك يضربون في الارض ويسألون عن الحنيفية دين ابراهيم فأما ورقة فتنصر وقرأ الكتب حتى علم علماً واما عثمان بن الحويرث فسار الى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده واما زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فحبس ثم انه خرج بعد ذلك فضرب في الارض حتى بلغ الرقة من ارض الجزيرة فلقي بها راهباً عالماً فأخبره بالذي يطلب فقال له الراهب انك لتطلب ديناً ما تجد من يحملك عليه ولكن قد اظلك زمان نبي يخرج من بلدك يبعث بدين الحنيفية فلما قال له ذلك رجع يريد مكة فعدت عليه لخم فقتلوه واما عبيد الله بن جحش فأقام بمكة حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج مع من خرج الى ارض الحبشة فلما صار بها تنصر وفارق الاسلام فكان بها هناك حتى مات نصرانياً وروى ابن سعد ان ابا طالب لما اراد المسير الى الشام قال له النبي صلى الله عليه وسلم اي عم الى من تخلفني ههنا فمالي ام تكفلني ولا احد يؤويني فرق له ثم اردفه خلفه فخرج به فنزلوا على صاحب دير فقال له صاحبه ما هذا الغلام منك قال ابني فقال له ما هو بابنك ولا ينبغي ان يكون له اب حي قال ولم قال لان وجهه وجه نبي وعينيه عيني نبي قال وما النبي قال الذي يوحى اليه من السماء فينبىء به اهل الارض قال الله اجل مما تقول فاتق عليه اليهود قال ثم خرج حتى نزل براهب ايضاً صاحب دير فقال ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون له اب حي قال ولم ذلك فقال مقالة الراهب الاول فقال ابو طالب سبحان الله الله اجل مما تقول ثم قال يا ابن اخي الا تسمع ما يقول فقال اي عم لاتنكر لله قدرته وروى ابن ابي

آخر يرجع ان السفر كان الى اليمن لا الى الشام وروى ابن الاعرابي عن قيس ابن زمانة عن يوسف بن عبد الله بن سلام انه قال له ان رجلا من اهل الشــام نزل على رجل من اهل يثرب فأكرمه فقال له الشامي اني لا ارى ما اجازيك بما صنعت الي الا اني اكرمك بحديث احـدثك به فاحفظه مني ان نبياً خارج بأرض العرب بأرض تيماء فان ادركته فاتبعه فان انت لم تفعل فليكن بينك وبينه عهد قال فلما خرج رسول الله جاء اليهود اليه فقال له انك لرسول الله فقال له اما تتبعني فقال له اليهودي لا ادع ديني ولكن لي الف نخلة لك منهـا مائة وسق (١) في كل عام وانا آمن على اهلي ومالي فاكتب لي بذلك فكتب له رسول الله ما أراد وروى الخرائطي عن عروة ان نفـراً من قريش منهـم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو ابن نفيل وعبـد الله وعبيد الله ابنـا جحش وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم يجتمعون اليـه وقد اتخذو ذلك اليوم من كل سنة عيداً وكانوا يعظمونه وينحرون له الجزر ويأكلون ويشربون الخمر عنده ويعكفون عليه فدخلوا عليه في الليـل فرأوه مكبوباً على وجهـه فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه الى حـاله فلم يلبث ان انقلب انقلاباً عنيفاً فأخذوه فردوه الى حاله فانقلب الثالثة فلما رأوا ذلك منه اغتموا له واعظموا ذلك فقـال عثمان بن الحويرث ماله قد اكثر التنكس ان هذا لامر قد حدث وكـان في ذلك الليلة التي ولد فيهـا رسـول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عثمان يقول :

ايا صنم العيد الذي صف حوله صناديد وفد من بعيد ومن قرب(٢)
تنكست مغلوبا فمـا ذاك قل لنا اذاك سفيه أم تنكست للعتب (٣)
فـان كـان من ذنب اتينا فاننا نبوء بـاقرار ونلـوي عن الذنب
وان كنت مغلوبا تنكست صاغرا فما انت في الاوثان بالسيد الرب

قال فاخذوا الصنم فردوه الى حاله التي كان عليها فلما استوى هتف هاتف بهم من الصنم بصوت جهوري وهو يقول :

تردى لمولود اضـاءت لنوره جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

---

(١) الاصل في الوسق الحمل وكل شيء وسقته فقد حملته وللفقهاء خلاف في تقديره ليس هنا محله اذ المقصد بيان المعنى اللغوي (٢) صناديد وفد اشرافه وعظمائه ورؤسه الواحد صنديد وكل عظيم غالب يقال له صنديد (٣) اذاك اصله أاذاك حذفت منه همزة الاستفهام تخفيفا .

صاروا في منازلهم ذكروا لاهاليهم فقيل لبعضهم ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه محمدا فالتقى بعضهم ببعض بعد يومهم فاتوا اليهودي في منزله فقالوا اعلمت انه ولد فينا مولود فقال ابعد خبره أم قبله قالوا قبله واسمه احمد قال فاذهبوا بنا اليه فخرجوا معه حتى دخلوا على امه فاخرجته اليهم فرأى الشامة في ظهره فغشي على اليهودي ثم افاق فقالوا ويلك مالك فقال ذهبت النبوة من بني اسرائيل وخرج الكتاب من ايديهم وهذا مكتوب بقتلهم وسوء اخبارهم فازت العرب بالنبوة افرحتم يا معشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبأها من المشرق الى المغرب وقال ابو هريرة اتى رسول الله بيت المدراس فقال اخرجوا الي اعلمكم فقالوا هو عبد الله بن صوريا فخلا به فناشده بدينه وبما انعم الله به عليهم واطعمهم من المن والسلوى وظللهم به من الغمام وقال له اتعلمني اني رسول الله فقال اللهم نعم ثم قال ان القوم ليعرفون ما اعرف وان صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكنهم حسدوك قال فما يمنعك انت قال اكره خلاف قومي وعسى ان يتبعوك ويسلموا فاسلم وروى المحاملي عن عبد الرحمن بن حميد بن عوف انه قال خرج عبد المطلب الى اليمن فلقيه رجل من اليهود له علم فنظر الى عبد المطلب فقال ارني منك شيئين فقال له اني اريك ما لم يكن عورة معي فقال لا اريد الصورة وانما اريد ان انظر الى انفك وكفيك فقال انظر فقال له ابسط كفيك فبسطهما فقال له اما في احد كفيك فملك واما انفك فان فيه النبوة ولا يتم ذلك الا ببني زهرة هل لك شاغة قال لا فقال له تزوج في بني زهرة قال فلما رجع عبد المطلب تزوج هالة وزوج عبد الله آمنة بنت وهب فقالت قريش فلج عبد الله على ابيه وهذا الحديث غريب والمحفوظ مارواه احمد بن محمد بن زياد بن الاعرابي بمعناه وفيه ان عبد المطلب خرج الى الشام في رحلة الشتاء قال فنزلت على حبر ممن يقرأ الزبور ثم ذكر نحوا مما تقدم ثم قال هل لك من شاغة فقال له وما الشاغة فقال زوجة فقال لا فقال له اذا قدمت فتزوج في بني زهرة فلما رجع تزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف ابن زهرة وزوج عبد الله آمنة بنت وهب ورواه البيهقي بلفظ قال عبد المطلب قدمت اليمن في رحلة الشتاء وفيه ان هالة ولدت لعبد المطلب صفية وحمزة وروى من وجوه

« باب اخبار الاحبار بنبوته والرهبان وما يذكر
من امره عن العلماء والكهان »

عن الفلتان بن عاصم قال سمعت خالي يقول كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ شخص بصره الى رجل فاذا هو يهودي عليه قميص وسراويل ونعلان قال فجعل رسول الله يكلمه وهو يقول يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتشهد اني رسول الله قال لا فقال اتقرأ التوراة قال نعم قال اتقرأ الانجيل قال نعم قال والقرآن ولو تشاء قرائته لقرأته فقال رسول الله فيم تقرأ في التوراة والانجيل ان الله اتخذني نبيا قال انا نجد نعتك ومخرجك فلما خرجت رجونا ان تكون فينا فلما رأيناك عرفنا انك لست به فقال له ولم يا يهودي قال انا نجده مكتوبا انه يدخل من امته سبعون الفا بلا حساب ولا نرى معك الا نفر يسير فقال له ان امتي لأكثر من سبعين الفا الفاً وقال ابو هريرة بلغني ان بني اسرائيل لما اصابهم ما اصابهم من ظهور بخت نصر عليهم وفرقتهم وذلتهم تقربوا وكانوا يجدون محمدا منعوتا في كتابهم وانه يظهر في بعض هذه القرى العربية في تربة ذات نخل فلما خرجوا من ارض الشام جعلوا يقترون كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نعتها نعت يثرب فنزل بيثرب طائفة منهم فمات اولئك وهم مؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يحثون ابنائهم على اتباعه ان جاء فادركه من ادركه من ابنائهم فكفروا به وهم يعرفونه وقال ابو نملة كانت يهود قريظة يدرسون ذكر رسول الله في كتبهم ويعلمونه للولدان بصفته واسمه ومهاجرته الينا فلما ظهر حسدوه وبغوا عليه وقالوا ليس هو وقالت عائشة سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات فلما كانت ليلة ولد رسول الله قال في مجلس من مجالس قريش هل كان فيكم من مولود هذه الليلة قالوا لا نعلمه قال اخطأت والله حيث كنت اكره انظروا يامعشر قريش واحصوا ما اقول لكم ولد الليلة نبي هذه الامة احمد فان اخطأتم في معرفته فان به شامة بين كتفيه سوداء صفراء فيها شعرات متواترات فتصدع القوم من مجالسهم وهم يتعجبون من حديثه فلما

منصرفه من تبوك فاطلعت فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول يا رسول الله اني اريد ان امتدحك فقال قل لا يفضض الله فاك فقال :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق (١)
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق (٢)
وردت نار الخليل مكتتما تجول فيها وليست تحترق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدأ طبق (٣)
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق (٤)
وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق (٥)

وروى ابو بكر الخطيب عن ابى بكرة ان جبريل ختن النبي صلى الله عليه وسلم حين طهر قلبه كذا في هذه الرواية وقد جاء من وجه آخر انه ولد مختونا وقال ابن عباس ولد مختونا مسرورا وكذا قال العباس وزاد واعجب ذلك عبد المطلب وحظى عنده وقال ليكونن لابني هذا شأن فكان له شأن وكذا روى عن ابي هريرة وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على الله اني ولدت مختونا ولم ير سوأتي احد روى هذا باسانيد يقوي بعضها بعضا وفي بعض الفاظها ولدت مختونا مسرورا (٦) .

---

(١) المراد بالظلال ظلال الجنة والمقصود كونه في صلب آدم قبل الولادة والمستودع المستحفظ والمراد به الرحم أي كنت مع آدم وحواء في الجنة حيث يخصف الورق أي يضم ويجمع ليستر عورتهما به (٢) نسر هو الصنم الذي كان قوم نوح يعبدونه وكانوا يعبدون ايضا ودا وسواع ويغوث ويعوق (٣) الصالب الظهر واما الطبق فقال الزمخشري في الفائق هو القرن من الناس (٤) البيت الشرف والمهيمن نعته والمعنى حتى احتوى شرفك المهيمن أي الشاهد على فضلك ارفع مكان وافضل من نسب خندف وهي امرأة الياس ابن النضر والنطق جمع نطاق شقة تلبسها المرأة وسط وسطها ثم ترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة وينجر الاسفل على الارض (٥) نخترق نقطع تلك السبل بنور ضيائك وبهجة نور نبوتك (٦) اختلف العلماء في ختانه صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اقوال احدها انه ولد مختونا مسرورا أي مقطوع السرة قال الحافظ ابن الجوزي روى في ذلك حديث لا يصح فقال وليس فيه حديث ثابت وليس هذا من خواصه فان كثيرا من الناس يولد مختونا والناس يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم الثاني ان الملائكة ختنته يوم شق قلبه وهو عند مرضعته حليمة الثالث ان جده ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا قال ابن عبد البر وفي هذا الباب حديث غريب وقال يحيى بن ايوب طلبته فلم اجده عند احد من اهل الحديث ممن لقيته الا عند ابن ابي السري وقد وقع في هذه المسألة خلاف بين كمال الدين ابن طلحة وكمال الدين ابن العديم فجنح الاول الى انه ولد مختونا ورد عليه ابن العديم بانه ختن على عادة العرب والمسألة طويلة ومردها الى الله .

ما [illegible] اتيت رسول الله ثم رجع الى المرأة فوجدها تنتظره فقال هل لك في الذي عرضت علي فقالت لا مررت وفي وجهك نور ساطع ثم رجعت وليس دون ذلك النور في وجهك وقد ورد ان التي عرضت عليه نفسها لم تكن بغيا وانما كانت زوجة لعبد الله وقد روى عن اسحاق ابن يسار انه كان لعبد الله زوجتان فمر باحداهما وقد اصابه اثر طين عمل به فدعاها فابطأت عليه لما رأت من اثر الطين فدخل فغسل عنه الطين ثم دخل عامدا الى آمنة فاصابها ثم خرج فدعا الثانية الى نفسه فقالت لا حاجة لي بك مررت بي وبين عينيك نور ساطع فلما دخلت على آمنة ذهب منك وقال ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فداك ابي وامي اين كنت وآدم في الجنة قال فتبسم حتى بدت ثناياه ثم قال كنت في صلبه وهبط الى الارض وانا في صلبه وركبت السفينة في صلب ابي نوح وقذف بي في النار في صلب ابي ابراهيم لم يلتق ابواي قط على سفاح ولم يزل الله ينقلني من الاصلاب الحسنة الى الارحام الطاهرة مهذبا لا يتشعب شعبان الا كنت في خيرهما قد اخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالاسلام عهدي وبشر بي وفي التوراة والانجيل ذكرى وبين كل نبي صفتي تشرق الارض بنوري والغمام بوجهي وعلمني كتابه في سحابة واشتق لي اسما من اسمائه فذو العرش محمود وانا محمد ووعدني ان يحبوني بالحوض والكوثر وان يجعلني اول شافع واول مشفع ثم اخرجني من خير قرن لامتي وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قال ابن عباس قال لي حسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم :

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم سكنت البلاد لا بشر ... انت ولا نطفة ولا علق
مطهر تركب السفين وقد ... الجم اهل الضلالة الغرق
تنقل من صلب الى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله حسانا فقال علي بن ابي طالب وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة وهذا الاثر روى من وجه غريب جدا والمحفوظ ان هذه الابيات للعباس رضى الله عنه وروى من طريق ابي يعلى ابن الفرا الحنبلي عن خريم انه قال هاجرت الى رسول الله فقدمت عليه وهو

فكيف بالأمر الذي تبغينه والحر يحمي عرضه ودينه

ثم مضى مع ابيه فزوجه آمنة ابنت وهب فاقام عندها ثم ان نفسه دعته الى ما دعته اليه الكاهنة فاتاها فقالت يا فتى ما صنعت بعدي فاخبرها فقالت والله ما انا بصاحبة ريبة ولكني رأيت في وجهك نورا فاردت ان يكون في وابي الله ان يصيره الا حيث اراد ثم انشأت فاطمة تقول :

اني رأيت مخيلة لمعت ثم تلألأة بحناتم القطر
فاصابها نور يضيء به ما حوله كأضاءت البدر
فرجوته فخرا انوء به ما كل قادح زنده يوري (١)
لله ما زهرية سلبت بوبيل ما سلبت وما تدرى (٢)

وقالت ايضا

بني هاشم قد غادرت من اخيكم امينة اذ للباه يعتلجان
كما غادر المصباح بعد خموده فتائل قد ميشت له بدهان (٣)
وما كل ما يحوي الفتى من تلاده بحرص ولا ما فاته لتوان (٤)
فاجمل اذا طالبت امرا فانه سيكفيكه جدان يصطرعان
ستكفيكه امابيد مقفلة واماید مبسوطة ببنان (٥)
ولما حوت منه امينة ما حوت حوت منه فخرا ماله من ثان

وفي رواية في غير الاصل :

ولما قضت منه امينة ما قضت نبا بصرى عنه وكل لساني

وقيل ان التي عرضت نفسها على عبد الله هي اخت ورقة بن نوفل واسمها قتيلة وكانت تنظر وتعتاذ (٦) فمر بها عبد الله فدعته ليستمتع بها ولزمت طرف ثوبه فابى وقال حتى آتيك وخرج سريعا فدخل على آمنة فوقع

---

(١) المخيلة موضع الخيال وهي الظن كالمظنة والمراد هنا يعني ان غاية وظنا لمالها ثم ظهرت تلك الغابة لغيرها بحناتم القطر الحناتم السحاب والقطر التاخية تريد انها تلألأت بعيدة عنها بعد السحاب
(٢) انوء انهض وقولها ما كل قادح الخ مخرج مخرج المثل والقادح الذي يضرب بالقداحة وهي الحجر الذي يوري النار والمعنى ما كل طالب حاجة ينالها وميشت شيبت (٤) التلاد المال القديم الاصلي الذي ولد عندك وهو ضد الطارف والتواني الكسل (٥) الامايد الطرق والاسباب
(٦) أي كانت من الكهان ومن الذين ينظرون في النجوم .

من صلب ابي آدم ولم تزل الامم تتنازعني كابرا عن كابر حتى خرجت من افضل حيين من العرب هاشم وزهرة وعن ابن عباس مرفوعا في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجت نبيا وفي لفظ لابن عباس لازال رسول الله يتقلب في اصلاب الانبياء حتى ولدته امه وروى عبد الرزاق عن جعفر بن محمد عن ابيه في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية قال لم يصبه شيء من ولاد الجاهلية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها اني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هذا الحديث موقوف وقال هشام بن محمد الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من امر الجاهلية وقال ابن عباس كانت امرأة من خثعم تعرض نفسها في مواسم الحج وكانت ذات جمال وكان معها امة تطوف بها كأنها تتبعها فاتت بها علي عبد الله بن عبد المطلب فاظن انه اعجبها فقال اني والله ما اطوف بهذا الادم وما لي بها والي ثمنها حاجة وانما اتوسم الرجال هذا اجد كفوا فان كان لك الى حاجة فقم فقال لها مكانك حتى ارجع اليك فانطلق الى رحله فبدأ فواقع اهله فحملت بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما رجع اليها قال ألا اراك ههنا قالت ومن انت قال الذي واعدتك قالت لا ما انت هو وان كنت هو لقد رأيت مابين عينيك نورا ماأراه الآن وقال ابو يزيد المديني ثبت ان عبد الله اتى على امرأة من خثعم فرأت النور بين عينيه ساطعا الى السماء فقالت هل لك في قال نعم حتى ارمي الجمرة فانطلق حتى اتى الجمرة ثم اتى امرأته آمنة بنت وهب ثم تذكر الخثعمية فاتاها فقالت هل اتيت امرأة بعدي قال نعم امرأتي آمنة فقالت لا حاجة لي فيك انك مررت وبين عينيك نور ساطع الى السماء فلما وقعت عليها ذهبت فاخبرها انها قد حملت بخير اهل الارض وقال ابن عباس لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من اهل تباله بلدة في اليمن متهودة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك ان تقع علي الآن واعطيك مائة من الابل فقال عبد الله :

اما الحرام فالممات دونه والحـل لا حـل فـاستبينه

لقد مسح الرسول ابا ابينا ولم يمسح وجوه بني جبير
شبابهم وشيبهم سواء فهم في اللؤم اسنان الحمير (١)

« وقال كليب جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فانشدت »

من وشر يهزوب يهدي بي عذا فرة اليك يا خير من يحفي وينتعل (٢)
تجوب بي صفصفا غبرا مناهله تزداد عفوا اذا ماكلت الابل (٣)
شهرين اعملها نصا على وجل ارجو بذاك ثواب الله يا رجل (٤)
انت النبي الذي كنا نخبره وبشرتنا بك التوراة والرسل (٥)

« باب ذكر طهارة مولده وطيب اصله وكرم محتده »

روى محمد بن سعد عن ابن عباس مرفوعا خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح ورواه البيهقي بلفظ ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شيء ماولدني الا نكاح كنكاح الاسلام وفي لفظ ما ولدتني بغي قط (٦) منذ خرجت

---

(١) الشيب جمع شائب وقوله اسنان الحمير يريد انهم متساوون في اللؤم واختار اسنان الحمير على غيرها لان المقام مقام هجو وتحقير واسنان بالنصب على نزع الخافض والتقدير كاسنان الحمير (٢) الوشر والاشر القرح والنشاط واليهزوب المسرع والعذافرة الناقة الصلبة القوية والمعنى انى هداني اليك من بلاد بعيده ناقة صلبة قوية لها فى سيرها فرح ونشاط واسراع وهذا كناية عن الشوق والمحبة (٣) تجوب تقطع والصفصف المستوي من الارض والمعنى تقطع بي هذه الناقة في سيرها مستويا من الارض وغبرا مناهله معناه ان موارد مياه ذلك الصفصف صارت مغبرة لخلوها من الماء وكلت تعبت والمعنى ان هذه الناقة تسير بي ذلك السير في وقت تعب الابل فهي لا تتعب اذا تعبوا بل يزداد سيرها عفوا أي عدم كلفة ومشقة (٤) المعنى انى اعملها أي اسير عليها شهرين نصا أي اقصى السير وغايته فهو من قولهم نص الناقة اذا حركها حتى يستخرج اقصى سيرها وقوله على وجل أي على خوف (٥) نخبره بضم النون وسكون الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة المشددة (٦) السفاح الزنا مأخوذ من سفحت الماء اذا صببته نقل النجم الغزي في كتابه حسن التنبه عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كانت مناكح الجاهلية على اربع اضرب نكاح الرايات ونكاح الرهط ونكاح الاستبجاد ونكاح الولاد فاما نكاح الرايات فقد كانت العاهرة في الجاهلية تنصب على بابها راية ليعلم المار بها عهرها ليزني بها واما نكاح الرهط فهو ان النفر من القبيلة او القبائل كانوا يشتركون في اصابة المرأة فاذا جاءت بولد الحق باشبههم به واما نكاح الاستجاد فهو ان المرأة كانت اذا رأت ولد نجدا نبيبا ... نفسها لنجيب كل قبيلة وسيدها فلا تلد الا نجيبا فتلحقه بايهم شاءت واما نكاح الولادة فهو النكاح الصحيح المقصود للتناسل اه اي وهو المقصود في هذا الحديث واقول بقي نوع آخر وهو نكاح الشغار وهو ان يزوج الرجل موليته لرجل آخر ويزوج الآخر موليته للاول ولا مهر لكل واحدة منهما . البغي الزانية .

امرت الانبياء قبلهم وامرتهم بالجهاد كما امرت الانبياء قبلهم وامرتهم بالحج كما امرت الانبياء قبلهم وامرتهم بالجهاد يا داود اني فضلت محمدا وامته على الامم كلها اعطيتهم ستة خصـال لم اعطها غيرهم لا اؤاخذهم بالخطاء والنسيان وكل ذنب ركبوه عن غير عمدان يستغفروني منه غفرت لهم وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به انفسهم عجلته لهم اضعافا مضاعفة ولهم في المدخور عندي اضعاف مضاعفة وافضل من ذلك اعطيهم على المصائب في البلايا ان صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون والصلاة والرحمة والهدى الى جنات النعيم فان دعوني استجيب لهم فاما يروه عاجلا واما ان اصرف عنهم سوأ واما ان ادخر لهم في الآخرة يـا داود من لقيني من امة محمد يشهد انلا اله الاالله وحدي لاشريك لي صادقا بها فهو معي في جنتي وكرامتي ومن لقيني وقد كذب بمحمد وكذب بما جاء به واستهزأ بكتابي صببت عليه في قبره العذاب صبا وضربت الملائكة وجهه ودبره عند نشره من قبره ثم ادخله النار او قال الدرك الاسفل من النار وروى اللالكائي عن مقاتل بن حيان أنه قال اوحى الله الى عيسى بن مريم جد في امري ولا تهزل واسمع واطع يا ابن الطاهرة البكر البتول اني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياي فاعبد وعلي فتوكل فسر لاهل سوران بالسريانية (١) بلغ من بين يديك اني انا الله الحي القيوم الذي لا ازول وسأبعث النبي الامي العربي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة وهي التاج والنعلين والهرواة وهي القضيب الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الانجل العينين الاهدب الاشفار الاقنى الانف الواضح الخدين الكث اللحية عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريح المسك ينفخ منه كان عنقه ابريق فضة وكان الذهب يجري في تراقيه له شعرات من لبته الى سرته كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه شعر غيره شثن الكفين والقدمين اذا جاء مع الناس غمرهم واذا مشى كانما يتقلع من صخر وينحدر في صبب ذي السيل القليل وقال عمرو بن مهاجر الكندي كانت امرأة من حضرموت يقال لها بنهنات بنت كليب صنعت لرسول الله كسوة ثم دعت ابنها كليبا فقالت انطلق بهذه الكسوة الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه بها واسلم فدعا له فقال رجل من ولده يعرض باناس من قومه :

---

(١) من هذه اللفظة اخذ اسم سوريا .

الله تعالى يبشرك بيحيى مصدقا وعيسى بن مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ومحمد صلى الله عليه وسلم اجمعين قال عيسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فهؤلاء اخبر بهم قبل ان يكونوا وروى البيهقي عن أم الدرداء قالت قلت لكعب كيف تجدون صفة رسول الله في التوراة قال نجدة محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق اعطى المفاتيح ليبصر الله به اعينا عوراء ويسمع به اذانا وقرأ ويقيم به السنا معوجة حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله يعين المظلوم ويمنعه وقال وهب بن منبه ان الله لما قرب موسى نجيا قال ربي اني اجد في التوراة امة خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال رب اني اجد في التوراة امة هم الآخرون من الامم السابقون يوم القيامة فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال يا رب اني اجد في التوراة امة اناجيلهم في صدورهم يقرؤنها وكان من قبلهم يقراؤن كتبهم نظرا ولا يحفظونها فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في التوراة امة يؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون رؤوس الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الكذاب فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال اني اجد في التوراة امة يأكلون صدقاتهم في بطونهم وكان من قبلهم اذا اخرج صدقة بعث الله عليها نارا فاكلتها فان لم تقبل لم تقربها فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في التوراة امة اذا هم احدهم بسيئة لم تكتب عليه فاذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة واذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة فاذا عملها كتبت له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال رب اني اجد في التوراة امة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد وذكر وهب بن منبه في قصة داود النبي وما اوحي اليه في الزبور يا داود سيأتي من بعد نبي اسمه محمد واحمد صادق سيد لا اغضب عليه ابدا ولا يغضبني ابدا وقد غفرت له قبل ان يغضبني ماتقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة اعطيتهم من النوافل مثلما اعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل الانبياء وذلك اني افترضت عليهم ان ينظروا الى بكل صلاة كما افترضت على الانبياء قبلهم وامرتهم بالغسل من الجنابة كما

عليكم ورحمة الله هل فيكم محمد رسول الله فقال له علي ايها السائل عن محمد ماذا تريد فقال انا حبر من احبار بيت المقدس قرأت التوراة ثمانين سنة وتدبرتها اربعين صباحا فوجدت فيها ذكر محمد وان الله تعالى يقول في التوراة ليس بكذاب ولا بقوال للكذب وقد جئت اطلب الاسلام على يده فقال له علي كرم الله وجهه ايها السائل عن ابي القاسم قد اصبح ابو القاسم تحت اطباق الثري فوضع الحبر يديه على رأسه ونادى وانقطاع ظهراه بابي وامي لم اشهده ولم اره يا محمد المصطفى يا خير من ولدت النساء ثم قال هل فيكم قرابة محمد فقال علي يا بلال انطلق بهذا الرجل الى منزل فاطمة فانطلق به فقال لها الحبر يا ابنة رسول الله انا حبر من احبار بيت المقدس وان الذي قدمت اليه قد مات اما عندك ثوب من ثياب رسول الله فقالت فاطمة للحسين هات الثوب الذي توفي فيه رسول الله فجاء به فاخذه الحبر والقاه على وجهه وجعل يستنشق ريحه ويقول بابي وامي من جسد نشف فيه هذا الثوب ثم رفع رأسه وقال يا علي صف لي صفة رسول الله حتى كأني انظر اليه فبكى على بكاء شديدا وقال والله لان كنت مشتاقا الى محمد فانا اشوق الى حبيبي منك ثم قال بابي وامي لم يكن بالطويل الذاهب ولا بالقصير كان ربعة من الرجال ابيض مشربا بحمرة جعد المفرق شعره الى شحمة اذنيه صلت الجبين مقرون الحاجبين ادعج العينين سبط الاظفار اقنى الانف دقيق المسربة مليح الثنايا كث اللحية كأن عنقه ابريق فضة وكأن الذهب يجري في تراقيه كأن عرقه في وجهه اللؤلؤ شثن الكفين والقدمين له شعرات مابين لبته وصدره يجري كالقضيب لم يكن على بطنه ولا على ظهره شعرات غيرها يفوح منه ريح المسك اذا قام غمر الناس واذا مشى كأنما يتقلع من صخرة اذا التفت التفت جميعا واذا تحدر كأنما يتحدر في صبب اطهر الناس خلقا واشجع الناس قلبا واسمح الناس كفا لم يكن قبله مثله ولا يكون بعده مثله ابدا فقال الحبر يا علي اني اصبت في التوراة هذه الصفة وقد ايقنت ثم اسلم الحبر وعن عبادة بن الصامت قيل يارسول الله اخبرنا عن نفسك فقال انا دعوة ابي ابراهيم وكان آخر من بشر بي عيسى بن مريم وقال عبد الله ان صاحبكم خامس خمسة مبشر بهم قبل ان يكونوا اسحاق ويعقوب قال الله تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ويحيى قال

يقراؤن التوراة فلما اتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم امسكوا وفي جانبهم رجل مريض فقال لهم رسول الله ما لكم أمسكتم فقال المريض اتوا على صفة نبي وامسكوا ثم جاء المريض يحبو حتى اتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم وامته فقال هذه صفتك وصفة امتك اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه لو اخاكم (١) وعن سهل مولى غنيمة وكان نصرانياً من اهل مريس وكان يتيماً في حجر امه وعمه وكان يقرأ التوراة والانجيل قال فأخذت مصحفاً لعمي فقرأته حتى مرت بي ورقة انكرت كتابتها حين مرت بي ومسستها بيدي قال فنظرت فاذا اصول الورقة ملصوقة بغراء قال ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد عليه الصلاة والسلام وانه لا قصير ولا طويل ابيض ذو ضفرة من بين كتفيه خاتم يكثر الاحتباء ولا يقبل الصدقة ويركب الحمار والبعير ويحتلب الشاة ويلبس قميصاً مرقوعاً ومن فعل ذلك فقد برىء من الكبر وهو يفعل ذلك وهو من ذرية اسماعيل اسمه احمد قال سهل فلما انتهيت الى هذا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم جاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال مالك فتحت هذه الورقة وقرأتها فاذا بها نعت النبي احمد فقال انه لم يأت بعد وقال عبد الله بن عمرو بينا رجلان يحدث احدهما صاحبه وكعب خلفهما يسمع لا يعلمان بمكانه اذ قال احدهما لصاحبه رأيت الليلة او قال رأيت البارحة كل نبي في الارض مع كل نبي منهم اربعة مصابيح مصباح من بين يديه ومصباح من خلفه ومصباح عن يمينه ومصباح عن يساره ومع كل رجل ممن معه مصباح مصباح اذا قام رجل منهم اضاء في كل شعرة من رأسه مصباح ورأيت رجلا مع كل رجل ممن معه اربعة مصابيح في جهاته الاربع فقلت من هذا قال محمد رسول الله فقال كعب للمحدث عمرك الله عمن تحدث فقال عن رؤيا رأيتها البارحة فقال كعب والله لكأنك نشرت التوراة فقرأت هذا فيها وقال ابو هريرة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول وقد استعمل عشر سنين من هجرته فلما كانت صبيحة الخميس فاذا نحن بشيخ ابيض الرأس واللحية متلثم بعمامة على قعود له حتى جاء فنزل فعقل بعيره بباب المسجد وقال وهو بالباب السلام

---

(١) معناه تولوا امره

له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم (١) قال بالله الذي انزل التوراة على موسى بطور سيناء هل تجد صفتي في كتاب الله الذي انزل على موسى فقال عبد الله انسب ربك يا محمد فارتج على النبي صلى الله عليه وسلم يعني اغلق عليه فلا يدري ما يقول فقال له جبريل قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام اشهد لك انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا لا اله الا الله ويفتحوا اعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوبا غلفا وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكنيسة فاذا هو بيهود

---

(١) روي في سبب نزول سورة الاخلاص غير هذا فروى الترمذي عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله انسب لنا ربك فأنزل الله قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا سيموت ولا شيء يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء وعن ابي العالية ان رسول الله ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى قل هو الله احد قال الترمذي وهذا اصح من الاول واختلف المفسرون في معنى الصمد فقال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم هو المصمت الذي ليس بأجوف لا يأكل ولا يشرب وقيل الذي لم يخرج منه شيء وقيل الذي لم يلد ولم يولد وقال ابن عباس الصمد السيد الذي كمل في سؤدده والشريف الذي كمل في شرفه والعظيم الذي كمل في عظمته والحليم الذي كمل في حلمه والغني الذي كمل في غناه والجبار الذي كمل في جبروته والعالم الذي كمل في علمه والحكيم الذي كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في انواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه لا ينبغي لاحد الا له وقال الحسن وقتادة هو الباقي بعد خلقه روى هذين القولين ابن جرير في تفسيره وقد جنح ابن جرير الى ان الاصح ان يقال ان الصمد عند العرب هو السيد الذي يصمد اليه الذي لا احد فوقه وهذا هو المعروف من لغة العرب الذين نزل القرآن بلغتهم وقصدوه في اشعارهم اهـ ومعناه الذي تتوجه القلوب بالفطرة اليه وتقصده في المهمات والشدائد وهذا الذي اختاره في تفسير هذا الاسم العظيم وهو المناسب لما قبله ولما بعده واليه مال الغزالي في المقصد الاسنى وقوله لم يلد معناه ليس بمحدث لم يكن ثم كان لان كل مولد فانه وجد بعد ان لم يكن وحدث بعد ان كان غير موجود بل هو تعالى قديم لم يزل ودائم لم يفن ولا يزول والكفؤ فى كلام العرب الشبه والمثل والمعنى ليس احد مكافئاً له ولا مماثل .

السيئة ولكنه يعفو ويصفح ورواه من طرق متعددة واللفظ واحد وفي رواية انها قالت كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه وعن عمرة قالت سألت عائشة رضي الله عنها كيف كان رسول الله اذا خلا بنسائه قالت كان كرجل من رجالكم الا انه كان اكرم الناس خلقا وكان ضحاكا بساما وروى عن عائشة انها قالت كان رسول الله الين الناس واكرم الناس وكان ضحاكا بساما وعن بعض آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان عمر كان يوم الفتح ورسول الله بمكة فارسل الى صفوان بن امية بن خلف والى ابي سفيان بن حرب والى الحارث بن هشام فقال له عثمان قد امكن الله منهم فعرفهم بما صنعوا فقال لهم رسول الله ان مثلي ومثلكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال عمر فانتضحت حياء من رسول الله كراهية ان يكون بدر (١) مني شيء وقد قال لهم ماقال وروى ابو يعلي الموصلي عن صفية بنت حيي قالت اردفني رسول الله على عجز ناقته ليلا فجعلت اتعكس (٢) فيمسني رسول الله بيده ويقول يا هذه يابنت حيي وجعل يقول ياصفية اني اعتذر اليك مما صنعت بقومك انهم قالوا لي كذا وكذا وفي رواية عنها مارأيت قط احسن من رسول الله لقد رأيته اركبني من خيبر على عجز ناقته ليلا فجعلت انعس فيضرب رأسي مؤخرة الرحل فيمسني بيده ويقول يا هذه مهلا يا صفية بنت حيي حتى كنا بالصهباء قال اما اني اعتذر اليك ياصفية مما صنعت بقومك انهم قالوا لي كذا وكذا وقال وهب قرأت في واحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان محمدا صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا .

((باب ما جاء في الكتب من نعته وصفته وما يشرف الانبياء به اممها من بعثته

عن عبد الله بن سلام انه سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم فلقيه فقال

---

(١) معناه كراهية ان اكون تسرعت بكلمة (٢) اتعكس معناه اتحير فلا اعرف كيف اركب .

ابيك وجبذه بردائه حتى ادركه تحمر رقبته فقال رسول الله واستغفر الله لا احملك حتى تقيد لي قالها ثلاث مرات ثم دعا رجلا فقال احمل لي على بعير شعيراً وعلى بعير تمراً وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سباباً ولا لعاناً ولا صخابا في الاسواق وقال حبيش بن جنادة كان انكه الناس خلقاً واخرج عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة انها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً قط ولا امرأة ولا شيئاً الا ان يجاهد في سبيل الله ولا انتقم لنفسه من شيء حتى تنهتك محارم الله فيكون هو ينتقم لله ولا خير بين امرين الا اختار ايسرهما حتى يكون انما كان ابعد الناس من الاثم ورواه مالك بلفظ آخر وهو ما خير رسول الله بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى بها ورواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي ورواه الجوزقي بلفظ ما خير بين امرين قط احدهما ايسر من الآخر الا اخذ الايسر منهما واخرج ابو يعلي عن عائشة انها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه اختار ايسرهما وفي رواية الا ان يكون اثماً فان كان اثماً انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم في ذلك وماخير بين امرين قط الا اختار ايسرهما وفي رواية الا ان يكون اثماً فان كان اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس منه ورواه الامام احمد عن عائشة ولفظه ما ضرب رسول الله خادما له قط ولا امرأة قط ولا ضرب بيده الا ان يجاهد في سبيل الله ومما ينل منه شيء فانتقم من صاحبه الا ان ينتهك من محارم الله فينتقم لله وما عرض عليه امران احدهما ايسر من الآخر الا اخذ بايسرهما الا ان يكون مأثما فان كان مأثما كان ابعد الناس منه ورواه الحاكم وروى احمد في مسنده والجوزقي عن عبد الله بن عمر انه قال لم يكن رسول الله فاحشا ولا متفحشا وكان يقول ان من خياركم احاسنكم اخلاقا وروى الخطيب عن الحسين ابن محمد بن هشام قال قلت لعائشة ما كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت قال الله تعالى وانك لعلي خلق عظيم فخلقه القرآن وفي لفظ ادب القرآن وروى ابو نعيم عن ابي عبد الله الجذلي قال سئلت عائشة عن خلق رسول الله فقالت لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة

وكان ابراهيم خليل الرحمن اشبه الناس بي خلقاً وخُلقاً صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين وقال انس لقد خدمت رسول الله عشر سنين فوالله ما قال لي اف قط ولم يقل لشيء فعلته لم فعلت كذا ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلت كذا ولقد قدم رسول الله المدينة وانا يومئذ ابن ثمان سنين فذهبت بي امي اليه فقالت يا رسول الله ان رجال الانصار ونسائهم قد اتحفوك غيري واني لم اجد ما اتحفك به الا ابني هذا فتقبله مني يخدمك قال فخدمته عشر سنين لم يضربني مرة قط ولم يسبني ولم يعبس في وجهي ولم يكن سباباً ولا لعاناً ولا فحاشاً وكان يقول لاحدنا عند المعاتبة ما له تربت يداه واني قد شممت العطر كله فلم اشم نكهة اطيب من نكهته عليه السلام وكان اذا لقيه احد من اصحابه فقام قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه واذا لقيه احد من اصحابه فتناول يده ناوله اياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده منه واذا لقي رجلا من احد اصحابه فتناول اذنه ناولها اياه ثم لم ينزعها عنه وقال انس دخلت على رسول الله المسجد وعليه ثوب بحراني غليظ المنصفة فأتاه اعرابي من خلفه واخذ بجانب ردائه فاجتره حتى ابدت المنصفة في صفح عنق رسول الله وقال له يا محمد اعطنا من مال الله الذي عندك فالتفت اليه مبتسماً وامر له وقال انس ايضاً ما رأيت رجلا قط التقم اذن رسول الله فينحي رأسه حتى يكون هو الذي ينحي رأسه يعني الرجل وما رأيت رسول الله اخذ بيد رجل فيترك يده حتى يكون هو الذي ينزعها فيدع يده ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليسه وقال خارجة بن زيد دخل على زيد بن ثابت فقال بعض من حضر حدثنا احاديث رسول الله فقال ماذا احدثكم كنت جاره فكان اذا نزل عليه الوحي ارسل الي فكتبت له وكان اذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا واذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا كل هذا احدثكم عنه ورواه البيهقي وقال انس مر النبي صلى الله عليه وسلم بغلمان وانا غلام فسلم علينا وكان احسن الناس خلقاً وروى البيهقي عن ابي هريرة قال كنا نقعد مع رسول الله في المسجد بالغدوات فاذا قام الى بيته لم نزل قياماً حتى يدخل بيته فقام يوماً فلما دخل وسط المسجد ادركه اعرابي فقال يا محمد احمل لي على بعيري هاتين فانك لا تحمل من مالك ولا من مال

الصدر ممسوحة كأنه المرايا في شدتها واستوائها ولا يعدو بعض لحمه بعضاً على بياض القمر ليلة البدر موصول ما بين لبته الى سرته شعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعره غيره وكانت له نكتة يغطى الازار منها واحدة وتظهر اثنتان ومنهم من قال يغطي الازار منها اثنتين وتظهر واحدة من كل تلك العكن أبيض من القباطى المطراة (١) وألين مساً منهـا وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس والكراديس عظـام المنكبين والمرفقين والركبتين والوركين وكان جليل الكتد قال والكتد مجمع الكتفين والظهر واسع الظهر بين كتفيه خاتم النبوة وهو بمنكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس منهم من قال كانت شامة النبوة بأسفل كتفه خضراء منحفرة في اللحم قليلا وكان طويل مشربة الظهر والمشربة الفقار الذي في الظهر من أعلاه الى أسفله وكان عبل العضدين والذراعين طويـل الزندين والزندان العظمان اللذان في ظاهر الساعدين وكان فعم الاوصال منبسط القصب شثن الكف رحب الراحة سائل الاطراف كأن أصابعه قضبان فضة كفه ألين من الحرير وكأن كفه كف عطارٍ طيب مسها بطيب او لامسها فاذا صافحه المصافح يظل يومه يجد ريحاً ويضعها على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان من ريحها على رأسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذين والساقين شثن الكفين والقدمين غليظهما ليس لهما أخمص ومنهم من قال كان في قدميه شيء من أخمص يطأ الارض بجميع قدميه معتدل الخلق بدن في آخر زمانه وكان بذلك البدن متماسكاً وكان يكون على الخلق الاول لم يضره سمن وكان فخماً مفخماً في جيده كله اذا التفت التفت جميعاً واذا أدبر أدبر جميعاً واذا أقبل أقبل جميعاً وكان فيه صلى الله عليه وسلم شيء من صور علامة فتحه والصور الرجل الذي كأنه يطمح ببعض وجهه واذا مشى مشيا فكأنما يتقلع في صخر وينحدر في صبب يخطوا تكفياً ويمشي الهوينا بغير عسر والهويناتقارب الخطأ والمشي على الهيبة يبدر القوم اذا سارع الى خير او مشي اليه ويسوقهم اذا لم يسارع الى مشيته الهوينا ويرفعه فيها وكان عليه الصلاة والسلام يقول أنا أشبه النـاس بأبي آدم عليه الســلام

---

(١) القباطى ثياب رقيق بيضاء والمطراة التي يعمل عليها أنواع الطيب وغيرها كالعنبر والمسك والكافور .

على الصادق الميمون ذي الحلم والنهى   وذي الفضل والداعي بخير التراحم

فشبهته بالبدر ونعتته بهذا النعت ووقعت في النفوس كما ألقى الله منه في الصدور ولقد وانها لعلى دين قومها وكان صلى الله عليه وسلم أجلى الجبين اذا طلع جبينه من بين الشعر كأنما طلع في فلق الصبح او عند طفل الليل (١) أو طلع بوجهه على الناس فرأوا جبينه كأنه ضوء السراج قد تلألأ وكانوا يقولون هو كما قال شاعره حسان بن ثابت :

فمن كان أو من قد يكون كأحمد   نظام لحق أو نكال لملحد

وكان واسع الجبهة أزج الحاجبين سائقهما والازج الحاجبين هما الحاجبان المتوسطان اللذان لا تعدو الشعرة منهما شعرة في الثبات والاستواء من غير فرق بينهما وكان أبلج ما بين الحاجبين حتى كأن ما بينهما الفضة المختلطة بينهما عرق يدره الغضب لا يرى ذلك العرق الا ان يدره الغضب والابلج النقي ما بين الحاجبين من الشعر وكانت عيناه صلى الله عليه وسلم نجلاوين أدعجهما والعين النجلاء الواسعة الحسنة والدعج شدة سواد الحدقة وكان في عينيه تمزج من حمرة وكان أهدب الاشفار حتى تكاد تبين من كثرتهما أقنى العرنين والعرنين مستوى الانف من أوله الى آخره وهو الاشم وكان أبلج الاسنان أشنبها والشنب ان تكون الاسنان متفرقة فيها طرائق مثل تفرق المشط الا انها حديدة الاطراف وهو الاشر الذي يكون أسفل الاسنان كأنه ماء يقطر في تفتحه ذلك وطرائقه وكان يبسم عن مثل البرد المنحدر من متون الغمام واذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق اذا تلألأ وكان أحسن عباد الله شفتين وألطفه ختم ثم سهل الخدين صلتهما قال والصلت الخد الاسفل والسهل الخد المستوي الذي لا يقرب لحم بعضه بعضاً ليس بالطويل الوجه ولا بالمكلثم كث اللحية والكث الكثير منابت الشعر الملتفها وكانت عنفقته بارزة فشكاه حول العنفقة كأنها بياض اللؤلؤ وفي أسفل عنفقته شعر منقاد على شعر اللحية حتى يكون كأنه منها والشكان هما موضع الطعام حول العنفقة من جانبيها جميعاً وكان أحسن عباد الله عنقاً لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح كأنه ابريق فضة يشاب ذهباً يتلألأ في بياض الفضة وحمرة الذهب وما غيبت الثياب من عنقه مما تحتها فكأنه البدر وكان عريض

---

(١) طفل الليل دنوه شبه بالطفل لانه لم يمر قليل من عمره .

كأنه حبل الرمل او كأنه المتون التي كانت بالعدوان (١) اذا سفتها الرياح فاذا رجله أخذ بعضه بعضاً وتحلق حتى يكون متحلقاً كالخواتيم وكان أول أمره قد سالت ناصيته بين عينيه كما تسدل نواصي الخيل فجاءه جبريل بالفرق ففرق فكان شعره فوق حاجبه ومنهم من قال كان يضرب شعره منكبيه وأكثر من ذلك كان الى شحمة أذنيه وكان ربما جعله غدائر أربع (٢) تخرج الاذن اليمنى من بين غديرتين يكتنفانها وتخرج الاذن اليسرى من بين غديرتين يكتنفانها وتخرج الاذنان ببياضهما من تحت تلك الغدائر كأنما توقد الكواكب الدرية بين ذلك السواد وكان أكثر شيبه في الرأس في فود رأسه (٣) والفودان حرفا الفرق وكان أكثر شيبه في لحيته فوق الذقن وكان شيبه كأنه خيوط الفضة يتلألأ بين ظهري سواد الشعر الذي معه فاذا مس ذلك الشيب الصفرة وكان كثيراً ما يفعل ذلك صار كأنه خيوط الذهب يتلألأ بين ظهري سواد الشعر الذي معه وكان أحسن الناس وجهاً وأنورهم لوناً لم يصفه واصف قط بصفة بلغتنا صفته الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر فيقول هو أحسن في أعيننا من القمر أزهر اللون نير الوجه يتلألأ تلألأ القمر ليلة البدر يعرف رضاه وغضبه في أسرة وجهه فكان اذا رضي أو سر كان وجهه كالمرآة كأنما الجدر يلاحك وجهه (٤) واذا غضب يكون وجهه ذا حمرة وتحمر عيناه قالوا وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه فكان كثيراً ما ينشد قول زهير بن ابي سلمى حيث يقول لهرم بن سنان :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المضيء ليلة البدر

فيقول عمر ومن سمع ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ولم يكن كذلك غيره وكذلك قالت عمته عاتكة بنت عبد المطلب بعدما سار من مكة مهاجراً فجزعت عليه بنو هاشم فبعثت تقول :

عيناي جودا بالدموع السواجم على المرتضى كالبدر من آل هاشم
على المرتضى والبر والعدل والتقى والدين والدنيا تهم المعالم

---

(١) المتن الظهر والعدوان اسم مكان . (٢) الغدائر الذوائب . (٣) فود الرأس جانباه .
(٤) في الاصل الدر وهو سهو والصحيح الجدر والملاحكة شدة الملائمة والمعنى أن الجدر ترى كأنها طبعت بوجهه ويشهد بهذا ما بعده من أنه اذا سر فكأن وجهه المرآة .

الا من مكافىء يعني اذا ابتدىء بمدح كره ذلك فاذا اصطنع معروفاً فأثنى عليه بشيء وشكره قبل ثنائه .

واسناد هذا الحديث على جهالة بعض نقلته هو المحفوظ وأخرج الترمذي منه مواضع مقطعة في كتاب الشمائل · وقالت عائشة رضي الله عنها كانت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد المشذب الذاهب والمشذب الطويل نفسه الا انه هنا المخفف ولم يكن بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الا طاله ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسب رسول الله الى الربعة ويقول نسيب الخبر كله الى الربعة وكان لونه ليس بالابيض الامهق الشديد الذي يضرب بياضه الى الشدة ولم يكن بالادم وكان أزهر وهو الابيض الناصح البياض الذي لا تشوبه حمرة ولا صفرة ولا شيء من الالوان وكان ابن عمر كثيرا ما ينشد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول ابي طالب :

وأبيض يستسق الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل(١)

ويقول كل من سمعه هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نعته بعض من نعته بأنه كان مشرباً بحمرة وقد صدق من نعته بذلك ولكن انما كان المشرب منه حمرة ماضحى أي ظهر للشمس والرياح فلقد كان بياضه من ذلك قد أشرب حمرة وأما ما تحت الثياب فهو الابيض الازهر لا يشاب . ولا يخالط فيه احمر فمن وصفه بأنه بيض أزهر يريد ما تحت الثياب فقد أصاب ومن نعت ماضحى الشمس والرياح بأنه أزهر مشرب بحمرة فقد أصاب ولونه الذي لا يشك فيه أحد الابيض الازهر وانما الحمرة من قبل الشمس والرياح وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ أطيب من المسك الازفر وكان رجل الشعر حسناً ليس بالسبط ولا بالجعد القطط وكان اذا مشطه بالمشط

---

(١) الثمال بكسر الثاء الملجأ والغياث وقيل هو المطعم في الشدة وقوله عصمة للارامل معناه مانع لهم من الضياع والحاجة (لطيفة) حكى السيوطي في المزهر عن محمد بن سلام انه قال زاد الناس في قصيدة أبي طالب التي فيها : وأبيض يستسقى الغمام بوجهه · وطولت بحيث لا يدرى أين منتهاها وقد سألني الاصمعي عنها فقلت صحيحة فقال أتدري أين منتهاها فقلت لا اهـ .

اللحم أي ليس بمرخيه . سواء البطن والظهر يريد ان بطنه ليس بمستعيض فهو مساو لصدره وان صدره عريض فهــو مساو لبطنه . الكراديس الاعضاء . المتجرد ما جرد عنه الثوب من بدنه . وأنور من النور يريد شدة بياضه . والزندان من الذراع ما انحسر عنه اللحم رحب الراحة يريد واسع الراحة وكانت العرب تحمد ذلك وتمدحه وتذم صغر الكف وضيق الراحة . شثن الكفين والقدمين يريد انهما الى الغلظ والقصر . سائل الاطراف يريد الاصابع انها طوال ليست بمتعقدة . الاخمص في القدم من تحتها وهو ما ارتفع عن الارض فبسطها يريد انها ليست بالذي يستوي باطن قدميه حتى يمس جميعه الارض . مسيح القدمين يريد ان ممسوح ظاهر القدمين فالماء اذا صب عليهما مر عليهما مراً سريعاً لاستوائهما واملاسهما . اذا زال زال قلعاً هو بمنزلة قول علي رضي الله عنه اذا مشى تقلع . قوله ويخطي تكفأ ويمشي هوناً يريد انه يميد اذا مشى او خطا ويمشي في رفق غير مختال لا يضرب عطفاً والهون بالفتح الرفق فاذا ضمت الهاء فهو من الهوان . زريع المشية يريد انه مع هذا الرفق سريع المشية . الصبب الانحدار . يسوق أصحابه معناه انه اذا مشى مع أصحابه قدمهم بين يديه . والرمث من الرحال السهل اللين . ليس بالجافي ولا بالمهين يريد انه لا يجفو الناس ولا يهينهم . ولا يذم ذواقاً ولا يمدحه يريد انه كان لا يصف الطعام بطيب ولا بفساد اذا كان فيه . أشاح أي عدل بوجهه . حب الغمام البرد والغمام السحاب . جرء بينه وبين الناس يريد ان العامة كانت لا تصل اليه في منزله في هذا الوقت ولكنه كان يوصل اليها حظها من ذلك الجزء بالخاصة التي تصل اليه فتوصله الى العامة . ويدخلون رواداً جمع رائد وهو الذي يبعث به القوم يطلب الكلأ لهم فضرب لهم مثلا لما يلتمسون عنده مــن العلم والنفع في دينهــم ودنياهم ولا يتفرقون الا عــن ذواق أصله الطعم ضربه مثلا لمـا ينالون منه من الخير . أدلة أي يخرجون من عنده بما قد علموه فيدلون الناس عليه ويبينونه لهم وهو جمع دليل . ولا تثنى فلتاته أي لا يتحدث بهفوة أو ذلة ان كانت في مجلسه تقول ثنوت الحديث اذا أذعته والفلتات جمع فلتة وهي الزلة . على رؤوسهم الطير يريد انهم يسكتون فلا يتحركون ويغضون أبصارهم والطــير لا يسقط الا على ساكن . ولا يقبل الثنـاء

منه راجيه ولا يخيب فيه قد ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحداً ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير واذا تكلم سكتوا واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسئالته حتى ان كان أصحابه ليستجلبونهم ويقول اذا رأيتم صاحب حاجة يطلبها فارفدوه ولا يقبل الثناء الا من مكافىء ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام قلت فكيف كان سكوته عليه السلام فقال كان سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقرير والتفكر فأما التقرير ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس وأما تفكره ففيما يفنى ويبقى وجمع له الحلم والصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه أحد وجمع له في الحذر أربع أخذه بالحسن ليقتدي به وتركه القبيح لينتهي عنه واجتهاد الرأي فيما يصلح أمته والقيام لها فيما يجمع لهم أمر الدنيا والآخرة .

«تفسير غريب هذا الحديث»

فخماً مفخماً عظيماً معظماً . المشذب الطويل يريد انه ليس بمفرط الطول . وأصل العقيقة شعر الصبي قبل ان يحلق فاذا حلق ونبت ثانياً زال عنه اسم العقيقة يريد انه كان لا يفرق شعره الا ان يتفرق هو وكان هذا في صدر الاسلام ثم فرق بعد ذلك . أزهر يريد به أبيض اللون مشرقه . وأزج الحاجب طوله ودقته وسبوغه الى مؤخر العين . والقرن أن يطول الحاجبان حتى تلتقي طرفاهما . والبلج ان يتقطع الحاجبان فيكون ما بينهما نرقاً . والعرنين العظمتين والنسا فيه طول ورقة أرنبته وحدب في وسطه والشمم ارتفاع القصبة وحسنها . ضليع الفم أي عظيمه وكانت العرب تحمد ذلك وتذم صغير الفم . وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ذلك لرحب شدقيه . أشنب من الشنب وهو البياض والبريق والتحديد في الاسنان والمسربة الشعر المستدق ما بين اللبة الى السرة. والجيد العنق. والدمية الصورة. والبادن الضخم المتماسك

الحسين سألت أبي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك فكان اذا آوى الى منزله جزء دخوله ثلاثة أجزاء جزء لله تعالى وجزء لنفسه وجزء لأهله ثم جزء جزئه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة لايدخر عنهم شيئاً فكان من سيرته في جزء الامة ايثار أهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج يتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والامة من مسئالتهم عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد الغائب وأبلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغها فانه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من أحد غيره يدخلون رواداً ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون أدلة يعني فقهاء قلت أخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه فقال كان يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يتجاوز الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم أعمهم لنصحه وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموآزرة فسئالته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطىء الاماكن وينهى عن ايطائها واذا انتهى الى القوم يجلس حيث ينتهي المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان أحداً أكرم عليه منه من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سئاله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا له أبناء عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حكم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تثنى فلتاته متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة يرحمون الغريب فسئالته عن سيرته في جلسائه فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مشاح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤنس

ابي محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال قال الحسن بن على سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافاً وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال كان رسول الله فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان افترقت عقيقته فرقها والا فلا فرق يجاوز شعره شحمة أذنيه اذا هو وفره أزهر اللون واسـع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير فرق بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبدن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل او شائل الاطراف سبط القصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبؤ عنهما الما اذا زال زال تقلعاً ويخطو تكفياً ويمشي هوناً ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقي بالسلام قلت صف لي منطقه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول فيه ولا تقصير دمث ليس بالجافي ولا بالمهين يعظم النعمة واذا دقت لا يذم منها شيئاً غير انه لم يكن ذواقاً ولا يمدحه ولا تغضبه الدنيا وما كان لها ولا يقوم ولا يقام لغضبه شيء اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا أشار أشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى باطن راحته اليسرى واذا غضب أعرض وأشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال ثم سألته عن مدخله ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئاً قال

ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها المؤمنين بمرصد

قال عبد الملك بن وهب المدحجي بلغني أن أم معبد أسلمت وهاجرت وروى من وجه آخر وفيه قال ابو عبيد الله بن بكر البيهقي الاصعل صغير الرأس والاصمع صغير الاذنين وفي آخره فأصبح الناس قد فقدوا نبيهم فأخذوا على خيمة أم معبد حتى لحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني أن أبا معبد أسلم وهاجر الى المدينة .

وفي رواية زيادة على ما مضى من أبيات حسان وهي :

ترحل عن قوم فزالت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا عمى وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على آل يثرب ركاب هدى حلت عليهم بأسعد

وقال ابن قتيبة في تفسير بعض ما وقع في هذا الحديث من الغريب . المرملون هم الذين قد نفد زادهم . ويربض الرهط يرويهم حتى يثقلوا فيربضوا ومشرق الوجه مضيئه . له تعبه تجلة الرقة والضم والصعل الكشح وهو الخاصرة والدعج السواد في العين . وفي أشفاره عطف بالعين المهملة وقيل بالمعجمة هو ان تطول الاشفار ثم تنعطف وكذلك العطف انعطاف الاشفار . في صوته صحل أي كالبحة وقولها فصل لا نزر ولا هزر معناه وسط ليس بالقصير ولا بالطويل . قولها ولا تقتحمه عين من قصر أي لاتحتقره ولا تزدريه وقول الهاتف فتحلبت بصريح هو اللبن الخالص الذي لم يمذق والضرة لحم الضرع وأخرج ابو بكر الخطيب واللالكائي عن ابن عباس انه قال لهند بن ابي هالة التيمي وكان صادقاً وكان وصافاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم صف لنا رسول الله فلعلك ان تكون نساباً ذا معرفة قال كان بأمي هو وأمي طويل الصمت دائم الفكر متواتر الاحزان اذا تكلم تكلم بجوامع الكلم لا فصل ولا قصير اذا حدث أعاد واذا وعظ جد وماد واذا خولف أعرض فأشاح يتروح الى حديث أصحابه يعظم النعمة وان دقت ولا يذم ذواقاً ويبسم عن مثل حب الغمام هذا حديث غريب من حديث ابي عياش عن هند وهو مختصر وقد روى من وجه آخر غريب ايضاً عن هند من طريق

أزهر اللون أجهر الناس واجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ربعة لا تشنؤه (١) من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً له رفقاء يحفون به ان قال استمعوا لقوله وان أمر تبادروا الى أمره محفود محشود لا عابس ولا قابح ولا سنح وفي لفظ ولا مفند (٢) فقال هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر ولو كنت واقفاً لالتمست أن أصحبه ولأفعلنه ان وجدت الى ذلك سبيلا وأصبح صوت بمكة بين السماء والارض يسمعونه ولا يدرون ما يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزل بالبر وارتحلا به فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيال قصي مازوى الله عنكموا (٣) به من فعال لا تجازى وسودد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ومقعدها المؤمنين بمرصد
دعاها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزبد (٤)
فغادرها رهناً لديها لحالب يد ربها في مصدر ثم مورد (٥)

« فأجابه حسان فقال »

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم وقدس من يسري اليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فزالت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد
وهل يستوي ضلال قوم تسكعوا عمى وهداة يهتدون بمهتد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وان قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد

---

(١) أجهر الناس أي أعظمهم في المنظر لا تشنؤه أي لا يبغضه الناظر لفرط طوله وقوله ولا تقتحمه الخ معناه لا تتجاوز عين الى غيره احتقاراً له وكل شيء أزديته فقد اقتحمته . (٢) المحفود الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته والمحشود بمعناه وهو ان أصحابه يخدمونه ويجتمعون عليه والقابح اسم فاعل من القبح ومعناه لا يقبح شيئاً والسنح الذي يتكلم بالشيء بمهما سنح له من غير رؤية والفند الخطأ في القول والرأي . (٣) زوى صرف عنهم وقبض (٤) مزبد بضم الميم أي علاه الزبد . (٥) معناه تحلبها مرة ثم أخرى وروى البيهقي ان غنم أم معبد كثرت حتى جلبت منها الى المدينة قال ولا أرى الا انها أسلمت وأخرج ابو نعيم ان هذه الشاة بقيت الى سنة ثماني عشرة زمن عمر بن الخطاب وكانت تحلبها صباحاً ومساء .

واكسى لبرد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابح المتجرد(١)

ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد(٢)

ورواه ابن مندة عن ابي معبد وفيه من الزيادات انهم مروا بخيمتي أم معبد الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة (٣) وتطعم وتسقي فسألوها لحماً أو تمراً ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك وان القوم مرملون(٤) فقالت لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى (٥) وفيه انها قالت في وصفه صلى الله عليه وسلم رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه(٦) حسن الخلق لم تعبه تجلة ولم تزريه صقلة(٧) وسيماً قسيماً في عينيه دعج وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل أو قالت صهل(٨) أحور أكحل أزج أقرن رجل في عنقه سطع(٩) وفي لحيته كثافة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلا بالبهاء كأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن فصل لا نزر ولا هزر(١٠)

---

(١) أي انه أكسى الناس للبرود الجديدة قبل أن تصير مبتذلة والسابح الفرس الحسنة مد اليدين في الجري والمتجرد الذي يسبق الخيل ويتجرد عنها لسرعته . (٢) المرصد والمرصاد الطريق . (٣) البرزة الكبيرة الكهلة التي لا تحتجب احتجاب الشواب وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتتحدث معهم والاسم مأخوذ من البروز وهو الظهور وقوله جلدة معناه قوية وفناء الخيمة ما اتسع أمامها . (٤) مرملون بضم الميم وسكون الراء معناه نفد زادهم وأصله من الرمل كأنهم لصقوا به . (٥) يقال أعوزه الشيء اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه والقرى بكسر القاف الاحسان الى الضيف . (٦) الوضاءة بفتح الواو الحسن والبهجة ومتبلج الوجه مشرقة مسفرة . (٧) تريد انه ليس بضخم بحيث يعاب لتجلته أي ضخامته وقوله لم تزريه صقلة كذا هو في الرواية باثبات الياء على حد . اذا العجوز غضبت فطلق . ولا ترضاها ولا تملق . والصقلة الدقة والنحول يقال صقلت الناقة اذا أضمرتها وقيل أرادت انه لم يكن منتفخ الخاصرة ولا ناحلا جداً ويروى بالسين على الابدال من الصاد ويروى صعلة بالعين وهي صغر الرأس وهي أيضاً الدقة والنحول في البدن . (٨) الوسامة الحسن الوضيء الثابت والقسامة الحسن ايضاً ورجل مقسم الوجه أي جميله كله كان كل موضع منه أخذ قسماً من الجمال والدعج والدعجة السواد في العين وغيرها ومعناه ان سواد عينيه كان شديد السواد وقيل الدعج شدة سواد العين في شدة بياضها والاشفار جمع شفر بضم أوله وقد يفتح وهو حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر والوطف بفتحتين الطول ويروى غطف بالغين المعجمة والمعنى واحد والصحل كالبحة وقد تقدم . (٩) الحور شدة بياض العين في شدة سوادها والكحل تقدم والزجج دقة في الحاجبين وطول والاقرن المقرون الحاجبين وقولها في عنقه سطع معناه ارتفاع وطول . (١٠) النزر القليل أي ليس بقليل فيدل على عي ولا كثير فاسد بل بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل .

« باب ما جاء في صفة النبي صلى الله عليه وسلم من » الاحاديث الطوال مما يشتمل عى أكثر مما مضى من الاحاديث القصار وفي بعضها زيادات عليها

قال محمد بن سليمان بن سليط وكان بدرياً لما خرج رسول الله في الهجرة ومعه ابو بكر الصديق وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وعبد الله بن اريقط الليثي يدلهم على الطريق مروا على أم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال لها يا أم معبد هل من لبن قالت لا والله وان الغنم لعارية قال فما هذه الشاة التي أراها في فناء البيت قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال أتأذنين في حلابها قالت لا والله ما ضربها فحل قط فشأنك بها فدعى بها فمسح ظهرها وضرعها ثم دعا باناء يربض الرهط حوله فحلب فيه فملأه فسقى أصحابه عللا بعد نهل (١) ثم حلب فيه آخر فغادره عندها وارتحل فلما جاءها زوجها عند المساء قال يا أم معبد ما هذا اللبن ولا حلوبة في البيت والغنم عارية قالت لا والله الا انه مر بنا رجل ظاهر الوضاءة متبلج الوجه في أشفاره وطف (٢) وفي عينيه دعج وفي صوته صهل غصن بين غصنين لا يشان من طول ولا يقتحم من قصر لم تعله تجلة ولم تزر به صعلة(٣) كأن عنقه ابريق فضة اذ صمت فعليه البهاء واذا نطق فعليه الوقار وقال له كلام كخرزات النظم أزين أصحابه منظراً وأحسنهم وجهاً أصحابه يحفون به اذا أمر ابتدروا أمره واذا نهى انتهوا عند نهايته فقال هذه والله صفة صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته ولست جهولا اذا فعلت قال فلم يعلموا بمكة أين توجه رسول الله وابو بكر حتى سمعوا هاتفاً على رأس ابي قبيس وهو يقول :

جزا الله خيراً والجزاء بكفه رفيقين حلا خيمتي ام معبد
فما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد

---

(١) أي مرة بعد مرة . (٢) الوطف الطول . (٣) الصعلة صغر الرأس وهي أيضاً الدقة والنحول في البدن .

البياض سابغ الشعر ورواه ابن مندة وروى البخاري عن عائشة قالت دخل على رسول الله يوماً فقعد يخصف نعلا وأنا قاعدة أغزل فرفعت بصري اليه فاذا سالفته ذات عرق وهو يتولد في عيني نوراً فبهت فرفع رسول الله رأسه الي فقال الىم تنظرين يا عائشة وقد بهتي فقلت والله ما أنظر الى شيء من وجهك الا تولد في عيني نوراً ثم قالت أما والله لو رآك ابو كبير الهذلي لعلم انك أحق بشعره من غيرك فقال وما قال ابو كبير فقالت قال :

ومبرأً من كل غـيرة حيضة وفساد مرضعـة وداء مغيل

واذا نظرت الى أسرة وجهه برق كبرق العـارض المتهلل

قالت فوضع رسول الله ما كان في يده وقام الي وقبل مابين عيني وقال جزاك الله خيراً يا عائشة فما أعلم اني سررت بشيء كسروري بكلامك وقالت عائشة استعرت من حفصة بنت رواحة ابرة كنت أخيط بها ثوب رسول الله فسقطت مني الابرة فطلبتها فلم أقدر عليها فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبينت الابرة من شعاع نور وجهه فضحكت فقال يا حميراء لم ضحكت فقلت كان كيت وكيت فنادى بأعلى صوته يا عائشة الويل ثم الويل ثلاثاً لمن حرم النظر الى هذا الوجه ما من مؤمن ولا كافر الا ويشتهي أن ينظر الى وجهي وقالت ايضاً أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم شملة سوداء فلبسها وقال كيف ترينها على يا عائشة فقلت ما أحسنها عليك يشوب سوادها بياضك وبياضك سوادها قال فخرج فيها الى الناس وقالت أم هانيء ما رأيت بطن رسول الله الا ذكرت القراطيس يثنى بعضها على بعض وفي رواية كأنه القراطيس المدرجة وعن عمار بن ياسر قال قلت للربيع بن مسعود صف لي رسول الله فقال يا بني لو رأيته لرأيت الشمس طالعة وعن امراة من همذان قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان أحمران يكادا يمسا منكبيه اذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه للثته فيقبله فقيل لها شبهيه فقالت كالقمر ليلة البدر .

فبركت ثم نزل فوضع ردائه بين شعبي الرحل ثم أعطاني السوط وقال اقتد قلت منك لا والذي بعثك بالحق ما جئت الا اسألك أي عمل يدخل الله به العبد الجنة قال تقول العدل وتعطي الفضل قلت لا أطيق ذلك قال فافشي الاسلام وأطيب الكلام قلت ولا هذا أطيق فقال هل لك من ذود (١) قلت نعم لي ثلاثة ذود قال فخذ بعيراً منها فاسق عليه أهل بيت لا يشربون الماء الا غباً قال فلعلك لا ينضى بعيرك ولا ينخرق سقاؤك حتى يدخلك الله الجنة وفي لفظ ان العامري قال لقد وصفته لي صفة لو كان في جميع الناس لعرفته فانطلق الرجل يستقري المواكب حتى طلع رسول الله وهو نائم وفي يد بلال جريدة معقود فيها ثوب يستره من الشمس فلما رآه الرجل دخل في موكبه فسأل رجلا من أصحابه فقال من هذا الرجل فانتهره ونهره فقال هل تعرفه فقال لا والله انما أنا رجل بدوي ما قدمت هذه البلاد قط فقال هذا رسول الله فعجل فقال الرجل فأقبل يعدو حتى أخذ بزمام ناقة رسول الله ففزع وضربه بسوطه وساق القصة بنحو ما تقدم وفي آخرها فانطلق الرجل يقول والذي بعثك بالحق لأفعلن ثم ان الرجل فعل ذلك ثم قتل شهيداً في سبيل الله وعن أبي الطفيل قال رسول الله ولم يبق على الارض أحد رآه غيري فقيل له كيف رأيته فقال رأيته أبيض مليحاً مقصداً اذا مشى كأنه يهوي في صبب وروى ابن سعد عنه ايضاً انه قال رأيت رسول الله يوم فتح مكة فما أنسى شدة بياض وجهه وشدة سواد شعره ان من الرجال لأطول منه ومنهم من هو أقصر منه ويمشي ويمشون خلفه فقلت لأمي من هذا قالت هذا رسول الله قلت ما كانت ثيابه قال ما أحفظ ذلك الآن وعن أبي قرصافة قال لم يكن رسول الله بالفارغ الجسم بل كان حسنه وروى احمد في مسنده عن شيخ من كنانة قال رأيت رسول الله بسوق ذي المجاز يتخللها ويقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا قال وأبو جهل يحثو عليه التراب ويقول يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فانما يريد أن تتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى قال وما يلتفت اليه رسول الله فقلنا له انعته لنا فقال بين بردين أحمرين مربوع كثير اللحم حسن الوجه شديد سواد الشعر أبيض شديد

(١) الذود من الابل ما بين الثنتين الى التسع وقيل ما بين الثلاث الى العشر .

مثل بيض الحمامة يثبت في جسده وقال رأيته في حلة حمراء في ليلة اصحيان فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو كان في عيني أحسن من القمر رواه البيهقي وفي رواية في ليلة صحياء فجعلت أماثل بينه وبين القمر فكان في عيني أحسن من القمر وفي رواية أزين من القمر وفي رواية فلهو في عيني أزهى من القمر . وعن جابر بن عبد الله قال ما رأيت أحسن من رسول الله في حلة حمراء رواه ابن شاهين وقال تفرد به أيوب بن سويد وروى ابن سعد عن جابر انه قال كان رسول الله أبيض مشرباً بحمرة شثن الكفين والقدمين ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالسبط ولا بالجعد اذا مشى هرول الناس ورائه لا يرى مثله أبداً وعن خالد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هبط علي جبريل فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك حبيبي اني كسوت يوسف من نور الكرسي وكسوت حسن وجهك من نور عرشي تفرد به في الاصل وفي اسناده محمد بن عبد الله بن ابراهيم وهو مجهول والحديث منكر وعن أنس قال كان رسول الله ضخم الكفين والقدمين كثير العرق لم أر بعده مثله وعن ابي امامة أن رجلا من بني عامر بن صعصعة جاءه فقال له صف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية يا أبا امامة انك رجل عربي اذا وصفت شيئاً شفيت منه فصف لي رسول الله فقال كان أبيض تعلوه حمرة أدعج العينين أهدب الاشفار وفي لفظ ضخم المناكب اشعر الذراعين والصدر شثن الاطراف ذو مسربة عظيم الهامة كثير الشعر كأن شعره اللؤلؤ أعنق الناس أديم وجه لم أر قبله ولا بعده في الرجال من هو أطول منه وفي الرجال من هو أقصر منه اذا مشى تكفأ كأنما يمشي في صعد واذا التفت التفت جميعاً منفتق الخاصرة (١) لا أخمص له يطأ على قدميه جميعاً عليه حلتان سحوليتان ازاره تحت ركبتيه بثلاث أو أربع أصابع وردائه اذا تعطف به لم يحط به فهو واضعه تحت ابطه بين كتفيه خاتم النبوة وهو أقرب الى كتفه الايمن قال فبينا أنا أستقري الرجال اذ أنا بموكب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ هو قائم وفي يده سوط طويل فأخذت بخطام راحلته فاستيقظ فضربني بالسوط ضربة ونزل العباس فقلت والذي بعثك بالحق ما جئت آبغيك سوءاً قال آلله قلت آلله فقرع راحلته

---

(١) معناه متسع الخاصرة وهو محمود في الرجال مذموم في النساء .

خذه يخدمك قال فخدمته تسع سنين فما قال لشيء صنعته أسأت ولا بئس ما صنعت ولا مسست شيئاً قط خزاً ولا حريراً ألين من كفي رسول الله ولا شممت رائحة قط مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة رسول الله وقال أيضاً آخر نظرة نظرتها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فانه قد كشف الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فأشار اليهم أن امكثوا وألقى السجف وتوفي من آخر يومه فرأيت وجهه كأنه ورقة مصحف وكان أنس يقول في وصفه ايضاً أبيض الوجه كث اللحية ضخم الهامة أحمر الاماقي أهدب الاشفار شثن الكفين والقدمين ضخم الساقين لطيف المسربة ليس بالقصير ولا بالطويل وهو الى الطول أقرب منه الىالقصر كثير العرق اذا مشي يتقلع كأنه يمشي في صعد وروى الامام احمد ومسلم عن البراء بن عازب انه كان يقول كان رسول الله رجلا مربوعاً بعيد ما بين منكبيه عظيم الجمة الى شحمته وفي لفظ الى شحمة أذنيه عليه حلة حمراء ما رأيت قط أحسن منه وفي رواية كان رجلا مربوعاً عظيم أو عريض ما بين المنكبين كث اللحية تعلوه حمرة جمته الى شحمة أذنيه وفي لفظ آخر ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله له شعر يضرب منكبيه وقال ايضاً كان رسول الله أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل ولا بالقصير رواه ابو بكر الجوزقي وقال البراء ايضاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد البياض كثير الشعر وقال له رجل أكان وجهه حديداً مثل السيف فقال لا بل كان مثل القمر وقال ما رأيت أحسن شعراً ولا أحسن بشراً في ثوبين احمرين من رسول الله . وأخرج ابو بكر بن أبي شيبة عن جابر بن سمرة انه قال كان في ساقي رسول الله حموشة (١) وكان لا يضحك الا متبسماً وكان اذا نظرت اليه قلت أكحل العينين وليس بأكحل وقال ايضاً كان ضليع الفم أشكل العينين منهوس العقب قال الجوهري قلت لسماك ما ضليع الفم قال عظيم الفم قلت ما أشكل العينين قال طويل شعرها قلت ما منهوس العقب قال قليل لحم العقب وكان جابر بن سمرة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم رأسه ولحيته فاذا أدهن لم ير منه شيب واذا لم يدهن رؤي منه شيء وكان كثير شعر الرأس واللحية فقال رجل وجهه مثل السيف قال لا وجهه مثل القمر قال لا وجهه مثل الشمس ورأيت عند عقر كتفيه (٢)

---

(١) الحموشة الدقة . (٢) العقر بالضم والفتح الاصل .

فدنا من رسول الله وكان مشربا بحمرة. وعن انس قال كان رسول الله ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وكان ازهر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم (١) وكان رجل الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط بعث وهو ابن اربعين فاقام بمكة عشرا وبالمدينة عشرا ومات وهو ابن ستين (٢) وليس في رأسه ولا لحيته عشرون شعرة بيضاء وفي رواية ليس بالاحمر ولا بالابيض الامهق وقد روى هذا الحديث من طريق مالك وروى من اسانيد تفرد به خالد الطحان عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمر اللون ورواه ابو يعلى بلفظ انه كان اسمر انما كانت السمرة لكثرة مقابلته للشمس (٣) والصحيح انه كان ابيض وعن انس قال كان رسول الله احسن الناس وجها واحسن الناس قواما واحسن الناس لونا واطيب الناس ريحا والين الناس كفا ما شممت رائحة مسكية ولا عنبرية اطيب رائحة منه ولا مسست خزة ولا حريرة الين من كفه زاد في رواية وكانت له جمة (٤) الى شحمة اذنيه وكانت لحيته قد ملأت من ههنا الى ههنا وفي لفظ وامر يديه على عارضيه وروى عنه انه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالادم ولا الابيض شديد البياض فوق الربعة ودون الطويل وكان من احسن مارايت من خلق الله واطيبه ريحا والينه كفا ليس بالجعد الشديد الجعودة يرسل شعره الى انصاف اذنيه وفي رواية ما شممت ريحا قط مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انس اخذت امي ام سليم بيدي حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله هذا انس غلام

---

(١) الامهق الشديد البياض بحيث يكون خاليا عن الحمرة والنور فلا ينافي انه ابيض مشرب بحمرة والادم الاسمر (٢) وفي رواية توفي وهو ابن خمس وستين سنة وفي رواية وهو ابن ثلاث وستين وهي اصحها واشهرها (٣) الذين وصفوه صلى الله عليه وسلم بالبياض خمسة عشر صحابيا قاله الحافظ العراقي وقال الحافظ ابن الجوزي ما روى عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان اسمر اللون فهو حديث لا يصح وهو يخالف الاحاديث كلها اه وهذه الرواية انفرد بها حميد عن انس وقوله في الاصل انما كانت السمرة الخ يخالفه بأنه روى الترمذي وصف عنقه الشريف بانه ابيض كانما صيغ من فضة مع انه بارز للشمس وقيل ان العرب كانت تطلق السمرة على البياض المشرب بحمرة وهذا اقرب الى الصواب .

(٤) الجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين .

وجهه وما رأيت احد اسرع في مشيته من رسول الله كان الارض تطوي له وانا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث (١) واخرج الامام احمد في مسنده عن صالح مولى ابي هريرة ان ابا هريرة كان ينعت رسول الله فيقول كان اشعر الذراعين بعيد ما بين المنكبين وفي رواية اهدب اشفار العينين يقبل جميعا ويدبر جميعا بابي وامي لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الاسواق وروى الطبراني عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان ينعت رسول الله فيقول كان رجلا ربعه وهو الى الطول اقرب شديد البياض اسود اللحية حسن الشعر اهدب اشفار العينين بعيد ما بين المنكبين مفاض اللحيين (٢) يطأ بقدميه جميعا ليس لها اخمص (٣) يقبل جميعا ويدبر جميعا لم ار مثله قبل ولا بعد واخرج عبد الرزاق ان ابا هريرة سئل عن صفة رسول الله فقال احسن الوصف واجمله ماكان ربعة والى الطول اقرب بعيد ما بين المنكبين اسيل الخدين شديد سواد الشعر اكحل العينين اهدب الاشفار اذا وطىء وطىء بقدميه كلها ليس لها اخمص واذا وضع ردائه على منكبيه كان كانه سبيكة فضة واذا ضحك كان يتلألأ في الجدر لم ار قبله ولا بعده مثله واخرجه ابن سعد عنه بلفظ كان شثن الكفين والقدمين ضخم الساقين عظيم الساعد بعيد ما بين المنكبين رحب الصدر رجل الرأس اهدب العينين حسن الفم حسن اللحية تام الاذنين ربعة من القوم لا طويل ولا قصير احسن الناس لونا يقبل معا ويدبر معا لم ار مثله ولم اسمع بمثله وفي رواية كان ابيض كأنما صيغ من فضة رجل الشعر مفاض البطن عظيم مشاش يطأ بقدميه جميعا اذا اقبل اقبل معا واذا ادبر ادبر معا زاد في رواية ابن المبارك ابيض الكشحين (٤) وزاد ايضا انه كان ضخم الكفين ضخم القدمين وما مشى مع احد الا طاله وعن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه متكئا فجاء رجل من اهل البادية فقال ايكم بن عبد المطلب فقالوا هذا الامغر المرتفق (٥)

---

(١) أي غير مبالي (٢) مفاض اللحيتين أي مستوي الشعر في الجانبين منهما وقبل المفاض ان يكون فيه امتلاء (٣) الاخمص من القدم الذي لا يلصق بالارض منها حين الوطيء والمراد ان ذلك الموضع من اسفل قدمه شديد التجافي عن الارض (٤) الكشح الخصر قاله في النهاية وقال في القاموس وشرحه الكشح ما بين الخاصرة الى الضلع الحلف وهو من لدن السرة الى المتن يعني الظهر (٥) أي الاحمر المتكي على مرفقه مأخوذ من المغرة وهو هذا المدر الاحمر الذي تصبغ به الثياب .

يتقلع على صخرا وينحط في صبب اذا جاء مع القوم غمرهم كان ريحعرقه ريح المسك بابي وامي لم ار قبله ولا بعده احدا مثله وروى محمد بن سعد انه سئل سعد بن ابي وقاص هل غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولا همبه وقال كان شيبه في عنفقته وناصيته لو شاء احد عدها لعدها يعني شعرات شيبه وروى ابو نعيم عن عبد الله بن مسعود انه قال اول شيء علمته من امر رسول الله اني قدمت مكة في عمومة لي فارشدونا الى العباس بن عبد المطلب فانتهينا اليه وهو جالس فبينما نحن عنده اذا اقبل رجل من باب الصفا ابيض تعلوه حمرة له وفرة جعدة الى انصاف اذنيه اقنى الانف براق الثنايا ادعج العينين كث اللحية دقيق المسربة شثن الكفين والقدمين عليه ثوبان ابيضان كأنه القمر ليلة البدر يمشي على يمينه غلام ابيض حسن الوجه مراهق او محتلم تقوده امرأة قد سترت محاسنها حتى قصد نحو الحجر فاستلمه ثم استلم الغلام ثم استلمت المرأة ثم طاف بالبيت سبعا والغلام والمرأة تطوفان معه قلنا يا ابا الفضل ان هذا الدين لم نكن نعرفه فيكم او شيء حدث قال هذا ابن اخي محمد بن عبد الله والغلام علي بن ابي طالب والمرأة امرأته خديجة ما على وجه الارض احد يعبد الله بهذا الدين الا هؤلاء الثلاثة وكان عبد الله بن مسعود يقول كنت اذا رأيت وجه رسول الله قلت كأنه دينار هرقلي (١) وروى الامام احمد في مسنده عن عوف بن ابي جميلة عن يزيد الفارسي انه قال رأيت رسول الله في النوم زمن ابن عباس وكان يزيد يكتب المصاحف قال فاخبرت ابن عباس بذلك فقال ان رسول الله كان يقول ان الشيطان لا يستطيع ان يتشبه بي فمن رآني في النوم فقد رآني فهل تستطيع ان تنعت لنا هذا الرجل الذي رايت قال قلت نعم رأيت رجلا بين الرجلين جسمه ولحمه اسمر الى البياض حسن المصحل (٢) اكحل العينين جميل دوائر الوجه قد ملات لحيته من هذه الى هذه حتى كادت تملأ نحره قال عوف لا ادري ما كان مع هذا النعت قال فقال ابن عباس لو رايته في اليقظة ما استطعت ان تنعته فوق هذا وكان ابو هريرة يقول ما رأيت شيئا احسن من رسول الله كان الشمس تجري في

---

(١) هرقلي منسوب الى هرقل ملك الروم وكان الدينار الهرقلي ذهبا خالصا (٢) المصحل مفعل والصحل بالتحريك كالبحة وان لا يكون حاد الصوت .

طولا وفوق الربعة (١) اذا كان مع القوم غمرهم ابيض شديد الوضح ضخم الهامة اغر ابلج (٢) اهدب الاشفار شثن الكفين والقدمين اذا مشى يتقلع كأنما ينحدر في صبب وذكر بقية حديثه وكان اذا وصفه ايضا يقول لم يكن بالطويل القطط ولا بالقصير المتردد وكان ربعة ولم يكن بالجعد وفي رواية لم يكن بالسبط ولا الجعد ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم (٣) وكان في وجهه تدوير ابيض مشربا حمرة ادعج العينين اهدب الاشفار جليل المشاش والكتد (٤) اجود الناس كفا زاد في رواية بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين ارحب الناس صدرا واصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة من رآه بداهة هابه ومن خالطه معرفة احبه (٥) يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله واسناد هذا الحديث منقطع وورد في بعض الفاظه رقيق العرنين (٦) كأنما شعره مع شحمة اذنيه اذا طال وقال بشير العبدي اتى ناس الى عمر رضي الله عنه فقالوا يا امير المؤمنين صف لنا رسول الله كأنا نراه فأنا اليه مشتاقون فقال كان نبي الله ابيض اللون مشربا بحمرة ادعج العينين كث اللحيةذا وفرة رقيق المسربة كان عنقه ابريق فضة كأنما يجري له شعر من لبته الى سرته يجري كالقضيب لم يكن في بطنه ولا في جسده شعره غيره شثن الاصابع والكفين والقدمين اذا التفت التفت جميعا واذا مشى كأنما

---

(١) الواو للحال والمعنى انه لم يكن بالذاهب طولا والحال انه فوق المربوع (٢) غمرهم بالغين المعجمة أي كاف فوق كل من معه وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم والوضح البياض والهامة الرأس وقد تقرر في علم الحيوان انالانسان كلما كان اكبر مخا كان اكبر ادراكا لكن هذا مشروط بالاعتدال بالنسبة الى البنية ولهذا البحث فروع ليس هنا محلها ولا شك ان اوصافه صلى الله عليه وسلم اكمل الاوصاف والاغر الابيض والشريف والابلج المضيء المشرق (٣) المطهم البادن الكثير اللحم والمكلثم المدور الوجه (٤) جليل المشاش يريد به رؤوس المناكب والمرفقين والركبتين وهو بضم الميم والكتد بفتح التاء وكسرها مجتمع الكتفين (٥) ارحب الناس صدرا اوسعهم صدرا أي قلبا وهو كناية عن عدم الملل من الناس على اختلاف طباعهم وتباين امزجتهم كما ان ضيق الصدر كناية عن الملل واللهجة بسكون الهاء وتفتح هي اللسان والمراد بها الكلام لانه هو الذي يتصف بالصدق والعريكة الطبيعة ومعنى لينها انقيادها للخلق بالحق فكان معهم على غاية من التواضع والمسامحة والحلم ما لم تنتهك حرمات الله وقوله من رآه بديهة الخ معناه من رآه قبل النظر في اخلاقة العلية خافه لما فيه من صفات الجلال (٦) العرنين من الانف ما كان تحت مجتمع الحاجبين .

فاني اشهد انه نبي وانه رسول الله وانه ارسل الى الناس كافة فعلى ذلك احيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله ثم كان يأتي عليا فيعلمه القرآن ويخبره بشرائع الاسلام ثم خرج علي والحبر هناك حتى مات في خلافة ابي بكر وهو مؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم مصدق به وروى عن علي في نعت رسول الله انه قال هو ابيض مشرب بياضه بحمرة اهدب الاشفار اسود الحدقة (١) لا طويل ولا قصير وهو الى الطول اقرب من رآه احبه لا جعد ولا قطط في صدره مسربة شثن الكفين والقدمين كان عرقه اللؤلؤ اذا مشى تكفأ كأنه يمشي في صعد لم ار قبله ولا بعده مثله ورواه ابن منده وزاد فيه ضخم الرأس واللحية ضخم الكراديس وكذا رواه ابو نعيم ورواه الامام احمد بلفظ لا طويل ولا قصير مشرب لونه بحمرة حسن الشعر رجله ضخم الكراديس شثن الكفين ضخم الهامة طويل المسربة اذا مشى تكفأ كأنما ينحط في صبب لم ار مثله ولا بعده ورواه ابن ابي شيبة وزاد فيه كثير شعر الرأس رجل ورواه الروياني وزاد فيه حسن الشعر وروى ان رجلا من الانصار سأل عليا بن ابي طالب وهو في مسجد الكوفة عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان ابيض اللون مشربا حمرة ادعج العينين(٢)سبط الشعر دقيق المسربة سهل الخدين كث اللحية (٣)ذا وفرة كان عنقه ابريق فضةله شعر يجري من لبته الى سرته كالقضيب ليس في بطنه ولا في صدره شعر غيره شثن الكفين والقدمين اذا مشى كأنما ينحدر من صبب واذا التفت التفت جميعا ليس بالطويل ولا بالقصير ولا الفاجر ولا اللئيم (٤) كان عرقه في وجهه اللؤلؤ ولريح عرقه اطيب من المسك الازفر لم ار مثله قبله ولا بعده واخرج عبد الله بن الامام احمد عن يوسف بن مازن ان رجلا سأل عليا رضى الله عنه عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان ليس بالذاهب

---

(١) الحدقة العين كما في النهاية وقال ابن دريد هي السواد المستدير وسط العين اه وهو الصحيح ويقال لها حندوقة بالضم وحنديقة بالكسر (٢) الادعج الشديد سواد العين قاله الاصمعي (٣) سهل الخدين وفي بعض الروايات اسيل الخدين وعلى كل فالمعنى انه كان غير مرتفع الخدين وذلك اجلى واعلى عند العرب وقوله كث اللحية وهو بمعنى كثيف اللحية وفي بعض الروايات عظيم اللحية والمعنى واحد (٤) الفاجر المسترسل في المعاصي والمحارم واللئيم الدنيء الاصل الشحيح النفس .

عظيم العنق بل فيه عظيم العينين وروى ابو يعلى عن محمد بن الحنفية قال سئل علي رضي الله عنه عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان لا طويلا ولا قصيرا حسن الشعر رجله مشربا وجهه حمرة ضخم الكراديس شثن الكفين والقدمين عظيم الرأس طويل المسربة لم ار قبله ولا بعده مثله اذا مشى تكفأ كأنما ينحط وفي لفظ ينزل من صبب (١) واخرج ابن سعد عن علي بن ابي طالب قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فاني لاخطب يوما على الناس وحبر من احبار اليهود واقف في يده سفر (٢) ينظر فيه فناداني فقال صف لنا ابا القاسم فقال علي رضي الله عنه انه ليس بالقصير ولا بالطويل البائن (٣) وليس بالجعد القطط ولا بالسبط هو رجل الشعر اسوده ضخم الرأس مشرب لونه بحمرة عظيم الكراديس شثن الكفين والقدمين طويل المسربة وهو الشعر الذي يكون في النحر الى السرة اهدب الاشفار مقرون الحاجبين صلت الجبين (٤) بعيد مابين المنكبين اذا مشى يتكفأ كأنما ينزل من صبب لم ار قبله مثله ولم ار بعده مثله قال علي ثم سكت فقال لي الحبر وماذا فقال له علي هذا ما يحضرني فقال الحبر في عينيه حمرة حسن اللحية حسن الفم تام الاذنين يقبل جميعا ويدبر جميعا فقال علي هذه والله صفته قال الحبر وشيء آخر قال علي ما هو قال الحبر وفيه حياء فقال على هو الذي قلت لك كأنما ينحط من صبب قال الحبر فاني اجد هذه الصفة في سفر ابائي ونجده يبعث من حرم الله وامنه وموضع بيته ثم يهاجر الى حرم يحرمه هو وتكون له حرمة الحرم الذي حرم الله ونجد انصاره الذين هاجر اليهم قوما من ولد عمرو بن عامر اهل نخل واهل الارض قبلهم يهود فقال علي هو هو رسول الله فقال الحبر

---

(١) قوله رجله الضمير للشعر والمعنى ان شعره لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل كان وسطا بينهما وقوله ضخم الكراديس معناه عظيم رؤوس العظام والكراديس جمع كردوس بوزن عصفور هو رأس العظم وقيل مجمع العظام كالركبة والمنكب وعظم ذلك يستلزم كمال القوى الباطنية وقوله طويل المسربة هي بوزن مكرمة وقد تفتح الراء وهي الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر الى السره قاله الاصمعي (٢) السفر بكسر السين الكتاب (٣) البائن الظاهر الطول او المفرط في الطول الخارج عن حد الاعتدال والجعد بفتح فسكون والقطط بفتحتين على الاشهر وبفتح وكسر والسبط من الشعر المنبسط المسترسل والقطط الشديد الجعودة أي كان شعره وسطا بينهما (٤) صلت الجبين واسعه وقيل الصلت الاملس .

((خبر أم شريك))

قال ابن عباس خطب النبي صلى الله عليه وسلم صفية بنت بشامة بن نضلة العنبري وكان اصابها سبيا فخيرها فقال ان شئت انا وان شئت زوجك فقالت بل زوجي فارسلها فلعنتها بنو تميم. وقال محمد بن ابراهيم التيمي كانت أم شريك امرأة من بني عامر بن لؤي معيفة (١) فوهبت نفسها لرسول الله فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت وقال عامر في قوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ان نساء وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فدخل ببعضهن وارجأ (٢) بعضا فلم ينكحن بعده منهن أم شريك وقال علي بن الحسن تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم شريك الدوسية قال ابن سعد واسمها عربة بنت جابر وقال ابو هشام وكانت امرأة صالحة.

((باب صفة خلقه ومعرفة خلقه))

عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس عظيم العنق مشرب العينين من حمرة اهدب الاشفار كث اللحية شثن الكفين والقدمين ازهر اللون اذا مشى تكفأ كأنما يمشي في صعد واذا التفت التفت جميعا (٣) رواه الحاكم ورواه الامام احمد وليس فيه

---

(١) مأخوذ من العيافة وهي زجر الطير والتفاؤل باسمائها وأصواتها وممرها وهو من عادة العرب كثيرا وهو كثير في اشعارهم (٢) الارجاء التأخير (٣) اهدب الاشفار أي طويل شعر الاشفار وهي الاجفان التي تنبت عليها الاهداب وقوله كث اللحية بفتح الكاف الكثاثة في اللحية ان تكون غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثافة أى ثخن وشثن الكفين بالمثلثة قال الاصمعي هو الغليظ الاصابع من الكفين والقدمين قال ابن بطال كانت كفه ممتلئة لحما غير انها مع غاية ضخامتها كانت لينة والازهر الابيض المستنير وقوله اذا مشى تكفأ أي يميل الى سنن المشى وهو ما بين يديه كالسفينة في جريها وهذه مشية اولى العزم والهمة وهي اعدل المشيات فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة وكثير منهم يمشي كالجمل الاهوج وهو علامة خفة العقل وقوله كأنما يمشي في صعد أي في صعود وارتفاع وسيأتى الكلام عليه وقوله واذا التفت التفت جميعا معناه انه كان يلتفت بجميع اجزائه فلا يلوي عنقه يمنة او يسرة اذا نظر الى الشيء لما في ذلك من الخفة وعدم الصيانة وانما كان يقبل جميعا ويدبر جميعا لان ذلك اليق بجلاله ومهابته.

نده وروى محمد بن سعد عن ابن عباس انه قال خطب رسول الله بنتا لابي طالب في الجاهلية وخطبها هبيرة ابن ابي وهب فزوجها ابو طالب لهبيرة فقال له يا عم زوجت هبيرة وتركتني فقال يا ابن اخي انا قد صاهرنا اليهم والكريم يكافيء الكريم ثم اسملت ففرق الاسلام بينهما وبين هبيرة ثم ذكر نحوا مما تقدم وأم هانيء اسمها فاختة .

« خبر ليلى بنت الحطيم »

روى محمد بن السائب الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال جاءت ليلى بنت الحطيم الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مولي الشمس ظهره فضربت على منكبيه فقال من هذا اكلته الاسود وكان كثيرا مايقولها فقالت انا بنت مطعم الطير ومباري الريح انا ليلى بنت الحطيم جئتك لاعرض عليك نفسي لتتزوجني قال قد فعلت فرجعت الى قومها فقالت لهم قد تزوجني محمد فقالوا بئس ماصنعت انت امرأة غيرى ومحمد صاحب نساء تغارين فيدعو الله عليك فاستقيليه نفسك فرجعت فقالت يارسول الله اقلني فقال قد اقلتك قال فتزوجها مسعود بن اوس بن سواد بن ظفر فولدت له فبينما هي في حائط من حيطان المدينة تغتسل اذ وثب عليها ذئب فأكل بعضها وادركت فماتت

« خبر صناعة »

قال ابن عباس كانت صناعة بنت عامر بن قرط عند هوزة بن علي الحنفي فمات عنها فورثت منه مالا كثيرا فتزوجها عبد الله بن جدعان التيمي وكان لايولد له فسألته الطلاق فطلقها فتزوجها هشام بن المغيرة فولدت له سلمة فكان من خيار المسلمين فتوفي عنها هشام وكانت من اجمل نساء العرب واعظمها خلقا وكانت اذا جلست اخذت من الارض شيئا كثيرا وكانت تغطي جسدها بشعرها فذكر جمالها عند النبي صلى الله عليه وسلم فارسل سلمة بن هشام ابن المغيرة يخطبها الى ابيها فقال له ابوها حتى استأمرها فقالت وفي رسول الله تستأمر ارجع فزوجني فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فسكت عنه .

فقالت لا استخلف بعده ابدا وكانت ذات جمال فلما سبيت بنو قريظة عرض السبى على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت ريحانة فيمن عرض عليه قالت ريحانة فأمرني فعزلت وكان يقول لي صفيي في كل غنيمة فلما عزلت ارسل بي الى بيت أم المنذر بنت قيس اياما حتى قتل الاسرى وفرق السبى ثم دخل علي فتنحيت منه حياء فدعاني فاجلسني بين يديه فقال ان اخترت الله ورسوله اختارك رسوله لنفسه فقلت اني اختار الله ورسوله فلما اسلمت اعتقني وتزوجني واصدقني اثني عشرة اوقية وشيئا كما كان يصدق نساؤه واعرس بي في بيت أم المنذر وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه وضرب على الحجاب وكان صلى الله عليه وسلم معجبا بها لا تسأله شيئا الا اعطاها ذلك وقد قيل لها لو كنت سألت رسول الله بني قريظة لاعتقهم وكانت تقول لقد بخل بي حتى فرق السبى ولقد كان يخلوا بها ويكثر منها فلم تزل عنده حتى ماتت وجعة في حجة الوداع فدفنها في البقيع وكان تزويجه اياها في المحرم سنة ست من الهجرة قال ابو عبيدة وكان مسكن ريحانة في نخل تحت نخل الصدقة وكان صلى الله عليه وسلم يقيل عندها احيانا وزعم بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم ابتدأ به أول وجعه الذي توفي فيه عندهم. هذا ماعلم من سراريه وحكى ابو عبيدة انه كان لرسول الله اربع ولائد مارية القبطية وريحانة من بني قريظة وكانت له جارية اخرى جميلة اصابها في السبى فكادها نساؤه وخفن ان تغلبهن عليه وكانت له جارية يقال لها نفيسة وهبتها له زينب بنت جحش وقد كان هجرها في شأن صفية بنت حي ذا الحجة والمحرم وصفرا فلما كان شهر ربيع الاول الذي قبض فيه رضى عن زينب ودخل عليها فقالت ما ادري ما اقدم لك فوهبته جاريتها .

« النساء اللوائي خطبهن عليه السلام »
ولم يتزوج بهن

قالت أم هانىء بنت ابى طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ما بي رغبة عنك وماحب ان اتزوج وبني صغار فقال خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل صغير وارعاه على بعل في ذات

كالسكة المحماة لايثنيني شيء حتى امضي لما امرتني به أم الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فاقبلت متوشي السيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما رآني عرف اني اريده فاتى نخلا فرقي فيها ثم رمى بنفسه على قفاه ثم شال رجليه فاذا به اجب امسح ماله مسا قليل ولا كثير قال فاتيت رسول الله فاخبرته فقال الحمد لله الذي صرف عنا اهل البيت وروى البيهقي عن ابن عباس انه قال النبي صلى الله عليه وسلم لام ابراهيم حين ولدت اعتقها ولدها وهذا الحديث تفرد به زياد بن ابي ايوب وهو ثقة وتوفت مارية سنة خمس عشرة من الهجرة وقيل سنة ست عشرة وهو الصحيح ولما توفت صلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفنها بالبقيع .

((خبر ريحانة بنت زيد))

كانت ريحانة بنت زيد بن ابي النضر متزوجة في بني قريظة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخذها لنفسه صفيا (١) وكانت جميلة فعرض عليها رسول الله الاسلام فابت الا اليهودية فعزلها ووجد في نفسه وارسل الى ابي سعية فذكر له ذلك فقال فداك ابي وامي هي تسلم فخرج حتى جاءها فجعل يقول لا تبغي قومك فقد رأيت ما ادخل عليهم حي بن ابي اخطب فاسلمي يصطفيك رسول الله لنفسه فبينما رسول الله في اصحابه اذ سمع وقع نعلين فقال ان هاتين لنعلا ابن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يارسول الله قد اسلمت ريحانة فسر بذلك ثم ارسل بها الى بيت أم المنذر فكانت عندها حتى حاضت حيضة ثم طهرت من حيضها فجاءت أم المنذر فاخبرت النبي بذلك فجاءها في منزل أم المنذر فقال لها ان احببت اعتقتك وتزوجتك فعلت وان احببت ان تكوني في ملكي اطؤك بالملك فعلت فقالت يا رسول الله ان احق ما عليك وعلي ان اكون في ملكك فكانت في ملكه يطؤها حتى ماتت عنده وقال الزهري انه اعتقها وتزوجها فكانت تحتجب من اهلها وتقول لايراني احد بعد رسول الله قال الواقدي وهذا اثبت الحديثين عندنا وروى ابن سعد عن عمر قال اعتق رسول الله ريحانة بنت زيد ابن عمر بن خناقة وكانت عند زوج لها يقال له الحكم وكان محبا لها مكرما

---

(١) الصفي ما كان يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الغنيمة قبل القسمة ويقال له الصفية والجمع الصفايا .

فماتت في الطريق فنكح خالتها شراف بنت فضاله فحملت اليه من الشام فماتت في الطريق .

« خبر امرأة من بني غفار »

قال سهل بن زيد الانصاري تزوج رسول الله امرأة من غفار فدخل بها فلما رفع ثوبها رأى بياضا من برص عند ثديها فاشمأز فقال خذي ثوبك فلما اصبح قال لها الحقي باهلك واكمل لها مهرها .

« خبر سراري رسول الله صلى الله عليه وسلم »

مارية القبطية

روى سفيان بن عينية عن بريدة بن الحصيب انه قال اهدى امير القبط الى رسول الله جاريتين قبطية وثعلبية فاخذ القبطية فولدت له ابراهيم ابنه وذهبت الثانية وقال ابن ابي خيثمة قدم حاطب بن ابي بلتعة سنة سبع بمارية أم ابراهيم وبغلة واسمها دلدل وحمارة يعني هدية الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله يعجب بمارية وكانت بيضاء جعدة جميلة فانزلها واختها على أم سليم بنت ملحان فدخل عليهما فعرض عليهما الاسلام فاسلمتا هناك فوطىء مارية بالملك وحولها الى مال له بالعالية من أموال بني النضير فكانت فيه في الصيف وفي طرقة النخل فكان يأتيها هناك وكانت حسنة الدين ووهب اختها سيرين لحسان بن ثابت الشاعر فولدت له عبد الرحمن وولدت مارية لرسول الله غلاما فسماه ابراهيم وعق عنه بشاة يوم سابعه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعر رأسه فضة على المساكين وامر بشعره فدفن في الارض وسماه ابراهيم وكانت القابلة التي اولدت النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت الى زوجها رافع واخبرته بان مارية ولدت غلاما فجاء ابو رافع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره فوهب له عبدا وغار نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد عليهن حين رزق من مارية ولدا وروى محمد بن اسحاق عن علي كرم الله وجهه ان قبطيا كان ابن عم لمارية وكان يكثر من ان يزورها ويختلف عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي خذ هذا السيف فانطلق الى مارية فان وجدته عندها فاقتله قال علي قلت يا رسول الله اكون في امرك

صواحب يوسف وكيدهن وقال ابن عباس لما استعاذت منه خرج والغضب يعرف في وجهه فقال له الاشعث بن قيس لايسوءك الله يا رسول الله الا ازواجك من ليس دونها في الجمال والحسن فقال اختي قتيلة قال قد تزوجتها قال فانصرف الاشعث الى حضرموت ثم حملها حتى اذا فصل من اليمن بلغه وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فردها الى بلاده وارتد وارتدت معه فيمن ارتد فلذلك تزوجت لفساد النكاح .

((خبر سبا بنت اسماء بنت الصلت))

قال قتادة تزوج رسول الله سبا بنت اسماء بنت الصلت وهي عمة عبد الله ابن مخازم بن اسماء واسماء هذه لها صحبة قاله هشام وقد مات صلى الله عليه وسلم قبل ان يدخل بها .

((خبر عمرة))

قال ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا السيد الساعدي يخطب عليه امرأة من بني عامر يقال لها عمرة بنت يزيد بن عبيد بن كلاب فتزوجها فبلغه ان بها بياضا فطلقها .

((خبر مليكة بنت كعب الليثي))

قال ابن سعد تزوج رسول الله مليكة بنت كعب وكانت تذكر بجمال بارع فدخلت عليها عائشة فقالت اما تستحين ان تنكحي قاتل ابيك فاستعاذت من رسول الله فطلقها فجاء قومها فقالوا يارسول الله انها صغيرة وانها لارأي لها وانها خدعت فارتجعها فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم واذن لهم ان يزوجوها وكان ابوها قتل يوم فتح مكة قتله خالد بن الوليد وكان زواجها في شهر رمضان سنة ثمان وقيل انه دخل بها فماتت عنده قال محمد بن عمرو اصحابنا ينكرون ذلك ويقولون لم يتزوج كنانية قط وقال الزهري مثل ذلك .

((خبر العالية بنت ظبيان))

قال ابن شهاب الزهري تزوج النبي صلى الله عليه وسلم العالية امرأة من بني ابي بكر بن كلاب فمكثت عنده دهرا ثم طلقها .

((خبر خولة بنت الهذيل))

وممن تزوجهن النبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت الهذيل الثعلبية فحملت

((خبر وفاة ميمونة))

قال خليفة بن خياط توفت ميمونة سنة احدى وخمسين وقال ابو عبيد سنة اثنتين وخمسين وقيل سنة ثلاث وستين وقيل سنة احدى وستين وفي هذه الاقوال نظر وفي الحديث الصحيح مايدل على ان ميمونة توفت قبل عائشة وكانت وفاة عائشة سنة سبع وخمسين. فهذه اسماء ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللائي دخل بهن وقد تزوج بغيرهن ولم يبن عليهن واليك بيانهن.

((خبر قتيلة بنت قيس اخت الاشعث))
((وفاطمة بنت الضحاك))

قال ابن عباس تزوج النبي صلى الله عليه وسلم قتيلة فمات قبل ان يدخل بها وقال عكرمة انها تزوجت بعده بعكرمة بن ابي جهل فاراد ابو بكر رضي الله عنه ان يضرب عنقه فقال له عمر ان رسول الله لم يتعرض لها ولم يدخل بها وارتدت مع اخيها فبرئت من الله ورسوله فلم يزل به حتى كف عنه وروى ابن سعد ان الوليد بن عبد الملك كتب الى عروة يسأله هل تزوج النبي صلى الله عليه وسلم اخت الاشعث بن قيس يعني قتيلة فقال ماتزوجها قط وما تزوج كندية الا اخت بني الجون فملكها فلما اتى بها وقدمت المدينة نظر اليها فطلقها ولم يبن بها ويقال انها فاطمة بنت الضحاك وروى الزهري انه لما دخل على فاطمة استعاذت منه فطلقها فكانت تلقط البعر وتقول انا الشقية وتزوجها رسول الله في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة وتوفيت سنة ستين.

((خبر اسماء بنت يزيد الكلابية))
((وعمرة بنت يزيد الكلابية))

قال ابن اسحاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج اسماء بنت كعب فلم يدخل بها حتى طلقها وتزوج عمرة ابنت يزيد احد نساء بني كلاب وكانت قبله عند الفضل بن عباس بن عبد المطلب فطلقها قبل ان يدخل بها ويقال انها اسماء بنت النمير وروى ان اسماء الجوينية لما دخل بها استعاذت منه ولم تستعذ منه امرأة غيرها وانما خدعت لما رأى من جمالها وهيئتها وقد ذكر لرسول الله من حملها على ذلك يعني ان السبب كان من نسائه فقال انهن

فاقمنا بخيبر فتزوجني كنانة بن ابي الحقيق فأعرس بي قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايام وذبح جزرا ودعا يهود وجعلني في حصنه السلالم فرأيت في النوم كأن قمرا قد اقبل من يثرب يسير حتى وقع في حجري فذكرت ذلك لكنانة زوجي فلطم عيني فاخضرت فنظر اليها رسول الله حين دخلت عليه فسألني فاخبرته قال فجعلت يهود ذراريها في الحصون للمقاتلة فلما نازلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وافتتح حصننا دخل على كنانة فقال قد فرغ محمد من اهل البطأة وليس ههنا احد يقاتل فان يهود قد قتلت وكذبتنا الاعراب فحولني الى حصن البراز بالشن قالت وهو احصن ما عندنا فخرج حتى ادخلني وثبت عمي فسار رسول الله اليها قبل الكتيبة فسبيت في البراز قبل ان ينتهي الى الكتيبة فارسل بي الى رحله ثم جاءني حين امسى فدعاني فجئت متقنعة جبة فجئت فجلست بين يديه فقال ان اقمت على دينك لم اكرهك وان اخترت الاسلام واخترت الله ورسوله فهو خير لك فقالت اختار الله ورسوله والاسلام فاعتقني وتزوجني وجعل عتقي مهرا فلما اراد ان يخرج الى المدينة قال اصحابه اليوم نعلم ازوجة هي أم سرية فان كانت امرأة فسيحجبها والا فسرية فلما خرج امر بستر فسترت به فعرفوا اني زوجته ثم قدم الى البعير فقدم فخذه لاضع رجلي عليها فاعظمت ذلك ووضعت فخذي على فخذه ثم ركبت فكنت القي من ازواجه يفخرن علي بقولهن يابنت اليهودي وكنت ارى رسول الله يتلطف بي ويكرمني فدخل على يوما ونا ابكي فقلت ازواجك يفخرن علي ويقلن بنت اليهودي قالت فرأيت رسول الله غضب ثم قال لك ذلك او فاخروك فقولي ابي هارون وعمي موسى وروى الترمذي ان حفصة عيرت زينب فبكت واخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها انك لبنت نبي وان عمك لنبي وانك لتحت نبي فبم تفخر عليك ثم قال لحفصة اتقي الله يا حفصة قال ابن سعد ماتت صفية بنت حي سنة خمسين في خلافة معاوية وقيل سنة اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع والاول اثبت قال عطاء كانت صفية آخر من مات بالمدينة من ازواجه عليه السلام وروى النسائي عن كريب مولى ابن عباس مرفوعا الاخوات الاربع ميمونة وأم الفضل وسلمى واسمى بنت عميس اختهن لامهن مؤمنات .

يا رسول الله قد فعلت فارسل الى ثابت فطلبها منه فقال هي لك يارسول الله بابي وامي فادى ما كان عليها من كتابتها واعتقها وتزوجها وخرج الخبر الى الناس ورجال بمصطلق قد اقتسموا ووطئوا وملكوا ووطئوا نسائهم فقالوا اصهار النبي عليه السلام فاعتقوا ما بايديهم من ذلك السبى قالت عائشة فاعتق يومئذ مائة اهل بيت يتزوج رسول الله اياها فلا اعلم امرأة اعظم بركة على قومها منها وروى ان جويرية قالت افتداني ابي من ثابت بن قيس بما افتديت به امرأة من السبى ثم خطبني رسول الله قال الواقدي وحديث عائشة اثبت من هذا عندنا اه وروى ان جويرية هذه سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما افاء الله عليه من المريسيع في غزوة بني المصطلق فسارت معه فلما كانت بقرب المدينة امر رجلا من الانصار بحفظها كالوديعة عنده فلما اتى المدينة اقبل ابوها الحارث وكان من اشراف قومه ليفدي ابنته فلما كن بالعقيق نظر الى ابله فاعجبه بعيران منها ثم اقبل الى رسول الله بسائر الابل وقال يا محمد اصبتم ابنتي وهذا فداؤها فقال له اين البعيران اللذان عينت بالعقيق كذا وكذا فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله لقد كان ذلك مني في البعيرين وما اطلع على ذلك الا الله تعالى فاسلم الحارث ثم اتى بالبعيرين ودفع الابل كلها الى رسول الله ودفع اليه ابنته فاسلمتجويرية مع ابيها واخويها وحسن اسلامها وخطبها رسول الله كما بلغنا فنكحها وكانت جويرية من قبل عند ابن عم لها يقال له عبد الله ذو الشقرة وروىابن سعد عن ابي قلابة ان رسول الله سبىجويرية فجاء ابوها فقال ان ابنتي لايسبى مثلها فانا اكرم من ذلك فخل سبيلها قال ارأيت ان خيرناها اليس قد احسنا قال نعم فلما خيراها اختارت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى هكذا رويت القصة من وجوه والاثبت حديث عائشة ويحتمل ان اباها جاء بعد الواقعة التي روتها عائشة وتوفيتجويرية في شهر ربيع الاول سنة ست وخمسين وكانعمرها حينما تزوجها عشرين سنة لست سنين من الهجرة وقيل توفت سنة ستين والاول اصح .

« خبر صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم »

روى الواقدي ان صفية كانت تحدث عن قومها فقالت خرجنا من المدينة

أحب اليك قال عائشة قال فمن الرجال قال ابوها ابو بكر قلت ثم من قال عمر بن الخطاب قلت ثم من قال فعدد لي رجالا رواه البخاري ومسلم وعن جابر انه قال بنى رسول الله بعائشة بعد رجوعه من بدر وقال خليفة بن خياط في سنة اثنتين ابتنى رسول الله بعائشة وقال الامام احمد بلغني ان عائشة توفت سنة سبع وخمسين وقــال الهيثم بن عدي سنة ست وخمسين .

((خبر جويرية))

روى ابو يعلى الموصلي عن عائشة انها قالت جاءت جويرية الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسي فجئت اسعينك على كتابتي (١) فقال لها هل لك في خير من ذلك اقض عنك كتابتك واتزوجك قالت نعم قال قد فعلت وروى الواقدي القصة مطولة فقال كانت غزوة المريسيع سنة خمس فخرج صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان وقدم المدينة لهلال رمضان وغاب شهرا الا ليلتين فحدثني عبد الله بن يزيد بن قسيط عن ابيه عن ابن شربان عن عائشة انها قالت كانت جويرية جارية حلوة لايكاد يراها احد الا ذهبت بنفسه فبينما النبي صلى الله عليه وسلم عندي ونحن على الماء اذ دخلت عليه تسأله في كتابتها فوالله ماهو الا ان رأيتها فكرهت دخولها عليه وعرفت انه سيرى منها مثل الذي رأيت فقالت يارسول الله اني امرأة مسلمة اشهد ان لا الــه الا الله وانــك رسول الله واني جويرية بنت الحــارث ابن ابي ضرار بنت سيد قومه اصابنــا من الامر مــا قد علمت ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له فخلصني من ابن عمه وصرت معه في المدينة فــكاتبني ثــابت عــلى مــا لا طاقة لي به عليه ولا يد ان لــي به وما اكرهني على ذلــك الا اني رجوتك فــاعني في مكاتبتي فقال لها او خير من ذلك قالت وما هو قال أأدي عنك كتــابتك واتزوجك قــالت نعم

(١) الكتابة ان يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه اليه منجما يعنى مقسطا اقساطا فاذا اداه صار حرا وسميت كتابة لان العبد يكتب على نفسه لمولاه ثمنه ويكتب مولاه له عليه العتق .

بيتنا واجتمع اليه رجال من الانصار ونساء فجاءت الى أمي وابي وانا لفي ارجوحة بين عذقين (١) فرحب بي فانزلني من الارجوحة ولي حشمة فراقتها وسحب وجهي بشيء من ماء ثم جعلت تقربني حتى وقفت بي عند الباب وانا لانهج (٢) حتى سكنت من نفسي ثم دخلت بي فاذا رسول الله جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الانصار فاجلستني في حجره ثم قالت هؤلاء اهلك فبارك الله فيهم وبارك لهم فيك فوثبت النساء والرجال فخرجوا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا مانحرت على جزور ولا ذبحت على شاة حتى ارسل الينا سعد بن عبادة مخضة كان يرسلها لرسول الله اذا دار على نسائه وانا يومئذ ابنة تسع سنين قال ابو داود اخرج بعض هذا الحديث عن عبيدة بن معاذ عن ابيه عن محمد بن عمرو عن يحيى ابن عبد الرحمن وحده عن عائشة وكذلك رواه سعد بن يحيى بن سعيد الاموي عن ابيه عن محمد بن عمرو بطوله وروى انه كان يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة وروى محمد بن سعد عن بكير قال قدم السكران بن عمرو مكة من ارض الحبشة ومعه امرأته سودة فتوفي عنها بمكة فلما حلت ارسل رسول الله اليها فخطبها فقالت امري اليك يا رسول الله فقال لها مري رجلا من قومك يزوجك فأمرت حاطب بن عمرو فزوجها او كانت اول امرأة تزوجها رسول الله بعد خديجة وقال عبد الله بن اسلم تزوج رسول الله سودة في رمضان سنة عشرة من النبوة بعد وفاة خديجة وقبل تزوج عائشة ودخل بها بمكة وهاجر بها الى المدينة وتوفت في شوال سنة اربع وخمسين بالمدينة في خلافة معاوية قال محمد بن عمرو وهذا اثبت عندنا وروى من طريق البخاري انها توفت في زمن عمر وروى هذا محمد بن وهب وروى عن عائشة انها قالت تزوجني رسول الله بعد خديجة بثلاث سنين اقول باعتبار دخوله بها لما تقدم من انه لما خطبها كان عمرها ست سنين ولما بنى بها كان عمرها تسع سنين اه وقال ابو عثمان النهدي كان عمرو بن العاص جالسا يحدث الناس عن جيش السلاسل فقال في اثناء حديثه يا رسول الله اي الناس

---

(١) العذق بالفتح النخلة وبالكسر العرجون بما فيه من الشماريخ (٢) النهج بالتحريك والنهيج الربو وتواتر النفس من شدة الحركة او من فعل متعب .

الثيب قالت سودة ابنة زمعة قد امنت بك واتبعتك على ماتقول قال فاذهبي فاذكريهما علي فدخلت بيت ابي بكر فقالت يا أم رومان ماذا ادخل الله عليكما من الخير والبركة قالت وما ذاك قالت ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة قالت انتظري ابا بكر حتى يأتي فجاء ابو بكر فقالت يا ابا بكر ماذا ادخل الله عليكما من الخير والبركة قال وما ذاك قالت ارسلني رسول الله اخطب عائشة قال وهل تصلح له انما هي بنت اخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ارجعي اليه فقولي له انا اخوك وانت اخي في الاسلام وابنتك تصلح لي فرجعت فذكرت ذلك لابي بكر فقال انتظري وخرج قالت أم رومان ان مطعماً بن عدي كان قد ذكرها لابنه فوالله ما وعد ابو بكر وعدا قط فاخلفه فدخل ابو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الفنى فقالت ياابن ابي قحافة لعلك تغري صاحبنا فمدخله في دينك الذي انت عليه ان تزوج اليك فقال ابو بكر للمطعم بن عدي اقول هذه تقول ذلك فخرج من عنده وقد اذهب الله تعالى ما كان في نفسه من عدته التي وعد بها فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله فدعته فزوجها اياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين ثم خرجت فدخلت على سودة ابنة زمعة فقالت ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك قالت ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطبك عليه قالت وددت ان ادخل الى ابي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا قد ادركه الشر وقد تخلف عن الحج فدخلت عليه فحيته تحية الجاهلية فقال من هذه فقالت خولة ابنة حكيم قال فما شأنك فقالت ارسلني محمد بن عبد الله اخطب عليه سودة فقال كفؤ كريم ماتقول صاحبتك قالت تحب ذلك قال ادعيها فدعتها فقال أي بنية ان هذه تزعم ان محمدا بن عبد الله بن عبد المطلب قد ارسل يخطبك وهو كفؤ كريم اتجيزي ان ازوجك قالت نعم قال ادعيه لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فزوجها اياه فجاء اخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثي في رأسه التراب فقال بعد ان اسلم لعمرك اني لسفيه يوم احثي في رأسي التراب ان تزوج رسول الله سودة بنت زمعة قالت عائشة فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السنح (١) قالت فجاء رسول الله فدخل

---

(١) السنح بالسين والحاء المهملتين بينهما نون موضع قرب المدينة فيه منازل بني الحارث وكان به مسكن ابي بكر رضي الله عنه لانه كانت له زوجة من بني الحارث فسكن عندهم .

يرضعون وفي رواية الواقدي ان خديجة كان عمرها يوم تزوجها رسول‌الله اربعا واربعين سنة وكان الواقدي يزعم ان عمها هو الذي زوجها وان اباها مات قبل الفجار وقال ابن شهاب الزهري ان خديجة اول من اسلم وتوفيت بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وروى من طريق الزبير بن بكار ان عمرها كان يوم زواجها ثلاثين سنة وروى محمد بن السائب عن ابي صالح عن ابن عباس ان عمرها كان ثمانية وعشرين سنة وان مهرها كان اثنتي عشرة اوقية وكذلك كانت مهور نسائه وروى موسى بن عقبة عن حكيم ابن خرام ان خديجة ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة وتوفيت في رمضان سنة عشر من النبوة وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة وكان سنها يوم تزوجها رسول الله اربعين سنة قال ولما ماتت خرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرتها ولم يكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة وكان ذلك قبل الهجرة بسنوات او نحوها وبعد خروج بني هاشم من الشعب بسنتين قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها فذكرها ذات يوم فاحتملتني الغيرة فقلت لقد عوضك الله من كبيرة السن قالت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب غضبا شديدا حتى اسقطت في جلدي وقلت في نفسي اللهم انك ان اذهبت غضب رسولك عني لم اعد اذكرها بسوء ما بقيت فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالقيت قال كيف قلت والله لقد امنت بي اذ كفر بي الناس واوتني اذ رفضني الناس وصدقتني اذ كذبني الناس ورزقت منها اذ حرمتموه مني قالت فغدا وراح بها على شهرا .

« خبر تزويج عائشة »

روى الامام احمد في مسنده عن يحيى بن معين عن عبد الله بن حاطب انه قال لما ماتت خديجة جاءت خولة ابنة حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت يارسول الله الا تتزوج قال من قالت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قالت ابنة احب خلق الله اليك عائشة ابنة ابي بكر قال ومن

« خبر تزوجه صلى الله عليه وسلم بخديجة »

كان عمار بن ياسر اذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزوج رسول الله بخديجة وما يكثرون فيه يقول انا اعلم الناس بتزوجه بها انا كنت الخاطب واني خرجت مع رسول الله ذات يوم حتى اذا كنا بالخزورة (١) جزنا على اخت خديجة وهي جالسة على ادم معها فنادتني فانصرفت اليها ووقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما لصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة قال عمار فرجعت اليه فاخبرته فقال بلى لعمري فذكرت لها قوله فقالت اغد علينا اذا اصبحنا قال فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة والبسوا ابا خديجة حلة وصفروا لحيته فكلمت اخاها ثم اتوا اباها وكان قد سقي خمرا فذكروا له رسول الله وسألوه ان يزوجه فزوجه خديجة وصنعوا من البقرة طعاما فاكلنا ونام ابوها ثم استيقظ صاحيا فقال ما هذه الحلة وهذه المقنعة وهذا الطعام فقالت له ابنته التي كانت كلمت عمارا هذه الحلة كساكها محمد بن عبد الله وبقرة اهداها لك رواه البيهقي وزاد فذكيناها وذلك حين زوجته خديجة فانكر ان يكون زوجه وخرج يصيح حتى جاؤه وقال البيهقي فجاؤه فكلموه فقال اين صاحبكم الذي تزعمون اني زوجته فبرز له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليه قال ان كنت زوجته فقد مضى ذلك وان لم اكن فعلت فقد زوجته وروى اللالكائي القصة بهذا اللفظ وقال المؤملي والمجمع عليه ان عمها عمرو بن اسد هو الذي زوجها قال البيهقي وفيما اخبرنا به ابو عبد الله الحافظ ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج على خديجة حتى ماتت انتهى وهي اول امرأة تزوجها وكان عتيق بن عائذ قد تزوجها بكرا فولدت له بنتا ثم مات عنها فتزوجها ابو هالة هند بن النباش ابن زرارة فولدت له رجلا وامرأة ثم تزوجها رسول الله فولدت له بناته الاربع وولدت له بعد البنات القاسم والطاهر والطيب فذهبت الغلمة جميعا (٢) وهم

---

(١) قال الامام الشافعي الناس يشدودن الخزورة والحديبية وهما مخففتان وقال السهيلي في الروض الانف الخزورة اسم سوق كانت بمكة وادخلت في المسجد لما زيد فيه (٢) الغلمة جمع غلام.

قبله تحت عبد الله بن جحش وجويريه بنت الحارث وكانت قبله تحت مالك ابن نصر بن صفوان وزينب بنت جحش بن رباب وكانت قبله تحت زيد بن حارثة وزينب بنت خزيمة بن الحارث وهي ام المساكين وكانت قبله تحت الطفيل بن الحارث وصفية بنت حي بن اخطب وكانت قبله عند سلام بن الحكم وميمونة بنت الحارث وكانت عند عمير بن عمر احد بني عقدة وأم شريك بنت جابر بن حكيم وكانت قبله تحت ابي العكبر الازدي وكان ابو العكبر حلفا في الازد ثم انقرضوا فلم يبق منهم احد واشاعة بنت رفاعة وبنو رفاعةهؤلاء من بني كلاب وكانوا حلفاء بني قريظة فاصيبوا يوم اصيبوا فلم يبق منهم احد فاما خديجة بنت خويلد فماتت قبل ان تجتمع باحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم واما الثنيا فان رسول الله لما خير نسائه بين الدنيا والآخرة فانها اختارت ان تتزوج بعده فطلقها. واما المجتمعات عنده فسودة وعائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وجويرية وصفية وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وميمونة وأم شريك واما اللواتي توفي عنهن فعائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وجويرية وصفية وزينب الصواب سودة وميمونة وكانت له سريتان يقسم لهما مع ازواجه وهما مارية القبطية أم ابراهيم والحارثة بنت شمعون قال ابن ابي مليكة سألت عائشة عن قسمة لامي ولده فقالت كان يقسم لهما مرة ويدعهما مرة فاذا قسم اضعف قسمنا فلاحداهن يوما ولنا يومان وعلى ذلك يقسم للمرأة المملوكة النصف مما قسم للحرة واجمع عمر والمسلمون على ان أم الولد كالمدبرة وانها مملوكة مدة حياة مواليها ثم هي حرة بعد مولاها حفظا للفروج وقال ابن مندة قسم عمر ابن الخطاب في خلافته لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر الف درهم لكل امرأة منهن وقسم لجويرية وصفية ستة آلاف لانهما كانتا سبيا وقد كان رسول الله قسم لهما وحجبهما وحج بهما وقال ابن مندة تزوج رسول الله العالية بنت ظبيان فدخل بها وطلقها وقيل طلقها قبل ان يدخل بها وتزوج اخت ابي الجون الكندي فاستعاذت منه فقال لها لقد عذت بعظيم الحقي باهلك فطلقها ولم يدخل بها .

عليه وسلم قال لفاطمة انت اول اهلي تلحق بي فلم تمكث بعده الا شهرين وعن الزهري انها ماتت بعده بثلاثة اشهر وقال ابو جعفر بستة اشهر وقيل بثمانية اشهر وقيل بعده بسبعين يوما وايلة وقيل ماتت وهي بنت تسع وعشرين سنة وقيل ثمان وعشرين سنة وقال محمد بن عمر الاثبت عندنا انها ماتت بعده بستة اشهر وهي بنت تسع وعشرين سنة او نحوها وقال ابن عباس قبض النبي صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة وكان يقسم لثمان وقال انس وابن عباس ايضا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة من النساء فوافق ذلك تخييره نسائه وقصره الله على ازواجه اللائي تخيرهن واتاهن اجورهن (١) وكان اللائي حرم منهن حراما بتيا ودخل بهن دخولا باينا خمس عشرة دخل بثلاث عشرة واجتمع عنده منهن احدى عشرة وتوفي عن تسع. فأما الخمس عشرة فهن عمرة بنت يزيد الغفارية وكان تزوجها فلما خلا بها رأى بها وضحا فردها (٢) وقد اوجب المهر وحرمت على من بعده وصار الحكم فيمن ادخلت عليه امرأة فاغلق باباً او ارخى ستراً او جرد ثوبا او خلى للباه افضى او لم يفض (٣) فقد وجب الصداق عليه. ومنهن الثنيا وكانت لما ادخلت عليه لم تكن بالمسيرة لما ادخلت فانظرها اليسير ومات ابراهيم ابن رسول الله على فتنة ذلك فقالت لو كان نبيا ما مات احب الناس اليه واعزها عليه فطلقها ووجب المهر وحرمت على الازواج فهاتان اثنتان وبقي الثلاث عشرة اللواتي بنا بهن وهن خديجة بنت خويلد بنت اسد بن عبد العزى وكانت قبله عند ابي هالة زرارة بن البناء وقبله عند عتيق بن عائذ وسويدة بنت زمعة وكانت قبله تحت ابن عم لها وعائشة بنت ابي بكر ولم يتزوج بكرا غيرها وحفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله تحت حنيش بن حداية وأم سلمة واسمها هند بنت ابي امية بن المغيرة وكانت قبله عند ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسود بن عبد هلال وأم حبيبة واسمها ارملة بنت ابي سفيان وكانت

---

(١) يشير بهذه الرواية الى قوله تعالى في سورة الاحزاب ترجى من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء والى قوله تعالى لايحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ماملكت يمينك . (٢) الوضح البرص . (٣) الباه لغة في الباءة وهي الجماع والافضاء كناية عن الجماع ايضا .

سدوا خلال اللبن الا ان هذا ليس بشيء ولكن تطيب به نفس الحي وروى ابن سعد ان عثمان تزوج أم كلثوم وكانت بكرا ولم تلد له شيئا ولما ماتت سنة تسع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كن عشرا لزوجتهن عثمان وعن عائشة انها قالت اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده فلم يغادر (١) منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشي ماتخطىء مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بابنتي فاقعدها عن يمنيه او عن شماله فسارها بشيء فبكت فسارها بشيء فضحكت فقلت لها خصك رسول الله من بيننا بالسر ثم تبكين فلما قام قلت لها بم سارك فقالت ما كنت لافشي سره فلما توفي قلت لها اسألك بمالي عليك من حق لما اخبرتيني فقالت اما الآن فنعم فقالت قال لي ان جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا ارى ذلك الا عند اقتراب الاجل فاتق الله واصبري فنعم السلف انا لك فبكيت ثم سارني فقال اما ترضين ان تكون سيدة نساء المؤمنين او قال سيدة هذه الامة رواه مسلم واحمد وعن المسور بن مخرمة مرفوعا انما فاطمة بضعة مني (٢) يؤذيني ما اذاها ويغضبني ما اغضبها رواه مسلم وروى ابو يعلي الموصلي عن الحسين بن علي عن علي مرفوعا يا فاطمة ان الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك وقال المؤمل كانت ولادة فاطمة قبل النبوة باربع سنين وقال ابو جعفر دخل العباس وعلي بن ابي طالب على فاطمة فقال لها انا اسن فقال العباس اما انت يا فاطمة فولدت وقريش تبني الكعبة ورسول الله ابن خمس وثلاثين سنة واما انت يا علي فولدت قبل ذلك بسنوات وقال محمد بن عمرو بن علي تزوج علي فاطمة في رجب بعد الهجرة بخمسة اشهر وبنى بها لما رجع من بدر وهي بنت ثماني عشرة سنة وقال سليمان الهاشمي ولدت فاطمة سنة احدى واربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وماتت وهي ابنة احدى وعشرين سنة (٣) وعن ابي الزبير ان النبي صلى الله

---

(١) يغادر يترك • (٢) بضعة بفتح الباء القطعة من اللحم وقد تكسر أي انها جزء مني كما ان القطعة من اللحم جزء من صاحبها وقد روى الترمذي هذا الحديث وقال هو حديث حسن صحيح عن المسور قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني ان ينكحوا ابنتهم عليا بن ابي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يريد بن ابي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانها بضعة مني الحديث (٣) رواية ابي جعفر المتقدمة اصح من هذه الرواية واقرب الى الصواب •

قلت نعم فالتفت الى ابي بكر فقال زعمت اسماء ان عثمان ورقية قد سارا فذهبا والذي نفسي بيده انه لاول من هاجر بعد ابراهيم ولوط وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما عزى بابنته رقية امرأة عثمان قال دفن البنات من المكرمات وقال ابن سعد رقية هذه امها خديجة وكان قد تزوجها عتبة بن ابي لهب قبل النبوة فلما كانت النبوة وانزل تعالى تبت يدا ابي لهب قال له ابوه ابو لهب رأسي من رأسك حرام ان لم تطلق ابنته ففارقها ولم يكن دخل بها واسلمت حين اسلمت امها خديجة وبايعت رسول الله هي واخواتها حين بايعت النساء وتزوجها عثمان وهاجرت معه الى الحبشة الهجرتين جميعا وقال رسول الله انهما لاول من هاجر الى الله تعالى بعد لوط وكانت في الهجرة الاولى قد اسقطت من عثمان سقطا ثم ولدت له بعد ذلك ابنا فسماه عبد الله وكان عثمان يكنى به في الاسلام وبلغ ست سنين فنقره ديك في وجهه فطم وجهه فمات ولم تلد له بعد ذلك شيئا وهاجرت الى المدينة بعد زوجها عثمان حين هاجر رسول الله ومرضت ووالدها يتجهز الى بدر فخلف عليها عثمان فتوفيت ووالدها ببدر في شهر رمضان على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة وقدم زيد بن حارثة من بدر بشيرا فدخل المدينة حين سوى التراب على رقية وعن ابي هريرة مرفوعا اتاني جبريل فقال ان الله يأمرك أن تزوج عثمان أم كلثوم على مثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها رواه ابن مندة وروى ايضا عن ابي امامة لما وضعت أم كلثوم زينب بنت رسول الله في القبر قال النبي صلى الله عليه وسلم منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ثم قال بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله فطفق يطرح اليهم الجيوب (١) ويقول

---

(١) قوله الجيوب كتبه في الاصل بالياء ولم اجد له معنى يليق بالموضوع بعد الفحص في كتب الغريب واللغة والذي اراه ان هذه اللفظة مصحفة واصلها الجنوب بالنون بعد الجيم ومعناها كما في نهاية الغريب جمع جنب وهو القطعة من الشيء فيكون المعنى يطرح لهم القطع من الحجارة واللبن واشار في الحديث الى ان الميت لايضره تشعيث قبره ولا تنفعه زخرفته وانما يكون شيء من الزخرفة لتطييب قلب الحي وتخفيف مصابه ولهذا لما مر رضي الله عنه على قبر عليه مظلة امر برفعها وقال انما يظلة عمله وايضا فان الموتى قد صاروا في برزخ الآخرة وانقطعت امالهم من الدنيا فلا يلتفتون الى شيء منها وهم مشغولون بآخرتهم فلا يهمهم زخرفة تبرهم ولا احوال اهل الدنيا اجمع فالمنعم منهم لايبيع ذرة من نعيمه بملك الدنيا والمعذب مشغول بما هو فيه ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه فما يفعله الذين اشتروا البدعة بالسنة هو من الغفلة وقلةالعقل .

تذكره لاحد قال نعم فأعطاه الخاتم فانطلق الراعي وادخل غنمه واعطاها الخاتم فعرفته فقالت من اعطاك هذا قال رجل قالت واين تركته قال بمكان كذا فسكتت حتى اذا كان الليل خرجت اليه فلما جاءته قال لها اركبي يعني بين يديه على بعيره قالت لا ولكن اركب انت بين يدي فركب وركبت ورائه حتى اتت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي افضل بناتي اصيبت في ولما بلغ هذا الحديث علي بن الحسين انطلق الى عروة فقال ما هذا الحديث الذي بلغني عنك تنتقص فيه حق فاطمة فقال له عروة بن الزبير والله اني لا احب ان لي ما بين المشرق والمغرب واني انتقص فاطمة حقاً لها واما بعد ذلك فلك ان لا احدث به ابداً وروى الطبراني هذه القصة بسنده الى عروة بن الزبير ان رجلا اقبل بزينب بنت رسول الله يريد المدينة فلحقه رجلان من قريش فقاتلاه حتى غلباه عليها فدفعها فوقعت على صخرة فأسقطت واهريقت دماً فذهبوا بها الى ابي سفيان فجاءته نساء بني هاشم فدفعها اليهم ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع فكانوا يرون انها شهيدة وروى ابن منده عن ابي جريج قال قال لي غير واحد كانت زينب اكبر بنات رسول الله وكانت فاطمة اصغرهن واحبهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن حزم توفيت زينب في اول سنة ثمان من الهجرة وروى ابن منده والطبراني عن اسماء بنت ابي بكر انها قالت كنت احمل الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وهما في الغار فجاء عثمان فقال يا رسول الله اني اسمع من المشركين من الاذى فيك ما لا صبر لي عليه فوجهني وجهاً اتوجهه لاهجرنهم في ذات الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ازمعت بذلك يا عثمان قال نعم قال فليكن وجهك الى هذا الرجل بالحبشة يعني النجاشي فانه ذو وفاء واحمل معك رقية فلا تخلفها ومن رأى معك من المسلمين مثل رأيك فليتوجهوا الى هناك وليحملوا معهم نسائهم ولا يخلفوهم فودع حينئذ عثمان النبي صلى الله عليه وسلم وقبل يده ثم بلغ المسلمين رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم اني خارج من تحت ليلتي فمعتم لكم بجدة ليلة او ليلتين فان ابطأتم فوجهي الى باخع جزيرة في البحر قالت اسما فحملت طعاماً الى رسول الله فقال لي ما فعل عثمان ورقية فقلت قد سارا وذهبا فقال لي قد سارا وذهبا

ابن عبد المطلب فتوفيت عنده وأما رقية فتزوجها عثمان بن عفان في الجاهلية فولدت له عبد الله وتوفت ايام غزوة بدر فتولى عثمان دفنها وهو الذي منعه ان يشهد بدراً وقد كان عثمان هاجر الى ارض الحبشة وهاجرت رقية معه وروى البيهقي (١) بسنده الى ابن عباس انه لما مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان له مرضعاً في الجنة تتم رضاعه ولو عاش لكان صديقاً نبياً ولو عاش لاعتقت اخواله من القبط وروي من طريق فيه عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب وهو ليس بالقوي عن علي بن ابي طالب انه قال لما توفي ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ارسل النبي صلى الله عليه وسلم علياً ابن ابي طالب الى امه مارية القبطية وهي بالمشربة (٢) فحمله علي في سفط وجعله بين يديه على الفراش ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فغسله وكفنه وخرج به وخرج الناس معه فدفنه في الزقاق الذي يلي دار محمد بن زيد فدخل علي في قبره حتى سوى عليه التراب ودفنه ثم خرج ورش الماء على قبره وأدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في قبره ثم قال أما والله انه لنبي من نبي وبكى وبكى المسلمون حتى ارتفعت الاصوات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يغضب الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة خرجت ابنته زينب من مكة معها كنانة او ابن كنانة فلما خرجوا في اثرها أدركها هبار بن الاسود فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها وألقت ما في بطنها واهريقت دماً فاشتجر فيها بنو هاشم وبنو امية فقالت بنو امية نحن احق بها وكانت تحت ابن عمهم ابي العاص فكانت عند هند بنت ربيعة وكانت تقول لها هند هذا في سبب ابيك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة ألا تجيبني بزينب وفي لفظ ألا تنطلق فتجيء بزينب قال بلى قال فخذ خاتمي فأعطها اياه فلم يزل يتلطف حتى لقي راعياً يرعى غنماً فقال لمن ترعى قال لابي العاص قال فلم هزلن الغنم فقال له لزينب بنت محمد فسار معه شيئاً قال له هل لك ان اعطيك شيئاً تعطيها اياه ولا

---

(١) رواه البارودي وابن ماجة وابو نعيم . (٢) المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة والعلية والسفط كالجوالق او كالقفة وهو عربي معروف .

حمل بابراهيم نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم يا محمد ان الله قد وهب لك غلاماً من ام ولدك مارية وأمرك ان تسميه ابراهيم فبارك لك بابراهيم وجعله قرة عين لك في الدنيا والآخرة وأشبههم به رواه ابو بكر الخطيب وابو يعلي الموصلي وقال الواقدي ولد ابراهيم في ذي الحجة من سنة ثمان من الهجرة وقال السدي سألت انساً بن مالك فقلت كم بلغ سن ابراهيم فقال ما ملأ مهده ولو بقي لكان نبياً لكن لم يبق لان نبيكم آخر الانبياء قال الدارقطني لم يحدث به الا السدي وروى ابن منده عن انس ان ابراهيم توفي وهو ابن ستة عشر شهراً فقال النبي صلى الله عليه وسلم ادفنوه بالبقيع فان له مرضعاً يتم رضاعه في الجنة (١) وفي رواية لو بقي لكان صديقاً وروى ابو يعلي الموصلي عن انس انه قال ما رأيت احداً أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل الى البيت فيأخذه ويقبله ثم يرجع ثم توفي ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم ابني وانه مات في الثدي وان له ظئراً وفي رواية لظئرين تكملا معه رضاعه في الجنة (٢) وعن جابر بن عبد الله مرفوعاً لو عاش ابراهيم لكان نبياً وعن انس لما مات ابراهيم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لا تدرجوه في أكفانه حتى انظر اليه فجاء وانكب عليه وبكى حتى اضطرب وعن اسماء بنت يزيد انها قالت لما توفي ابراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر وعمر انت احق من علم الله حقه فقال تدمع العين ولا يحزن القلب ولا يسخط الرب ولولا أنه بوعد صادق وموعود جامع لوجدنا عليك يا ابراهيم وجداً أشد مما وجدنا وانا بك يا ابراهيم لمحزونون . وأما زينب فتزوجها ابو العاص بن الربيع بن عبد قيس بن عبد مناف في الجاهلية فولدت له جارية اسمها امامة فتزوجها علي بن ابي طالب بعد ما توفيت فاطمة وقتل علي وهي عنده فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث

---

(١) رواه الروياني ورواه ابن سعد عن البراء بلفظ ان له مرضعا في الجنة يستتم بقية رضاعه وانه صديق شهيد وروى حديث الاصل عبد الرزاق في الجامع وابو نعيم في المعرفة عن عدي بن ثابت . (٢) مات في الثدي أي وهو في سن الرضاع والظئر المرضعة غير ولدها ويقع على الذكر والانثى .

وتوفيت رقية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر فقدم زيد بن حارثة المدينة بشيراً بما فتح الله تعالى على نبيه ببدر فجاء حين سوى التراب على رقية وكانت بدر صبيحة يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة ثم تزوج عثمان ام كلثوم فماتت عنده في شعبان سنة تسع من الهجرة ولم تلد له شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان وتزوج علي بن ابي طالب فاطمة لثلاث بقين من شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة فولدت له الحسن والحسين وام كلثوم وزينب وتوفيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بستة اشهر قال محمد بن عروة هذا اثبت الاقاويل عندنا وصلى عليها العباس بن عبد المطلب ونزل في حفرتها هو وعلي الفضل بن العباس وروى الزبير بن بكار عن ابن عباس في سبب نزول انا اعطيناك الكوثر انه قال ولدت خديجة عبد الله بن محمد ثم ابطأ عليهما الولد من بعد فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم رجلا والعاص بن وائل ينظر اليه اذ قال له رجل من هذا قال هذا الابتر وكانت قريش اذا ولد للرجل ولد ثم ابطأ عليه الولد من بعده قالوا هذا الابتر فأنزل الله تعالى عليه ان شانئك هو الابتر اي مبغضك هو الابتر الذي بتر من كل خير ثم ولدت له زينب فرقية فالقاسم فالطاهر فالمطهر فالطيب فالمطيب فأم كلثوم ففاطمة وكانت اصغرهم وكانت خديجة اذا ولدت ولداً دفعته لمن يرضعه فلما ولدت فاطمة لم ترضعها احداً غيرها وروى ابن عدي ان من اولاده صلى الله عليه وسلم ابراهيم وقال الزبير بن بكار ان ابراهيم من مارية بنت شمعون وهي القبطية التي أهداها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المقوقس صاحب الاسكندرية وأهدى معها اختها سيرين وخصياً يقال له مأبور فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرين لحسان بن ثابت الشاعر فولدت له حسان وقد انقرض ولد حسان بن ثابت وجميع اولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة الا ابراهيم ويقال ان الطاهر هو الطيب وهو عبد الله ويقال ان الطيب والمطيب ولدا في بطن والطاهر والمطهر في بطن وروى احمد بن حنبل عن مجاهد ان القاسم مكث سبع ليال ثم مات قال المفضل وهذا خطأ والصواب انه عاش سبعة عشر شهراً ثم توفي وقال الزهري مات وهو ابن سنتين وقال قتادة عاش حتى مشى وعن عبد الرحمن بن زياد انه لما

امارة عثمان كذا قال وقد ذكر محمد بن سعد ان عاتكة اسلمت ايضاً بمكة وهاجرت الى المدينة وفي بعض الروايات عن ابن سعد ان اميمة اسلمت ايضاً ومن طريق عبد الرزاق انبأنا ابو عدي عن عطاء بن دينار انه قال ما علمنا امرأة ولدت للنبي صلى الله عليه وسلم من ازواجه الا خديجة وقال ابن عامر ولدت خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم القاسم وعبد الله وفاطمة وكلثوم ورقية وزينب .

((باب ذكر بنيه وبناته وأزواجه))

روى ابن سعد عن ابن عباس انه قال كان اكبر اولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم وكانت ولادته قبل النبوة وبه كان يكنى ثم زينب ثم عبد الله ثم ام كلثوم ثم فاطمة ثم رقية وروى هشام بن محمد بن السائب الكلبي ان القاسم وزينب ورقية وفاطمة كانت ولادتهم قبل الاسلام واما عبد الله ويسمى الطيب والطاهر فولد في الاسلام وام الجميع خديجة فكان اول من مات من ولده القاسم ثم مات عبد الله بمكة فقال العاص بن وائل السهمي قد انقطع ولده فهو ابتر فأنزل الله تعالى انا أعطيناك الكوثر ثم ولدت له مارية بالمدينة ابراهيم في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة فمات ابن ثمانية عشر شهراً قال هشام ابن الكلبي قد تزوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن شمس بن عبد مناف فولدت له علياً وامامة وكان يقال لابي العاص جرو البطحاء يعني انه كان متلد بها وخرج الى الشام فانشد :

ذكرت زينب لما أدركت ارما فقلت سقياً لشخص يسكن الحرما
بنت الامين جزاها الله صالحة وكل بعل سيثني بالذي علما

وتوفيت سنة ثمان من الهجرة واما رقية فقد تزوجها عتبة بن ابي لهب وتزوج ام كلثوم عتبة بن ابي لهب فلم يبتنيا بهما حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب قال لهما ابوهما رأسي من رأسكما حرام ان تطلقا ابنتيه ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما فتزوج عثمان بن عفان رقية فولدت له عبد الله الذي تكنى به وبلغ ست سنين فنقره ديك على عينه فمات

الله واسد رسوله والمقوم وحجل اسمه المغيرة والعباس وكان شريفا عاقلا مهيبا وضرار وكان افضل فتيان قريش جمالا وسخاء ومات ايام اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا عقب له وقثم بن عبد المطلب ولا عقب لهم وامهم تنيلة بنت حباب ابن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد بن مناة بن عامر وهو الضحيان ابن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن افصي بن عمرو بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وابو لهب بن عبد المطلب واسمه عبد العزى ويكنى ابو عتبة كناه عبد المطلب بذلك لحسنه وجماله وكان جوادا وامه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن طاهر بن ميمشية ابن سلول بن كعب بن عمر بن خزاعة وامها هند بنت بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة وامها السوداء بنت زهرة ابن كلاب والغيداق بن عبد المطلب واسمه مصعب وأمه بنت عمرو بن مالك ابن سويل بن سويد بن اسعد بن عبد بن جبير بن عدي بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة واخوه لامه عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن عبد الرحمن ابن عوف قال الكلبي لم يكن في العرب بنوا أب مثل بني عبد المطلب لا اشرف منهم ولا اجسم شم العرانين تشرف انوفهم قبل شفاههم وقال فيهم قرة بن حجل بن عبد المطلب :

اعدد ضرار ان عددت فتى ندى ... والليث حمزة واعدد العباسا
واعدد زبيرا والمقوم بعده ... والصخر أحجلا والفتى الرآ اسا
وابا عينية فاعددنه ثامنا ... سادوا على رغم العدى الباسا
والقرم غيداقا غدون جحاجحا ... والعز عبد مناف الحماسا
والحارث الفياض ولي ماجدا ... ايام نازعه الهمام الكاسا
ما في الا نام عمومة كعمومتي ... خيري ولا كأناسهن اناسا

قال والعقب من عبد المطلب للعباس وابي طالب والحارث وابي لهب وقد كان للحمزة والمقوم والزبير وحجل بناء عبد المطلب اولاد لاصلابهم فماتوا والباقون لم يعقبوا وكان العدد من بني هاشم في بني الحارث ثم تحول الى بني ابي طالب ثم صار في بني العباس وروى من طريق البخاري عن هشام بن عروة انه كان للنبي صلى الله عليه وسلم ست عمات وهن صفية أم الزبير وعاتكة وبرة واروى واميمة وام حكيم البيضاء لم يسلم منهن غير صفية في

الله بن ظرب بن الحارث بن جذيلة العدواني ومن قال انها السابعة فهي عاتكة بنت عامر بن ظرب بن عمر بن عائذ بن يشكر العدواني وهي أم هند بنت مالك ابن كنانة الفهمي من قيس بن غيلان وهند بنت مالك هي أم فاطمة بنت عبد الله بن ظرب بن الحارث بن وائلة العدواني وفاطمة أم سلمى بنت عامر بن عميرة بن قصي وسلما أم تخمر بنت عبد بن قصي وتخمر أم صخرة بنت عبد الله بن عمران وصخرة أم فاطمة بنت بن عائذ بن عمران بن مخزوم وفاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم أم عبد الله بن عبد المطلب ومن قبل مالك بن النضر بن كنانة فأم مالك بن النضر عاتكة بنت عمر بن عدوان بن عمر بن قيس بن غيلان واما الهزلية فولدته من قبل هاشم بن عبا مناف وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج وأمها مارية بنت حرزة بن عمرو بن صعصعة بن بكر بن هوازن وأم معاوية بن بكر بن هوازن عاتكة بنت سعد بن سهل بن هذيل بن فهر الهذلية واما الاسدية فولدته من قبل كلاب بن مرة وهي الثالثة من امهاته وهي عاتكة بنت دوان بن اسيد ابن خزيمة واما الثقفية فهي عاتكة بنت عمرو بن سعد بن اسلم بن عوف الثقفي وهي أم العزي بن عثمان بن عبد الدار بن قصي وعبد العزى جد آمنة بنت وهب برة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي واما القحطانية فولدته من قبل غالب بن فهر أم غالب بن فهر ليلى بنت سعدان بن هذيل امها سلمى بنت طانحة بن الياس بن مضر وأم سلمى عاتكة بنت الاسد بن الغو ثوعاتكة ايضا هي الثالثة من امهات النضر واما القضاعية فولدته من قبل كعب بني لؤي وهي الثالثة من امهاته وهي عاتكة بن رشدان بن قيس بن جهينة بن زيد بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة قال احمد اخبرني بذلك كله بعض الطالبيين ورواه لي عبد الله العدوي(١)وقال ابن سعد ولد لعبد المطلب اثنا عشر رجلا وست نسوة وهم الحارث وهو اكبر اولاده وبه كان يكني ومات في حياة ابيه وعبد الله والزبير وكان شاعرا شريفا واليه اوصى ابوه وابو طالب واسمه عبد مناف وعبد الكعبة مات ولم يعقب وحمزة وهو اسد

---

(١) انما روينا هذا بطوله وان كان القارىء لايجد فيه كبير فائدة لندل على مرتبة عناية العرب بفن الانساب وحرصهم عليها وتدوين خلفهم لها في كتبهم .

ابن الفواطم وهن فاطمة بنت عمرو بن عائذ وهي أم عبد الله بن عبد المطلب وفاطمة بنت عبد الله بن الحارث وفاطمة بنت عوف بن عدي وفاطمة بنت سعد أم قصى وفاطمة بنت عامر بن نصر قال احمد حنبل والذي ثبت لنا خمس من الفواطم وقال الطالبي العواتك ثلاثة عاتكة بنت مرة بن فالج أم هشام بن عبد مناف وعاتكة بنت جابر وهي أم هلال بن فالج بن زكوان وعاتكة بنت الحارث هي أم فائج بن زكوان وعاتكة بنت الاوقص بن هلال وهي أم وهب بن عبد مناف وقال عبد الله الطالبي العدوي العواتك اربع عشرة ثلاث قرشيات واربع سلميات وعدوانيتان وهذلية وقحطانية وقضاعية وثقفية واسديه اسد خزيمة فالقرشيات من قبل أمه آمنة بنت وهب وامها ريطة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى وأمها أم حبيب وهي عاتكة بنت اسد بن عبد العزى بن قصى وامها ريطة بنت كعب بن تيم بن مرة كعب وكانت ريطة اول امرأة من قريش ضربت قباب الادم بذي المجاز وامها قلابة بنت حذافة بن جمح الخطباء ويقال الحظياء وكان داود بن مسور المخزومي يقول الخطباء من طريق الكلام وغيره يقول الحظياء من طريق الحظوة وامها آمنة بنت عامر الجان بن لمكان بن قصى بن حارثة بن خزاعة ويقال لعامر الجان وهو عامر بن غبشان بن خزاعة وامه عاتكة بنت الهلال بن اهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر وأم اهيب مخشية بنت محارب بن فهر وامها عاتكة بنت مخلد بن النضر بن كنانة وهي الثالثة وأما السلميات فولدته من قبل هاشم بن عبد مناف بن قصى ومن قبل وهب بن عبد مناف ابن زهرة أم هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن زكوان وأم مرة عاتكة بنت مرة بن عدي بن اسلم بن قصى من خزاعة ويقال ان أم مرة ابن هلال هي عاتكة بنت جابر بن قنفد بن مالك بن عوف بن امرء القيس من سليم وهي الثالثة وأم هلال بن فالج بن ذكوان عاتكة بنت الحارث ابن بهنة بن سليم بن منصور وأم وهب بن عبد مناف بن زهرة عاتكة بنت الاوقص بن هلال بن فالج ابن ذكوان فهؤلاء العواتك السلميات واما العدوانيتان فولدتاه من قبل ابيه ومن قبل مالك بن النضر فاما التي ولدته من قبل ابيه عبد الله وهي السابعة من امهاته ويقال انها الخامسة فهي عاتكة بنت عبد

شب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارضعته ايضا ثويبة مولاة ابي لهب واسمه عبد العزى وجدة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم ابيه عبد الله فاطمة بنت عمرو بن مخزوم وامها صخرة بنت عبد عمران مخزوم وامها يحمر بنت عبد بن قصي بن كلاب بن مرة وامها سلمى بنت عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر وامها أخت بني واثلة بن عدوان بن قيس وروى من طريق ابن سعد ان قلابة هي بنت الحارث بن مالك بن خباشة بن غنم ابن لحيان بن عاد بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل بن مدركة وامها عاتكة بنت غاضرة بن خطيط بن جشم بن ثقيف بن منبه ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان واسمه الياس ابن مضر وامها ليلى بنت عوف بن قصي وهو ثقيف وأم وهب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لامه قيلة ويقال هند بنت ابي قيلة وهو ذخر بن غالب ابن الحارث بن عمرو بن ملكان بن افصي بن حارثة بن خزاعة وامها سلمى بنت لؤي بن غالب بن فهر وامها ناوية بنت كعب بن القين بن قضاعةوأم زجر بن غالببن الثلاقة بنت وهب بن البكين بن المجدعة ابن عمر من بني عمرو بن عوف من الاوس وامها ابنة قيس بن ربيعة من بني مازن بن لؤي ابن مالك بن افصي اخي اسلم ابن افصي وامها النخعة بنت عبيد بن الحارث من بني الحارث بن الخزرج وأم عبد مناف بن زهرة جمل بنت مالك بن قصية ابن اسعد بن مليح بن عمرو بن خزاعة وقد ساق ابن سعد نسب اجداده وجداته كل واحد بمفرده مما يحصل الملل باستقصائه وغاية الامر منه ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصل بجميع قبائل العرب كما قال ابن عباس رضى الله عنه وقال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في بعض غزواته. انا النبي لا كذب. انا ابن عبد المطلب. انا ابن العواتك. وقالوا العواتك ثلاث نسوة من سيم تسمى كل واحدة منهن عاتكة وهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف وعاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة ابن هلال أم وهب والد آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم فالاولى من العواتك عمة الوسطى والوسطى عمة الاخرى وبنو سليم تفخر بأن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم هذه الولادات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد انا

به كأنه خرج مني نور اضاءت له قصور الشام ثم وضعته فما وقع كما يقع الصبيان بل وقع واضعاً يده في الارض رافعاً رأسه الى السماء دعاه والحقا بأهلكما .

((باب معرفة أمه وجداته وعمومته وعماته))

روي من طريق الكلبي عن ابن عباس انه قال في تأويل قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية ليس في العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم مضريها وربيعتها ويمانيها وقال زيد بن ارقم ام النبي صلى الله عليه سلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وامها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي وامها ام حبيب برة بنت عبد العزى انما هي برة بنت عوف بن عبيد بن عولج بن عدي بن كعب بن لؤي وامها قلابة بنت الحارث بن صعصعة من بني عائذة بن الخيار بن هذيل وامها اميمة بنت مالك بن غنم وقال الزبير بن بكار هي اميمة بنت عثمان بن حبش بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طلحة من بني لحيان بن هذيل وامها قلابة بنت الحارث وهو ابو قلابة الشاعر وهو اقدم من قال الشعر في هذيل وهو الذي يقول :

ان الرشاد وان الغى في القرن بكل ذلك يأتيك الجديدان
لا تأمنن وان اصبحت في حرم ان المنايا تحيي كل انسان

واسم ابي قلابة الحارث بن صعصعة بن كعب بن لحيان بن هذيل وامها دبة بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل وامها لبنى بنت الحارث بن اليمن ابن جردة بن اسيد بن عمرو بن تميم بن مر بن طابخة بن إلياس بن مضر ابن نزار وأم رسول الله التي ارضعته حتى شب حليمة بنت الحارث بن شجنة السعدية من بني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة ابن قيس بن غيلان من مضر وزوج حليمة الحارث بن عبد العزي ففي هؤلاء

شباعاً ذات لبن فنحلب ما شئنا وما حولنا احد تبض له شاة بقطرة لبن وان اغنام قومي لتروح جياعاً حتى انهم ليقولون لرعيانهم ويحكم انظروا حيث تسرح غنم حليمة بنت ابي ذويب فاسرحوا معهم فيسرحون غنمهم مع غنمي فتأتيهم جياعاً ما بها قطرة من لبن وتروح غنمي شباعاً نحلب منها ما شئنا فلم يزل الله تعالى يرينا البركة ونتعرفها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر ويشب في الشهر شباب الصبي في السنة فبلغ السنتين وهو غلام يحفز فقدمنا به على امه ثم قلت لها ردي علينا ابني نرجع به فاننا نخشى عليه ادنياء مكة قالت ونحن اضن شيء به لما رأينا من بركته فلم نزل بأمه حتى قالت لنا ارجعنا به فرجعنا فمكث عندنا شهرين قالت فبينما هو واخوه يلعبان يوماً خلف البيوت يرعيان بهما (١) لنا اذ جاءنا اخوه يشتد فقال لي ولابيه ادركا اخي القرشي قد جاءه رجلان فأضجعاه فشقا بطنه فخرجنا نحوه نشتد فانتهينا اليه وهو قائم منتقع لونه (٢) فاعتنقه ابوه واعتنقته ثم قال مالك اي بني قال أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني ثم شقا بطني فوالله ما أدري ما صنعا وفي رواية فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رداه كما كان قالت فاحتملناه فرجعنا به وكان ابوه يقول والله يا حليمة ما أرى هذا الغلام الا قد اصيب فانطلقي بنا نرده الى اهله قبل ان يظهر ما نتخوف منه عليه قالت فرجعنا به الى امه فقالت لنا ما ردكما وقد كنتما حريصين عليه فقلنا لها انا كفلناه وأدينا الحق الذي يجب علينا فيه ثم تخوفنا الاحداث عليه فقلنا يكون في اهله فقالت آمنة والله ما ذاك بكما فأخبراني خبركما وخبره فوالله ما زالت بنا حتى اخبرناها خبره فقالت افتخافا عليه كلا وفي رواية قالت أخشيتما عليه الشيطان والله ما للشيطان عليه من سبيل ان لابني هذا شأناً الا اخبركما عنه اني حملت به فلم اجد حملا قط كان اخف ولا اعظم بركة منه ثم رأيت نوراً كأنه شهاب خرج مني حين وضعته اضاءت لي منه اعناق الابل ببصرى وفي رواية ورأيت في النوم حين حملت

---

(١) البهم بضم الباء وسكون الهاء جمع بهمة وهى ولد الضان ذكرا كان او انثى والسخال اولاد المعز فاذا اجتمعت البهام والسخال قيل لهما جميعا بهام وبهم ايضا (٢) منتقع لونه أي متغير يقال انتقع لونه وامتقع اذا تغير من خوف او الم او نحو ذلك .

خذيه عسى الله ان يجعل لنا فيه خيرا فجاءت الى أمه فاخذته منها فوضعته في حجرها فاقبل عليه ثديها حتى تقاطر اللبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى روى وشرب اخوه يعني ابنها حتى روى ثم ان آمنة اخبرت حليمة بما رأت وما قيل لها حين ولدته ورويت القصة من طريق آخر وهي ان حليمة قالت خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء بمكة على اتان لي قمراء (١) فرحت في سنة شهباء لم تبق شيئا ومعي زوجي الحارث بن عبد العزي ومعنا شارف (٢) لنا والله ما يبض بقطرة من لبن ومعنا صبي لم ننم ليلنا من بكائه وليس في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه الا اننا نرجو فلما قدمنا مكة لم يبق منا امرأة الا عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قيل انه يتيم تركناه وقلنا ماذا عسى ان تصنع الينا امه وانما نرجو المعروف من ابي الوليد فوالله ما بقي من صواحبي امرأة الا اخذت رضيعا غيري فكرهت ان ارجع ولم اخذ شيئا وقد اخذ صواحبي فقلت لزوجي والله لارجعن الى ذلك اليتيم فلآخذنه قالت فاتيته فاخذته فرحت الى رحلي فقال زوجي قد اخذتيه فقلت نعم والله لم يكن ذاك الا اني لم اجد غيره فقال قد اصبت فعسى الله ان يجعل فيه خيرا قالت فوالله ماهو الا ان جعلته في حجري فاقبل عليه ثديي بما شاء الله من اللبن قالت فشرب حتى روى وشرب اخوه يعني ابنها حتى روى وقام زوجي الى شارفنا من الليل فاذا به حافل فحلب لنا ماشئنا فشرب حتى روى وشربت حتى رويت فبتنا ليلتنا تلك بخير شبع وري وقد نام صبياننا فكان زوجها يقول والله ياحليمة ما اراك الا قد اصبت نسمة مباركة قد نام صبينا وروينا الم تر ما يأتينا من الخير والبركة حين اخذناه فلم يزل الله يؤتينا منه خيرا ثم خرجنا راجعين الى بلادنا فوالله لقد قطعت اتاني الركب فكانت امامه حتى ما يتعلق بها حمار فكان صواحباتي يقولون لي ويحك حليمة هذه اتانك التي خرجت عليها معنا فتقول بلى والله انها لهي وان لها لشأنا ثم سرنا حتى قدمنا ارض بني سعد وما اعلم ارضا من ارض الله اجذب منها فوالذي نفس حليمة بيده ان غنمي كانت تسرح ثم تروح

---

(١) الاتان الحمارة والقمراء البيضاء والسنة الشهباء ذات القحط والجدب (٢) الشارف الناقة المسنة وقولها مايبض بقطرة من اللبن معناه ماتجود بقطرة منه .

عن ابني فأني وجدته مع غلمان بالقرب من السدرة وان اهل الكتاب يزعمون ان ابني هذا نبي هذه الامة وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما الا قال يابني فيؤتى به اليه فلما حضرت عبد المطلب الوفاة اوصى ابا طالب بحفظ رسول الله ثم قال لكل واحدة من بناته ابكينني وانا اسمع فبكته كل واحدة منهن بشعر فلما سمع قول اميمة وقد امسك لسانه جعل يحرك رأسه يريد بذلك انها صدقت فكان ما قالته :

اعيني جودي بدمع درر | على ماجد الحتم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد | جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحد ذي مكرمات | وذي الحلم والفضل في النائبات
وذي المجد والعز والمفتخر | كثير المفاخر جم النحر
له فضل مجد على قومه | مبين يلوح كضوء القمر
اتته المنايا فلم تسوءه | اصرف الليالي وريث القمر

ومات عبد المطلب فدفن بالحجون ولما توفي اخذ ابو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه وكان ابو طالب لا مال له وكان يحبه حبا شديدا لايحب اولاده مثله وكان لاينام حتى ينام وكان لا ينام الا الى جنبه ويخرج فيخرج معه وصبا به ابو طالب صبابة لم يصب مثلها شيء قط وكان يخصه بالطعام وكان اذا أكل عيال ابي طالب جميعا او فرادى لم يشبعوا واذا اكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان اذا اراد ان يغديهم قال كما انتم حتى يحضر ابني فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم واذا لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول ابو طالب انك المبارك وكان الصبيان يصبحون رمصا شعثا ويصبح رسول الله دهينا كحيلا قال ابن سعد قدم مكة عشر نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن الرضاع فاصبن الرضاع كلهن الا حليمة وكان معها زوجها الحارث بن عبد العزي فعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت تقول يتيم لا مال له وما عست امه ان تفعل فخرجت النسوة وخلفتها فقالت حليمة لزوجها ما ترى قد خرج صواحبي وليس بمكة غلام يسترضع الا هذا الغلام اليتيم فلو انا اخذناه فاني اكره ان نرجع الى بلادنا ولم نأخذ شيئا فقال لها زوجها

فاذا ولد فسمه محمدا فان اسمه في التوارة احمد يحمده اهل السماء واهل الارض واسمه في الفرقان محمد فسميه بذلك فلما وضعته بعثت الى عبد المطلب جاريتها وقد مات ابوه عبد الله وهي حبلى به ويقال ان عبد الله مات والنبي صلى الله عليه وسلم ابن ثمانية وعشرين شهرا والله اعلم أي ذلك كان فقالت قد ولد الليلة غلام فانظر اليه فلما جاءها اخبرته وحدثته بما رأت حين حملت به وماقيل لها فيه وما امرت ان تسميه به فاخذه عبد المطلب فادخله على هبل في جوف الكعبة فقام عبد المطلب يدعو الله ويشكره الذي اعطاه اياه فقال :

الحمد لله الذي اعطاني هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد في المهد على الغلمان اعيذه بالله ذي الاركان
حتى يكون بلغة الفتيان حتى اراه بالغ البنيان
اعيذه من كل ذي شآن من حاسد مضطرب العنان
ذي همة ليس له عينان حتى اراه رافع البنيان
انت الذي سميت في القرآن في كتب ثابته المثاني
احمد مكتوب على اللسان

وقال ابن عباس كان بنوا ابي طالب يصبحون عمصا رمصا ويصبح رسول الله صقيلا دهينا وقال ايضا كان ابو طالب يقرب الى الصبيان بصفحتهم أول البكرة فيجلسون وينتبهون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكف يده لا ينتهب معهم فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حدة وقال نافع بن جبير كان عبد المطلب يضم النبي صلى الله عليه وسلم ويرق اليه رقه لم يرقها على احد من اولاده وكان يقربه منه ويدنيه ويدخل عليه اذا خلا واذا نام كان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك دعوا ابني ليؤنسني وقال قوم من بني مذحج لعبد المطلب احتفظ به فانا لم نر قدما اشبه بالقدم التي في المقام منه فقال عبد المطلب لابي طالب اسمع ما يقول هؤلاء فكان ابو طالب يحتفظ به وقال عبد المطلب لام ايمن وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم يابركة لاتغفلي

ولادة النبي صلى الله عليه وسلم قالت فما شيء انظر اليه في البيت الا نور واني انظر الى النجوم تدنوا حتى اني اقول لتنقض علي وروى ابن سعد عن ابن عباس ان آمنة بنت وهب قالت لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته فلما وصلمني خرجمعه نور اضاء له ما بين المشرق الى المغرب ثم وقع على الارض جاثيا على ركبتيه وخرج معه نور اضاءت له قصور الشام واشرافها حتى رأيت اعناق الابل ببصرى رافعا رأسه الى السماء وروى البيهقي عن العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مسرورا فاعجب جده عبد المطلب وحظى عنده وقال ليكونن لابني هذا شأن فكان لهشأن وقالابو الحكم التنوخي كان المولود اذا ولد فيقريشدفعوه الى نسوة من قريش الىالصبح فيكفيان عليه برمة فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه عبد المطلب الى تلك النسوة فكفآء عليه برمة فلما اصبحن اتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنين فوجدنه مفتوح العينين شاخصا ببصره الى السماء فاتاهن عبد المطلب فقلن له مارأين مولودا مثله واخبرنه فقال احفظنه فاني ارجو ان يصيب خيرا فلما كان اليوم السابع من ولادته ذبح عنه ودعا قريشا فلما اكلوا قالوا يا عبد المطلب ارأيت ابنك هذا الذي اكرمتنا على وجهه ماسميته قال سميته محمدا قالوا فلم رغبت به عن اسماء اهل بيته قال اردت ان يحمده الله في السماء وخلقه في الارض وقال ابن اسحاق كان النبي صلى الله عليه وسلم مع جده فماتت امه وهو ابن ست سنين وكان مع جده عبدالمطلب وكان يوصي به ابا طالب يعني بعد وفاته ويقال ان آمنة قدمت به المدينة فنزلت على اخواله بني النجار ثم صدرت به راجعة الى مكة فتوفيت بالابواء بينمكة والمدينةوله من العمر ست سنين وروى ابن اسحاق ان جده توفي وهو ابن ست سنين ايضا وروى ايضا ان آمنة لما حملت بالنبي صلى الله عليه وسلم قيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع على الارض فقولي :

اعيذه بالواحد — من شر كل حاسد
في كل بر عائد — وكل عبد زائد
فانه عبد المجيد الحامد — حتى اراه قد اتى المشاهد

وقال لها انك ترين نورا يخرج معه يملأ قصور بصرى من ارض الشام

الكعبة والبعثة خمس سنين فبعث نبينا صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة ومن قائل انه كان بين البعثة اصحاب الفيل سبعون سنة وقال ابو جعفر محمد بن علي كان بين الفيل وبين مولده الشريف خمس وخمسون ليلة ومن قائل كان بين الفيل والمولد عشر سنين وقيل ولد قبل الفيل بخمس عشرة سنة وقيل بعد الفيل بثلاثين عاما قال خليفة بن خياط والمجمع عليه انه ولد عام الفيل اه اقول وهو الذي يجب ان يعول عليه لان الله تعالى اهلك اصحاب الفيل كرامة لرسوله صلى الله عليه وسلم ولما ارسله ذكره تلك النعمة فقال الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل اه والذي عليه معظم علماء الاخبار انه ولد في ربيع الاول لاثنتي عشرة ليلة خلت منه وروى ابن سعد والواقدي ان عبد الله بن عبد المطلب خرج الى الشام مع جماعة من قريش يحملون تجارات ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض فقال لهم اني اريد ان اتخلف عند اخوالي بني عدي بن النجار فاقام عندهم شهرا مريضا ومضى اصحابه فقدموا مكة فسئالهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا خلفناه عند اخواله وهو مريض فبعث اليه ولده الحارث وهو اكبر اولاده فوجده قد توفي واخبره اخواله بمرضه وبقيامهم عليه وبما ولوا من امره وانهم دفنوه فرجع الى ابيه فاخبره فحزن عليه عبد المطلب واخوته واخواته ووجدوا عليه وجدا شديدا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطن امه ومات والده وله خمس وعشرون سنة قال الواقدي هذا هو اثبت الاقاويل والرويات عندنا في وفاة عبد الله بن عبد المطلب وقال الزهري ان عبد المطلب بعث ولده عبد الله الى المدينة ليمتار له تمرا فمات قال محمد بن عمرو الاول اثبت قال ابن سعد وقد روى لنا في وفاته وجه آخر وهو ان عبد الله توفي بعد ما اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون شهرا وقيل سبعة اشهر قال ابن سعد والاثبت ان عبد الله توفي والنبي صلى الله عليه وسلم حمل وروى الزبير بن بكار عن ابن جرمود ان عبد الله توفي بالمدينة بعد حمل آمنة بشهر وماتت ام النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربع سنين ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين واوصى به الى ابي طالب وروى البيهقي عن عثمان بن العاص قال اخبرتني امي انها شاهدت

شعابها فسمي مجمعا وفي ذلك يقول حدانة بن غانم العدوي :

ابوكم قصى كان يدعي مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

والقرش التجمع وكان يقال لقريش بنو النضر قبل ان يجمعهم قصى .

((باب ذكر مولد النبي عليه الصلاة والسلام ومعرفة))

من كفله وما كان من امره قبل ان يوحي الله اليه ويرسله الى الخلق بتبليغ الرسالة

روى البيهقي بسنده الى ابن عباس انه قال ولد نبيكم يوم الاثنين ونبىء يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين وفتح مكة يوم الاثنين ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وتوفي يوم الاثنين (١) وفي رواية ابن اسحق ان ولادته كانت في ربيع الاول وفيه كانت هجرته ووفاته وروى شعيب عن ابيه عن جده قال حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم في عاشوراء المحرم وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة اصحاب الفيل وقد اختلفت الرويات في شهر مولده الشريف وفي عام ولادته ايضا كما رأيت بعض ذلك فمن قائل انه ولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الاول ومن قائل ولد لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان حين طلع الفجر وفي ليلة مولده حجبت الشياطين عن استراق السمع ورميت بالشهب فقالت قريش هذا قيام الساعة فقال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف انظروا الى العيوق فان كان قد رمى به فهو قيام الساعة ومنهم من قال ولد لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول ومن قائل انه ولد عام الفيل وبين الفجار (٢) وبين الفيل عشرون سنة رواه الامام احمد عن قيس بن محزمة وقال سمي الفجار لانهم فجروا واحلوا اشياء كانوا يحرمونها وكان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة وبين بناء

---

(١) زاد في رواية ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين .

(٢) الفجار بكسر الفاء يوم من ايام العرب وكانت فيه واقعة عظمى نسبت الى البراض بن قيس الذي قتل عدوة الرحال وسمي يوم الفجار لان الواقعة كانت في الاشهر الحرم وكانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس غيلان في الجاهلية وكانت الهزيمة على قيس فلما قاتلوا فيها قالوا قد فجرنا فسميت فجارا واما واقعة الفيل فهي مشهورة .

الى معد بن عدنان امسك وقال كذب النسابون قال تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا قال ابن عباس ولو شاء رسول‌الله ان يعلمه لعلمه وكان عروة يقول ما وجدنا احدا يعرف ما وراء معد بن عدنان وما سمعنا في علم عالم ولا شعر شاعر ذكر احد وراء معد بن عدنان بحق وقد اختلفوا فيما بعد عدنان اختلافا كثيرا (١) وروى عن أم سلمة مرفوعا ان معدا هو ابن عدنان بن اد ابن ادد بن زيد وهو الهميسع بن برا وهو نبت ابن اعراق وهو اسماعيل وقيل هو ابراهيم عليهما السلام ويقال ان ابراهيم هو ابن فارح وهو ازر بن ناحور بن اشوع بن ارعوش ابن فالغ بن غابر ويقال انه هود عليه السلام بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن لامق بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس بن ازد بن قينان بن مهلاييل ابن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام وههنا خلاف كثير لا يفيد علما فلذا اقتصرنا على مامضى واما فهر فهو جماع قريش وما فوق فهر فلا يقال له قرشي وغاية امر تلك الاسماء التي ما بعد عدنان انها مترجمة من اللغة العبرانية ومأخوذة من كتبها (٢) ويقال ان معدا كان على عهد عيسى بن مريم عليه السلام قال محمد بن سعد وهذا الاختلاف يدل على انالنسب من بعد عدنان لم يحفظ وانما اخذه النسابون من اهل الكتاب وترجموه لهم فاختلفوا فيه ولو صح ذلك لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس به فالامر عندنا على الانتهاء الى معد بن عدنان ثم الامساك على ماوراء ذلك الى اسماعيل بن ابراهيم وروى ابن مندة عن محمد بن السائب قال علمني ابي النسب الشريف فقال ان هاشما كان اسمه عمرا فسمى هاشما لانه اول من ثرد الثريد فقال عبد الله بن الزبعري في ذلك :

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجان

وان قصيا هو جماع قريش‌سمي بذلك لانه جمعهم وانزلهم مكة واقطعهم

---

(١) والذين يذكرون مابعد عدنان اسماء محرفة مأخوذة عن التوارة ومعربة عنها .

(٢) في الاصحاح الخامس من التورية التى هي اليوم بايدي القوم ان نوحا بن لامك بن متوسالخ بن اخنوخ بن بارد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم وما سيدنا ابراهيم فهو ابن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالخ بنارفكشاد ابن سام بن نوح كذا في الاصحاح الحادي عشر .

منهم فقال انما كان يقول ذلك العباس وابو سفيان اذا قدما المدينة او اليمن ليأمنا بذلك وانا لاننفي من ابائنا نحن بنو النضر بن كنانة قال وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم (١) بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وما افترق الناس فرقتين الا جعلني في خيرهما فاخرجت من بين ابوي لم يصبني شيء من عهد الجاهلية واخرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت الى ابي وامي فانا خيركم نسباً وخيركم اباً رواه البيهقي بهذا اللفظ تفرد به ابومحمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي عن مالك وعنده افراد لم يتابع عليها وعن اسماعيل بن رافع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انسبوني ثم قال انا محمد بن عبد الله وساق النسب الى نزار بن معد بن عدنان بن ادد وقال مدركة بن صدق وانما هو الياس واسمه خندف وقال عبد الله بن احمد بن حنبل وجدت في كتاب ابي حديثا محمد بن ادريس الشافعي فقال اسم عبد المطلب شيبة بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن قصي واسم قصي زيد واما نسبه من جهة أمه فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وروى ابن منده عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انتهى

---

(١) كان هاشم بعد ابيه على السقاية والوفادة فكان يعمل الطعام للحجاج فيأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد فاصاب الناس سنة غلاء وقحط فخاف من عار العرب وسافر الى الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به الى مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك يعني فته ونحر الجزر وجعله ثريدا واطعم الناس حتى اشبعهم فسمي هاشما وكان اسمه عمرو العلا وعبد مناف اسمه المغيرة وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله واصل مناف مناة اسم صنم كان اعظم اصنامهم وقصي اسمه زيد او يزيد ويسمى مجمعا لانه يجمع نسب قريش وسمي قصيا لانه تقاصى أي تباعد عن عشيرته الى اخواله في قضاعة في جهة الشام وكلاب اسمه حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب لحبه الصيد بها ولوى بالهمز اكثر من عدمها وفهر بكسر الفاء وسكون الهاء واسمه قريش سمى بذلك لانه كان يقرش أي يفتش على حاجات الناس فيسدها بماله والنضر بفتح النون وسكون الضاد واسمه قيس وقيل له النضر لنضارة وجهه وكنانة سمي بذلك لانه كان لم يزل في كن أي ستر من قومه ومدركة بضم الميم وكسر الراء واسمه عمر أو عامر قيل انه لحق ارنبا فادركه فقيل له مدركة والياس هو النبي المذكور في القرآن واسمه حبيب ومضر بضم الميم وفتح الضاد ونزار بكسر النون وفتح الزاي .

النبي صلى الله عليه وسلم كراهة ان يدعو احد باسمه او كنيته فيلتفت فاما اليوم فلا بأس بذلك وذهب الشافعي الى ان ذلك لا يجوز فروى البيهقي عنه انه قال لا يحل لاحد ان يكني بكنية ابي القاسم سواء كان اسمه محمدا اولا هذا ومن كنيته صلى الله عليه وسلم ابو ابراهيم وقد روى الدارمي والبيهقي عن انس انه لما ولد ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية جاريته كان يقع في نفسه منه حتى اتاه جبريل عليه السلام فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم وفي رواية عن عبد الله بن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فهبط عليه جبريل فقال يا ابا ابراهيم الله يقرئك السلام فقال له نعم انا ابو ابراهيم وابراهيم خيرنا وبه عرفنا وقد قال الله تعالى ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين (١) وروى الخرايطي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم ابراهيم مارية القبطية وهي حامل منه بابراهيم وعندها قريب لها كان قدم معها من مصر فاسلم وحسن اسلامه وكان كثيرا ما يدخل على أم ابراهيم وانه جب نفسه بقطع مابين رجليه حتى لم يبق قليلا ولا كثيرا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أم ابراهيم فوجد عندها قريبها فوجد في نفسه من ذلك شيئا كما يقع في انفس الناس فرجع متغير اللون فلقيه عمر بن الخطاب فعرف ذلك في وجهه فقال يارسول الله مالي اراك متغير اللون فاخبره بما وقع في نفسه من قريب مارية فمضى بسيفه فاقبل يسعى حتى دخل على مارية فوجد عندها قريبها ذلك فاهوى بالسيف ليقتله فلما رأى ذلك منه كشف عن نفسه فلما رآه عمر رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال ان جبريل اتاني فاخبرني ان الله قد برأها وقريبها مما وقع في نفسي وبشرني ان في بطنها مني غلاما وانه اشبه الخلق بي وامرني ان اسميه ابراهيم وكناني به اذا كناني بابي ابراهيم ولولا اني اكره ان احول كنيتي التي عرفت بها لاكنيت بابي ابراهيم كما كناني به جبريل عليه السلام (٢) .

((باب ذكر نسبه وابراز الخلاف فيه عن العلماء به))

عن انس قال بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان رجالا من كندة يزعمون انه

---

(١) هذا الحديث رواه ابن عدي والحافظ وقالا في اسناده صخر بن عبد الله الكوفي يعرف بالحاجبي يحدث بالبواطل . (٢) هذا الحديث رواه الحافظ بسند حسن ولم أجد ممن رواه غيره فيما اعلم :

باسمي ولا تكنوا بكنيتي وروى ابو يعلي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بالبقيع فنادى رجل يا ابا القاسم فالتفت فقال الرجل لست اياك اعني فقال سموا باسمي ولاتكنوا بكنيتي رواه البيهقي ورواه الامام احمد عن جابر ابن عبد الله ولفظه ولد لرجل غلام فسماه القاسم فقلنا لا نكنيك به حتى نسئال النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ورواه ابو يعلي ولفظه ولد لرجل منا غلام فسماه محمدا فقال له قومه لا ندعك تسميه باسم رسول الله فانطلق بابنه يحمله على ظهره فاتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ولد لي غلام فسميته محمدا وذكر له القصة فقل سم باسميّ ولا تكني بكنيتي فانما انا قاسم اقسم بينكم ورواه عبد الله بن الامام احمد ورواه ابو يعلي عن ابي هريرة ولفظه لاتجمعوا بين اسمي وكنيتي الله المعطي وانا اقسم. واما نهيه عن الجمع بينهما فروى ابو يعلي عن ابي هريرة مرفوعا من تسمى باسمي فلا يكني بكنيتي ورواه احمد عن عبد الرحمن بن ابي عمرة عن عمه بلفظ لاتجمعوا بين كنيتي واسمي فاختلف في ذلك فقيل انما نهي عنه في حال حياته لما دعى غيره فظن انه هو المدعو كما في الحديث الاول والثاني وقيل انما نهي عن ان يجمع احدبين اسمه وبين كنيته مطلقا واستدل هذا القائل بما رواه احمد البيهقي عن جابر مرفوعا من تسمى باسمي فلا يكني بكنيتي ومن كنى بكنيتي فلا يسمي باسمي وقد روى انه رخص في الجمع بينهما لولد علي ابن ابي طالب وذلك ان عليا قال يا رسول الله أن ولد لي بعدك ولد اسميه باسمك واكنيه بكنيتك فقال نعم وكانت رخصة منه لعلي وفي رواية محمد بن الحنفية فلما ولدت سماني باسمه وكناني بكنيته وروى عنه مايدل على اباحة الجمع بينهما مطلقا وذلك فيما رواه ابو داود عن عائشة انها قالت جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله أني قد ولدت غلاما فسميته محمدا وكنيته ابا القاسم فذكر لي انك تكره ذلك فقال ماالذي احل اسمي وحرم كنيتي او ما الذي احل كنيتي وحرم اسمي ورواه احمد وذهب مالك الى الاخذ بهذا قال البيهقي قال حميد بن زنجوية في كتاب الادب سئل من ابي اويس ما كان مالك يقول في الرجل يجمع اسم النبيّ صلى الله عليه وسلم وكنيته فاشار الى شيخ جالس معنا فقال هذا محمد ابن مالك اسمه محمد وكنيته ابو القاسم وكان يقول انما نهى عن ذلك في حياة

انا وانا اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل احمد وفي التوراة احيد وانما سميت احيدا لاني احيد عن امتي نار جهنم فاحبوا العرب بكل قلوبكم وقال ابن عباس لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم عق (١) عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان تسميه محمدا ولم تسمه باسم ابائه فقال اردت ان يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الارض وقال علي ابن زيد بن جدعان تذاكرنا الشعر فقال رجل ما سمعنا شعرا احسن من بيت ابي طالب :

وشق له من اسمه ليجله فذوا العرش محمود وهذا محمد

قال ابو الفرج المعافا بن زكريا القاضي قوله من اسمه يروى على وجهين على همزة مقطوعة لاقامة الوزن وقد جاء مثله في الشعر :

يتأتى امرء والشام بيني وبينه اتتني ببشرى برده رد سائله

وقال آخر

الا لا ارى اثنين اكرم شيمة على حدثان الدهر مني ومن جملي

وقال آخر

اذا جاوز الاثنين سر كأنه يبث وتكثير الوشاة قمين

ويروى. الاكل سر جاوز اثنين انه. فعلى هذه الرواية لاشاهد فيه والوجه الثاني في رواية البيت وشق له من اسمه على الوصل وترك القطع اقرارا له على اصله في اخراجه على قياسه فاذا روى هكذا فهو على الزحاف وفي زحافه حذف خامس جزئه الثاني الذي هو مفاعيلن فصير مفاعلن ويسمى هذا الزحاف النقص وقد يقع الزحاف في هذا البحر باسقاط سابعه وهو نون مفاعيلن ويسمى الكف والقبض في هذا البحر احسن الزحافين والكف احسنهما عند الاخفش وهذان الزحافان يتعاقبان .

« باب ذكر معرفة كنيته ونهيه ان يجمع بينهما » وبين اسمه احد من امته

عن محمد بن سيرين قال سمعت الهروي يقول قال ابو القاسم تسموا

---

(١) العقيقة في الاصل الشعر الذي يولد عليه كل مولود من الناس والبهائم ثم سميت به الشاة الذي تذبح عن المولود يوم اسبوعه .

عاقب الانبياء والماحي يمحوا الله به سيئات من اتبعه ورواه ابو يعلي الموصلي
ولفظه كان يسمى لنا تسعة اسماء فقال انا احمد ومحمد والحاشر ونبي الرحمة
ونبي الرحمة والملحمة زاد في رواية ونبي التوبة ورواه الدارقطني بهذا
الله عليه وسلم اسماء منها ما حفظناه فقال انا محمد واحمد والمتقي والحاشر
ونبي الرحمة والملحمة زاد في رواية ونبي التوبة ورواه الدار قطني بهذا
اللفظ وروى ابن عدي عن ابي الطفيل مرفوعا ان لي عند ربي عشرة اسماء
قال ابو الطفيل قد حفظت منها ثمانية محمد واحمد وابو القاسم والفاتح
والخاتم والماحي والعاقب والحاشر قال ابو يحيى التميمي وزعم سيف بن
وهب ان ابا جعفر قال له ان الاسمين الباقين ياسين وطه ورواه الطبراني
عن ابن عباس مرفوعا ولفظه انا احمد ومحمد والحاشر والمتقي والخاتم
وروى البيهقي عن محمد بن الحنفية ان معنى ياسين يا محمد وقال
ابن عباس في قوله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى معناه
يا رجل ما انزل عليك القرآن لتشقى وكان يقوم الليل على رجليه فهي
لغة عك فاذا قلت لعكي يارجل لم يلتفت اليك وان قلت له يا طه التفت
اليك وقال الخليل بن احمد الفراهيدي خمسة من الانبياء ذو اسمين محمد واحمد
نبينا وعيسى والمسيح واسرائيل ويعقوب ويونس وذو النون والياس وذو الكفل
وقال ابو زكريا العنبري لنبينا خمسة اسماء في القرآن احمد ومحمد
وعبد الله وطه وياسين قال تعالى محمد رسول الله وقال ومبشرا برسول
يأتي من بعدي اسمه احمد وقال وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون
عليه لبدا وذلك ليلة الجن كانوا يقع بعضهم على بعض كما ان اللبد
يتخذ من الصوف فيوضع بعضه على بعض فيصير لبدا وقال طه ما
انزلنا عليك القرآن لتشقى والقرآن انما انزل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم ينزل على غيره وقال ياسين يعني يا انسان والانسان
هنا العاقل وهو محمد صلى الله عليه وسلم انك لمن المرسلين قال
البيهقي وزاد غيره من اهل العلم فقال سماه الله تعالى في القرآن رسولا
نبيا اميا وسماه شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
وسماه رؤفا رحيما وسماه نذيرا مبينا وسماه مذكرا وجعله رحمة ونعمة
وهاديا وسماه عبدا وروى ابن عدي عن ابن عباس مرفوعا ان سيدا بنى دارا
واتخذ مادبة وداعيا فالسيد الله والمادبة القرآن والدار الجنة والداعي

قط الا نبي ثم قال لميسرة افي عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه فقال هو نبي وهو آخر الانبياء ثم باع سلعته فوقع بينه وبين رجل تلاح فقال له احلف باللات والعزى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحلفت بهما قط واني لامر بهما فاعرض عنهما فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة هذا والله نبي تجده احبارنا مبعوثا في كتبهم وكان ميسرة اذا كانتا الهاجرة واشتد الحريري ملكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمس فوعى ذلك كله وكان الله قد القى عليه المحبة من ميسرة فكان كأنه عبد له وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون فلما رجعوا وكانوا بمر الظهران قال ميسرة يامحمد انطلق الى خديجة فاخبرها بما صنع الله لها على وجهك فانها تعرف لك ذلك فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يظلان عليه فارته نسائها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله فاخبرها بما ربحوا في وجههم فسرت بذلك فلما دخل ميسرة عليها اخبرته بما رأت فقال ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام واخبرها بما قال الراهب نسطورا وبما قال الآخر الذي خالفه في البيع وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ربحت تجارتها ضعف ما كانت تربح واضعفت له ضعف ما سمت له .

((باب معرفة اسمائه وانه خاتم رسل الله وانبيائه))

عن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحوا الله به الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب هذا الحديث رواه مالك وتفرد جويرة برفعه في روايته عنه ورواه اصحاب مالك عنه مرسلا ورفعه صحيح عن الزهري ورواه سفيان ابن عينية مرفوعا وزاد الزهري في روايته وانا العاقب الذي ليس بعده احد وقد سماه الله رؤفا رحيما ورواه الدارمي وابن مردويه وابن لال وابن منده والحاكم واخرجه مسلم في صحيحه والترمذي في جامعه ورواه البخاري وزاد في روايته وانا الحاشر بعثت مع الساعة بين يدي عذاب شديد والعاقب

نقلت يروح راشدا في عمومة ... مواسير في البأساء غير لئآم
فرحنا مع العير التي راح اهلها ... شآم الهوى والاصل غير شآم
فلما هبطنا ارض بصرى تشرفوا ... لنا فوق دور ينظرون جسام
فجاء بحيرا عند ذلك حاشدا ... لنا بشراب طيب وطعام
فقالوا اجمعوا اصحابكم لطعامنا ... فقلنا جمعنا القوم غير غلام
يتيما فقال ادعوه ان طعامنا ... كثير عليه اليوم غير حرام
فلما رآه مقبلا نحو داره ... يوقيه حر الشمس ظل غمام
حنا رأسه شبه السجود وضمه ... الى نحره والصدرای ضمام
واقبل ركب يطلبون الذي رأى ... بحيرا من الاعلام وسط خيام
فثار اليهم خشية لعرامهم ... وكانوا ذوي زهومعا وعرام(١)
دريسا وتماما وقد كان فيهم ... زبيرا وكل القوم غير نيام
فجاؤا وقد هموا بقتل محمد ... فردهم عنه بحسن خصام
بتأويله التورية حتى تفرقوا ... فقال لهم ما انتم بطغام (٢)
فذلك من اعلامه وبيانه ... وليس نهار واضح كظلام

وقد ذكر ابو الحسن محمد بن احمد الوراق انه قدم مع ابي طالب لعشر ليالي خلون من شهر ربيع الاول سنة ثلاث عشرة من الفيل وقدم الشام مع ميسرة لاربع عشرة ليلة من ذي الحجة سنة خمس وعشرين من الفيل وكان الراهب الذي اخبر به في هذه القدمة اسمه نسطورا الراهب وقالت نفيسة بنت منبة اخت يعلي لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له ابو طالب انا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في عيراتها فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لاسرعت اليك وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له فارسلت اليه في ذلك وقالت انا اعطيك ضعف مااعطي رجلا من قومك قال ابو طالب هذا رزق ساقه الله اليك فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به اهل العير حتى قدما بصرى من الشام فنزلا في ظل شجرة فقال نسطورا الراهب مانزل تحت هذه الشجرة

---

(١) العرام الشدة والقوة والشراسة والعارم الخبيث الشرير (٢) الطغام اوغاد الناس ـ

عليه وسلم في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه ابي طالب اشياء فارادوه فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذلك ذكره وصفته وانهم اذا اجمعوا لما ارادوا لم يخلصوا اليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال قال فتركوه وانصرفوا . وقال ابو طالب في ذلك من الشعر يذكر مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اراد منه اولئك النفر وما قال لهم فيه بحيرا :

ان ابن آمنة النبي محمدا ... عندي بمثل منازل الاولاد
لما تعلق بالزمام رحمته ... والعيس قد قلصن بالازواد(١)
فارفض من عيني دمع ذارف ... مثل الجمان مفرق الافراد (٢)
راعيت منه قرابة موصلة ... وحفظت فيه وصية الاجداد
وامرته بالسير بين عمومة ... بيض الوجوه مصالت انجاد (٣)
ساروا لابعد طية معلومة ... فلقد تباعد طية المرتاد (٤)
حتى اذا ماالقوم بصرى عينوا ... لاقوا على شرك من المرصاد (٥)
حبرا فاخبرهم حديثا صادقا ... عنه ورد معاشر الحساد
قوما يهودا قد رأوا لما رآى ... ظل الغمام وعن ذي الاكباد
ساروا لقتل محمد فنهاهم ... عنه واجهد احسن الاجهاد
فثنى زبيرا من بحيرا فانثنى ... في القوم بعد تجاول وبعاد
ونهى دريسا فانتهى عن قوله ... حبر يوافق امره برشاد

قال ابو طالب ايضاً

الم ترني من بعد هم هممته ... بفرقة حر الوالدين حرام
باحمد لما ان شددت مطيتي ... رحلوا وقد ودعته بسلام
بكى حزنا والعيس قد فصلت بنا ... واخذت بالكفين فضل زمام
ذكرت اباه حين رقرق عبرة ... تجود من العينين ذات سجام

---

(١) العيس بالكسر الابل البيض التي يخالط بياضها شيء من الشقرة ويقال هي كرائم الابل وقلصن ارتفعن يريد تهيئن للسفر (٢) ارفض تنازل والذارف السائل (٣) مصالت جمع صلت وهو الرجل الماضي في الحوائج الخفيف اللباس والانجاد الذين يسرعون للنجدة (٤) الطية الحجة قال. وشدت لطيات مطايا وارحل والمرتاد الطالب (٥) الشرك بفتحتين حبالة الصائد والمرصاد بالكسر الطريق واصله من الرصد بفتحتين القوم الذين يرصدون كالحارس .

قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش وانا احب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وحركم وعبدكم فقال له رجل منهم يا بحيرا ان لذلك اليوم لشأنا ماكنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ماتقولون ولكنكم ضيوف فاحببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاما تاكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرفها وهي موجودة عنده فقال يامعشر قريش لايتخلف احد منكم عن طعامي هذا فقالوا يابحيرا ماتخلف عنك احد ينبغي ان يأتيك الاغلام هو حدث القوم سنا تخلف في رحالهم قال فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فقال رجل من قريش كان مع القوم واللات والعزى ان لهذا اللوم نبأ ايليق ان يتخلف ابن عبد الله بن المطلب عن الطعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه ثم اقبل به حتى اجلسه مع القوم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته حتى اذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بحيرا فقال له ياغلام اسئالك باللات والعزى الا اخبرتني عما اسئالك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتسئالني باللات والعزى شيئا قط فقال له بحيرا فبالله الا مااخبرتني عما اسألك عنه فقال سلني عما بدأ لك فجعل يسأله عن اشياء من نومه وهيئته واموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ماعند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبرة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده حتى فرغ منه اقبل على عمه ابي طالب فقال له ما هذا الغلام منك فقال ابني فقال له بحيرا ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخي قال فما فعل ابوه قال مات وامه حبلى به فقال صدقت فقال ارجع بابن اخيك الى بلدك واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه عرفوا منه ماعرفت ليبغينه شرا فانه كائن لابن اخيك هذا شأن فاسرع به الى بلاده فخرج به عمه ابو طالب سريعا حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما يتحدث الناس ان زبيرا وتماما وادريسا وهم نفر من اهل الكتاب قد كانوا راوا من رسول الله صلى الله

فقيل له هذا وليه فقال له احتفظ به ولا تذهب به الى الشام ان اليهود حساد واني اخشاهم عليه قال ما انت تقول ذلك ولكن الله يقوله فرده وقال اللهم اني استودعك محمداً ثم ان الراهب مات وروى محمد بن سعد عن داود ابن الحصين انه قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة سنة خرج به عمه ابو طالب الى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة ونزلوا بالراهب بحيرا فقال لابي طالب في السر ما قال وامره ان يحتفظ به فرده ابو طالب معه الى مكة وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابي طالب يكلأه الله ويحفظه ويحوطه من امور الجاهلية ومكايدها لما يريده من كرامته وهو على دين قومه حتى بلغ ان كان رجلا افضل قومه مودة وأحسنهم خلقاً واكرمهم مخالطة وأحسنهم جوداً وأعظمهم حلماً وامانة وأصدقهم حديثاً وأبعدهم من الفحش والاذى ما رآه ملاحياً ولا ممارياً احد حتى سماه قومه الامين لما جمع الله من الامور الصالحة فيه فلقد كان الغالب عليه بمكة الامين وكان ابو طالب يحفظه ويحوطه ويعضده وينصره الى ان مات قال ابن اسحق وكان ابو طالب هو الذي اليه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده فكان اليه ومعه ثم ان ابا طالب خرج في ركب الى الشام تاجراً فلما تهيأ للرحيل واجمع السير هب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بزمام ناقته وقال يا عم الى من تكلني لا اب لي ولا ام لي فرق له ابو طالب وقال والله لاخرجن به معي ولا يفارقني ولا افارقه ابداً قال فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من ارض الشام وتهيأ راهب يقال له بحيرا في صومعة له وكان اعلم اهل النصرانية ولم يزل في تلك الصومعة راهب اليه يصير علمهم من كتاب فيهم كما يزعمون يتوارثونه كائناً عن كائن فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيراً ما يمرون عليه قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يتعرض لهم حتى اذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته فصنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه فنظر الى الغمامة حتى اظلت الشجرة وتهصرت يعني تدلت اغصانها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وقد امر بذلك الطعام فصنع ثم ارسل اليهم فقال اني

اشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خرّ ساجداً ولا يسجدون الا النبي واني لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به وكان هو في رعية الابل قال ارسلوا اليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا الى فيء الشجرة مال عليه قال فبينما هو قائم وهو يناشدهم ان لا يذهبوا به الى الروم فان الروم ان رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فاذا هو بسبعة نفر قد اقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليه باناس وانا قد اخبرنا خبره فبعثنا الى طريقك قال فهل خلفتم خلفكم احداً هو خير منكم قالوا لا انما اخترنا خيرة لطريقك هذا قال افرايتم ان أراد الله امراً ان يمضيه هل يستطيع احد ان يرده قالوا لا قال فبايعوه واقاموا معه قال فأتاهم فقال انشدكم الله ايكم وليه قال ابو طالب انا فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه ابو بكر بلالا (١) وزوّده الراهب من الكعك والزيت قال ابو العباس محمد بن يعقوب ليس في الدنيا مخلوق يحدث بهذا الحديث غير قراد ابي نوح وسمع هذا الحديث احمد بن حنبل ويحيى بن معين من قراد وقالا انما سمعناه من قراد لانه من الغرائب والافراد التي تفرد بروايتها يونس ابي اسحق وعن ابي مجلز لما مات عبد الله عطف عبد المطلب او ابو طالب على محمد فكان لا يسافر سفراً الا كان معه فيه فتوجه نحو الشام فنزل منزلا فأتاه فيه راهب فقال ان فيكم رجلا صالحاً فقال ان فينا من يقري الضيف ويفك الاسير ويفعل المعروف فقال ارجو أعلى من هذا ثم قال اين ابو هذا الغلام

---

(١) قال ابن القيم في زاد المعاد وقع في كتاب الترمذي ان ابا طالب بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح فان بلالا اذ ذاك لعله لم يكن موجودا وان كان فلم يكن عمهمعه ولامعابي بكر وذكر بزار في مسنده هذا الحديث ولم يقل وارسل معه عمه بلالا ولكن قال رجلا اه اقول تسرع ابن القيم رحمه الله بنسبة الخطأ الى الترمذي ثم علل ذلك بالاحتمال على ان الترمذي اشار الى ذلك بكون الحديث غريبا لايعرف الا من الوجه الذي خرجه منه وهذا كاف في كون الحديث معلولا ودافع لنسبة عدم الانتباه للترمذي واما تعليله المذكور فليس مما تتم به الحجة لانه بناه على الترجي ولو سلمنا ان بلالا الصحابي لم يكن موجودا وقتئذ فلم لايجوز ان يكون المقصود بلالا غيره فان الراوي لم يصرح بأي بلال ارسل معه فتنبه .

((حرف الألف))

ـ(ذكر من اسمه احمد)ـ

((سيدنا ومولانا احمد ومحمد صلى الله عليه وسلم))

احمد ومحمد والحاشر والمقفى والعاقب بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ابو القاسم المصطفى والرسول المجتبى وخيرة رب العالمين وخاتم النبيين وامام المتقين وسيد المرسلين هادي الامة ونبي الله صلى الله عليه وسلم وازلفه لديه . قدم بصرى من نواحي دمشق قبل ان يوحى اليه وهو صغير مع عمه ابي طالب وقدمها مرة ثانية في تجارة لخديجة مع غلامها ميسرة .

((ذكر قدومه بصرى ومعرفة وصوله اليها مرة))
وعوده اليها كرة اخرى

عن ابي موسى (١) قال خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في اشياخ من قريش فلما اشرفوا على الراهب هبطوا وحلوا رحالهم فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت فبينما هم يحلون رحالهم اذ به قد جعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش وما علمك قال انكم حين

---

(١) هذا الاثر خرجه الترمذي عن ابي موسى عن ابيه وقال في آخره هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه .

الله ذكرها في صدر هذا الكتاب ولنشرع الآن في ذكر اسماء الرجال على حروف المعجم على شط السابق والترتيت المتقدم (١) .

---

(١) هنا انتهت مقدمة تاريخ الحافظ الامام ابن عساكر وما بعده دخول في اول التاريخ مرتبا على حروف الهجاء كما نرى وقد اوضح من الآن فصاعد الفن السيرة النبوية مشكاة فيها مصباح الهدى وشمس الاهتداء ولفن التاريخ حقائق يعول المحققون عليها ولفن الجرح والتعديل اساليب يقف الخطيب والذهبي دونها ولفنون الادب مايجلي الناظر ويذهب بصدا الخواطر ولفنون الحديث احاديث تسير بها الركبان ويألفها النظار ولاساليب البلاغة مايحمد الجرجاني عقباها ويرتشف السكاكي والزمخشري حمياها يدخل المطالع فيه روضا اينعت دوحاته بالثمار وفاح عطر وروده لمتنشق العلوم فينتقل من ورد الى زهر ومن فاكهة الى منظر انيق ومن منظر الى كوثر نظم وجدول نثر وسيحمد المطالع السرى ويقول كل الصيد في جوف الفرا .

والمعروف منهم معاوية وفضالة وابو الدرداء وسهل وبلال ووابصة بن معبد وخريم بن فاتك واخواه معبد وسبرة ورجال كثير ونساء كثير وقال ابن الاكفاني ان قبر مدرك بن زياد الفزاري الصحابي الجليل بقرية راوية من غوطة دمشق وهو اول صحابي توفي بظاهر دمشق وقبر سعد بن عبادة الانصاري سيد الخزرج بقرية المنيحة من الغوطة ايضاً . واما معاوية فمختلف في قبره فيقال ان قبره خلف حائط المسجد موضع دراسة السبع والاصح ان قبره خارج الباب الصغير واما قبر عبد الله بن ابي فلم يرد ذلك من وجه يعتمد وانما ذكر ذلك من طريق الاستفاضة بين العامة وعبد الله هذا كان يسكن بيت المقدس ولم اظفر بعد بدخوله دمشق . واما قبر ام حبيبة فيمكن ان يكون قبرها ههنا لانها قدمت الشام على اخيها معاوية كما ذكره ابو زرعة في طبقاته والاصح ان قبرها بالمدينة . واما بلال فقد اختلف في قبره فقيل انه بباب الصغير وهو اصح الاقاويل وقيل بباب كيسان وقيل بداريا وقيل انه بحلب وهو قول ضعيف وسنذكر هذه الاقاويل في ترجمته . واما قبر بريهة فلا أرى قولا يصح في نسبها لان اصحاب النسب لم يذكروا في اولاد الحسن بن علي ابنة اسمها بريهة . واما قبر سكينة بنت الحسين فيحتمل انها تزوجت بالاصبغ بن عبد العزيز ين مروان الذي كان بمصر ورحلت اليه فمات قبل ان تصل اليه فيحتمل انها قدمت دمشق وماتت بها والصحيح انها ماتت بالمدينة وامرهم الوالي ان لا يدفنوها حتى يحضرها وركب الى بعض امواله بنواحي المدينة وكان اليوم حاراً فتغيرت رائحتها واشترى لها طيب كثير ليغلب الرائحة فلم يغلب ثم بعث اليهم ان ادفنوها فاني مشغول فدفنت ولم يحضر . واما وابصة بن معبد فيحتمل ان يكون صحيحاً لانه قدم دمشق وسمع بها سبرة بن فاتك وكان مقام وابصة بالرقة وبها ولده وحديثه . واما خريم بن فاتك وسبرة فهما من الصحابة الذين كانوا بدمشق واما اخوهما معبد فلم ار له ذكراً في كتب اصحاب الحديث ولا في معاجم الصحابة . واما مدرك بن زياد فلم اجد له ذكراً الا على اللوح المكتوب على قبره الا من وجه لا يثبت مثله . واما سعد بن عبادة فانه مات في حوران فيحتمل انه حمل ودفن في المسجد (١) وهذا آخر ما تيسر ذكره من الابواب التي سهل

---

(١) يوجد خارج الشاغور قبر يقال له قبر شمعون والعامة تزعم انه قبر شمعون النبي وليس بصحيح فهو ان صح القول قبر شمعون بن خناقة قيل توفي بدمشق سنة ٨٦ ويحتمل انه قبر شمعون بن زيد الازدي حليف الانصار واما صهيب بن سنان بن مالك الرومي فقيل انه مدفون بمحلة ميدان الحصا. واما ضرار استشهد باليمامة وقيل مات بدمشق .

وهي مقبرة دمشق وفيها قبور جماعة من الصحابة الاخيار . وقد جاء في فضل المقابر التي بدمشق من الاخبار ما روي عن اوس بن عبد الله بن بريدة عن ابيه مرفوعاً من مات من اصحابي بأرض فهو قائدهم يوم القيامة وفي رواية ايما رجل من اصحابي مات ببلدة فهو امامهم يوم القيامة واسناد هذه الرواية غريب ورجالها كلهم مراوزة وفي رواية ما من احد من اصحابي يموت بأرض الا بعث قائداً ونوراً لهم يوم القيامة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وروى مرسلا وهو اصح وقد روى عالياً من طرق متعددة منها عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وزاد فيه وبعثه الله يوم القيامة سيد اهل ذلك البلد وقال سعيد بن عبد العزيز ان المسلمين انشبوا القتال من جهة الباب الشرقي يوم نزولهم على دمشق فقتل ناس من المسلمين فدفنوا في مقبرة باب توما فهي اول مقبرة بدمشق للمسلمين وقال ابو زرعة الدمشقي رأيت اهل العلم ببلدنا يذكرون ان بمقبرة دمشق من الصحابة الكرام بلالا مولى ابي بكر وسهلا بن الحنظلية وابا الدرداء وقال عبد العزيز بن احمد الكتاني لم يتفق المصران (١) على معرفة عين قبر نبي او صحابي غير قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقبري صاحبيه ابي بكر وعمر قال ابن الاكفاني أراني الشيخ ابو محمد عبد العزيز بن احمد الكتاني قبور الصحابة الذين بظاهر دمشق بباب الصغير وهم معاوية بن ابي سفيان وفضالة بن عبيد وواثلة بن الاسقع وسهل ابن الحنظلية واوس بن اوس وهم داخل الحظيرة مما يلي القبلة وابو الدرداء خارج الحظيرة وام الدرداء خلفها وعبد الله بن ام حرام ويعرف بابن امرأة عبادة بن الصامت وهو محاذي طريق الجادة وجماعة يقولون انه قبر ابي بن كعب وليس بصحيح وام حبيبة بنت ابي سفيان اخت معاوية وزوجة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى قبرها بلاطة مكتوب عليها اسمها في جنب الحظيرة واختها على بلاطة ايضاً مكتوب عليها اسمها وبلال بن رباح وعلى قبره بلاطة كذلك قال وأراني ايضاً قبر الوليد بن عبد الملك واخيه مسلمة خلف الحظيرة التي فيها قبور الصحابة مقابل مقبرة امير الجيوش على الجادة وأراني ايضاً قبر بريهة بنت الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم في قبة وقبر سكينة ابنة الحسين في قبة وقال يزيد بن احمد السلمي دفن في مقبرة الباب الصغير كثير من الصحابة

---

(١) المصران البصرة والكوفة وكانا دار العلم والحديث يومئذ .

عليه الباب الشرقى وكان من الثلاثة ابواب ثلاثة أسواق معقدة من باب الجابية الى الباب الشرقى فكان السوق الاوسط منها للناس واحد السوقين لمن يشرق بدابة والآخر لمن يغرب بها حتى انه كان لايلتقى فيها راكبان فسد الباب الكبير والشمالى منها وبقى القبلى الى الان وفى السور ابواب صغار غير ماذكرنا تفتح عند وجود الحاجة اليها منها باب الحاطب يعرف بباب ابن اسماعيل وباب فى المربعة .

(باب ذكر فضل مقابر أهل دمشق وذكر من بهامن الانبياء واولى السبق)

زعم كعب الاحبار ان مقبرة باب الفراديس يبعث منها سبعون الف شهيد يشفع كل انسان منهم في سبعين والله اعلم ولا يخفى ان مثل هذا يحتاج الى خبر صحيح ممن لا ينطق عن الهوى وزعم كعب هذا ايضاً ان بطرسوس من قبور الانبياء عشرة وبالمصيصة خمسة وهي التي يغزوها الروم في آخر الزمان فيمرون بها فيقولون اذا رجعنا من بلاد الشام اخذنا هؤلاء اخذاً فلا يرجعون الا وقد تخلفت بين السماء والارض والله اعلم بما يقوله وقال ايضاً وبالثغور وانطاكية وبحمص ثلاثون قبراً وبدمشق خمسمائة قبر وببلاد الاردن مثل ذلك ويروى عنه ان بالسواحل الف قبر وبالاردن مثلها وكذلك بفلسطين وببيت المقدس وبالعريش عشرة وزعم ايضاً ان قبر سيدنا موسىٰ عليه السلام بدمشق ويروى عن عبد الله بن سلام انه كان يقول ان بالشام من قبور الانبياء الفي قبر وسبعمائة قبر وقبر موسى بدمشق وان دمشق معقل الناس في آخر الزمان من الملاحم وقال ابن عباس من اراد ان يرى الموضع الذي قال الله فيه وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين فليأت النيرب الاعلى بدمشق بين النهرين وليصعد الى الغار الذي في جبل قاسيون فيصلي فيه فانه بيت عيسى وامه وقد كان معقلهم من اليهود ومن أراد ان ينظر الى أرم فليأت نهراً في دمشق يقال له بردى ومن اراد ان ينظر الى المقبرة التي فيها مريم بنت عمران والحواريون فليأت مقبرة الفراديس(١)

---

(١) هي المقبرة المسماة بالدحداح .

حين بنيت (١) (الباب الذي يليه) من القبلة بشرق يعرف بباب كيسان ينسب الى كيسان مولى معاوية وحكى هشام بن محمد الكلبي انه منسوب الى كيسان مولى بشر بن عبادة بن حسان بن حبار بن قرط الكلبي (٢) وهو الآن مسدود (الباب الشرقي) سمي بذلك لانه شرقي البلد (٣) وكان ثلاثة ابواب باب كبير في الوسط وبابان صغيران من جانبيه سد منهما الكبير والصغير الذي من قبلته وبقي الباب الشمالي (باب توما) من شمالي البلد (٤) وينسب الى عظيم من عظماء الروم اسمه توما وكانت له على بابه كنيسة جعلت بعد مسجدا (باب الجينيق) من الشمال ايضا منسوب الى محلة الجينيق وهي محلة كبيرة كان بها كنيسة فجعلت بعد مسجدا وهو الآن مسدود (باب السلامة) في شمال البلد ايضا سمي بذلك تفاء لا لانه لايتهياء القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الانهار والاشجار (٥)(باب الفراديس) (٦) من شمال البلد ايضا منسوب الى محلة كانت خارج الباب تسمى الفراديس وهي الآن خراب وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسد والفراديس بلغة الروم البساتين (باب الفرج) من شماله ايضا (٧) وهو محدث احدثه الملك العادل نور الدين وسماه بهذا الاسم تفاءلا لما وجد من الفرج بفتحه وكان بغربه باب يسمى باب العمارة فتح عند عمارة القلعة ثم سد بعد واثره باق في السور (باب الحديد) من شماله ايضا هو الآن خاص للقلعة التي احدثت غربي البلد في دولة الاتراك سمى بذلك لانه كله حديد فقيل الباب الحديد ثم تركت الالف واللام تخفيفا (باب الجنان) من غربي البلد سمى بذلك لما يليه من الجنان وهي البساتين وقد كان مسدودا ثم فتح (٨) (باب الجابية) (٩) من غربي البلد منسوب الى قرية الجابية لان الخارج اليها يخرج منه لكونه مما يليها وكان ثلاثة ابواب الاوسط منها كبير ومن جانبيه بابان صغيران على مثال ما كان عليه

---

(١) هو باب الشاغور (٢) والنصارى يسمونه باب بولس ويقولون انه دلى نفسه من نافذته هربا من الانضطهاد (٣) وهو من عهد الرومان وباب كيسان بالقرب منه (٤) رممه الامير تنكز سنة ٧٢٤ (٥) يقال له الآن باب السلام رمم سنة ٦٤١ (٦) هو باب الحديد الموجود في محلة العمارة (٧) هو الذي بالبوابجية وقد رمم سنة ٦٠٦ كما هو مؤرخ به (٨) كان يقال له باب السرايا وقد هدم سنة ١٢٨١ هـ او ١٨٦٣ م عند اصلاح الطرق (٩) رمم سنة ٥١٥ .

نعم الجليس فان غدا في خلوة   فكأنه فيها يجالس محفلا
مقت الروافض والخوارج واثنى   يحبوا القرابة والصحابة بالولا
متمسكا بالسنة البيضاء قد   اضحى لها متقبلا متبتلا
ولقد وجدت لها معاني جمة   لكن وجدت جوى احر المقولا(١)
نزلت على جبال هم اقلقت   قلبي فلا لوم له ان اجبلا (٢)
ان الزمان ادار لي من ريبه   كاسا جرعت بها السمام مثملا (٣)
ما زال يطرقني بيوم ايوم   حتى رأيت الصبح ليلا اليلا (٤)
واذ غدا فكري اغم مجلحا   لم يغد لي الشقرا اعز محجلا (٥)
اهوى لنظمي ان يكون منخلا   والهم يأبى ان يجيء منخلا (٦)
تالله لست بآمن وصفها   خطلا ولو اني فضلت الاخطلا (٧)
لما اتاني الامر منك بوصفها   بادرت متمثلا له متقبلا
ووجدت الزامي بذاك من الاسى   عبأ فرحت به حسيرا مثقلا
فابسط بفضلك عذر خلك ان بدأ   زلل فانك لم تزل متفضلا
وغريب وصفي قد اتاك مفصلا   وسواه لا يأتيك الا مجملا

((باب ذكر تسمية ابوابها ونسبتها الى اصحابها واربابها))

(الباب القبلي) المعروف بالباب الصغير سمي بذلك لان كان اصغر ابوابها

---

(١) يريد انه وجد لدمشق معاني كثيرة غير هذه ثم اعتذر عن عدم نظمها بانه يقاسي جوى وشدة يجعلان القول حارا ثم ركن الى الاعتذار في الابيمات التي بعد هذا (٢) يقال اجبل الشاعر افحم وصعب عليه القول فصار لا يبدي ولا يعيد والمعنى ان جبال الهم التي نزلت به صيرت عليه القول صعبا وافحمته فلا لوم عليه ان قصر (٣) المعنى جرعته كؤوس سم قد نقع في الاناء فبقي متر وكا في الانقطاع اياما حتى اختمر وبذلك فسر الزمخشري المثمل (٤) يعبر عن الشدة باليوم فيقولون يوم ايوم أي شديد كما يقولون ليلة ليلاء (٥) المعنى اذا كان فكري كالفرس الاغم وهو الذي سال شعره حتى ضاقت جبهته والاجلح هو الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه وهما غير محمودين في الخيل فان الشقراء ذلك المنتزه الجميل له يرجع فكري كأنه فرس اغر محجل أي لم تجعله سابقا (٦) المعنى اريد نظمي ان يكون خالصا مطربا ويأبى لي الهم خلوصه (٧) الخطل المنطق الفاسد المضطرب والاخطل شاعر مشهور .

وكــان ودايهــا قراب اخضر ... يستل من بردا حساما منصلا(١)
والمرج والميدان مــا هو لان من ... اسد الشرى ائتفلوا بغزلان الفلا
متماثلان وكــل مثــل منهمــا ... تلفيه من باقي البسيطة امثــلا
وكــأنه من قوم كســرى اذ غدا ... بلباسهم متــازرا متســربــلا
ولطالمــا عاينت في قطريهمـــا ... خيــلا رواتع او خميســا مرفلا
والشمس تبغي بالهلال النجم والضـ ... ـرغام يجتنب الغزالة والطلا (٢)
وعلا عليهــا قــاسيون كــأنــه ... ببنــاه تــاج بــالجواهر كلـــلا
دعذاوخذفي وصف مشمشها الذي ... اضحى على رطب العراق مفضلا
ولو ان قارونا شراه بــكل مــا ... جمعت يداه من الكنوز لمــا غلا
لفحته نيران الهواجر فــاغتدى ... كــالجمر الا انــه لا يصطـــلا
خلع النضاج عليه لون معلـــل ... او مغرم فــابي له ان ينجـــلا
وتخـــالفت افعــاله فتحيرت ... البابنـــا فعدا العيان تخيــلا
تجنيه ايدي القوم جمرا مضرما ... فيعود في الافواه مــاء سلسلا
فاذا رآه النــاس في اغصــانه ... قالوا نجوم دجنة لن تــافلا (٣)
ضاهت بواطنه الظواهر لــذة ... وعهدته عســلا تضمن حنظــلا
ولو انهــا مــا جملت بصفاتها ... لفدا لهـــا من اهلها مــا جملا
ان فــاق اول عصرهــا فاخيره ... يحلو لهم فيهــا يفــوق الا ولا
قد برزوا في المأثرات واحرزوا ... قصب المفاخر وارتقوا درج العلا
ومحى الاخاء حقودهم فكــأنمــا ... طلل عفا بين الدخول وحوملا (٤)
كــلفوا بتجديــد المودة والندى ... لمــا رأوا ان الجديد الــى بــلا
فتراكضوا خيــل السماح بدعوة ... اضحى دخان العود فيها الفسطلا(٥)
من كــل فاد عرضــه بنضــاره ... يذر المؤمل راحتيه مؤمــلا (٦)
يبدي ندى يغني وحلمــا راجحا ... وتحية ترضى وقولا فيصـــلا

---

(١) حساما منصلا مخرجا من قراية (٢) الطلا ولد الظبية ساعة يولد والصغير من كل شيء •
(٣) الدرجة الظلمة والدياجي الليالي المظلمة (٤) الطقل ما شخص وارتفع من اثار الديار وعفا درس وكان يمحي والدخول وحومل اسما موضعين (٥) الفسطل الغبار يريد انهم بدلا من ان يطاردوا خيول الكفاح تطاردوا بالمسابقة الى السمــاح فــاثاروا دخــان العود بدلا من الغبار (٦) النضار الذهب ويذر يترك •

يحوي اذا متع النهار معاشراً   شتى الخلائق والطرائق والحلا (٢)
فاذا دجى لم يحو الا خاضعاً   متوكلا او خاشعاً متبتلا
او خالياً متفكراً او قارئاً   متبصراً او داعياً متوسلا
كل امرىء منهم تراه بمعزل   ومحله يعلو السماك الاعزلا
وترى السفيه اذا الخصام علا به   مثل الظليم رأى النعيم فآرفلا
واذا مررت على المنازل معرضاً   عنها قضى لك حسنها ان تقبلا
ان كنت لا تستطيع ان تتمثل الفردوس فانظرها تكن متمثلا
واذا عنان اللحظ اطلقه الفتى   لم يلق الا جنة او جدولا
او روضة او غيضة او قبة   او بركة او ربوة او هيكلا
او وادياً او نادياً او ملعباً   او مذهباً او مجدلا او موئلا
او شارعاً يزهو بربع قد غدا   فيه الرخام مجذعاً ومفصلا
وفواكه متخالف اصنافها   مما يشوقك مطعماً وتأملا
مصفر تفاح بدا في احمر   يحكي المحب اتى الحبيب مقبلا
والورد مثل الخد يعلوه من الـ   ريحان صدغ شعره قد رجلا
وبنفسج كنفاضة من اثمد   تبديه اجفان البكاء تذللا
وتخال نور الباقلاء اذا بدا   لمواحظ الابصار طرفا احولا
نشرت مطارفه وجاءك نشرها   فحسبتها وشيا تارج مندلا (١)
ويهز مر نسيمها اشجارها   فتخال غادات تشكت افكلا (٢)
وعلت غصون خلافه محمرة   وهفت بها ريح فضاهت مشعلا (٣)
واذا البلابل اسمعت ترجيعها السالي تراجع وجده فتبلبلا (٤)
ومتى هوى ورق الغصون وجدته   ذهبا وكان زمردا لما علا

---

(١) يقال متع النهار اذا طال وامتد (٢) المطارف جمع مطرف بكسر الميم وفتحها وضمها رداء من خز مربع له اعلام أي علامات بالطريز والنشر الرائحة الطيبة والوشي نقش الثوب ويكون من كل لون والارج توهج ريح الطيب والمندل عطر ينسب الى بلد بالهند يقال لها مندل (٣) الافكل الرعدة التي تعلو الانسان من البرد والخوف (٤) الخلاف شجر الصفصاف وهفت الريح بهما حركتها (٥) والبلابل جمع بلبل وهو طائر حسن الصوت ويسميه اهل الحجاز النغر والتبلبل الهم والوسواس .

ورموا عقيرا بالصعيد مزملا ... وحواو اسيرا بالحديدمكبلا(١)
ومغل حوران كسيل دافق ... يأتم من ارجاء جلق موجلا(٢)
وتكاثرت فيها القنى فغادرت ... للورادين بكل درب منهلا
وكان جامعها البديع بناؤه ... ملك يمير من المساجد جحفلا
ذو قبة رفعت فضاهت قلة ... ومنابر بنيت فحاكت معقلا
تبدو الاهلة في اعاليها كما ... يبدو الهلال تعاليا وتهللا
ويريك سقفا بالرصاص مدثرا ... يعلو جدارا بالرخام مزملا
قد الف الاقوام بين شكوله ... فغدا الرخام بذاته متشكلا
لم يرض تجليلا بجص فانبرى ... بالفص يعلوه النضار مجللا(٣)
يغشى سوام اللحظ في ارجائه ... من عسجد ارضا ومن فص خلا
فاذا تذر الشمس فيه تخاله ... يلقى تالق او حريقا مشكلا(٤)
فكأنما محرابه من سندس ... او لؤلؤ وزمرد قد فصلا
تلى القرآن به وراع بحسنه ... فهدى المصيخ وحير المتأملا
وجداره القبلي رام بناؤه ... هود فجاب له الصخور واثلا(٥)
وتخال طاقات الزجاج اذا بدت ... منه للحظك عبقريا مسدلا
وهوى اليه رأس يحي بعد ما ... غشاه من هوى الحديدة منصلا
واتاه كهلا جده بقضاء من ... اتاه حكما قبل ان يتكهلا
وترى صبيحة كل يوم زمرة ... في السبع يتلون الكتاب المنزلا
وبخط ذي النورين فيه مصحف ... يجد الهداية من قراه ومن تلا
وله مصابيح لهن سلاسل ... تحكي الاسنة والرماح الدبلا
تبدو القباب بصحنه لك مثلما ... تبدو العرائس بالحلي لتجتلا
وعلت به فوارة من فضة ... سالت فظنوها معينا سلسلا
وببابه حركات ساعات اذا ... فتحت لها باب تراجع مقفلا
ويريك باريها وكل قد رمى ... من فيه يقذفه يصيب سجنجلا

---

(١) العقير الجريح والصعيد التراب والمزمل المغطى والمكبل المقيد (٢) يأتم يقصد والارجاء الناحية والموجل الموضع (٣) النضار الذهب (٤) تذر الشمس تلقي شعاعها عليه .

(٥) جاب قطع واثل بنى اصله .

ابي العساكر سلطان بن علي بن منقذ الكناني في قصيدة له طولها محاسن دمشق التي ذكرها غيره من الشعراء فاخملها فاتى بها مستقصاة وفصلها فشرفها بما قال فيها وجملها وهي هذه :

يــازائر يزجى القروم البزلا(١) دع قصد بغداد وخــل الموصلا
لاتزجهــا لسوى دمشق فانه سيطيل حرا من تعدى المفصلا
بلد جلى صدأ الخواطر فانثنت كالمرهفات البيض وافت صيقلا
عوضته عن موطني فوجدتــه احلى واعذب في الفؤاد واجملا
لم التمس فيه لجسمي منــزلا حتى وجدت لــه بقلبي منزلا
ذو ربوة جــاء القرآن بذكرهــا ومســاجد بركاتها لن تجهــلا
ومدارس لم تــأتها في مشــكل الا وجدت فتى يحل المشــكلا
مــا امهــا مرء يــكابد حيرة وخصاصة الااهتدى وتمولا(٢)
وبهــا وقوف لا يزا لمغلهــــا يستنقذ الاسرى ويغني العيلا(٣)
وائمة تلقي الدروس وســـادة تشفى النفوس ودائها قد اعضلا
ومعاشر تخذوا الصنائع مكسبا وافاضل حفظوا العلوم تجملا
وقبور قوم من دعا فــي مطلب متعسر اضحى بهــا متسهلا
من صالحين وتــابعين وزمرة شهداء شــاهدت النبي المرسلا
قد حوا بزند هدى تطاير سقطه رشدافاوعر في البلادواسهلا(٤)
وجحافل توفي على عدد الحصا تذر المحرم بالسيوف محللا (٥)
لم يعل من وهج عليها عــارض الاراك القطر نيلا مرسلا (٦)
حشى جموع الشركواحدها ولا لوم لسرب قطــا تخشى اجدلا
كم احرزوا مصرا واردوا باسلا وحووا مطهمةوحازوا مطفلا(٧)

---

(١) يزجى يسوق والقروم جمع قرم وهو البعير المكرم لا يحمل عليه والبزل جمع بازل وهو البعير الذي تم له ثماني سنين ودخل في التاسعة وحينئذ يطلع نابه وتكمل قوته ويقال له بازل عام وبازل عامين(٢)امها قصدها والخصاصة الفقر وتمولا صار صاحب مال(٣)العيل كثير العيال (٤) الزند العود الذي يقدح به النار وهو الاعلى وسقط النار ما يسقط منها عند القدح واوعر واسهل سلك الوعر والسهل (٥) الجحافل الجيوش وتوفي تزيد (٦) الرهج بفتحتين الغبار والعارض الغيم (٧) المطهمة البارعة الجمال والمطفل كمحسن ذات الطفل من الانس والوحش .

وبالمزة الجنة المستلذ بها العـ يـش والشرف المعجب
وبالسهم ذي الثمر المشتهى لجانيه والمشمش الطيب
ترنم من فوق اشجاره طيور بلحن لها مطرب
فكم بلبل هاج بلبالنا وكم من هذار ومن احظب
وكم معرب فيهم عن شجى وكم من مغن ومن مغرب
بصوت له مستلذ غدا بديع الترنم مستعذب
لازهارها نشر مسك اذا نسيم بها هب او زرنب
وانهار جلق تجري الى مساكنها عذبة المشرب
تعين فتى جن من مذهب جنون المهوس والمذهب
وجامعها ماله مشبه بشرق البلاد ولا مغرب
كمثل اهلها ليس مثل لهم لدى القسط فاطرب لهم واعجب
اذا وصفت المرء ما فيهم من الدين والخير لم يكذب
فلا تطمعن في فراقي لهم فتلك طماعية الا شعب

وقال عبد الله الشهير بابن النقار الحميري الكاتب :

سقى الله ماتحوي دمشق وحياها فما اطيب اللذات فيها واهناها
نزلنا بها فاستوقفتنا محاسن يحن اليها كل قلب ويهواها
لبسنا بها عيشا رقيقا دارئه ونلنا بها من صفوة اللهو اغلاها
ولم يبق فيها للمسرات بقعة يفرح فيها القلب الا نزلناها
وكم ليلة نادمت بدر تمامها تقضت وما ابقت لنا غير ذكراها
فآها على ذلك الزمان وطيبه وقل له من بعده قولتي آها
فياصاحبي اما حملت تحية الى دار احباب لنا طاب مغناها
وقل ذلك الوجد المبرح ثابت وحرمة ايام الصبا ما اضعناها
فان كانت الايام انست عهودنا فلسنا على طول المدى نتناساها
سلام على تلك المحاسن انها محط صبابات النفوس ومثواها
رعى الله اياما تقضت بقربها فما كان احلاها لدينا وامراها

وهذا باب لو استقصيته لطال واكسب قارئه الملال وفي ذكر هذا القدر مايدل منها على جلالة القدر وقد جمع الامير ابو الفضل اسماعيل بن الامير

ومما قال ايضا في دمشق :

سقى الله ارض الغوطتين واهلها ... فلى بجنوب الغوطتين شجون
وما ذقت طعم الماء الا استخفني ... الى برد مـاء النيربين حنـين
وقد كان شكى في العراق يروعني ... فكيف اكون اليوم وهو يقين
فوالله ما فارقتكم قاليـا لكم ... ولكن مـا يقضى فسوق يـكون

ومما قاله فيها ايضا :

دعاني من اطـلال برقة ثهمد ... ولا تذكرا عيشا بصحراء اربد
فما لي من وجد بنجد واهلهـا ... ولا بي من شوق الـى أم معبد
محلة بؤس لا الحيـاة لذيذة ... لديهـا ولا عيش الكريم بارغد
عدتني عنها من دمشق وارضها ... مرابع ليس العيش فيها بانـكد
اناجي نسيم الغوطتين معطرا ... بانفاس زهر في الرياض مبدد
يمر علي اذكى من المسك نفحة ... ويجري على ماء من الثلج ابرد

وقال ابو المظفر محمد بن اسد العراقي الحنفي الفقيه :

دع الرسـم لاح عـلى نـيرب ... وعج بـالمحصب والاخشـب
فثم التي همت من اجلهـا ... وضاقت بك الارض عن مذهب
هي الريم ما رمت عن حبهـا ... ولا رمت غـير هوى الملعب
ومن يتنـاسى هـوى داره ... ويرغب عنهـا وفيهـا ربـى
وهل ينتدى ممحـل مجدب ... ويبدل بالعشـب المخصـب
وقفت بهـا ذاكرا لعهودهـا ... اسائل في الربع عن زينب
واعتب من هي مشدوهة (١) ... عن العتب والعـاتب المغضب
بوجه كصبح بدأ مشـرقـا ... وشـعر تجعـد كـالغيهب
تقول وفـي قولهـا منـة ... تـأن عـلى ولا تعتـب
الست ببغداد عـاهدتني ... وكنت بهـا المترف المستبي
بـابعدت عنهـا عـلى غرة ... ولم تدر بعـدك مـا حـل بي
فقلـت اجـل انهـا جنـة ... ومـا ذمهـا قـط الا غبي
ولكن دعاني الـى تركهـا ... محـاسن تبهر بـالنيرب

(١) مشـدوهة مشغولـة .

كان ذم الشام مذ كنت شاني فنهتني عنه دمشق الشام
بلد ساكنوها قد جعلوا الجنـ ـة قبل الحساب دار مقام
البستها الايام رونق حسن ليس يفنى ولا مع الايام
ظاهر ظاهر الجمال كما البا طن خلقاهما معا في تمام
غير الربيع يحكم في الظا هر اذ كان من اوضح الاحكام
برياض اوصافها ابد الدهـ ـر يراها رياضة الافهام
نثرت كلها يد الغيث فيها فافانين زهرها في انتظام
لم تفضل بطيبها جنة الخـ ـلد عليها بل فضلت بالدوام
قسمت بين اهلها قسمة العد ل فعمتهم بذا الاقسام

وقال ابو المطاع ذوي القرنين ابو الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي :

اني حنيت حنين مكتئب متزادف الاحزان والكرب
متذكر في دار شقوته دار النعيم ومنزل الطرب
جمعت مآرب كل ذي ارب فيها ونخبة كل منتخب
فهوائها تحيا النفوس به وترابها كالمسك في الترب
تجري بها الامواه فوق حصا كرضاب ثغر بارد شنب (١)
من كل عين كالمراة صفا او جدول كمهند القضب
يشتق اخضر كالسماء له زهر كمثل الانجم الشهب
هذا ومن شجر تعطفه يحكي انعطاف الخرد العرب (٢)
عشنا به زمنا بلذته في غفلة من حادث النوب
في فتية فطنوا لدهرهم فتناولوا اللذات من كثب (٣)
ماشئت من جود ومن كرم فيهم ومن ظرف ومن ادب
متواصلين على مناسبة بالفضل تغنيهم عن النسب
كم روحة بدمشق روحت بهم والشمس قد كادت ولم تغب
فكأنما صاغ الاصل بها لقصورها شرفا من الذهب

---

(١) الثغر ماتقدم من الاسنان والشنب الحدة فى الاسنان وقيل برد وعذوبة (٢) الخرد جمع خريدة وهي البكر التى لم تمس والعرب جمع عروب وهي العروس المحببة الى زوجها (٣) من كثب أي من قرب .

عبيد البحتري :

وقـد رحلنـا عن العرا	ق وعـن قيظهـا الرمد
حبذا العيش فـي دمشـ	ـق اذا ليلهـــا بـرد
حيث يستقبـل الزمـا	ن ويستجســن البلد
سفـر جددت لنـا اللهـ	و ايــامــه الجـدد
عــزم الله للخليـــ	ـفة فيـه عـلى الرشـد

وفي دخول المتوكل دمشق يقول البحتري :

العيش في ليـل داريـا اذا بردا	والراح نمزجهـا بالمـاء من بردا
قـل لـلامام الذي عمت فواضله	شرقا وغربا فما نحصي لها عددا
الله ولاك عن عـلم خـلافتـه	والله اعطـاك مـا لم يعطه احدا
وما بعثت عتاق العيس في سفر	الا تعرفت فيه اليمن والرشدا
امـا دمشق فقد ابدت محاسنها	وقد وفي لـك مطريها بما وعدا
اذا اردت ملأت العين من بـلد	مستحسن وزمان يشبه البـلدا
يمسي السحاب على اجبالها فرقا	ويصبح النبت في صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خضـلا	او يانعـا خضرا او طـائرا غردا
كأنما القيظ ولى بعـد جيئتـه	او الربيع دنـا من بعد مـا بعدا

وقال ابوبكر احمد بن محمد بن الحسن الحلبي المعروف بالصنوبري :

امـر بدير مران فـاحيـا	واجعـل بيت لهوى بيت لهيـا
وتبرد غلتـي بـردا فسقيـا	لا يـامي عــلى بردا ورعيـا
تفيض جداول البلـور منهـا	خــلال جدائق يتقن وشيــا
فمن تفـاحة لـم تعـد خدا	ومـن رمـانة لم تعد ثديـا
ونعم الـدار داريـا ففيهـا	صفالي العيش حتى صار اريا(١)
ولى في بـاب جيرون ظبـاء	اعاطيهـا الهوى ظبيـا فظبيـا
صفت دنيـا دمشق لمصفيهـا	فلست اريد غـير دمشق دنيـا

وفي بعض الروايات بدل صفت . هي الدنيا دمشق لساكنيها وقـال عبد المحسن الصوري :

---

(١) الاري الصـــفه .

ليس فـي الدنيـا نعيم غير سـكنى فى دمشق
تنظـر العينـان منهـا منظـر ليـس لخلـق
جنـة يفجـر منهـا مـاء عـين ذات دفـق

وقال محمد بن ابي طيفور بلغني ان المأمون كان بدمشق في طارمة له والثلج يسقط عليه فاصحر يده للثلج ساعة التذاذا به وقال القاضي يحيى بن اكثم كنت بدمشق مع المأمون وحضرت طعامه فقدم اليه طعام كثير من الفراريج فجعل الميمون يأكل منها ويتمطق ويتلمظ ويتبسم وانا لا ادري مامقصده بتلمظه فلما استحكم له طعم الفراريج وبلغ نهاية الاستمام الى غـايته في ذوقه نظر الى الطباخ فقال بأي شيء سمنت هذه الفراريج وبم طيبتها فقال الطباخ هذه راعية دمشق لم تسمن ولم تطيب فقال لي ما طعم من طعام الطير ولا ريح من روائح العذبة الا وقد خيل لي انه في هذه الفراريج هذا والله ارخص لحما واطيب طعما وريحا من مسمن كشكر ثم قال او ماعلمت ان فراريج كشكر فيها ثقل كشكر وروائح اجامها كأنها من طير الماء وفيها طعمه فاذا لم تعالج بالابازير وتطيب بالطيب وتروى بالزيت المغسول لم يمكن النظر اليها فضلا عن اكلها وهي اذا عوينت بما وصفت وعولجت بقي بقايا سنخها ولئن رجعت الى العراق لا ذقت منها شيئا البتة وقال المعتصم ماشبهت ساكن دمشق الا بالصائم في شدة الكلف الى الطعام فانه جائع ابدا فقيل يا امير المؤمنين فنعمت النعمة هذه فقال نعم هي خير بقاع الارض الا انها تورث الشدة وقال الاصمعي احسن الدنيا ثلاثة نهر الابلة وغوطة دمشق وسمر قند وقال حشوش الدنيا ثلاثة عمان واردبيل وهيت وقال ايضا جنان الدنيا في ثلاثة مواضع نهر معقل بالبصرة ودمشق بالشام وسمر قند بخراسان وقال ايضـا الدنيا ثلاث غوطة دمشق ونهر سمرقند ونهر الابلة وقيـل فـى الدنيا ثلاث جنان مرو من خراسان ودمشق من الشام وصنعا من اليمن وجنة هذه الجنان صنعا وقال بعض علماء المغاربة قـال بعض الشريقيين ان الله اسكن آدم بنـاحية كيـكدر من كورة الصين قـال وهي التي تعرف في زمانـا بمدينة لغبور ويقولون ان الصين اطيب البـلاد واما الذي عليه العـامة في الشق الغربي ان اطيب البـلاد صنعـا من اليمن ودمشق من الشـام والرى مـن خراسـان ونجران من الحجـاز قـال الوليد بن

غوطة دمشق وعن جنتي سبا وكان الرشيد يقول الدنيا اربعة منازل قد نزلت ثلاثة منها احداها الرقة والآخر دمشق والآخر الرى في وسطه نهر على جنبتيه اشجار ملتفة متصلة وما بينها سوق والمنزل الرابع سمرقند وهو الذي بقي علي لم انزله وارجو ان لايحول في هذا الوقت حتى احل به فما كان بين هذا وبين ان توفي الا اربعة اشهر فقط وقال احمد بن الخير الوراق الدمشقي لم تزل ملوك بني العباس تخف الى دمشق طلبا للصحة وحسن المنظر منهم المأمون فانه اقام بها واجرى اليها قناة من نهر منين في سفح جبلها الى معسكره بدير مران وبنى القبة التى فى اعلى جبل دير مران وصيرها موقدا يوقد فى اعلاه النار لكى ينظر الى مافى عسكره اذا جن عليه الليل وكان ضوؤها وضياءها يبلغ الى ثنية العقاب والى جبل الثلج وقال الفضل بن مروان ان امير المؤمنين المأمون صار الى دمشق وهو رقيق فغلظ واخذ بعض اللحم وكان اكله قبل ذلك ثمانى عشرة لقمة فى كل يوم فلما اقام بدمشق صار اكله اربعا وعشرين لقمة فى كل يوم فزاد الثلث قال محمد بن طيفور ويقال ان المأمون نظر يوما من بناء كان فيه الى اشجار الغوطة وبنائها فحلف بالله انها خير مغنى على وجه الارض فقال فى هذا بعض الشعراء:

نظر المأمون يوما — من دمشق من مباني
في رياض موفقات — بين اشجار حسان
فمشى شوقا اليها — ضاحكا بين غواني
ثم آلى بيمين — انها خير المغاني (١)
فرشت بالنور فرشا — تحت ظل وسواني (٢)
اخضر رفا رفيفا — جاره احمر قاني (٣)

ويقال ان المأمون قال يوما عجبت لمن سكن غيرها كيف ينعم مع هذا المنظر الانيق الذي ليس يخلق مثله فقال في ذلك بعض مؤلفي الكلام الحسن :

---

(١) آلى حلف والمغاني المواضع التي كان بها اهلوها (٢) النور بفتح النون الزهر والسواني جمع سانية الناضحة وهي الناقة التي يستقى عليها (٣) الرفرف الثياب الخضر والقاني شديد الحمرة

فيها اربعة عشر انبوبا وعند مسجد القصب وعلى باب الفراديس عند السقاية وفي عقب الجسر مقابل مسجد بزان وفي وسط العقيبة وعلى باب مسجد فيروز وفي وسط مقبرة باب الفراديس وثانية بقرب منها وعند حمام راهب في العقيبة وعند مسجد الوزير من غربيه وفي مسجد الجنان وعلى بابه وعلى باب الجابية ملاصقة للباب وفي قصر حجاج فهذه القنى التي هي خارج البلد .

فاما الحمامات فحمام القلعة وحمام القاضي عند باب الجابية وحمام داخل القصاعين وداخل درب الهاشميين وحمام القصير وحمام جاروخ وحمامات الشريف العقيقي والديوان والقلانسيين عند القيسارية الفخرية والاكافين الذي في سوق علي وحمام نور الدين في سوق القمح وهو البزورية وخلف سويقة الباب الصغير وحمام درب النخلة عند الباب الصغير وقفه نور الدين وحمامات سويد والسلم في زقاق السلم عند المسلخ ودرب البقل والرحبة وباب النطافين يعرف بالمؤيد وحمام الى جانبه يعرف بالسلارية وحمام خفيف في درب خفيف يعرف بقرب باب الفراديس وحمام ابن كلي والنحاسين بقرب سقيفة كروس وآخر وبالقرب منه مثله وفي درب الجبن خلف الحدادين وفي درب الحبالين وفي الخريميين خلف سوق المطرزين وفي المطرزين وحمام اللؤلؤة وكان يعرف بحمام اليزيديين وعند منارة فيروز وعند كنيسة مريم وعند درب الحجر وعند راس قنطرة سنان وبقرب كنيسة مريم وبقرب سقيفة جناح وعلى المنجنيقي عند الباب الشرقي وعند باب توما وهناك حمام آخر وحمام الاسد على باب الجابية وحمام في العقيبة وحمام ابن زاكي وتوماس بقرب الرحا البرمكية وعند عونية القصارين وحمام راهب الكلاس وآخر بقرب عونية لحمى وعند راس بستان بكجور وآخر الى جانبه وحمامان عند عين كشملين خارج باب السلامة وآخر خارج باب توما وحمام ابن عبادة في الشاغور ايضا وحمام القصر بالنيرب الاسفل وحمام ابن العفيف بوادي النيرب فمبلغها سبعة وخمسون حماما سوى حمامات القرى.

« باب ما ورد عن الحكماء والعلماء بمدح دمشق بطيب الهواء وعذوبة الماء »

قال وهب لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض لم يسئال الا عن

الباب وفي قبلي القلعة في اول درب اللبان عند القيسارية وفي فندق من غربي الدرب المذكور وواحدة في طرف درب اللبان ومدرسة اكبر انشأها الملك العادل وعند المدرسة المذكورة تعرف بقناة السباع وبقرب آخر زقاق اللبان بقرب حجر الذهب وفي رأس درب الانصار وعند المدرسة المعينية وعلى باب حمام القصير وعند الطاحون وقناة اخرى بالقرب منها وقناتان في الاقبريس وقناة اخرى هناك وقناة بزان الكردي عند باب مدرسته وعند باب الخضر عند المدرسة الامينية وفي داخل الخضراء تحت المنارة الشرقية وفي باب البريد وعند باب الجامع الغربي عند سقاية بـاب البريد وعند الطرايقيين تحت المنارة الغربية وعند البيمارستان وبقربها ايضا وفي سويقة باب البريد وقناة بقربها ايضا وعند رباط النساء وعند حمام العقيقي وفي دهليز الشنباشي وعند الفرن وفي مسجد باب الفراديس داخل الباب وهناك قناتان ايضا وقناة النطافين على باب الجامع وبجانبها ايضا بالقرب منهـا وداخل دار السميساطي وداخل درب بوقة عند باب النطافين قناة خربوز عند مدرسة الحنابلة وفي سوق القمح لها وقف وفي درب الريحان في درب قليد وفي سوق أم حكيم وهو سوق العليس وفي الرحبة وفي زقاق العجم لها وقف وفي مشهد الرأس على باب الجامع وفي جيرون وتعرف بقناة القنا لها وقف وقناتان في درب كشك يليهما ثالثة وفي درب خفيف وفي سقيفة القطعي عند المدرسة وقناة اللحامين عند باب جيرون وفي عقبة الصوف وعند باب قيسارية الفرا وقناة على المزوقاني وبالقرب منها ايضا وقنـاة سمنديار وعند مسجد الاذرعي وفي زقاق صفوان وهناك قناتان ايضا وفي طرف الاساكفة العتق وفي رأس سوق الاحد قناتان وفي داخل باب السلامة كذلك وفي سوق الغزل العتيق لها وقف وقناة ابن ابي الحديد وفي الغويرق وعلى باب الجينيق وفيه قناة ثانية وهناك قناتان اخريان وفي درب العلوي النافذ الى المربعة وفي رحبة خالد بن اسيد وقناة المنحدرة والزينبي في سويقة باب توما وعند مسجد صعلوك وداخل باب توما وقنـاة النبطيين فهذه قنى البلد ومبلغها مائة ونيف وثلاثون وفي ظـاهر البلد من القبلة قناة عند جسر سوق الدواب وعلى الباب الصغير وفي الشـاغور ومن شماله قناة علـى بـاب توما ملاصقة للسور وعند الجسر السبع انـابيب وكـان

من الاخبار تدل على ان التصدق بالماء من القرب الكبار وبدمشق قنى لها اوقاف معينة وهي عند متولى الاوقاف معلومة مبينة واكثرها ليس لها اوقاف ولكن يجري عليها من المسلمين اسعاف فيحصل بجملتها الانتفاع وتطيب بمحاورتها الاسماع وانا ذاكرها ومثبت عددها ليعرفها من احب ان يعددها فمن ذلك ماهو في الجانب القبلي . قناة ابن الفاخوري عند مسجد الملك العادل . قناة في اول القصاعين قناة ثانية وقناة ثالثة . قناة عند السقطيين وباب الجابية لها وقف . قناة عند باب درب القطاعين تجديد الملك العادل قناة في اول القطاعين قناة ثانية وقناة ثالثة قناة عند سقاية الشيخ. قناة في القيسارية الفخرية قناة القلانسيين برأس الخواصين لها وقف. قناة في درب السوسي عند سوق علي. قناة عند طرف سوق علي وطرف المقسلاط يعرف بالجلادين لها وقف. قناة عند السجن الجديد والفنادق انشأها الملك العادل. قناة عند مسجد واثلة تعرف بحسين الشنباشي وقد كانت خربت فعمرها هو. قناة الزلاقة لها وقف. قناة عند حمام ابي نصر. قناة الطويلة عند حمام ابن ابي نصر. قناة عند طرف سوق الصرف لها وقف. قناة ابن القصيعة في السوق الكبير عند رأس البزوريين بدرب الريحان . قناة الملح عند رأس طريق الجلادين لها وقف قناة في سوق البزوريين في الفندق. قناة عند فندق البيع . قناة في درب القرشيين . قناة في درب الناقديين وهناك قناة ثانية. قناة في درب البقل تعرف بابن عنقود. قناة في حارة الخاطب تعرف بابن عبد الرزاق المحتسب. قناة اخرى داخل حارة الخاطب. قناة عند حمام الجبن. قناة سوق اللؤلؤ. قناة المناخليين والابارين في سوق الطير بناها ابن الحاج لها وقف. قناة ابن شفون في درب في طرف سوق اللؤلؤ. قناة الثلاع عند دار البطيخ. قناة في اول درب الفراش قناة ثانية وثالثة فيه. قناة تحت الكوشك. قناة درب العلف. قناة سويقة كنيسة مريم. قناة درب الحجر وفيه قناة ثانية. قناة العميد بن الجسطار عند مسجده . قناة في السويقة الباب الشرقي عند درب الداراني . قناة داخل الباب الشرقي . قناة اخرى خارج هذا الباب ملاصقة للباشورة هذا ما كان موجودا في الجانب القبلي واما ما كان موجودا في الجانب الشآمي فهي في درب الشعارين وفي درب الهاشميين عند الحمام وعند ارجكة اثنتان وفي القلعة المحروسة عند

القنى فينتفع به الناس الانتفاع العام على الوجه الهنى ويفرق الى البرك والحمامات ويجري في الشوارع والسقايات وذلك من المرافق والمواهب الجزيلة السنية والفضيلة العظيمه المبنية التي عدت من فضائل هذه المدينة اذ الماء في اكثر البلدان لاينال الا بالثمن وهو الذي تحصل به حياة النفوس وازالة الدرن وقد جاء عن خاتم الانبياء في فضل سقي الماء ماروراه البيهقي بسنده الى أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس صدقة اعظم اجرا من ماء (١) وروى الامام احمد عن سعيد بن عبادة ان امه ماتت فقال يارسول الله ان امي ماتت افا اتصدق عنها قال نعم قال فاي‌الصدقة افضل قال سقي الماء قال فتلك سقاية الى سعد بالمدينة (٢) وروى حميد بن زنجويه عن عائشة انها قالت يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال الماء والملح والنار ياعائشة من سقي الماء حيث يوجد فكأنما اعتق نفسا ومن سقى الماء حيث لايوجد فكأنما احيا نفسا ومن اخذ من منزله ملح فطيب‌به طعام كان كمن تصدق بذلك الطعام على اهله ومن اخذت من منزله نار لم ينتفع بتلك النار بشيء الا كان له صدقة (٣) واخرج ايضا عن ابن عباس انه سئالت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الصدقة افضل او سئل أي الصدقة افضل قال اسق الماء ثلاث مرات اسق الماء ثلاث مرات واخرج البيهقي بسنده الى ابن عباس ايضا قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الصدقة افضل فقال لي اسق الماء قال ثم قال الم تر الى اهل النار اذا استغاثوا بماء كالمهل قالوا افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله فهذه الاحاديث الخمسة وغيرها

---

(١) ورواه بالمعنى احمد وابو داود والنسائي وابن ماجه .وابن حبان والحاكم عن سعد بن عبادة ولفظهم افضل الصدقة سقي الماء (٢) ورواه ابو داود ولفظه يارسول الله ان امي ماتت فأي الصدقة افضل قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد ورواه ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه الا انه قال ان صح الخبر ورواه باللفظ المذكور في الاصل الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري‌ومسلم قال الحافظ المنذري هو منقطع الاسناد عند الكل لانهم يروونه عن سعيد بن المسيب عن سعد فان مولد سعيد ووفاة سعد كانت سنة ١٥ ورواه ابو داود عن الحسن البصري عن سعد ومولد الحسن سنة ٢١ (٣) رواه ابن ماجة بمعناه ولفظه ابسط مما هنا اورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال في الزوائد اسناده ضعيف لانه مروى من طريق على بن زيد بن جدعان .

شبرا فى اقل من شبر ثم سئاله خالد ان يسقي ضيعته فاجابه الى يوم الخميس وفتحت له ماصية كحكاية هذه الماصية ثم شكى اهل بردا قلة الماء الى هشام فامر القاسم بن زياد ان يميز لهم الانهار فمازها فاعطى اهل نهر يزيد ست عشرةمسكبة واعطىالغور الكبير عشر مساكب والغور الصغير خمس مساكب ونهر دارياستعشرة مسكبة واعطىنهر ثورا اثنتين واربعين مسكبة وفيه يومئذ اربع عشرة ماصية للسقى وليس عليه رحى ونهر قينية احدى عشرة مسكبة ونهر بانياس ثلاثين مسكبة ومسكبة زائدة حملت فيه ليزيد بن ابى مريم مولىبنىالحنظلية وثلاث مساكب للفضل بن صالح الهاشمى حملت فيهمن بعدهونهر مجدول اثنتى عشرة مسكبة ونهر داعبة ثلاث عشرة مسكبة ونهر حيوة وهو نهرالزلف اثنى عشرة مسكبة ونهر التومة العليا خمس مساكب ونهر التومة السفلى اربع مساكب ونهر الزابون اربع مساكب ونهر الملك اربع مساكب والقناة لم تكن تماز يومئذ بل تأخذ ملىء جنبتيها وكان الوليد بن عبد الملك لما بنى المسجد اشترى ماء من نهر السكون يقال له الوقية فجعله فى القناة الى المسجد والحجر شبر ونصف فى شبر ونصف والثقب شبر فى اقل من شبر على انه اذا انقطعت القناة أو اعتلت ليس لاحد ان يأخذ من ماء الوقية شيئا ولالاصحاب القساطل فيها حق واذا جرت يأخذ كل ذي حق حقه وتفتح القساطل على الولاء وقال يزيد انا ادركت القناة يدخل فيها الرجل يسير فيها وهي مسقوفة يمد يده فلا ينال سقفها وليس فيها شيء مثلوم وحضر جماعة من اهل دمشق وغوطتها منهم الذي امر بميزالانهار والزي قسمها وكان ذلك سنة خمس عشرة ومائة وكان ممن حضر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري ويزيد بن محمد بن القاسم الهمذاني وعبد الله بن شبيل الفهري وحكيم بن عبد الله بن المبارك الجمحي والفضل بن عبد الكريم القرشي وعبد الله بن المبارك النميري من اهل الغوطة من اهل قرية طرميس وذكوان بن عبد الله مولى عبد الملك بن مروان ومحمد بن يزيد بن عبد الله مولى عبد الملك والفضل بن القاسم مولىبني هاشم ومات هشام بن عبد الملك يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخرة سنة خمس وعشرون ومائة

فهذه الانهار التي ينتفع بها الداني والقاصي وينقسم منها الماء الى الارضين في الجداول من المواصي ويدخل من بعدها الى البلد في

فامر بحفره فمنعه من ذلك اهل الغوطة ودافعوه فلطف بهم على ان ضمن لهم خراج سنتهم من ماله فاجابوه الى ذلك فاحتفر نهرا سعة عرضه ستة اشبار في عمق ستة اشبار على ان له ملأجنبتيه وكان على ذلك كما شرط لهم فهذه قصة نهر يزيد ومات في رجب سنة اربع وستين فلم يزل كذلك حتى استخلف سليمان ابن عبد الملك سنة ست وتسعين فاقام عنده رجل من اهل الذمة يقال له جرجة ابن قعرا شاهدين يشهدان ان له في النهر قناة تجري الى حمام له تديره وزعم انها كانت عجمية تجري في سيلوب الى ديره وهو رطل من الماء فسجل له سليمان بذلك سجلا واشهد شهودا ونسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه سليمان بن عبد الملك امير المؤمنين لجرجة بن قعرا بثبات قناة في نهر يزيد الى ديره لما قامت له البنية وفيه من الشهود عبد العزيز بن عبد الرحمن وعبد الله بن الحصين المبارك الهمذاني ويزيد بن اسلم بن عبد الله القرشي وعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك من اهل الغوطة ومحمد بن عبد الرحيم بن الفضل بن العباسي الهاشمي وكتب شهادته سليمان بن عبد الملك بامره في هذا الكتاب يوم الخميس من شهر رمضان من سنة ثمان وتسعين وكتب سليمان بن عبد الملك بخطه واشهد الله على نفسه وكفى بالله شهيدا وقل الماء في خلافة سليمان بن عبد الملك حتى لم يبق في بردا الا شيء يسير فشكوا ذلك الى سليمان فوجه مولاه عبيدة بن اسلم الى اصل ماء العين ليكريها فدخلوا ليكروها فبينما هم كذلك اذا هم بباب من حديد مشبك يخرج الماء من كوى فيه يسمعون داخلها صوت ماء كثير ويسمعون صوت اضطراب السمك فيها فكتبوا بذلك الى سليمان فامرهم ان لا يحركوا شيئا وان يكروا ما بين يديها فاكروا فلم يزل كذلك في خلافة سليمان حتى ولي هشام بن عبد الملك فسئاله اهل قرية حرستا ماء لشرب شفاههم وماء لمسجدهم فكلم فاطمة بنت عبد الملك يعني ابنة عاتكة وعاتكة ابنة يزيد في ذلك فاجابته على ان يحفر لهم نهرا صغيرا يجري الى مسجدهم للشرب لا لغيره ففتح الحجر الذي امر به فترا في فتر مستدير يجري لهم من الارض على قدر شبر من ارتفاع بطن النهر وسئاله مولاه عبد العزيز ان يجري له شيئا يسقي به ارضه فاجابه بعد ان سئاله في امره يوم الاربعاء فصير له ماصية فتحها

يبقى ذكره واسمه (١) .

((باب ما جاء في ذكر الانهار المحتفرة للشرب))
وسقي الزرع والاشجار

قال ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن يزيد بن زفر الاحمر البعلبكي حدثني ابي عن جدي قال سئالت مكحولا عن نهر يزيد وكيف كانت قصته فقال سئالت مني خبيرا اخبرني الثقة انه كا نهر صغير ببناطين يجري فيه شيء من الماء يسقي ضيعتين في الغوطة يقال لهم بنو فوقا ولم يكن لاحد غيرهم فيه شيء فماتوا في خلافة معاوية بن ابي سفيان ولم يبق لهم وارث فاخذ معاوية ضياعهم واموالهم فلم يزل كذلك حتى مات معاوية في رجب سنة ستين وولى ابنه يزيد فنظر الى ارض واسعة ليس لها ماء وكان مهندسا فنظر الى النهر فاذا هو صغير

---

(١) سنح لنا الآن والشيء بالشيء يذكر ان نكتب ما ذكره حسن ابن المزلق المعروف بالبدري في كتابه نزهة الانام في محاسن الشام مما كان في دمشق من العمران عدا عما تقدم. قال عند الكلام على القلعة بها جامع وخطبة وحمام وطاحون وبعض حوانيت لبيع البضائع وبها دار الضرب التي تضرب بها النقود وبها الدور والحواصل وكان لها طارمة عالية خربها تيمور لنك (بين النهرين)هو مبتدأ الوادي كان به دور وقصور وبائعوا الاطعمة والفواكه وحمام ومقاصف وزاوية للعبادة والوعظ والارشاد ويتوصل منها الى زقاق الفرايين وعلى جانبي النهر الغرف والقصور وكان بالشرفين عدة من المدارس والمساجد وكان بطرف المرجة القبلي على الشرف زاوية الاعجام وسوق فيه احدى وعشرون حانوتا وفوقهم الطباق وبآخرهم مسجد مطل على نهر بردا وكان الشرفان عامرين عن يمين المرجة وشمالها (محلة الخلخال) كان بها سويقة وحانوت وفرن وحمام بها زاوية الادهمية والهنود (المنبع) كان به سويقة وحمام وافران وكان به المدرسة الخاتونية وهي من اعاجيب الدهر (البهجة) كانت منتزها جميلا وكان بها بحيرات و حوانيت وبيع وشراء وبها مسجد ومدرستان ومربط للدواب وبها مطاعم فيها الفرش واللحف والتخوت معدة للكري(الجبهة)كان بها عمران وزاوية الحريري ونواعير وجداول وبرك وبحيرات ومثلها البهنسية (الربوة) كان بها جامع وخطبة ومدارس وعدة مساجد وقاعات وطباق وكان بها سويقتان وكان السمك يصاد ويقلى على جانب النهر وبها حمام وبنى بها نور الدين قاعة على شعب جبل منحوتة بالواحمن خشب سقفها نهر يزيد واساسها من تحتها نهر ثورا وبقابلها دف الزعفران والجبل الشرقي في رأسه مثل الجنك الى غير ذلك مما كان بها من العمران الذى ذهب بذهاب ايامه وبالجملة كانت دمشق اعمر مما هي عليه الآن بكثير .

واشترى منه اربع ضياع باربعة اجناد الشام اختارهن فاختار من فلسطين عمواس ومن الاردن قصر خالد ومن دمشق الاندر ومن حمص دير ركا ويقال ان معاوية لما بني الخضراء بدمشق وهي دار الامارة وكان بنائها بالطوب فلما فرغ منها قدم عليه رسول لملك الروم فنظر اليها فقال له معاوية كيف ترى هذا البنيان قال اما اعلاه فللعصافير واما اسفله فللفار فبنى معاوية صفتها بالحجارة وحكى ايضا ان الخضراء التى كانت دار الامارة هي من بناء الجاهلية وقد ذكر في الاصل في هذا الموضع دورا كانت موجودة في زمنه وقد درست الآن معالمها وانمحت اطلالها وتبدلت اسماء مواقعها ولم يكن في ذكرها ادنى فائدة فاضربنا عن بيانها لما يورثه من الشآمة والملل واما الابنية التي كانت خارج السور فهي كثيرة جدا قال مضر بن العلاء كنت اعرف من زقاق فدايا الى قرية تعرف بواسط في الغوطة حوانيت ومنازل وحكى عن شيوخه انهم قالوا العمران يتصل بهذا حتى يصير سوق القمح في قرحتا وقال على بن محمد بن ابي العلاء حدثني بعض اصحابي انه جلس على جسر نهر يزيد ليلة فعد بضعة عشر من القدور مما حمل الى ساكني تلك البلد لكثرة من كان يسكن بها قال وبلغني انه كان على النهر رواشن مشرقة عليه وكان اكثر ظاهر البلد منازل للقبائل وقرى متصلة واسس متقاربة فخرب اكثر ذلك في الفتن والحروب والحصارات وتمادى عليها الخراب الى الآن ومامن موضع يحفر فيه الاوجد فيه اثر العمارة من سائر نواحي البلد من قبليه وشرقيه وشآمه وغربية والله يحرس مابقي منها ويحمية بمنه ولطفه ومما سمى لنا من منازلها القبلية فندق بنى عبد المطلب عند سوق الدواب اليوم والراهب قبلة المصلى عن يسار المار قبلة المسجد الجديد بعد مسجد فلوس ومحلة السفليين عند المسجد الجديد والشماسة عند مسجد القدم وعالية وعويله قبلة مسجد القوم والقطائع ويقال لها ريح حوران قبلي الشاغور وغير ذلك واماما كا شمالي البلد فسطرا والفراديس والاوزاع والصدف ومقري وشعبان ومرج الاشعريين وغير ذلك ومن الغرب لؤلؤة الكبيرة ولؤلؤة الصغيرة وقتيبة وصنعا والحمريين ومنازل بنى رعين وغير ذلك سوي ماكان من شرقي البلد من قرى الغوطة والمرج من القصور والدور والمنازل المعروفة والاماكن المذكورة مما عفى رسمه

فقد خربت ايضا وقد كان بقي من قناطرها وعمدها بعضها فنقلت صخورها فادخلت في العمارات واما التي عند زين بن حكيم فهي التي في رأس درب القرشيين وهي صغيرة بعضها باقي الى اليوم وتشعث واما التي في سوق الفاكهة فكانت في دار سطح فخربت واما التي بحضرة دار بني لجلاج فهي التي كانت في درب بني قضرس ودرب الحبالين ودرب التميمي وادركت من بنائها بقايا وقد خرب اكثرها واما كنيسة مريم فمعروفة باقية واكبر مابقي من الكنائس وكنيسة اليهود باقية وقد كانت لهم كنيسة اخرى في درب البلاغة لا ذكر لها في كتاب الصلح جعلت مسجدا وأما كنيسة مربص فكانت غربي القيسارية النحرية وقد خربت وادركت من بنائها بعض الاساسات وقد كانت كنيسة في موضع دار الوكالة فخربت واما كنيسة يوحنا فهي الجامع المعمور اليوم وبقى لهم بصفته كنيسة الى ان اخذها منهم الوليد بن عبد الملك كما تقدم واما كنيسة حميد بن درة فقد خربت وكانت في درب حميد وهو ابن عمرو بن مساحق القرشي العامري وامه درة بنت ابي هاشم خال معاوية بن ابي سفيان وهو ابو هاشم بن عتبة بن ربيعة وكان الدرب اقطاعا له فنسبت الكنيسة اليه وهو مسلم واما الكنيسة التيعند دار ابن زرناق فهي المعروفة بكنيسة اليعاقبة في نواحي باب توما بين رحبة خالد بن اسيد بن ابي العاص وبين درب طلحة ابن عمرو بن مرة الجهني واما كنيسةالمصلبة فهي باقية لهم الى اليوم بين الباب الشرقي وباب توما بقرب الفسطس عند السور وقد خرب اكثرها وبعد ذلك هدمت وكان هدمها بعد الثمانين واما التي كانت احدثت بالجينيق فهي التي جعلت مسجدا عند الدرب ويسمىاليوم مسجد الجينيق واما كنيستا العباد منهما المتان احدهما جعلت مسجدا والثانية التي في رأس درب النقاشين جعلت مسجدا ايضا .

باب ذكر بعض الدور التي كانت داخل السور

لما استخلف عبد الملك بن مروان طلب من خالد بن يزيد بن معاوية شراء الخضراء وهي دار الامارة بدمشق فاشتراها منه باربعين الف دينار

اخلاف وفرق وانهم غلبوهم على كنائسهم وسألوا الوفاء لهم بما في عهدهم وبما في الكتاب الذي كتبه لهم خالد بن الوليد عند فتح مدينتهم فامرهم ان يأتوا بحجتهم فاتوا بكتاب خالد بن الوليد فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا مااعطى خالد بن الوليد اهل دمشق يوم فتحها اعطاها امانـا لانفسهم ولاموالهم وكنائسهم لانهدمنه ولا نسكنه لهم على ذلـك ذمة الله وذمة الرسول عليه الصلاة والسلام وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين لايعرض لهم احد الا بخير اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية شهد بهذا الكتاب يوم كتب عمرو بن العاص وعياض بن غنم ويزيد بن ابي سفيان وابو عبيدة بن الجراح ومعمر بن غياث وشرحبيـل بن حسنة وعمير بن سعد ويزيد بن نبيشة وعبد الله بن الحارث وقضاعي بن عامر وكتب في شهر ربيع الاول سنة خمس عشرة وقرأت كتابهم فوجدته خاصة بهم وحققت عن امرهم فوجدت فتحها بعد الحصار ووجدت ماوراء حيطانها لرفعة الجبل مخرقا من كثرة ونظرت في خرقتهم وظيفة عليهم خاصة دون غيرهم فقضيت لهم بكنائسهم حين وجدتهم اهل هذا العهدوابناء البلد ووجدت من نازعهم لفيفا طرق عليهم وذلك انهم لو اسلموا بعد فتحها كان لهم صرفها مساجد ومسـاكن فلهم في آخر الدهر مافي اولهم وقضيت لمن نازعهم بما كان فيها من خلية او ابنية او كنيسة او بناء عرصة اضافوا ذلك اليها يدفع ذلك اليهم باعيانه ان قدر عليه اوقيمة عدل يوم ينظر فيه شهده عدد كنائس النصارى التي دخلت في صلحهم في دمشق خمس عشرة كنيسة في قبلة المدينة كنيسة اليعقوص وكنيسة ثانية وكنيسة المقسلاط وكنيسة بحضرة زكريا بن ابي حكيم وكنيسة بحضرةسوق الفاكهة وكنيسة بحضرة بني لجلاج وكنيسة مريم وكنيسة اليهود وفي شآم المدينة كنيسة القلانس وكنيسة موحـا التي بنيـت مسجدا وكنيسة حميد بن درة وكنيسة بحضرة دار بن زرنـاق وكنيسة المصلبة ومما وجدت كنيسة بناها ابو جعفر المنصور لبني قطيطاني الغوريق ومما وجدت ايضا كنيسة العباد اما كنيسة العيقوص فهي التي كانت خلف الحبس الجديد ويدخل اليها من الاكافيين التي هي اليوم فى السوق على الدرب الذي فيه اقمين حمام الاكافيين ومن درب السوسي وقد بقي من بنائها بعضه وقد خربت منذ دهر وامـا كنيسة المقسـلاط

ذكره وحدث به وقال ابراهيم التمامي قدمت من اليمن فاتيت سفيان الثوري فقلت يا ابا عبد الله اني جعلت في نفسي ان انزل جدة فارابط بها كل سنة واعتمر في كل شهر عمرة واحج في كل سنة حجة واقرب من اهلي احب اليك أم اتي الشام فقال لي ياأخا اليمن عليك بسواحل الشام قالها مرتين فان هذا البيت يحجه كل عام مائة الف ومائتا الف وثلاثمائة الف وماشاء من التضعيف ولك مثل حجهم وعمرتهم ومناسكهم وقال كعب يا اهل الشام من اراد منكم الرفق بالمعيشة مع العبادة فعلية ببيسان ومن اراد منكم السعة في الرزق والسلامة في الدين فعليه بعرفة ومن أراد منكم ان يجمع له دينه ودنياه فعليه بصور .

((باب عدد كنائس اهل الذمة التي صالحوا عليها))
من سلف من هذه الامة

قال رجاء بن ابي سلمة عمر بن عبد العزيز قال انه كان في عهد دمشق خمس عشرة كنيسة وقال ابو مسهر اقام بدمشق بعد فتحها اثنا عشر بطريقا من بطارقة الروم فاقروا في منازلهم وكان لكل بطريق منهم في منزلة كنيسة فاقاموا بها حينا ثم بدأ لهم فهربوا من دمشق وتركوا تلك المنازل فصارت اقطاعا لقوم من اشراف دمشق فلما ولى عمر بن عبد العزيز اخرج اولادهم منها وردها على الاعاجم فلما مات عمر ردت الى اولاد الذين اقطعوها وقال رجاء ابن سلمة خاصم النصارى حسانا بن مالك الكلبي الى عمر بن عبد العزيز في كنيسة بدمشق فقال له عمر ان كانت من الخمس عشرة كنيسة التي في عهدهم فلا سبيل لك اليها وقال علي بن ابي جملة خاصمت العرب في كنيسة بدمشق يقال لها كنيسة ابن نضر كان معاوية اقطعهم اياها فاخرجهم عمر بن عبد العزيز منها فدفعها الى النصارى فلما ولى يزيد ردها الى بني نضر وفي كتاب سجل يحي بن حمزة ان النصارى ذكروا لعمر بن عبد العزيز ان عتقاء العرب قد سخروا بهم وبرئيسهم وبدينهم وجماعتهم من اهل القرى وان اولئك العتقاء

على خمسة احجار حجر من حرا وحجر من طور سينا وحجر من طور تينا وحجر من لبنان وعن قتادة بني من حرا ولبنان والجودي وطور سينا وطور زيتا والاقرب قول من قال انه بنى من حرا وذلك لبعد هذه الجبال عنه بعدا عظيما وقال قتادة في قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت هذا حرم الله قد طاف به آدم ومن بعده فلما جاء ابراهيم اراه الله مكان البيت فاتبع منه اثرا قديما فبناه من طور سينا وطور زيتا ومن جبل لبنان ومن احد وحرا وجعل قواعده من حرا ثم قال له واذن في الناس بالحج وقال كعب الاحبار اربعة اجبل جبل الخليل ولبنان والطور والجودي يكون كل واحد منهم يوم القيمة لؤلؤة بيضاء تضيء مابين السماء والارض يرجعن الى بيت المقدس فيجعلن في زواياه ويضع عليها كرسيه حتى يقضي بين اهل الجنة والنار والملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال ايضا جبل لبنان كان عصمة الانبياء عليهم السلام وقال ايضا جبل لبنان احد الاجبل الثمانية التي تحمل العرش يوم القيمة وهذه الاقوال ساقها باسانيده الى كعب وهذا الرجل الله اعلم بما يقوله وهو تعالى اعلم باخباره من اين يأخذها فعلي المتبع لهدى خير الخلق ان لايغتر بمثل هذه النقول ونحن اثبتناها تبعا للاصل وعن الوضين بن عطاء مرفوعا جبل الخليل جبل مقدس وان الفتنة لما ظهرت في بني اسرائيل اوحى الله تعالى الى انبيائهم ان يفروا بدينهم الى جبل الخليل وحكى بعض اهل العلم قال سمعت مشايخ اهل الشام يزعمون ان جبل الخليل انما سمي بذلك لان الله لما اوحى الى الجبال اريد ان اتجلى الى موسى على بعضك تطاولت وشمخت غير جبل الخليل فانه استحذى وتطامن فسمي بذلك جبل الخليل وجدته في بعض الكتب القديمة ويروى ان جبريل عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم سواحل الشام فعرض عليه سلسلة فوجدها مكتوب في اسفلها ان غدرة في جنة المأوى قال عبد الله بن مسعود اقمت فيها ثلاثا اقصر الصلاة والقصر فيها كمن اتم الصلاة سبعين سنة قال ابو الدرداء فصليت فيها اربع ركعات قرات في الاولى الحمد وقل هو الله احد وفي الثانية الحمد واذا جاء نصر الله وفي الثالثة الحمد وقل يا ايها الكافرون وفي الرابعة الحمد واذا زلزلت الارض زلزالها وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عائشة مرفوعا ان الله خلق جمجمة جبريل على قدر الغوطة وقال الوليد بلغني ان غنم يعقوب كانت ترعى في مرج بالغوطة وقال يونس بن ميسرة اشرف عيسى بن مريم على الغوطة فقال ياغوطة ان عجز الغني ان يجمع منك كنزا لم يعجز المسكين ان يشبع منك خبزا وقال اسحاق بن ابي فروة ان راية رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء صارت الى خالد بن الوليد فقاتل بها بني حنيفة ومسيلمة ثم مضى الى الجزيرة ثم اتى الشام فقاتل بها في وقائع الشام وقيل كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يسير فيها تسمى العقاب وهي راية الانصار فقيل انها كانت خضراء ويقال انها سميت بعقاب من الطير كانت ساقطة عليها وقيل انما سميت ثنية العقاب لانه كان بها مثال عقاب من حجارة والخبر الاول اصح وعن عبد الله ابن عمر انه قال ارواح المؤمنين تجمع بالجابيين وارواح الكفار تجمع ببرهوت وفي سفحة لحضرموت قال ابو حاتم الجابيين باليمن وبرهوت من ناحية اليمن ولا ارى تفسير ابي حاتم للجابيين محفوظا وقال سعيد بن المسيب ارواح المؤمنين بارض الجابية وارواح الكفار بسبخة بحضرموت وعن ابي هريرة مرفوعا خلق الله آدم من طين الجابية وعجنه بماء الجنة وفي رواية وعجنه بماءمن ماء الجنة وفي رواية من ماء زمزم وهو مروي من طريقين لايخلوان من مقال وقال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ان جند حمص الجند المقدم وانها كانت يومئذ ثغرا وان الناس كانوا يجتمعون بالجابية لقبض العطاء واقامة البعوث من ارض دمشق في زمن عمر وعثمان حتى نقلهم معاوية بن ابي سفيان الى معسكر دابق لقربه من الثغور قال وكان والي الصافية وامام العامة في اهل دمشق لان من تقدمهم من اهل حمص واهل قنسرين واهل الثغور مقدمة لهم والى اهلها يولون ان كانت لهم جولة من عدوهم وروى من طريق احمد بن عدي عن كثير المزني عن ابيه عن جده مرفوعا اربعة اجبل من جبال الجنة واربعة انهار من انهار الجنة واربعة ملاحم من ملاحم الجنة قيل فما الا جبل يارسول الله قال احد جبل يحبنا ونحبه جبل من جبال الجنة والطور جبل من جبال الجنة ولبنان جبل من جبال الجنة والانهار النيل والفرات وسيحان وجيحان والملاحم بدر واحد وخيبر والخندق وروى من طريق ابن ابي شيبة ان ابن عباس كتب الى ابي الخلد يسئاله عن اشياء من البيت فكتب اليه ان البيت اسس

ينزل عيسى عليه السلام وقال قاسم مولى يزيد بلغني ان يحيى بن زكريا عليه السلام قتل وهو قائم يصلي عند كنيسة جيرون وهو المسجد الذي عند باب جيرون وقيل ان رجلا من اهل مصر بنى في قبة اللحم مسجداً وبنى له مأذنة صغيرة فلما كان ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان من سنة اربع واربعمائة ذكر انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد ومعه علي رضي الله عنه وانه قال له اريد علامة يصدقني الناس انكما جئتما الى ههنا فكبس امير المؤمنين علي رضي الله عنه على عمود حجر كان في هذا المسجد فأثرت كفه في العمود واصبح الناس يوم الجمعة يهرعون الى هذا المسجد ويبصرون الكف في الحجر قد غاصت وبلغني انه قيل لهذا الرائي اي يده وضع في الحجر فقال اليمني فنظروا فاذا اثر كفه اليسرى وذكروا ان الرائي كان قد نقر في الحجر ذلك الاثر فالله تعالى اعلم وقال ابو محمد بن الاكفاني اراني عبد العزيز الصوفي مسجد واثلة بن الاسقع داخل الزلاقة على النهر وهو مسجد صغير ومسجد فضالة بن عبيد في السوق الكبير بجانب مسجد الريحان بين الدكاكين وهو مسجد سفل صغير وداره بذلك الموضع ومسجد اوس بن اوس في درب القلى وهو مسجد صغير وذكر ابو الحسن محمد بن عبد الله الرازي عن شيوخه الدمشقيين ان المسجد الذي على باب زقاق عطاف كان مسجد ايمن بن خزيم ومسجد سوق الريحان هو مسجد يزيد ابن نبيشة صحابي قرشي من بني عامر بن لوي وذكر غير ابي الحسين ان دار ابي عبيدة بن الجراح كانت في حجر الذهب ومسجده بالسقيفة ودار خالد بن الوليد ومسجده عند باب توما وحكى ابو بكر بن الغرناني ان ابا بكر ابن السيد حمدويه لما اراد بناء مسجده المعروف بمسجد ابي صالح وجد في المحراب لوحاً من فخار مكتوب فيه هذا مسجد الاولياء فأصبحنا ولم نره وغيبه الشيخ وقال هذا سهو .

« باب في فضل مواضع بظاهر دمشق واضاحيها وفضل جبال تضاف اليها ونواحيها »

عن الوضين بن عطاء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه من تكفل لي ببيت في الغوطة اتكفل له ببيت في الجنة هذا منقطع وفيه من جهل حاله ويروى

الموضع الذي سميته كهف جبريل عليه السلام ومسجد محمد صلى الله عليه وسلم لاني رأيتهما في المنام فيه موضع يرى فيه جبريل ومحمد صلى الله عليهما وسلم لمن اجل بقاع الارض وجبل دمشق هكذا مانبت فيه شجرة قط ولا ظهرت فيه ثمرة فلما رايت جبريل ومحمدا عليهما السلام انبت الله ببركتهما الشجر وظهر فيه الثمر واكل الناس مالم يؤكل فيه قط وصار مسجدا من مساجد الله يذكر فيه ولو تمكنت ماكنت اقيم الا فيه ولا ادفن الا فيه ولا احشر الا منه وقال فمن كانت له حاجة فليغسل جسده بالماء ويلبس ثوبا طاهرا ثم يقصد الكهف فيصلي فيه ركعتين يقرأ في كل ركعة بالحمد وسبع مرات قل هو الله احد فاذا فرغ من صلاته يقول اللهم صل على جبريل الروح الامين وعلى محمد خاتم النبيين سبع مرات ويسجد ويقول اللهم اني اتوسل اليك بجبريل الروح الامين وبمحمد خاتم النبيين الا قضيت حاجتي ويذكرها فان الله سبحانه وتعالى يقضيها له ان شاء الله ولبعض المتأخرين في جبل قاسيون :

يا صاح كم في قاسيون وسفحه ... من مشهد يستوجب التعظيما
فالربوة العليا بفضلها الذي ... اضحى بتفسير الكتاب عليما
والنيرب المشهور يعرف فضله ... من زاره او ذاق فيه نعيما
ومغارة الدم فضلها متواتر ... ما زلت اسمعه هديت عظيما
والكهف جبريل الامين بفضله ... مذكورة وقعت الي قديما
ومغارة الجوع الشريفة تحته ... كم عابد فيها يبيت مقيما
ومقام برزة ليس ينكر فضله ... اعني مقام ابيك ابراهيما
ولكم مكان فيه ليس بمسجد ... اضحى على المتعبدين كريما
رئى النبي مصلياً في سفحه ... صلوا عليه وسلموا تسليما
وبه قبور الانبياء فمن مضى ... ليزورهم فقد ابتغى التكريما
فأدم زيارته وواظب قصده ... لتنال اجراً في الجنان جسيما

وقال ابو الحسين الرزاي ان من الآثار التي في مدينة دمشق وغوطتها مما يرجى فيه اجابة الدعاء مسجد القدم عند القطيعة يقال ان هناك قبر موسى ابن عمران ومسجد الباب الشرقي وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان فيه

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد فعل وزاد كرما واحسانا واني
اتيه كل خميس وصاحباي وهابيل نصلي فيه فقلت يارسول الله ادع الله لي
ان اكون مستجاب الدعوة وعلمني دعاء لكل ملمة وحاجة فقال لي افتح
فاك ففتحته فتفل فيه وقال لي رزقت فالزم رزقت فالزم وقال كعب ان
الياس اختبىء من ملك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين حتى
اهلك الله الملك ووليهم غيره فاتاه الياس فعرض عليه الاسلام فاسلم واسلم
من قومه خلق عظيم غير عشرة آلاف منهم فامر بهم فقتلهم عن آخرهم
قال هشام بن عمار وسمعت من يرجع الحديث الى وهب بن منبه انه قال
سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عيه وسلم يقول اجتمع
الكفار يتشاورون في امرى فقلت ياليتني بالغوطة بمدينة يقال لها دمشق
حتى آتي موضع مستغاث الانبياء حيث قتل ابن آدم اخاه فاسئال الله
يهلك قومي انهم ظالمون فاتاه جبريل فقال يامحمد ائت بعض جبال مكة
فاوى الى بعض غاراتها فانها معقلك من قومك قال فخرج النبي صلى الله
عليه وسلم وابو بكر حتى اتيا الجبل فوجدا غارا كثير الدواب فذكره
وعن مكحول عن ابن عباس انه قال موضع الدم في جبل قاسيون موضع
شريف اقام فيه يحي بن زكريا وامه فيه اربعين عاما وصلى فيه عيسى
بن مريم والحواريون فلو كنت سئالت الله ان يغفر لعبده ابن عباس يوم
الحشر والنشر فمن اتى ذلك الموضع فلا يقصر عن الصلاة والدعاء فيه
فانه موضع الحوائج ومن اراد ان يرى واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين
فليأت السرب الا على بين النهرين وليصعد الى الغار في جبل قاسيون
فيصلي فيه فانه بيت عيسى وهو كان معقلهم من اليهود فمن اراد ان
ينظر الى ارم فليأت نهرا في حفر دمشق يقال له بردا ومن اراد ان ينظر
الى المقبرة التي فيها مريم ابنت عمران والحواريون فليأت مقبرة
الفراديس وروى عن الزهري انه قال لو يعلم الناس ما في مغارة الدم
من الفضل لما هناهم طعام ولا شراب الا فيها وذكر ابو الفرج محمد بن
عبد الله بن المعلم قال سمعت ابي انبأنا محمد بن الحسن بن هبة الله بن
الحسين انه قال اعتصم بالله من الكذب واسئاله ان ينطق لساني بالصدق
رأيت جبريل عليه السلام في المنام فقال لي ان الله تعالى امرك ان تبني مسجدا
يصلى فيه له ويذكر اسمه فيه وهو هذا فقلت واين هذا الموضع فسار الى هذا

والمزة وبيت لهيا ولتعيشن اربع قبائل فلا يبقى لها داعية عك وسلامان وحسين وشعبان والرواية عن كعب وقد علمت ماتقدم فيه سابقا وقال مكحول صعدت مع عمر بن عبد العزيز الى موضع الدم فجعل يسئال الله ان يسقينا فسقانا وقال مكحول خرج معاوية والمسلمون الى موضع الدم يستسقون فلم يبرحوا من مكانهم حتى سألت الاودية وقال مكحول سمعت كعبا يقول ان قاسيون موضع الحاجات والمواهب من الله وانه لا يزال سائل في هذا الموضع وقال سعيد بن عبد العزيز صعدنا في خلافة هشام الى موضع قتل ابن آدم اخاه فسئال الله ان يسقينا فسقانا فاتى مطر فاقمنا بالغار الذي تحت الدم ثلاثة ايام وقال هشام بن عمار صعدت مع ابي وجماعة من اهل دمشق الى الموضع الذي قتل فيه ابن آدم اخاه نسئل الله ان يسقينا فارسل الله علينا مطرا غزيرا حتى اقمنا في الغار تحت الدم فدعونا الله فارتفع عنا وقد رويت الارض ولم يذكر في هذه الرواية انهم اقاموا ثلاثة ايام واعجب من هذا رواية انهم اقاموا ستة ايام وقال ابو مسهر مغارة الدم موضع الحمرة وهي موضع الدعاء بقضاء الحوائج وقال ابن عياش كان اهل دمشق اذا احتبس عنهم المطر او غلا سعرهم او جار عليهم سلطان او كانت لاحدهم حاجة يصعدون الى موضع دم ابن آدم المقتول فيسئالون الله تعالى فيعطهم ماسئالوا وقال احمد بن كثير صعدت الى موضع دم آدم عليه السلام في جبل قاسيون بدمشق فسئالت الله الحج فحججت وسئالته الجهاد فجاهدت وسئالته الزيارة والصلاة في بيت المقدس وعسقلان وعكا والرباط في جميع السواحل فرزقت ذلك كله وسئالته ان يغنيني عن الاسواق والبيع فرزقت ذلك ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم واابابكر وعمر وهابيل ابن آدم في المنام فقلت له اسئالك بحق الواحد الصمد وبحق ابيك آدم النبي عليه السلام ان تخبرني ان هذا دمك فقال اي والواحد الصمد هذا دمي جعله الله تعالى آية للناس واني دعوت الله تعالى فقلت رب ان ابي آدم وامي حوا وهذا النبي المصطفى الامي اجعل دمي مستغاثا لكل نبي وصديق ومن دعا فيه فاجبه ومن سئالك فاعطه فاستجاب الله دعائي وجعله طاهرا آمنا وجعل معه من الملائكة بعدد نجوم السماء يحفظون من اتاه لا يريد الا الصلاة فيه فقال

في مدينة يقال لها دمشق وهو جبل كلمة الله وفيه ولد ابي ابراهيم فمن اتى هذا الموضع فلا يعجز في الدعاء فقام رجل فقال يارسول الله اكان ليحيى معقلا قال نعم احترس فيه يحيى من رجل من قوم عاد في الغار الذي تحت دم ابن آدم المقتول وفيه احترس الياس من ملك قومه وفيه صلى ابراهيم ولوط وموسى وعيسى وايوب فلا تعجزوا عن الدعاء فيه فان الله تعالى انزل علي ادعوني استجب لكم وربنا يسمع الدعاء قالوا وكيف ذلك فانزل الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني وفي لفظ فقال رجل يارسول الله وهل ربنا يسمع الدعاء أم كيف ذلك فانزل الله تعالى الآية (١) اجازة وقال كعب الاحبار ان جبل قاسيون موضع الحاجات والمواهب من الله تعالى ولا يرد الله فيه سائلا وقال مكحول الشامي قال لي كعب اتبعني فاتبعته حتى وصلنا الى غار في جبل يقال له قاسيون فصلى فيه فصليت معه فسمعته يجتهد في الدعاء ثم اشار الى مسجدا سفل الجبل فنزل وصلى وصليت معه فسمعته يقول ويجتهد في الدعاء ثم سار حتى دخلنا المدينة من باب الفراديس فسمعته يقول يا ايها الناس انا كعب الاحبار وجدت في الواح شيث ابن آدم مرتين يقول الله الفراديس جنتي واليها يجتمع اهل محبتي واهل عنايتي فقلت له سمعتك تدعو مجتهدا فمم ذاك قال سألت الله ان يصلح بين هذين الرجلين علي ومعاوية وسألته ان يرزقني كفافا وولدا ذكرا ثم لقيته بعد ذلك فسألته فقال والله استجاب لي ورزقني ولدا ذكرا وبعث الى معاوية بالف درهم وكسوة وكتب معاوية الى علي فسأله الصلح والكف عن الحرب فاصطلحا وتكاتبا على ذلك وهذا حديث منكر مكحول لم يدرك كعبا لان كعبا مات في آخر خلافة عثمان وكعب لم يبق الى فتنة علي ومعاوية وفي اسناده رجل مجهول والفاظ هذه الحكاية تدل على انها مصنعة وقال عمرو بن خير الشعباني كنت مع كعب الاحبار على جبل دير المران فرأى لمعه سائلة في الجبل فقال ههنا قتل ابن آدم اخاه وهذا اثر دمه جعله الله عبرة للعالمين وويل لاربع قريات من قريات الغوطة داريا وبيت الابار

---

(١) رواه تمام بن محمد بن يعقوب الاوزاعي وفي اسناده علتان احدهما ان فيه رجلا مبهما لا يعرف والثانية فيه الوليد بن مسلم وهو مدلس قال السيوطي وانا اخشى ان يكون هذا الحديث موضوعا اه واخرجه علي بن محمد بن شجاع الربعي في فضائل الشام بأسناد غير قويم وايا ما كان فهذا الحديث لا يعول عليه .

الذي رأى ابراهيم فيه الكواكب كما ذكر الله في كتابه العزيز فلما رأى كوكبا قال هذا ربي وانه كان في الجبل في ذلك الموضع وهو معروف نمن قصده وصلى فيه ركعتين ودعى اجابه الله في دعائه وان ذلك الجبل كان فيه لوط النبي عليه السلام وجماعة من الانبياء عليهم السلام وآثارهم في مواضع من الجبل بالقرب من مسجد ابراهيم قال وادركت الشيوخ يقصدونه ويقيمون فيه ويصلون ويدعون الله تعالى وهو نافع لقسوة القلب من كثرة الذنوب وان بعض الشيوخ جاء من مكة فصلى بالموضع الذي فوق الشق الذي يقال انه رأى ابراهيم عليه السلام فيه الكواكب وذكر انه رأى في نومه من يأمره بالمسير الى هذا الموضع فاقصده دمشق واقصده موضعا يقال له برزة عند مسجد ابراهيم فوق الجبل وامره ان يصلي فيه ركعتين ثم يدعوا بما شاء فانه يستجاب له فقصد ذلك الموضع وقال احمد بن صالح ادركت الشيوخ بدمشق قديما وهم يفضلون مسجد ابراهيم عليه السلام ويقصدونه ويصلون فيه ويدعون ويذكرون ان الدعاء فيه مجاب وهو موضع شريف قديم عظيم ويذكرون عن شيوخهم ان من ادركوه من اهل العلم كانوا يصححون هذا ويفضلونه ويقولون انه مسجد ابراهيم عليه السلام وان الشق الذي في الجبل خارج باب المسجد هو موضع اختبى فيه ابراهيم من النمروذ الذي كان ملك دمشق في وقت ابراهيم والدعاء فيه مجاب فمن توجه الى الله تعالى في ذلك الموضع ودعا فيه بنية خالصة رأى الاجابه وقال ابو الحسين الرازي مسجد ابراهيم عليه السلام اثنان احدهما في الاشعريين والآخر في برزة وروى باسانيد ثلاثة كلها تدور على ابن جريج عن عروة بن رويم عن ابيه انه قال سمعت عليا ابن ابي طالب رضي الله عنه يقول (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئاله رجل عن دمشق وفي لفظ عن الآثارات التي بدمشق فقال بها وفي لفظ لهنا جبل يقال له قاسيون فيه قتل آدم اخاه وفي اسفله في الضرب (٢) ولد ابراهيم وفيه آوى الله تعالى عيسى بن مريم وامه من اليهود وما من عبد اتى معقل روح الله فاغتسل فصلى ودعا ولم يرده خائبا فقال رجل يارسول الله صفه لنا فقال هو بالغوطة

---

(١) وفي بعض رواياته سمعت علياً بن ابي طالب ومعاوية يقولان سمعنا رسول الله الخ .

(٢) الضرب السهل .

من شيء هذا انت لم تنافسهم في دنياهم ولا في شبر من الارض وقد صنعوا بك ما صنعوا فلو القيت نفسك من هذا المكان فيتلقاك روح القدس فيذهب بك الى ربك فتستريح منهم فقال عيسى عليه السلام ياغوي الطويل الغواية اني اجد فيما علمني ربي تعالى اني لا اجرب ربي حتى اعلم اراض عني أم ساخط علي وزجره الله تعالى عنه فاقبلت عليهم أم الغلام فقالت يا معشر بني اسرائيل كنتم تبكون وتشقون ثيابكم جزعا على ابني فلما احياه الله تعالى لكم اردتم قتل من كان السبب قالوا فما تأمرينا به قالت اتوه فاتوه خصلة فيما بيننا وبينك فان انت فعلتها آمنا بك واتبعناك قالوا فما هي فالوا تحي لنا عزيرا قال دلوني على قبره فنزل عيسى معه حتى انتهوا الى قبره قال فتوضأ وصلى ركعتين ودعا قال فجعل قبره يفرج عنه التراب فخرج وقد ابيض نصف رأسه ولحيته وهو يقول هذا فعلك يا ابن مريم قال لم اصنع بك شيئا هذا فعل قومك زعموا انهم لايؤمنون بي ولايتبعوني حتى احييك لهم وهذا في هدى قومك يسير قال فاقبل عليهم يعظهم ويأمرهم بالايمان به وباتباعه قال فقال له قومه عهدناك وانت اسود الرأس واللحية فما بال نصف لحيتك قد ابيض فقال اني سمعت الصيحة فظننت انها دعوة الداعية حتى ادركني ملك فقال انما هي دعوة ابن مريم فانتهم الشيب الى ما ترى ويقال ان البرت مصلى الخضر عليه السلام وقال ابن عباس ولد ابراهيم عليه السلام بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون وقال حسان بن عطية اغار نبط ملك هذا الجبل على لوط فسباه واهله فبلغ ذلك ابراهيم عليه السلام فاقبل في طلبه ومعه جماعة عدتهم كعدة اهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر فالتقى هو وملك الجبل في صحراء يعفور فعبى ابراهيم ميمنة وميسرة وقلبا وكان اول من عبى الحرب هكذا فاقتتلوا فهزمه ابراهيم واستقر لوط واهله فاتى هذا الموضع الذي ينسب الى مسجد ابراهيم ببرزة فصلى فيه وقال الزهري مسجد ابراهيم عليه السلام في قرية يقال لها برزة من صلى فيه اربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ليسأل الله ماشاء فانه لا يرده خائبا وقال احمد بن سليمان البيهقي سمعت شيوخنا من الدمشقيين يقولون قديما ان الاثار التي في دمشق في برزة عند مسجد ابراهيم عليه السلام التي في الجبل عند الشق انه مكان ابراهيم وان الاثار التي فوق الجبل هي الموضـ

وكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب الى امراء اجناد الشام ان لا يبتدروا الى القرى ويتركوا المدائن وان يتخذوا في كل مدينة مسجدا واحدا وان لايتخذوا للقبائل مساجد كما اتخذ اهل الكوفة والبصرة ومصر وكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده وقال ايضا لما قدم عمر الشام أمر ان لايتخذ في المدينة مسجدان وانما اراد عمر رضى الله عنه بذلك المسجد الاعظم الذي تقام فيه الجمعة وانما فرق بين مدائن الشام وبين الكوفة والبصرة في الحكم لان مدائن الشام ممصرة قبل الاسلام فلا تقام في مصر واحد اكثر من جمعة فاما الكوفة والبصرة فكل منزل نزلته قبيلة واختطه فهو بمنزلة مصر مفرد ولم يرد عمر بذلك النهي عن اتخاذ المساجد التي لا تقام فيها الجمعة فاما مصر فانها كانت مصرا قبل الاسلام فان المسلمين لما افتتحوها تفرقت القبائل فيها واختطت بها خططا نسبت اليها فاشتبه حكمها بحكم البصرة والكوفة .

« باب ذكر فضل المساجد المقصودة بالزيارة كالربوة »
ومقام ابراهيم وكهف جبريل والمغاره

قال عبد الله بن عمر ما من مسلم يأتي زيارة من الارض او مسجدا بنى باحجار فصلى فيه الا قالت الارض صل لله في ارضه وانا اشهد لك يوم تلقاه وقد تقدم فيباب ذكر الافصاح والبيان عما ورد في فضل دمشق من القرآن مانقل عن العلماء من اهل القدوة من ان ربوة دمشق هي التي سماها الله في كتابه بالربود وقال حسان بن عطية ان ملكا من ملوك بني اسرائيل حضره الموت فاوصى الملك لرجل حتى يدرك ابنه فكانوا يؤملون ان يدرك ابنه فيملكوه ويكون مكان ابيه فاتى عليه فقبض قال فخزنوا عليه فلما خرجوا بجنازته وفيهم عيسى ابن مريم عليم السلام فدنا من امه فقال ارأيت ان انا احييت لك ابنك اتؤمنين بي وتتبعيني قالت نعم فدعى الله فجعلت اكفانه تتحلل عنه حتى استوى جالسا فقالوا هذا عمله ابن الساحرة فطلبوه حتى انتهى الى شعب البرت فاعتصم منهم بقتله على صخرة متعالية فاتاه ابليس لعنه الله فقال جئتك وما اعتذر اليك

باب الجابية بناه الامير شيركوه مسجد معاوية من ارض قبينية على طريق المزة وداريا . في طرف زقاق الحصا يعرف بمسجد الكرومية . مسجد خواجة على طريق من ارض قرية الحميريين . مسجد السلاسل . آخر كوفي شآمي في الحميريين . آخر قبل ان تصل الى النهر . آخر عند النهر بالحميريين لطيف . في قرية الحميريين كبير كانت الجمعة تقام فيه قبل ان تخرب قرية الحميريين . مسجد بني ملهم بقبة عند الديلميات بناه ابو المكارم ابن هلال . في قصر حجاج كبير على بابه قناة بناه الامير على كرد وجدده ابنه الامير ابو طالب. مسجد بنى ملهم في حارة الفلاحين. آخر خلف السور. في حارة الكوريين. آخر بقربه. مسجد منصور المؤذن في السوق . في حارةالكوريين . في حارة الميدان المعروفة بالمنية . آخر فيها وكذلك مسجد آخر . على الطريق له بابان . على النهر بقرب باب الجابية . آخر على النهر يعرف بجائد . بقرب قبر اويس القرني وفندق ابن العنازة بنته امرأة . آخر يعرف بمسجد الكشك عند جسر سوق الدواب . من شرقي الجسر يعرف بالخرزية . آخر من القبلة . مسجد الحجر ويعرف بمسجد التاريخ قبلة المصلى من شرقية كبير فيه بئر وسقاية وله منارة . في قصر الجنيد غربي المصلى قبلي الميدان على طريق حوران يعرف بمسجد فلوس وهو الذي بناه وفيه قبره وعلى بابه بئر يعرف بالمسجد الحريش في موضع محلة السفلين بناه رجل قرقوبي فيه بئر وعلى بابه منارة . مسجد في القطائع شرقي المسجد الجديد . مسجد في القطائع ايضا . مسجد قديم بقرب عالية وعويلية قديم جدده ابو البركات محمد بن الحسن بن طاهر القرشي المعروف بابي البركات ابن المنار وفيه قبر جد ابيه لامه ابي الحسن ابن البران الواعظ الزاهد له منارة ووقف ويقال ان فيه قبر سيدنا موسى عليه السلام وفيه بئر وعلى بابه بئر . هذا ماعرفته من مساجدها ووقف عليه ومن تأمل ماتقدم وتأمل مشاهدها وكثرتها دله ذلك على اهتمام بالدين وكثرة المصلين فيها والمتعبدين وقد روينا عن عثمان بن عطاء عن ابيه انه قال لما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب الى ابي موسى الاشعري وهو على البصره يأمره ان يتخذ للجماعة مسجدا ويتخذ للقبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة فشهدوا الجمعة وكتب الى سعد بن ابي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك

الكهف في الجبل يعرف بمغاير شداد . **مسجد مغاير الجوع في لحف** الجبل . في دار الخولاني آخر بناه ابو الحرم بن صعلوك العسقلاني لاحمد الجماعيني . آخر بناه لرجل اعجمي كان قد ضمن دار الوكالة وبقربه مسجد شعبان وهو لطيف وقد كان قديما فخرب وجدده ابو البقاء ابن البيطار . آخر غربي مسجد شعبان . واما المساجد التي كانت في الجهة الغربية فمسجد مرج باب الحديد المعروف بمرج الاشعريين ويعرف بمسجد الاجابة وآخر من شآمه على الطريق يعرف بعزيز الدولة وآخر في شآم المرج يعرف بمسجد الخفاني وآخر كبير في قبة قبر الملك المعروفة بقبة الطواويس في الرباط بنته خاتون أم دقاق وآخر من غربه يشرف على عين الديباج التي عند باب الميدان بناه سالم الفراش وآخر في الميدان (١) من شآمه . عند قصر شمس الملوك **بقرب السمانين بناه نصر الفراش** . في النيرب سفل . في السهم عند بستان ابن الشحاذه مقابل جسر ثورا ومسجد البيرات من مساجد القرى مسجد الديلمي . آخر عند نهر القنوات مقابل الربوة . مسجد باب الحمان المسدود تحت القلعة كان قديما فشعث فجددته امرأة الحاجب اسرائيل . آخر بقبة عند بستان ابن خواجة على نهر بانياس بنته امرأة من نساء الجبل وفيه مقبرة آخر غربيه قبل نهر بانياس على الطريق بناه المحاضري . آخر من شآم النهر قبلة الميدان الاخضر صغير بناه الملك العادل نور الدين آخر غربيه كبير بناه الامير الاسفهلار شيركوه . في موضع القبة المعروفة بقبة مودود بناه نور الدين . في علو الرحى الرباط الذي وقفه نور الدين . على نهر بانياس يعرف بمسجد الفراش بناه محمد فراش . مسجد خاتون زمرد الكبير الذي بنى في موضع تل الثعالب محاذي صنعا له منارة وفيه سقاية . عند زيتون المساكين على نهر القنوات بناه عمر النجار . آخر معلق على باب الجابيه ملاصق للسور لطيف بشباك . آخر معلق عند الحمام والسقاية خارج

---

(١) كان في دمشق اربع مواضع تسمى بالميدان الاول ميدان الحصا والثاني ميدان ابن ابي اتابك وقد اضحى موضعه مجهولا والثالث ميدان القصير وكانت به محلة عامرة بالسكان والمساجد فخربت والرابع ميدان الشرف الاعلى خرب ايضاً . قاله ابن ناصر في كتاب توضيح المشتبه .

في اليسار بني لاجل عبد الرحمن الحلحولي الزاهد ودفن فيه وهو مشهور (١) . آخر في سفح الجبل على طريق المغارة بنته عائشة الزاهدة . آخر في طريق المغارة انشأه ابو المجد مطرز . آخر في مغارة الدم وقد كان للرهبان النصاري فجعل مسجدا . آخر غربي بابه لطيف بقبة . آخر فوق الدير الذي كان لرهبان النصاري فجعل مسجدا . آخر فوق المغارة على ضفة نهر المجدول بقرب باب الفراديس يعرف بجناح الدولة حسين ثم عرف بابن البغدادي . آخر غربيه يعرف بمسجد الدهان يتطرق الى كل منهما بجسر عند عقب جسر باب الحديد انشأه نور الدين . مسجد خاتون المغنية تحت القلعة المحروسة بطرف جسر باب الحديد . في عقب جسر الحمام والبيمار ستان النوري الجديد . عند مقبرة المعين انر لطيف . في عقب جسر الوزير صغير بناه رجل اعجمي . عند عين القصارين والعين غربيه . آخر غربيه . آخر عند المقبرة لطيف آخر شرقي عين القصارين قبل ان يصعد الى مسجد عونية الحمى كبير له منارة . آخر بجنبه من الغرب لطيف . مسجد الوزير المردغاني عند راس زقاق الارزة كبير فيه سقاية وبركة وعى يابه سقاية . مسجد تروس من غربيه لطيف . آخر من شآمه بينهما الطريق . في مقبرة الاكراد بناه رجل اسمه عى كان جمالا ثم تزهد . آخر في طريق مقبرة الاكراد صغير بابه من البستان . مسجد الارزة وهي قرية كانت عامرة فخربت كبير له وقف وفيه منارة . عند الجسر الابيض على نهر ثورا من قبلته له منارة خشب . آخر من شآمه في عقب الجسر بناه زيد المعاملي . عند دير ابي العباس عند عقب جسر يزيد على طريق الكهف . آخر بقربه من الشرق . آخر بقربهما . آخر بقربهم . مسجد

---

(١) ان هذا المسجد لم يبق له اثر واما قبر الحلحولي فهو موجود الآن بالقرب من جسر النحاس فى جانب بستان على شمال الذاهب الى حارة الاكراد بالصالحية وله من جهة الطريق جدار وشباك وقد كتب على اسكفته هذا مدفن الشيخ الفقيه [ال]زاهد الشهيد عبد الرحمن الحلحولي استشهد في باب النيرب في حرب الصليبيين يوم السبت ببستان القبار المحاذي لمسجد شعبان المعروف بمسجد الملك طالوت قال النعيمي في تنبيه الطالب لما هجم الافرنج على دمشق وقف امامهم الحلحولي قريب الربوة عند النيرب وكان معه يوسف بن درباس المغربي الفندلاوي العالم ووطنا انفسهما على الجهاد فقتلا فى ساعة واحدة اه . سادس ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ودفن في بستان الشعباني المعروف الآن

عند قبة ومصنع في طريق حرستا . عند الناعمة على طريق برزة . مسجد سطرا قرية كانت بين البساتين بقرب بيت لهيا فخربت . عند جسر فرزا على نهر ثورا . عند رأس زقاق سطرا يعرف بمسجد القصب على بابه قناة وهو قديم . عند حر تعلة عند النهر انشأه ابو طاهر ابن البيضاوي . في الدباغة خارج باب توما . على باب طاحونة الدباغة صغير . عند عقب جسر باب السلامة على النهر . عند عين كشملين والوراقة القديمة . في زقاق الرمان بقرب العقيبة له منارة . آخر كبير خارج باب الفراديس . في عقب الجسر على يمين الخارج فيه بركة وسقاية له طاقات الى النهر انشأه الامير نزار بن يامين الكردي آخر على الجسر ايضاً عن يسار الخارج لطيف له شباك على نهر بردا . في العقيبة عند الفرن لطيف . مسجد الجوزة بالعقيبة فيه بركة وله امام ووقف وعلى بابه سقاية . آخر صغير على النهر جوا زقاق المغربل بناه رجل كلاس . مسجد الزيتونة هو قديم ينسب اليه اراضي حوله . آخر بالعقيبة على طريق المقبرة يعرف بجعفر الضرير فيه بئر . في رأس العقيبة عند مفرق الطرق . مسجد فيروز في المقابر كان مسجداً قديماً يصلى فيه على الجنائز فخرب وجددته امرأة الحاجب فيروز فيه بركة ومنارة وعلى بابه قناة . غربي المقبرة على النهر لطيف انشأه ابو محمد بن طاوس المقري. آخر لطيف في شرقي المقبرة عند بستان ابن صدقة. عند عقب الجسر عند الرحى الزبيرية يعرف بمسجد سواقة . عند قصر اللباد وهو دير مسكون . عند بيت ابيات يعرف بمسجد آدم عليه السلام قديم جدده الحاجب عطا . مسجد الميطور بناه السلار اسماعيل ابن عمر بن بختيار . عند الميطور بناه العماني القصاب . آخر غربي العقيبة عند رحى المبشر يعرف بمسجد الخادم له شبابيك على نهر بردا آخر عند طريق اندر بن ابي عقيل ودار ام البنين بناه ابو عامر الاجرمي له منارة . آخر في مقبرة الامير قرواش عند رحى ابن الحكاك . مسجد الصرف غربي مقبرة باب الفراديس على النهر له منارة . آخر عند عقب جسر نهر يزيد عند طريق المغارة له وقف . آخر لطيف شرقيه بناه الفقيه ابراهيم بن منجا عند قبره . مسجد دير شعبان له منارة . وآخر شآمة بنته امرأة تعرف بالحاجة . وآخر

الشيرجي في طرف المقبرة من الشرق بناه ابو غالب ابن الشيرجي يعرف بمسجد الخضر وبمسجد سكينة فيه بئر وعلى بابه سقاية وله منارة لطيفة . مسجد الصفصافة قبلي مسجد الخضر فيه بئر . مسجد السماقة شرقي الشاغور بقرب الخندق بناه رجل اعجمي وفيه بئر . مسجد فدايا وهي قرية كانت قبلي مقابر اليهود ثم خربت وخرب مسجدها (١) . مسجد كناز قبلي فدايا وهي ايضا قرية كانت ثم خربت . والتي منها من ناحية الشرق فمسجد على الباب شرقي يعرف بمسجد الجنائز على بابه بئر . على ضفة نهر المجدول بناه عطاء الحاجب فيه بئر . آخر شرقية يعرف بلاشو الكردي عند المائدة والحجر في طريق الغياض بناه الملك العادل نور الدين . مسجد ابي صالح وهو مسجد قديم كان يلزمه ابو بكر بن سيد حمدية الزاهد وخلفه فيه ابو صالح صاحبه فنسب اليه سكنه جماعة من الصالحين فيه بئر . آخر شرقيه بقرب الرحى الاحدى عشرية آخر بناه ابو القاسم ابن الفسيتقة . مسجد قبلي اندر في الباب الشرقي بقرب الخندق في مقبرة ابي المغيرة المعروف بعضب الدولة . في مقبرة باب توما عند نهر المجدول وبقرب الصوفانية يعرف بخالد بن الوليد لانه صلى فيه وقت الحصار وهو اول مسجد صلى فيه بدمشق . واما المساجد التي من الناحية الشآمية فمسجد على باب توما ملاصق للسور على يمين الخارج له منارة وامام وعلى بابه سقاية وقناة . آخر على النهر يعرف بمسجد الكنيسة كان كنيسة للنصارى فجعل مسجداً آخر في عقب الجسر عن يمين الخارج يعرف بمسجد التبكير على بابه قناة . مسجد السبعة انابيب وعنده سقاية . آخر في الجزيرة مقابل حمام عصفور . على ضفة نهر داعية قبل عين كيل . غربي رحى الاشنان بالخشبتين . آخر شرقي رحى الاشنان . آخر شرقيه بنته امرأة . عند رحى السميرية . عند رحى ابن ابي الحديد بقرب دير السروري . آخر يعرف بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم في ارض المصيصة (٢) له منارة . مسجد المصيصة وكانت قرية عامرة شرقي بيت لهيا فخربت . آخر لطيف في طريق بيت لهيا عند قسطل قناة الزينبي . آخر عند جسر ثورة قبل ان تصل الى مسجد العباسي استجده ابراهيم بن محمد السني . مسجد العباسي على طريق حرستا . آخر

---

(١) قال النعيمي وكان محراب هذا المسجد باقياً سنة تسعمائة. (٢) هي من ارض جوبر .

الدركاه لطيف سفل. آخر في الدركاه ايضا لطيف سفل انشأه نور الدين (١) . آخر قبلي فيه عريش وله امام واحد . آخر داخل باب القلعة معلق تحته سقاية فهذه مساجد البلد المحصاة بالتعريف والعدد ومبلغها مائتان واربعون مسجداً (٢) فاما ماعداها من المساجد التي في ارباضها فظاهرة مما ليس في قرية مسكونة او معمورة من ظواهره فالتي منها من ناحية القبلة مسجد على الباب الصغير ملاصق للسور كبير يعرف بابن شجاع له منارة خربت وفيه بئر وعلى بابه مطهرة . آخر يعرف بعبد الملك لطيف بالشاغور عند بابه سقاية . مسجد بالشاغور عند دار ابن ابي الفداء كبير . مسجد الجوزة في حارة بين النهرين . آخر في زقاق الموقف المعروف بمسعود آخر عند زقاق ابن باقي يعرف بنصر الله آخر كبير معلق على المزاز عند زقاق الجوز . مسجد القبة عند دار عبد الرحمن القطني . عند باب القشر له امام . آخر يعرف بقبيبة النور خارج باب الشاغور . آخر بين حجيرا وراية على قبر مدرك بن زياد الذي يقال ان له صحبة ولم يذكر اهل العلم في كتبهم انه من الصحابة (٣) مسجد رواية . مسجد على قبر أم كلثوم وهي ليست بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت عند عثمان لان تلك ماتت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ودفنت بالمدينة ولا هي أم كلثوم بنت على من فاطمة التي تزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لانها ماتت هي وابنها زيد بن عمر بالمدينة في يوم واحدودفنا بالبقيع وانما هي امرأة من اهل البيت سميت بهذا الاسم ولا يحفظ نسبها ومسجدها هذا بناه رجل قرقوبي من اهل حلب . مسجد الجنائز بباب الصغير بسوق الغنم كبير قديم خرب فجدده جراح المنبجي . آخر خارج سوق الغنم في طرف المقبرة بناه رجل اسمه مظلوم آخر في فندق ابن ابي طاهر بن عفيف الفارقي شآم المقبرة آخر يعرف بمسجد سكينة في وسط المقبرة بقرب قبر بلال رضى الله عنه آخر في شرقي المقبرة محاذي قبة العقيقي بناه نصير الحفار . آخر في بستان ابن

---

(١) قال ابن شداد فى الاعلاق الخطيرة يقال انه مسجد الضحاك بن قيس .

(٢) هذا ما ذكره هنا وربما سقط من قلم نساخ الاصل منها شيء وقد قابلت ما هنا على ما في الاعلاق الخطيرة وكتاب الدارس وثمار المقاصد وكذا قابلت عليها جميع ما يأتي حسب الامكان . (٣) اقول حكى الحافظ الذهبي انه من الصحابة والله اعلم .

يعرف بمسجد عائشة سفل لطيف له امام ولم تدخل عائشة رضي الله عنها وعن ابيها الشام قط . في المدرسة الصادرية التي على باب الجامع مما يلي باب البريد بنى الامير صادر الجامع والمدرسة . بحضرة حمام العقيقي كبير سفل على بابه سقاية وقناة له امام . بالاقريس سفل لطيف له امام . في درب الكتان سفل صغير بشباك . آخر في درب الكتان يعرف بابن القايتي سفل صغير . في المدرسة التي اوقفها الامير اكتر في محلة الكنيسة . آخر معلق قبل المدرسة انشأه الشريف ابو القاسم ابن ابي الجن . آخر صغير جداً بشباك في رأس حارة البلاطة . آخر معلق مستجد بناه مشرف العرضي في حارة البلاطة امام ومؤذن آخر في حجر الذهب سفل عند دار ابن يغمور على بابه قناة له امام وعنده شجرة توت. آخر في رأس درب الانصار على طريق باب البريد سفل لطيف عنده قناة. عند قصر الثقفيين عند المدرسة سفل . في المدرسة المعينية في قصر الثقفيين . عند حمام القصر لطيف كان سفلا فصار علوا له امام وعلى بابه قناة . فى المدرسة النورية (بالعصرونية التي هي داخل باب الفرج الآن (في المناخلية) ملاصقة لزقاق العسل والسور عند حمام القصير . آخر صغير داخل باب الفرج لم يحوط عليه بحائط . آخر في درب الهاشمي من حجر الذهب عند دار الامير كجك . فوق عين التفليسي من حجر الذهب الذهبي . في المدرسة النورية التي اوقفها على المالكية في حجر الذهب . سفل لطيف عند دار الشريف السيد من حجر الذهب بناء الامير ككز . آخر شام هذه الدار سفل له امام بناه سنقر الموصلي . في درب الشعارين سفل لطيف . بباب الجابية يعرف بمسجد ابن عطية (١) عند رأس درب الاسديين سفل كبير له منارة آخر لطيف في حارة الغرباء . عند باب اصطبل العمارة سفل لطيف خلف باب الحمار المسدد . في دار محلة عند النهر الملك العادل نور الدين فيه منارة وبركة وعلى بابه سقاية . مسجد عند

---

(١) هو عبد الله بن عطية بن حبيب القري المفسر العدل الدمشقي حدث عن جماعة وروى عنه جماعة وكان امام مسجد بباب الجابية قاله الاسدي في تاريخه وقال عبد العزيز الكناني كان يحفظ فيما يقال خمسين ألف بيت من الشعر يستشهد بها على معاني القرآن وكان ثقة توفي سنة ٣٨٣ .

اوس ابن اوس الثقفي الصحابي . في جيرون بين البابين مشهور بين الناس سفل لطيف بشباك يقال ان فيه ذبح يحيى بن زكريا عليهما السلام ويقال ان الدعاء فيه مستجاب آخر فوقه معلق . في سقيفة القطعي داخل جيرون بشباك عنده قناة بقرب المدرسة . بالمدرسة المعروفة بدار طرخان وهي كانت قديماً للشريف ابي عبد الله بن ابي الحسن فوقفها سنقر الموصلي وجعلها مدرسة لاصحاب ابي حنيفة . في طرف درب خفيف سفل بناه الفقيه ابو البركات بن عبد . آخر في درب خفيف سفل لطيف آخر في درب خفيف لطيف بشباك مقابل دار أبي الفهم بن الشيرجي . عند باب المسجد الجامع يعرف بمشهد الرأس فيه قناة يقال ان رأس علي بن الحسين بن علي عليهما السلام وضع فيه حين اتى به الى دمشق له امام ووقف . على الدرج يعرف بمسجد عمر رضي الله عنه بناه رجل من العجم لرؤيا رؤيت له له امام . في درب الكشك عند الاطباقيين وكان الدرب قديماً يعرف بقرأ القرون الحجري سفل صغير بشباك . آخر داخل هذا الدرب وكانت الايدي تنقلت عليه وجعل متبناً فرده بعض اهل الغيرة مسجداً وهو قديم . في مدرسة الحنابلة عند قناة جيرون في باب الفراديس داخل الباب ملاصق للسور له منارة وفيه قناة . في درب قليد عند السوق الكبير بناه القائد دلال سفل لطيف . مسجد ابن عبدان في درب الريحان سفل . آخر في درب الريحان سفل لطيف بشباك . آخر في درب الريحان لطيف سفل بشباك يقال ان احدهما مسجد يزيد بن مبشر القرشي الصحابي . آخر لطيف سفل بشباك عند باب درب ابن مترود بن حماد . في سوق القمح (البزورية) مقابل قيسارية الوزير سفل كبير له امام . آخر في سوق القمح عند باب الحمام النوري (حمام البزورية) لطيف سفل له امام وعلى بابه قناة وكان فيه كاس يجري فيه الماء فعطل . عند زقاق الدر في الطريق النافذ الى قيسارية السلطان سفل آخر بناه ابن العكبري . في دار ابن بشر الذي يعرف اليوم بدرب العميان . في المدرسة الامينية التي مقابل دار الخيل بناه كمشتكين بن عبد الله المعروف بابن الدولة . في المدرسة النورية التي في القبانين بقرب الخواصين. في درب معن صغير بشباك . في مدرسة بزان ابن يامين الكردي المعروف بمجاهد الدين التي كانت داراً للشريف القاضي ابن ابي الجن . عند القباب التي عند القنطرة

غيـه منازعة في مربعة القطن ويعرف بمسجد الشـريف قديم جدده الشـريف خير الهاشمي، المحتسب بن ولا ابي الحديد المعلق فوق قنـاة كبير قديم عند رحبته مسـجد سفل مهجور . مسـجد ابن عوف في سوق القنـاديل عند حمام حديد سـفل لطيف له آخر بشباك وفوقه معلق له منـارة يعرف بمسجد فيروز ٠ عند قناة ابن المثالي كبير سفل لطيف كـان كنيسة للنصـارى فجعـل مسجداً عند قناة صـالح بقرب درب كرازين الفورنق معلق وتحته قنـاة صالح في درب حميد ابن درة عند الزقاقين لطيف قديم له وقف ومسجد بنـاه ابن الصـقيل وخرب عند رأس درب النقاشـة كان كنيسة للنصارى خربت فجعل بعد ذلك مسـجداً . بالفوريق الذي يعرف اليوم بالجينيق كبير كـان كنيسـة للنصـارى فجعل مسجداً وجدده يوسف الخـادم على يدي ابي اليمن المغربي متولي شرطة الشام فعرف به وعلى بابه سقاية مستجدة بنـاها الامير نور الدين رحمة الله عليه . داخـل الجينيق بقرب الشـلاحة في درب شابوركان قديماً فخرب فجدده ابو طالب بن محسن النامي . في الجينيق ايضـاً يعرف بمسجد الجينيق . في شـآمي سوق الطير بناه القاضي بن نجاح عنده قنـاة . في الديماس عند العمود المخلق لطيف . في زقاق صـفوان لطيف عند حمـام الطيب بنـاه ابن فيروز مسـجد الاوزاعي مقـابل دار ابن البري قديم جددته ابنـة الرئيس ابي الدرداء المفرج ابن الصوفي وبنت فيه منارة . مسجد ابن حماز في درب عجلان خلف قيسـارية الفرش قديم له . سوق الاحد يعرف بمسجد العباسي قبلة المطرزين قـديم له بابان على احدهما سـقاية وقنـابة وعلى الآخر قنـاة اخرى عندها مسجد لطيف بشباك . في الجينيق يعرف بنواجة يعقوب . عند دار ابن الشـحادة جدده علي الشـنباشي . في سـوق اللولو في درب ابن سـفوق بشباك في سوق ام حكيم لطيف بشباك . له قناة في رحبة البصل كبير له بابان وعنده سقاية وقناة . في دار الوزير المرزدقـاني معلق انشـأه الوزير ابو علي المرزدقـاني . في رأس عقبـة الصوف معلق له منـارة مستجدة انشـأها الوزير المرزدقاني له بابان . في عقبة الصوف في دار ابن الاعيرج سفل لطيف وفي السراجين معلق عنـد رأس الاسـاكفة العتيق الملاصـق لحصـن جيرون . في سـوق الصـفارين له بابان في الصـفارين والى الاساكفة . عنـد حمام منكلي سـفل . في درب الماء خلف حصن سفل مستجد . وآخر مقـابل باب السلامة سفل . وفي باب القلى سفل لطيف بشباك قديم يقال له مسجد

آخر يعرف بمسجد الحراقلة بقرب الكنيسة المصلبة قديم في درب كشكلة سفل لطيف آخر فيه لطيف سفل . مسجد النبطيين سفل كبير له منارة على بابه سقاية وقناة وكان عنده مسجد صيفي يصعد اليه بدرجة فعطل في درب الداراني له في درب ابن صامت خراب عند معصرة الزيت بقرب دار ابن المهار النصراني يعرف بابن الصرف في خربة البواب سفل لطيف آخر فيها يعرف بابن عطاف سفل وآخر لطيف بشباك عند رأس درب الحجر في وسط درب الحجر وآخر كان فرناً فجعله ابو المراهب ابن الشرابي مسجداً له امام ومؤذن وفيه منارة خشب . عند رأس المربعة بطرف درب الحجر له في اول قنطرة سنان (١) كبير آخر معلق في طرف قنطرة سنان من الشرق عند رأس الدرب يعرف بمسجد الظلم لانه ظلم من رحبة خالد سفل لطيف له وقف وعند قنطرة ابن مدلج ويعرف بمسجد القطيط وعلى بابه قناة تعرف بالمنحدرة . مسجد الزينبي في سويقة باب توما وعلى بابه قناة قديمة وسقاية وعند باب توما يعرف بصعلوك النجار عند بابه قناة . معلق على يسار الداخل من باب توما عند باب المعصرة يعرف بمسجد النوري ملاصق للسور معطل وعند دار عضب الدولة ابن لطيف في درب حمام العلوي وفي مربعة القز كبير بناه الشريف الزيدي بحذاء دار الامير نوح التي تعرف بدار ابن عفصد النصراني كان متبناً فجعله نوح مسجداً في زقاق الجيش طبقة علو له منارة يعرف بمسجد عبدة الفران في رحبة خالد قديم سفل على بابه قناة قبلة كنيسة اليعقوبيين سفل لطيف له منارة آخر شآمي الكنيسة كبير وعنده قناة وسقاية عند رأس درب طلحة من سويقة باب توما يعرف بمسجد ابن عمير سفل كبير شرقيه لطيف في سويقة باب توما في سقيفة ابن عمير سفل لطيف بشباك يعرف بالفراش عند دار الشريف النصيبي المعروف بابن بوري حسان على بابه قناة . مسجد . عند الشلاحة في درب السوسي له منارة مستجدة آخر في سوق الغزل فيه شجرة توت وعنده سقاية جدده نور الدين رحمه الله تعالى يعرف بأصحاب الشافعي فتغلب عليه وجرت

---

(١) ابن سنان هو ابراهيم بن محمد بن صالح بن سنان المخزومي الدمشقي مولى خالد ابن الوليد والى جده تنسب قنطرة سنان التي بباب توما سمع ابراهيم هذا الحديث وقد اخذ عنه ابن منده وغيره توفي سنة ٣٤٩ .

غير بعده وبني بحائط . مسجد داخل منه لطيف معلق يعرف بيوسف بلغني انه تغلب عليه وخرب . مسجد ملاصق لكنيسة اليهود على النهر سفل لطيف معلق فوقه فيه منارة بناه نور الدين عند باب المدينة سفل لطف بناه الشريف ابو الحسن الجعفري له امام ومؤذن ووقف . مسجد صدقة الملاصق لكنيسة مريم معلق له منارة وفيه امام ومؤذن ووقف يقال ان صدقة كان شوا نصرانياً فأسلم وحسن اسلامه وبنى هذا المسجد وآخر تحته سفل معطل لا يفتح وفي آخر درب كنيسة مريم عند معصرة الشيرج قديم . مسجد الثلاج في سوق كنيسة مريم كبير وفي درب الفراتي ويعرف اليوم بدرب الشيخ سفل لطيف بشباك وبقربه من الجانب الشرقي قديم وعند دار محمد بن القلانسي في درب سحنون سفل لطيف . في السوق الذي بين سوق كنيسة مريم وسوق درب الحجر يعرف بمسجد عقيل كبير وفي قبليه عند موقف الشيخ قديم يقال ان النذر له فيه فضيلة وفي درب البياعة لطيف سفل قديم جدده ابن القسيتقة وآخر كبير في هذا الدرب كان قديماً كنيسة لليهود ثم جعل مسجداً ويعرف اليوم بمسجد ابن الشهر زوري لانه كان يعقد فيه مجلس الوعظ وفي درب كليلة في حارة اليهود قبلي درب البياعة والدرب يعرف قديماً بكليلة القاضي فقيل درب كليلة وقول العامة ان التي بنته امرأة يهودية اسمها كليلة لا يصح وفي درب الحجر كبير سفل قديم له منارة وله بابان وعلى احدهما سقاية وعلى الآخر قناة والعميد ابن الجسطار كبير وعلى بابه سقاية وقناة وفي درب كيسان المعروف اليوم بدرب الفواخير مقابل درب العرب لطيف وآخر قبيلته لطيف وآخر معلق كبير وآخر ملاصق لباب كيسان له منارة يعرف بابن الاعمى الفاخوري بقرب درب نمير لطيف في سويقة الباب الشرقي يعرف بمسجد موسى الكردي قديم جدده موسى المذكور وعنده قناة آخر شرقيه يعرف بالوزير في السويقة وبقربه سقاية مجددة وفي اول درب الاندر سفل صغير بناه ناصر السابق . مسجد داخل منه يعرف بابن باقي سفل لطيف داخل الباب الشرقي كبير يعرف بمسجد الفتوح . هذه المساجد التي هي قبلي السوق الاوسط فأما مساجد الناحية الشآمية(١) عن يمنة الداخل من الباب الشرقي فمن ذلك مسجد في درب خلاد

---

(١) اصطلح المتقدمون على تسمية الجهة الشمالية بالشآمية هرباً من ان يطلقوا على اهلها انهم من اهل الشمال ومن ذلك حصل تسمية سورية بالشام ويقال ان تسمية الشام بسورية وثنية وكانت الهنود يسمون آله الشمس سورية وكان هيكل الشمس ببعلبك ومعناها عند اليونان الاقدمين مدينة الشمس . تأمل .

الجعفري ويعرف اليوم بدار خطلخ البالسي سفل لطيف بناه اكشوك بن خطلخ البالسي . مسجد داخل درب الجبن عند درب الديلم له امام ومؤذن ووقف . مسجد الحدادين له امام ومؤذن ووقف وقبلته مسجد عند رأس درب العدس بينهما الطريق كبير له امام ومؤذن ووقف . مسجد معلق يعرف بمسجد سوق اللولو كبير له امام ومؤذن ووقف وعنده سقاية وهو من المساجد القديمة المشهورة . مسجد داخل درب العدس سفل لطيف في رأس سوق الطير سفل بشباك . مسجد قبليه عند رأس درب الحبالين يعرف بمسجد سوق الطير له امام ووقف ومؤذن . مسجد في درب الحبالين معلق له امام ومؤذن ووقف . مسجد داخل درب الحبالين يعرف بمسجد سوق الطير له امام ووقف مسجد في آخر داخل درب الحبالين قبلي النهر عند دار ابن مقلد الشوا سفل لطيف . مسجد في درب الفراش عند بستان القط سفل قديم جدده ابو الفهم عبد الرحمن بن ابي العجائز . مسجد عند رأس درب بني نصر لطيف بشباك مسجد الايرمين ملق كبير له وقف ومؤذن وامام مسجد عند رأس التميمي في سوق دار البطيخ لطيف بشباك له وقف وامام . مسجد دار البطيخ المعلق كبير له وقف وامام ومنارة ومؤذن وله بابان عند احدهما قناة . مسجد يعرف بمسجد الاجابة في سوق دار البطيخ ينزل اليه بدرج قديم له امام ومؤذن ووقف . مسجد في درب الفراش مسجد عند القناة بناه ابو يعلي النصراني عامل القسمة مسجد داخل منه كبير سفل له منارة خشب يعرف ببني علان له امام ثم ووقف . مسجد الخشابين بين فنادق الخشب بحضرة سوق النبل ومسبك الزجاج كبير له امام ومؤذن . مسجد الدقاقين يعرف بمسجد السكاكين كبير قديم له وقف وامام ومؤذن . مسجد معلق عند حمام اللولو المعروف قديماً بالبريديين يعرف بمسجد الرأس كبير له وقف وامام ومؤذن . مسجد الكشك الذي فوق الاعمدة كان داراً فبناه الملك العادل نور الدين مسجداً وبنى له منارة له امام ومؤذن ووقف . مسجد في درب شداد قبلة الكشك كان قديماً لطيفاً فزاد فيه ابو غالب من الشيرجي ووسعه . مسجد السلالين عند رأس درب التبان سفل قديم كبير له امام ووقف وله بئر . مسجد في درب التبان سفل لطيف كان خراباً فجدده خالد ابو المكارم ثم

وهو مسجد فضالة بن عبيد الانصاري الصحابي قاضي دمشق عند بابه قناة . مسجد معلق يعرف الآن بمسجد الجلادين فيه منارة وله امام ومؤذن ووقف . مسجد لطيف عند رأس درب البزوريين وسوقي الاكافين له وقف وعنده قناية . مسجد في درب البزوريين القبلي لطيف بشباك . مسجد في درب دينار عند رأس درب القرشيين . مسجد بناه ابو بكر بن العميد . في مسجد درب القرشين قبلي القناة لطيف بشباك بناه الامير سليمان الجندي . مسجد آخر بقربه لطيف له امام ووقف وهو قديم . مسجد في درب القرشيين الذي ينفذ الى درب النخلة معلق بنـاه ابو غالب ابن الكوفي البزار . مسجد في السوق الكبير عند رأس درب الريحان لطيف بشباك . مسجد في قبة اللحم يعرف بمسجد الكف له بابان وله مؤذن وامام ووقف . مسجد في درب فندق البيع له امام ووقف وعنده طاقات . مسجد في زقاق الشعر قبل ان تصل الى درب النـاقديين . مسجد عنده عمود مخلق في زقاق البزوريين . مسجد القرشيين . مسجد في درب الناقديين له امام ووقف . مسجد في درب الناقديين قديم مسجد آخر في هذا الدرب عنده قناة يعرف بابن النافعية . مسجد في السق الكبير يعرف بمسجد الزينبي ويعرف قديما بمسجد ابن قاسم كبير له امام ومؤذن . مسجد في رأس درب البقل يعرف بابن عنقود له امام ووقف . مسجد لطيف بشباك يعرف بابن النشاش له امام ووقف . مسجد في رأس درب البقل سفل لطيف بشباك يعرف بابن المنتناش له وقف .مسجد لطيف عند قناة في درب البقل يعرف بابن عنقود له امام ووقف . مسجد لطيف مستجد بشباك في اول حارة الخاطب عند دار ابي الخوف . مسجد في رحبة الخاطب (١) بناه بركـات الزراد سفـلٌ لطيف لـه منـارة من خشـب ولـه امـام ومؤذن ووقف . مسجد الطبـاخـين عند قنطرة أم حـكيم فـي رأس العلبيـين كبـير لـه امـام ومـؤذن ووقـف . مسجد عند رأس درب الجبن ملاصق للحمام وعـلى بـابه قناة قديم كبير جدده الرئيس ابو الزراد المفرج ابن الصوفي . مسجد عند دار الشريف

---

(١) هو محمد بن على الهاشمي كان خطيباً بدمشق ايام الدولة الاخشيدية وكان شاعراً وستأتي ترجمته واظنه ا ه الذي تنسب اليه رحبة الخاطب التي هي بنواحي الباب الصغير .

ايضا مسجد سفل عند دار محمد بن النقار الكاتب . مسجد قديم سفل نيها ايضا عند زقاق عطاف وهو مسجد ايمن بن خزيم بن فاتك الاسدي الصحابي . مسجد آخر سفل لطيف فيها ايضا . مسجد عند دار ابن الخياط الكاتب معلق له امام ومؤذن ووقف وفيها ايضا . ثلاثة مساجد عند دار سندقر وواحد سفل ومسجدان معلقان لا حدهما امام ومؤذن . مسجد في سوق الفسقار كبير يعرف بابن حميد له امام ومؤذن . مسجد ابن هشام بالفسقار ايضا كبير له امام ومؤذن وفيه منارة وعلى بابه سقاية الشيخ وقناية الشيخ . مسجد عند طاحونة السجن لطيف . مسجد في سوق الفسقار يعرف بابن حفاظ له امام ووقف . مسجد الفرجة عند القطانين ورأس القلانسين بقرب سقاية الشيخ . مسجد مقابل دار الوكالة كبير يعرف بمسجد الديوان له امام ووقف ومؤذن . مسجد في سوق المعلق على باب الخواصين له امام ومؤذن ووقف . ومسجد القلانسيين في طريق سوق السراجين الذي جعل سوقا للبر . له امام ووقف . مسجد الطريقيين في سوق السراجين له امام ومؤذن . مسجد ملاصقه بابه الى سوق علي . مسجد كان زيادة يعلم فيها الصبيان فجعلت مسجدا . مسجد في درب السوسي له امام ووقف . مسجد في دار ابن محذور قديم وهو مسجد مروان بن الحكم بن ابي العاص له امام ووقف . مسجد لطيف عند قناية الزلاقة له امام ووقف . مسجد عند دار ابن ريش قبلة الزلاقة له امام ووقف ويقال انه مسجد واثلة بن الاسقع . مسجد الجلادين وهو الذي يعرف اليوم بمسجد الرماحين كبير له امام ومؤذن ووقف . مسجد بالمقسلاط كان يعرف بمسجد الطريقين له منارة محدثة وله امام ومؤذن وعنده سقاية وقناة . مسجد عند مسبك الحديد يعرف بابن القضيمة النامي له امام . مسجد واثلة على راس درب الزلاقة يجلس عنده الجنائزين كبير له امام ووقف ومؤذن وعلى بابه قناية وله منارة محدثة. مسجد في سويقة باب الصغير لطيف يعرف بابن ابي العود له امام ومؤذن ووقف . مسجد في درب العبسي عن يسار الخارج الى الباب الصغير لطيف . مسجد القطانين في طرفة المقسلاط خلف سوق الصرف له امام ومؤذن ووقف . مسجد يعرف بحمام ابن ابي نصر في الحريق . مسجد بناه معالي المزين له امام ومؤذن ووقف مسجد فضالة في طريق الحبالين عند راس درب الريحان من السوق الكبير يعرف بمسجد الريحان

علاها وعظيم شأنها فاولها (٢) من قبلة الشرق وانت داخل من باب الجابية . مسجد معلق يعرف بمسجد السقطيين له سلم حجارة وقد جعل له سلم خشب وآخر من شآمه له امام ومؤذن ووقف . ومسجد كبير بمسجد في درب المدنيين سفل فيه شجرة زيتون له امام ومؤذن وله خزانة وقف لطيفة . مسجد سفل عند رأس درب عرقل وسوق الحجامين يعرف بمسجد الضمرجتي وكان قديما يعرف بمسجد الشجرة له امام ومؤذن ووقف وعلى بابه سقاية . مسجد ابن طغان بالفسقار حذاء درب القصاعين يصعد اليه بدرجة له امام ومؤذن ووقف وعند قبلته قناة . مسجد في درب القصاعين سفل عن يسار الداخل . مسجد بناه ابو سعيد العجمي المنجي له امام ومؤذن وعنده قناة . مسجد آخر بناه ابن البيطار في غربي الشارع . مسجد بناه المثنى بن الاثر يوسف سفل له وقف في القطاعين

---

(٢) سرد الحافظ مساجد البلد التي كانت في زمنه وذكرها بهذه المعارف وقد نسيت اسمائها ولم يذكر من بناها ولا شيئاً من تاريخها وقد ذكرناها هنا بالحرف ثم جاء بعده القاضي بهاء الدين ابن شداد فألف كتابه الاعلاق الخطيرة فذكر مساجد البلد على نمط ما هنا ولم يذكر من التراجم الا شيئاً قليلا وزاد ما كان في زمنه ثم ألف الشيخ عبد القادر النعيمي المتوفى سنة سبع وعشرين وتسعمائة كتابه الذي سماه تنبيه الطالب وارشاد الدارس لاحوال مواضع الفائدة بدمشق كدور القرآن والحديث والمدارس فسرد في آخره المساجد على نمط ابن عساكر وابن شداد ثم ألف يوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد كتاباً سماه ثمار المقاصد في الجوامع والمساجد وسلك مسلك من سبقه وقد كنت طالعت هذه الكتب وطالعت معها ما يزيد عن خمسة وعشرين مؤلفاً في فن التاريخ حينما ألفت كتابي الذي سميته منادمة الاطلال ومسامرة الخيال وضمنته ذكر المدارس والزوايا والترب وجميع احوال دمشق العمرانية لكنني لم اذكر من المساجد الا ما كان مشهوراً ثم سردتها كلها في كتابي منتخب النفائس تهذيب الدارس وابن عبد الهادي فرغ من تأليف ثمار المقاصد سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة وقد قال فيه فناهيك ببلدة تحتوي على ألف وخمسمائة مسجد لله درها وانما ذكرنا ما هو بواديها فقط واما ما هو محيط بمعاملتها مما وراء جبالها فذلك شيء كثير اه فتأمل اعتناء القوم بأمر دينهم وبلدهم وعلمائهم وتأمل ما هم عليه اليوم اصلحنا الله واياهم وألهمنا واياهم الرشد والتعاون والتعاضد وتأليف القلوب واما سوق الفسقار فاسمه اليوم سوق مدحت باشا وفيه مسجد تدعي العامة انه مسجد هشام القارىء وهو غلط بدليل ما هنا وما ذكره الاسدي في تاريخه فانه قال في سنة احدى وثلاثين وثمانمائة فرغ من بناء مسجد ابن هشام بالفسقار بناه القاضي بدر الدين ابن مزهر من ماله اه فانظر كم بين بناء المسجد ووفاة هشام القارىء وتأمل .

المخزومي لما قدم على عبد الملك فحجبه بعد الصبح في المسجد وكان عبد الملك بالخضراء فأخبر ان عبد الملك يقرأ بقراءة هشام فقرأ بقراءته مولى له فاستحسن ذلك من يليه من اهل المسجد فقرأ بقراءته واول من احدث الدراسة في فلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرشي وكان يحضرها كثير ممن يوصف بالعلم والرياسة وقد انكر بعضهم هذا الاجتماع وكان الضحاك بن عزرب ينكر الدراسة ويقول ما رأيتها ولا سمعتها من قبل وقد ادركت اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان الضحاك اميرا على دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز .

« باب معرفة مساجد البلد وحصرها »
بذكر التعريف لها والعدد

عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون دمشق في آخر الزمان اكثر المدائن اهلا واكثرها ابدالا واكثرها مساجد واكثرها زهادا واكثرها مالا ورجالا واقلها كفارا وهي معقل لاهلها وعن عبيد الله الخولاني انه سمع عثمان بن عفان رضي الله عنه حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم قد اكثرتم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة خرجه مسلم وعن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة (١) وعن ابي هريرة مرفوعا من بنى بيتا يعبد الله فيه من مال حلال بنى الله له بيتا في الجنة من در وياقوت (٢) وعن عائشة مرفوعا من بنى مسجدا ولو قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة قالت قلت يا رسول الله وتلك المساجد التي في طريق مكة قال وتلك . وهذا الحض على المساجد وبنيانها يدل على خطر

---

١) رواه الطبراني فى معجمه الصغير وابن حبان فى صحيحه ورواه البزار ولفظه وقدر مفحص قطاة والقطاة طائر معروف ومفحصها بفتح الميم والحاء موضعها الذي تجسم فيه وتبيض كأنها تفحص عنه التراب اي تكشفه وليس المراد انه بهذا المقدار ولكنه كناية عن الصغر.

٢) رواه الطبراني في معجمه الاوسط ورواه البزار دون قوله من در وياقوت .

(١) معلقة بالسقف فوق البطاين مما يلي السبع وانه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق فلما احترقت الطلسمات وجدت وكان حريق الجامع ليلة النصف من شهر شعبان بعد العصر سنة احدى وستين واربعمائة وقال عبد الوهاب المزني سمعت جماعة من شيوخ اهل دمشق يقولون ان العمود الحجر الذي بين سوق الشعير وبين سوق ام حكيم الذي بحضرة مسجد الطباخين كان عليه صنم مكسور وفائدته تعسير الحاجات فاذا دخله انسان لحاجة لم تقض قال وكان ابي ينهاني عن الدخول فيه اذا كنت في حاجة وفي سقف المسجد طلاسم صنعها الحكماء فيما يلي الحائط القبلي فيها طلسم للصنونيات فلا تدخله ولا تعشش فيه لما تحدثه من الاوساخ التي تكون منها ولا يدخله غراب وطلسم للحيات والفار والعقارب وما ابصر الناس فيه من هذا شيئاً الا الفار ويوشك ان يكون طلسمها قد تغير وطلسم للعنكبوت فلا ينسج في زواياه ولا يركبه الغبار والوسخ .

« باب ما ورد في امر السبع وكيف كان ابتداء الحضور فيه والجمع »

قال حسان بن عطية قراءة المدارسة محدثة احدثها هشام بن اسماعيل

---

(١) ان للعقل وقفة في هذا المقام والكلام عليه طويل بسطناه في تفسير سورة البقرة من تفسيرنا وملخص القول هنا ان الاقدمين جعلوا الطلسمات نوعاً ثانياً من السحر وقالوا انها استعدادات في النفوس البشرية تقتدر بها على التأثيرات في عالم العناصر بأمر معين من الامور السماوية وهى من مخترعات النبط والكلدانيين الذين كانوا قبل موسى عليه السلام وكان ممن ادخلها البلاد الاسلامية جابر بن حيان من اهل المشرق ومسلمة المجريطي من اهل الاندلس وزعم اهل هذا الفن انهم يظهرون هذه التأثيرات بواسطة امور معينة من مزاج الافلاك او العناصر او خواص الاعداد وحقيقة الطلسمات عندهم اتحاد روح بجسم اي ربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية وكل من له اطلاع على خواص ما في هذا الكون اطلاع بصير ورأي ما اكتشف منها في هذه الايام واخترع منها ورأى الآلة الناقلة للصوت وفن التصوير وانواع الكهرباء وافاعليها لا ينكر ان وراء ما يشاهده علو ما خفيت عليه واطلع غيره عليها فذوا العقل القاصر يكذب كل ما يراه وذو البصر والعلم يدخل مثل هذه الاشياء في درجة الامكان والتلغراف اللاسلكي من اقوى الادلة على ذلك .

بعض الشيوخ يقولون لما دخل المسلمون دمشق وقت فتحها وجدوا على العمود الذي في المقسلاط على التاج الحديدي الذي كان في اعلاه صنماً ماداً يده بكف منطبقة فكسروا يده فاذا فيها حبة قمح فسألوا عن ذلك فقيل لهم هذه الحبة من القمح جعلها حكماء اليونان في كف هذا الصنم حتى لا يسوس قمح في البلد ولو اقام سنيناً كثيرة قال الحافظ في الاصل وقد رأيت هذا السفود على عمود قائم بالمقسلاط وطرح في سنة اربع وستين وخمسمائة وعمل منه اسكفة لباشورة الباب الصغير وقال عبد الله بن احمد بن زيد القاضي انما سمي باب الساعات (١) لانه كان عمل هناك ساعات يعلم بها كل ساعة تمضي من النهار عليها عصافير من نحاس وحية من نحاس وغراب من نحاس فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست وقال يحيى بن علي القاضي انه ادرك في الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات

---

(١) من لطائف البرهان القيراطي في باب الساعات

في الجامع الاموي الحسن مجتمع ... وبابه فيه للاحداق لذات
دقائق الحسن يحويها له درج ... فحبذا منه بالساعات ساعات
وحبذا معبد كم اطربت اذنا ... فيه من الذكر نغمات واصوات
جلى العروس على الرائي منصتها ... نزّهها من بدور التم طارات

وقال ايضا

يقول لنا نسر بجامع جلق ... انا الطائر المحكى والآخر الصدى
وقد اطرب الاسماع مطرب حنكها ... وغنى به من لا يغني مفردا

« وقال قمر الدولة جعفر الكناني »

رأيت بالجامع المعمور معجزة ... في جلق احدى من بها سمعا
فوراة كلما فارت فرت كبدى ... وماؤها فاض بالانفاس فاندفعا
كأنها الكعبة العظمى فكل فتى ... من حيث قابل انبوبا لها ركعا

مافي قبلة مسجد دمشق من الذهب وقال انه يشغل الناس عن الصلاة فقيل له يا امير المؤمنين ان المسلمين انفقوا عليه من اعطياتهم وليس يجتمع منه شيء ينتفع به فاراد ان يبيضه بالجص فقيل له تضاهي الكعبة فبينما هو في ذلك اذ ورد عليه وفد من الروم فحكى القصة وفيها ان رئيسهم لما نظر الى القبة قال كم مضى للاسلام قالوا مائة قال كيف تصغرون امرهم ما بنا هذا البنيان الا ملك عظيم فاتى الرسول عمر فاخبره فقال اما انه غائظ للعدو فدعه .

« باب ما كان في الجامع من القناديل والآلات ومعرفة ما عمل » فيه وفي البلد باسره من الطلسمات

قال مكحول كانت القناديل اذا اطفئت في مسجد دمشق يسد الواحد منا انفه لما يفوح من رائحة المسك وقال عبد الرحيم الانصاري سمعت الاعراب وهم يزرون المسجد يقولون لا صلاة بعد القليلة فقيل له هل رأيتها قال نعم كانت تضيء مثل السراج وسمعت ان منصورا سرقها وذلك ان الامير منصور كان يحب البلور فكتب الى صاحب شرطة والى دمشق ان ينفذ اليها القليلة فسرقها ليلا ووجهها اليه فلما قتل المأمون الامين ردها الى دمشق ليشنع بذلك على الامين وكانت في محراب الصحابة فلما سرقت جعل موضعها برنية من زجاج قال مكحول وقد رايتها ثم انكسرت بعد فلم يجعل شيء مكانها وقال ابن المعلي كنا نستر مسجد دمشق في الشتاء بلبود خشنة فدخلته الريح في عهد الوليد فهزته فثار الناس فخرقوا اللبود وقال عبد الرحيم المازني لما كان في ايام الوليد وبنائه المسجد احتفروا فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً فلم يفتحوه واعلموا به الوليد فخرج من داره حتى وقف امامه ففتحه فاذا داخله مغارة فيها تمثال انسان من حجارة على فرس من حجارة وفي يد التمثال الواحدة الدرة التي كانت في المحراب ويده الثانية مقبوضة فكسرت فاذ فيها حبتان حبة قمح وحبة شعير فسأل عن ذلك فقيل له لو تركت الكف فلم تكسره لم يسوس في هذه البلدة قمح ولا شعير وقال احمد الحافظ الوراق وكان قد عاش مائة سنة سمعت

اهل دمشق فاشتد ذلك عليهم فخرج اليه اشرافهم وفيهم رجل يقال له خالد فقال لهم ائذنوا لي حتى اكون انا المتكلم فاذنوا له فلما اتوا دير سمعان استاذنوا على عمر فاذن لهم فلما دخلوا سلموا عليه فقال له خالد يا أمير المؤمنين بلغنا انك هممت ان تفعل كذا وكذا في مسجدنا فقال لهم رأيت اموالا انفقت في غير حقها وانا مستدرك ما ادركت فاجعل قرارها في بيت المال فقال له خالد والله ما ذلك لك يا امير المؤمنين فقال عمر لمن هو الأمك الكافرة وغضب عمر وكانت أم خالد نصرانية فقال له خالد ان تكن كافرة فقد ولدت مؤمنا فاستحيا عمر وقال صدقت ثم قال له ما معنى قولك ما ذلك لي فقال لانا كنا معشر اهل الشام واخواننا من اهل مصر واخواننا من اهل العراق نغزوا فيفرض على الرجل منا ان يحمل من ارض الروم قسما من الفسيفساء وذراعا في ذراع من رخام فيحمله اهل العراق واهل حلب الى حلب ويستأجر من يحمله الى دمشق ويحمله اهل حمص الى حمص ويستأجروا من يحمله الى دمشق ويحمل اهل دمشق ومن ورائهم حصتهم الى دمشق فذلك قولي ما ذلك لك فسكت عمر ثم جاءه كتاب من يزيد بن معمر يخبره ان قاربا ورد عليه من رومية فيه عشرة من الروم عليهم رجل منهم يريدون الوفود على امير المؤمنين فكتب اليه ان وجههم الى ووجه معهم عشرة من المسلمين واجعل عليهم رجلا منهم وليكن كلهم يحسن التكلم بالرومية ولكن لا يعلموهم بانهم يعرفون لغتهم وذلك لاجل ان يحملوا الي كلامهم ففعل ما امره به وساروا حتى اتوا دمشق فنزلوا خارج باب البريد فسئال الروم رئيس العشرة من المسلمين ان يستأذن لهم الوالي في دخول المسجد فاذن لهم فمروا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجه القبة فكان اول ما استقبلوه المقام ثم رفعوا رؤوسهم الى القبة فخر رئيسهم مغشيا عليه فحمل الى منزله فاقام ما شاء الله ان يقيم ثم افاق فقالوا له بالرومية ما نحسك عمدنا بك من رومية وما انكرنا منك شيئا وصحبتنا فى طريقنا فما انكرناك فما الذي عرض لك حين دخلت هذا المسجد فقال انا معشر اهل رومية نتحدث ان بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت ان لهم مدة سيلقونها فلذلك اصابني ما اصابني فلما قدموا على عمر اخبروه بما سمعوا منه فقال لا ارى مسجد

« باب ما كان عمر بن عبد العزيز هم برقم رده على النصارى حين قاموا بطلبه »

لما ولى عمر بن عبد العزيز قال له النصارى يا امير المؤمنين قد علمت حال كنيستنا فقال انها صارت الى ماترون فعوضهم كنيسة من كنائس دمشق لم تكن في صلحهم يقال لها كنيسة توما وقال ابن المعلى وبلغني عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر وغيره ان النصارى رفعوا الى عمر بن عبد العزيز ما اخذوا عليه العهد في كنائسهم من انها لا تهدم ولا تسكر وجاؤا بكتابهم اليه فكلمهم عمر ودفع لهم ثمنا بلغ مائة الف دينار فابوا فكتب عمر الى محمد بن سويد النهري ان يدفع اليهم كنيستهم الا ان يرضوا برضائهم فاعظمه ذلك واعظم الناس وفيهم يومئذ بقيد من اهل الفقه فشاورهم محمد بن سويد وقال هذا أمر عظيم ندفع اليهم مسجدنا وقد ادينا فيه الصلاة وجمعنا فيه ثم يهدم ويعاد كنيسة فقال رجل منهم ان ههنا خصلة وهي ان لهم كنائس عظاما حول مدينتهم دير مران وباب توما والراهب وغيرها فان احبوا ان نعطيهم كنيستهم ولا يبقى حول دمشق كنيسة ولا بالغوطة الا هدمت وان شاؤا تركنا لهم كل كنيسة بالغوطة وسجلنا لهم بها سجلا وتركوا ما يطلبون فعرض ذلك عليهم فقالوا انظرونا ننظر في امرنا فتركهم ثلاثا فقالوا نحن نأخذ الذي عرضت علينا ونكتب الى الخليفة نخبره بأنا قد رضينا بذلك ويسجل الخليفة من قبله سجلا منشورا بامان على جميع كنائسنا من ان تهدم او تسكر قالوا نعم فكتب الى عمر بن عبد العزيز بذلك فسره وسجل لهم سجلا في كنائسهم التي هي خارج مسجد دمشق والغوطة انهم آمنون من ان تهدم او تسكر واشهد لهم شهودا وقال عمر بن مهاجر سمعت عمر بن عبد العزيز وذكر مسجد دمشق فقال رايت اموالا انفقت في غير حقها فانا مستدرك ما استدركت وروى عنه الميداني انه قال ماأراه في هذا المسجد فقراره في بيت المال وقد هممت ان اعمد الى تلك الفسيفساء وذلك الرخام فاقلعه واجعل مكانه طوبا وانزع تلك السلاسل واجعل مكانها حبالا وانزع تلك البطائن فابيع جميع ذلك وادخله بيت المال فبلغ ذلك

يرتصف الخلق من مرافقها ... ولا يصدون عن منافعها
ولا تزال المياه جارية ... فيها لما شق من مشارعها
وسوقها لا تزال اهلة ... يزدحم الناس في شوارعها
لما تشاؤون من فواكهها ... وما تريدون من بضائعها
كأنها جنة معجلة ... في الارض لولا سرى فجائعها
دامت برغم العدى مسلمة ... وحاطها الله من قوارعها (١)

---

(١) رأيت لبعض المتأخرين ابياتا في وصف جامع دمشق فاحببت الحاقها هنا لما بها من الصناعة الادبية

« لبدر الدين حسن بن حبيب الحلبي »

معبد الشام يجمع الناس طرا ... واليه شوقا تميل النفوس
كيف لا يجمع الورى وهو بيت ... فيه تجلى على الدوام العروس

وقال ايضا

يا راغبا في غير جامع جلق ... هن يسوي الممنوع والممنوح
اقصر عناك وفي غلوك لا تزد ... أن الزيادة بابها مفتوح

« وقد اخذ هذا المعنى من قول ابن نباتة »

ارى الحسن مجموعا بجامع جلق ... وفي صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى في الجوامع معشر ... فقل لهم باب الزيادة مفتوح

« وقال الصلاح الصفدي »

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها ... بمعبدها الزاهي البديع المشيد
جرى ليبا هي حسنه كل معبد ... وما قصبات السبق الا لمعبد

« والاصل في ذلك قول برهان الدين القيرطي »

سقى بدمشق الغيث جامع نسكها ... بروضاته غنى الحمام المغرد
اذا ما زهى في العين من ذاك معبد ... لذكر حلى في السمع من ذاك معبد

ومن مغانيه قوله

دمشق له في الحسن منصب ... عال وذكر في الورى شائع
فخل من قاس بها غيرها ... وقل له ذا الجامع الجامع

عبس ثم التكوير الكل بتمامها قال ابو يوسف وقدمت بعد ذلك فرأيت هذا قد محي وكان ذلك قبل المأمون وقال ابو مسهر عملت المقصورة لسليمان بن عبد الملك حين استخلف انتهى قال الحافظ انشدني بعض اهل الادب في جامع دمشق عمره الله تعالى :

دمشق قد شاع حسن جامعها وما حوته ربى ربائعها (١)
بديعة المدن في الكمال لما يدركه الطرف من بدائعها
طيبة ارضها مباركة باليمن والسعد اخذ طالعها
جامعها جامع المحاسن قد فاقت به المدن في جوامعها
وبنية بالاتقان قد وضعت لا ضيع الله سعي واضعها
تذكر في فضله ورفعته اخبار صدق راقت لسامعها
قد كان قبل الحريق مدهشة فغيرته نار بلاقعها
فذهبت بالحريق بهجته فليس يرجى اياب راجعها
اذا تفكرت في الفصوص وما فيها تيقنت حذق راصعها
اشجارها لا تزال مثمرة لا تذهب الريح في مدافعها
كأنها من زمرد غرست في ارض تبر تغشى بنافعها
فيها ثمار تخالها اينعت وليس يخشى فساد يانعها
تقطف باللحظ لا بجارحة الـ ايدي ولا تجتنى لبائعها
وتحتها من رخامة قطع لا قطع الله كف قاطعها
احكم ترخيمها المرخم قد بان عليها احكام صانعها
وان تفكرت في قناطره وسقفه بان حذق رافعها
وان تبينت حسن قبته تحير اللب في اضالعها
تخرق الريح في مخارمها عصفاً فتقوى على زعازعها
وارضه بالرخام قد فرشت بنفسح الطرف في مواضعها
مجالس العلم فيه متقنة ينشرح الصدر في مجامعها
وكل باب عليه مطهرة فذا من الناس رفع مانعها

---

(١) من بحر المنسرح ووزنه مستفعلن مفعولات مستفعلن مرتين ،العروض والضرب مطويان وقد دخل الخبن فى حشوه والقافية من المتدارك والهاء وصل والالف خروج .

ثم قال يا ايها الناس قد بلغتني مقالتكم وانتهى الى خوفكم على اعطياتكم ودفعكم عن حقوقكم وليس الامر على ما ظننتم الا واني امرت باحصاء ما في بيوتكم من المال فأصبت فيها عطائكم ست عشرة سنة مستقبلة من يومي هذا ثم نزل وقال عمرو بن مفاخر الانصاري حسبوا ما انفق على الكرمة التي في قبلة مسجد دمشق فوجدوه سبعين الف دينار قال ابو قصي انفق على المسجد اربعمائة صندوق في كل صندوق اربعة عشر الف دينار كذا قال والله اعلم وقال ابو قصي ايضاً في كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار والله اعلم بذلك الا ان الرواية الاولى اقل مبالغة وزعم ان حرسى امير المؤمنين اتى الوليد فقال له ان اهل دمشق يتحدثون ان الوليد انفق الاموال في غير حقها فنادى بالصلاة جامعة وخطب الناس فقال الا انه بلغني حرسي انكم تقولون ان الوليد انفق الاموال في غير حقها الا يا عمرو بن مهاجر قم فأحضر ما تملك من الاموال في بيت المال قال فأتت البغال تدخل بالمال فصب تحت القبة على الانطاع حتى لم يبصر من في الشمال من في القبلة ولا من في القبلة من في الشمال واتى القبانيون فوزنوا الاموال وقالت لصاحب الديوان احضر من قبلك ممن يأخذ رزقنا يعني اسمائهم فكانت ثلاثمائة الف الف في جميع الامصار وحسبوا ما يصيبهم فوجدوا عنده رزق ثلاث سنين ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله تعالى وقالوا لا تذهب هذه الثلاث الا ويخلفها اكثر منها وقال الوليد يوماً اني رأيتكم يا اهل دمشق تفخرون على الناس بأربع خصال فأحببت ان يكون مسجدكم الخامس فاحمدوا الله فانصرفوا شاكرين داعين وقال خالد بن بثول حدثني شيخ من اهل العلم ان عبد الملك اشترى العمودين الاخضرين الكبيرين اللذين تحت قبة النسر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار وقال ابو يوسف يعقوب بن سفيان قرأت في قبلة مسجد دمشق صفائح مذهبة بلازورد بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا هو الحي القيوم الى آخر الآية لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا نعبد الا اياه ربنا الله وحده وديننا الاسلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم امر ببناء هذا المسجد وهذه الكنيسة الذي كانت فيه عبد الله الوليد امير المؤمنين في ذى القعدة من سنة ست وثمانين وهذه الكتابة في ثلاث صفائح منها وفي الرابعة سورة الفاتحة الى آخرها ثم النازعات ثم

« باب كيفية ما رخم وروق ومعرفة كمية المال الذي انفق عليه

قال ابراهيم بن هشام ما في مسجد دمشق شيء من الرخام الا رخامتنا المقام فانه يقال انهما من عرش سبا واما الباقي فكله مرمر وقال جناح كان في مسجد دمشق اثنا عشر الف مرخم وقال الوليد بن مسلم لما اخذ الوليد ابن عبد الملك في بناء مسجد دمشق وظهر من تزويقه وبنائه وعظم مؤنته ما ظهر تكلم الناس فقالوا اينفق فيئنا ويتلف ما في بيوت اموالنا في نقش الخشب وتزويق الحيطان ثم كأنه قد حرمنا اعطياتنا واعتل علينا بذهاب المال وقلته فبلغ الوليد كلامهم والذي قالوه من ذلك فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه

وجدد للحنفية محراب ايضا عند ذلك الباب ورخم الحائط الشمالي سنة ٧٢٩ وفي سنة ٧٢٨ اختل الحائط القبلي مما يلي باب الزيادة فعمر وجد الناس في اعماره وفي سنة ٧٣٠ رخم الجانب الشرقي وجمعت فصوص الفسيفساء التي بقيت وجعلت فى الجدار وقد كانت جدران الجامع كلها من الفسيفساء وفى سنة ٧٤٠ وقع حريق عظيم بدمشق احترقت فيه المأذنة الشرقية من الجامع وقد تقلبت على هذا الجامع احوال فانه احترق مرارا وجاءت زلزلة فهدمت جدرانه فلم يبق منها الا الجدار القبلي وفي سنة ثمان وستين وستمائة كان الجامع كأنه خان ينام فيه الناس وكان لكل مقيم به موضع قد افرده واقتطعه وعمل فيه صندوقا واحاطه بمقصورة حتى كان فيه مايقرب من ثلاثمائة خزانة ومقصورة فلما ولى الملك الظاهر ركن الدين ازال جميع ذلك ونظف الجامع وفرشه بالحصر والبسط وغسل رخامه وحسنه وكان بصحن الجامع ايضا حواصل للمنجنيقات وحواصل للامراء وغيرهم من خيم وشبهها فازالها ايضا ورتب اوقافه للمستحقين وفتش على كتب الوقف التي كانت فيه فجمعها من المختلسين ورتبها وجلدها واتقنها كذا ذكره النعيمي في تحفة الطالب ورأيت فى احدى المجاميع مقالة معزوة لتاريخ ابن اسباط يقول بها وفي سنة ٩٢٢ حدثت الملك سيباي نفسه ان في القبة الغربية التي في صحن الجامع الاموي مال ففتحها فلم يجد بها الا اوراقا مكتوبة بالقلم الكوفي من القرآن العظيم وهي نسخ جزيلة فاخذ الناس بعض ذلك واعادوا الباقي قلت وقد صعدت اليها سنة ١٣٠٦ فوجدت بها قطعا من المصاحف الشريفة بالقلم الكوفي موضوع بعضها فوق بعض ثم اخذت الى الاستانة كلها ولم يبق منها شيء ثم في ايامنا سنة ١٣١١ احترق الجامع ولم يبق فيه شيء من الاثار القديمة واعيد بنائه على الحالة الحاضرة اليوم جعله الله عامرا مدى الايام وقد بسطنا الكلام عليه باكثر من هذا في كتابنا الذي سميناه منادمة الاطلال ومسامرة الخيال فليراجعه من احب بسط الكلام .

شيء لايوجد في الدنيا ورضى عنه وامر له بجائزة ثم انهم طلبوا الرصاص في النوادي من العادية فانتهوا الى قبر من الحجارة في داخله قبر من رصاص فاخرجوا الميت الذي فيه فوضعوه فوق الارض فوقع رأسه في هوية من الارض فانقطع عنقه فسال من فيه دم فها لهم ذلك فسألوا عنه فكان فيمن سئالوا عنه عيادة بن نسي الكندي فقال لهم هذا القبر قبر طالوت الملك وقيل داود ابن سليمان وقالوا لما فرغ الوليد من بناء المسجد قال له بعض ولده اتتعب الناس في حليه كل سنة ويخرب سريعا فامر ان يسقف بالرصاص فطلب الرصاص في كل بلد فوصل اليه فبقي عليه موضع لم يجد له رصاصاً فكتب الى عماله يحرضهم في طلبه فكتب اليه بعض عماله انا قد وجدنا عند امرأة منه شيئا وقد ابت ان تبيعه الا بوزنه ذهبا فامر الوليد بشرائه بما قالت فلما رأت المرأة ذلك قالت هو هدية مني للجامع وكنت ظننت اولا ان صاحبكم يظلم الناس في بنائه ويأخذ اموالهم فلما رأيت الوفاء منكم علمت انه لم يظلم فيه احدا فكتب الى الوليد بذلك فامر ان يعمل في صفائحه لله ولم يدخل في جملة ما عمله فهو الى اليوم مكتوب عليه لله طبع بطابع على السقف ويذكر ان المرأة المذكورة كانت يهودية وانه كتب على الرصاص الذي اعطتهم الاسرائيلية وقالوا لما اراد الوليد البناء كان سليمان بن عبد الملك هو المقيم مع الصناع وقال بن المعلي وجدت في كتاب لبعض اهل دمشق ان قبة الرخام التي فيها فوارة الماء اقيمت في سنة تسع وستين وثلاثمائة وقال الحنائي انشئت الفوارة المنحدرة وسط جيرون سنة ست عشرة واربعمائة وجرت ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة سبع عشرة واربعمائة وامر بجر القصعة من ظاهر قصر حجاج الى جيرون واجرى مائها الشريف القاضي فخر الدولة ابو يعلي حمزة بن الحسن بن العباس جزاه الله على ذلك خيرا (١) .

---

(١) قال النعيمي في تحفة الطالب وارشاد الدارس وسقطت هذه الفوارة من جمال تحاكت بها في صفر ٤٥٧ ثم اعيدت كرة ثانية ثم سقطت في حريق اللبادين ثم عمرت وما عليها اه وهذا الحريق كان سنة ٥٦٢ فاحترق مع اللبادين بباب الساعات قاله الذهبي في مختصر تاريخه وفي سنة ٦٨١ جددت ابواب الجامع من ناحية باب البريد بالنحاس الاصفر وفي سنة ٦١١ كانت ارض الجامع حفرا وجورا فشرع في تبليطه وفي سنة ٦١٧ نصب محراب للحنابلة بالرواق الثالث ثم اخذ منهم سنة ٧٣٠ وعوضوا عنه بالمحراب الغربي عند باب الزيادة.

فخذه وإن يك خطأ فمنى قال الله عز وجل وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان فاستحسنه الوليد وكتب به الى ملك الروم فلم يجبه فانشأ الفرزدق يقول :

فرقت بين النصارى في كنائسهم والعابدين من الاسحار والعتم
وهم جميعا اذا صلوا واوجههم شتى اذا سجدوا لله والصنم
وكيف يجتمع الناقوس يضربه اهل الصليب له القراء لم تنم
فهمك الله تحويلا لبيعتهم عن مسجد فيه يتلي طيب الكلم
فهمت تحويلها عنه كفاهمها اذ يحكمان له في الحرث والغنم
داود والملك المهدى اذ جزآ ولادها واجتزاز الصوف بالجلم
والله ما من اب في الناس نعلمه خير بنين ولا خير من الحكم

وقال عبد الرحمن بن ابراهيم ان الوليد بنى كل ما كان داخل حيطان المسجد وزاد في سمك الحيطان وبنى قبة المسجد فلما استقلت وتمت وقعت فشق ذلك عليه فاتاه رجل من البنائين فقال له انا اتولى بنائها على ان تعطيني عهد الله ان لا يدخل معي احد في بنائها ففعل ذلك فحفر موضع الاركان حتى بلغ الماء ثم بناها فلما استقلت على وجه الارض غطاها بالحصر وهرب عن الوليد فاقام يطلبه فلا يقدر عليه فلما كان بعد سنة لم يعلم الوليد الا وهو على بابه فقال ما دعاك الى ما صنعت قال تخرج معي حتى أريك فخرج الوليد والناس معه حتى كشف الحصر فوجد البنيان قد انحط حتى صار مع وجه الارض ثم قال من هذا كنت تؤتى ثم بناها ببنائها الذي بنيت عليه حتى قامت وقال الغساني رأيت قبة مسجد دمشق وقد حفر لاركانها حتى بلغ الحفر الى الماء والقى على الماء جفان الكرم وبنى الاساس عليه وقال ابو مسهر ان جده شرب من اركان القبة ماء وقال ابراهيم بن ابي حوشب ان الوليد بعث يوما الى جدي عند الفراغ من القبة الكبيرة ولم يبق منها الا عقد رأسها فقال له اني عزمت على ان اعقدها بالذهب فقال له يا امير المؤمنين هل اختلطت أهذا شيء تقدر عليه فقال له يا ناصر تقول لي هذا فامر به فشق عنه وضربه خمسين سوطا ثم قال اذهب فافعل ما امرت به قال فذكر لي انه عمل لبنة من ذهب فحملها اليه فلما نظر اليه وعرف ما فيها وما تحتاج القبة الى مثلها قال هذا

فيه اخبار الاوائل ان هذه الدار المعروفة بالخضراء مع الدار المعروفة بالكبق مع الدار المعروفة بدار الخيل مع المسجد الجامع اقاموا وقت بنائها يأخذون لها الطالع ثماني عشرة سنة وقد حفروا اساس الحيطان حتى وافاهم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان اللذان ارادوا ان المسجد اذا بنى فيهما لا يخرب ابدا ولا يخلو من العبادة وان هذه الدار اذا بنيت لا تخلو من ان تكون دار الملك والسلطنة والضرب والحبس وعذاب الناس والقتل ومأوى الجند والعساكر والبلاء والفتنة فبنوا على هذا والله اعلم (١) وكانت في ذلك الزمان كلها دارا واحدة وقال مروان بن عبد الملك اراد الوليد بناء مسجد دمشق احتاج الى صناع كثيرة فكتب الى الطاغية ان وجه الي بمائة صانع من صناع الروم فاني أريد ان ابني مسجدا لم يبن من مضى قبلي ولا يكون بعدي مثله فان انت لم تفعل غزوتك بالجيوش وخربت الكنائس التي في بلدي وكنيسة بيت المقدس وكنيسة الرها وسائر آثار الروم فاراد الطاغية ان يغضه عن بنائه ويضعف عزمه فكتب اليه والله لئن كان ابوك فهمها فاغفل عنها فانها لوصمة عليه ولئن كنت فهمتها وغابت عن ابيك فانها لوصمة عليك وانا موجه لك بما سئالت فاراد ان يعمل له جوابا فجلس له عقلاء الرجال في حظيرة المسجد يفكرون في ذلك فدخل عليهم الفرزدق فقال ما بال الناس اراهم مجتمعين حلقا حلقا فقيل له السبب كيت وكيت فقال انا اجيبه من كتاب الله قال الله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فسرى عنهم وقال سعيد بن العاص لما هدم الوليد كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم انك هدمت الكنيسة التي رأى ابوك تركها فان كان حقا فقد خالفت اباك وان كان باطلا فقد اخطأ ابوك فلم يدر ما يجيبه به فكتب الى الكوفة والبصرة وسائر البلدان ان يجيبوه فلم يجبه احد فوثب الفرزدق فقال انا ابو فراس اصلح الله الامير قد رأيت رأيا فان يك حقا

---

(١) هذه الحكاية ما اشبهها بقصص الخرافات لان المسجد قد خرب مرارا وعمر ودار الخضراء قد خربت من ازمان متقادمة وخلا منها الملك والسلطنة ودار الكبق درست اطلالها ومحيت معالمها ودار الخيل هي الخان الممتد من امام مدرسة عبد الله باشا من الجانب الشمالي الى آخر سوق السلاح ومن عهد قديم لم يدخلها خيل ولا سلاح فاين ما زعمه ذلك المؤرخ وما فن احكام النجوم الذي استند عليه فقد اقمنا الادلة القاطعة على ابطاله فى شرحنا على رسالة الفارابي وادرجناه في جريدة الشام تباعا فتنبه .

احد الا جن فقام يزيد بن تيمم فجمعوجوه اهل البلد وامر ان يتخذ له فاس صغيرة فاتخذوها فخرج الوليد ومعه وجوه اهل البلد حتى ملاؤا الكنيسة ثم التفت الى يزيد فقال له اين الفاس فاتاه به فقال له ان هؤلاء يزعموون ان أول من يهدمها يجن وانا أول من يجن في الله تعالى فأخذ برقة قبائه ووضعها في منطقته ثم اخذ الفأس فضرب به ضربات ثم ناوله يزيد بن تميم فضرب به بعده ثم ناوله ابا نائل رياحا الغساني فضرب به وكان على الشرطة وتناوله كل من حضر ولم يجدوا من ذلك بدأ اذ فعله امير المؤمنين وصاح النصارى وعلى النوح وولولوا فالتفت الى زيد بن تميم وكان على الخراج وقال ابعث الى اليهود حتى يأتوا على هدمها ففعل فجاء اليهود فهدموها وقال المغيرة بن عبد الملك دخلت يوما على الوليد فوجدته مغموما فقلت له يا امير المؤمنين ما شأنك فاعرض عني ثم عاودني فاعدت سوآلي فقال يا مغيرة ان المسلمين قد كثروا وقد ضاق بهم المسجد وقد بعثت الى هؤلاء النصارى اصحاب هذه الكنيسة لندخلها في المسجد فابوا علينا وقد اقطعتهم قطائع كثيرة وبذلت لهم مالا فامتنعوا فقال له المغيرة يا امير المؤمنين لاتغتم قد دخل خالد من الباب الشرقي عنوة بالسيف وباب الجابية دخل منه ابو عبيدة بالامان فنماسحهم لنعلم الى أي موضع بلغ السيف فأن يكن لنا فيه حق اخذناه وان لم يكن لنا فيه حق داريناهم حتى نأخذ باقي الكنيسة فندخله في المسجد فقال له فرجت عني فتول انت هذا فتولاه فلما انتهى من امر المساحة وجد ان باقي الكنيسة قد دخل في المسجد فبعث اليهم فقال لهم هذا حق قد جعله الله لنا لنصلي فيه فقالوا له ياامير المؤمنين لقد اقطعتنا اربع كنائس وبذلت لنا من المال كذا وكذا فان رأيت ان تتفضل به علينا فافعل فامتنع عليهم حتى سئالوه وطلبوا اليه فاعطاهم كنيسة حميد بن درة وكنيسة اخرى بجنب سوق الجبن وكنيسة مريم وكنيسة الصليبية ثم ان الوليد بعث الى المسلمين فاجتمعوا في مقدم الكنيسة واجتمع النصارى فقال بعض القسوس للوليد اني اخاف عليك من الشاهد يا امير المؤمنين فقال له ويلك سأضع فاسي في رأس الشاهد ثم ساق القصة على نحو ما تقدم .

باب ما ذكر في بناء المسجد الجامع واختيار بانيه موضعه على سائر المواضع

قال ابو الحسن محمد بن عبد الله الرازي قرأت في هذا الكتاب الذي

فيه اليوم وقال محمد بن هارون بن نصر سمعت مشايخنا يقولون ان معاوية بن ابي سفيان كان يخرج الى الصلاة من الموضع الذي يصلى فيه الغرباء عند باب جيرون من عند الزجاجة الخضراء فجعلت الزجاجة علامة لما سد الباب من شرقي المسجد وكان هدم الكنيسة في اول خلافة الوليد سنة ست وثمانين وكان الشروع في البناء سنة سبع وثمانين فاقاموا في بنائه سبع سنين فمات الوليد ولم يتم فاتمه هشام من بعده كذا قيل والصواب ان الذي اتمه سليمان وروى الغساني عن جده انه قال لما اهتم الوليد بن عبد الملك بكنيسة ماريوحنا ليهدمها ويزيدها في المسجد دخل الكنيسة ثم صعد المنارة ذات الاضالع المعروفة بالساعات وكان بها راهب يأوى الى صومعة له بها فاحدره من الصومعة فاكثر الراهب كلامه فلم تزل يد الوليد في قفاه حتى احدره من المنارة ثم هم بهدم الكنيسة فقال له جماعة من النصارى البنائين نحن لانجسر على ان نبدأ بهدمها يا امير المؤمنين نخشى ان نجن او يصيبنا شيء فقال الوليد تحذرون وتخافون ياغلام هات المعول ثم اتى بسلم فنصبه على محراب المذبح وصعد فضرب المذبح حتى اثر فيه اثرا كبيراً ثم صعد المسلمون فهدموه واعطاهم الوليد مكان الكنيسة التي في المسجد الكنيسة التي تعرف بحمام القاسم بحذاء دار أم البنين في الفراديس فهي تسمى ماريوحنا مكان هذه التي في المسجد وقال على ابن ابي جملة ان الوليد لما اراد هدم الكنيسة واضافتها للمسجد قال له النصارى كنيستنا لاتهدمها فقال لهم نعطيكم موضع الكنيسة حيث شئتم وان شئتم اعطيناكم ثمنها واضعف لكم في الثمن وافع ذلك فابوا وقالوا لا نبيع ولا نأذن في هدمها ولنا ذمة وعهد الله قال فاني اتركها واهدم كنيسة توما وابني المسجد فيها لانها لم تكن في العهد فلما رأوا ذلك قالوا انا نتركها لكم وتدعوا لنا كنيستنا ثم كان الوليد اول من ضرب فاسا في هدمها ثم اراد ان يبني المسجد اسطوانات الى الكوى يعني الطاقات فدخل بعض البنائين فقال لا ينبغي ان يبنى هكذا ولكن ينبغي ان يبنى فيه قناطر ويعقد بعضها الى بعض ثم تجعل اساطين ويجعل لها عمد ويجعل فوق العمد قناطر تحمل السقف ويخف عن العمد البناء ويجعل بين كل عمودين ركن فبنى كذلك وزاد من ناحية شرق المسجد المقصورة كلها من كنيستهم وقال عبد الرحمن بن عامر اليحصبي في حديثه عن الوليد حين هدم الكنيسة لما عزم الوليد على الهدم قال له النصارى لا يهدمها

موضع ويقال ان الرخام كله معجون والدليل عليه ان الرخامة لو وضعت على النار ذابت وقال ابراهيم بن ابي الليث الكاتب وكان قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة في رسالة له . ثم امرنا بالانتقال الى البلد فانتقلت منه الى بلد تمت محاسنه ووافق ظاهره باطنه ازقته ارجه وشوارعه فرجه بحيث اينما مشيت شممت طيباً واين سعيت رايت منظراً عجيباً وافضيت الى جامعه فشاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف ان يصفه ولا الرائي ان يعرفه وجملته انه بكر الدهر ونادرة الوقت واعجوبة الزمان وغريبة الاوقات ولقد ابقى بنو امية به ذكراً لا يدرس وخلفت اثراً لا يخفى .

« باب ما ذكر من الامر الشائع الزائع من هدم الوليد بقية الكنيسة وادخاله اياها الى الجامع »

يروى عن كعب في قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم انه قال اذا هدمت كنيسة فبنيت مسجدا فظهر لبس القصب فحينئذ تأويل هذه الآية (١) انتهى وقصة البناء على ما اتصل بنا ان موضع مسجد دمشق كان كنيسة من كنائس العجم فلما كان فتح دمشق كان المسلمون يصلون في ناحية منها والنصارى في ناحية عنها فلم يزالوا كذلك حتى ولى الوليد بن عبد الملك فلما ولى بعث الى النصارى وقال لهم اعطونا نصف الكنيسة الذي بايديكم ونحن نبني لكم كنيسة حيث شئتم من دمشق فابوا عليه فقال لهم ائتونا بالعهد فاتوه به فقال لهم قد رضيتم به فانا اسجل البعض عليكم فنظروا فاذا كنيسة كذا وكنيسة كذا وكنيسة كذا فرضوا بان اعطوا الكنيسة وكف عن كنائسهم وقال هشام بن عمار ان الوليد قال لهم لما اتوه بالعهد انا اخذنا كنيسة توما عنوة والكنيسة الداخلة صلحا فانا اهدم كنيسة توما وكانت اكبر من هذه الداخلة فرضوا بهدم الكنيسة الداخلة يعني نصف الكنيسة الذي كان بايديهم فهدمها وادخلها في المسجد وكان بابها قبلة المسجد موضع المحراب الذي يصلى

(١) اقول تأويل هذه الآية على هذا الوجه مما يحتمله لفظها ولا يدل شيء على تقيدها بهذا الذي قيده بها كعب وفي الاحاديث الواردة في تأويلها ما ينفي هذا من اصله .

وصلاته في المسجد الاقصى بخمسين الف صلاة وصلاته في المسجد الحرام بمائة الف كذا قال واسقط الراوي ذكر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ابن عدي وزاد وصلاته في مسجدي بخمسين الفاً (١) وقال سفيان الثوري صلاة في مسجد دمشق بثلاثين الف صلاة وقد ورد في هذا المعنى آثار كثيرة الله اعلم بصحتها وقال ابن ثوبان ينبغي ان لا يكون احد اشوق الى الجنة من اهل دمشق لما يرون من حسن مسجدهم وقال ابراهيم بن هشام بن ملامس لما قدم المهدي يريد بيت المقدس دخل مسجد دمشق ومعه ابو عبيد الله الاشعري كاتبه فقال يا ابا عبيد الله سبقنا بنو امية بثلاث قال وما هن يا امير المؤمنين قال بهذا البيت يعني المسجد لا اعلم على ظهر الارض مثله ابداً ثم اتى بيت المقدس فدخل الصخرة فقال يا ابا عبيد الله وهذه رابعة ولما دخل المأمون مسجد دمشق ومعه ابو اسحق المقصم ويحيى بن اكثم قال ما اعجب ما في هذا المسجد فقال له ابو اسحق ذهبه وبقاؤه فانا نموه به في قصورنا فلا يمضي به العشرون سنة حتى يتغير فقال ما ذاك اعجبني منه فقال يحيى بن اكثم تأليف رخامه فاني رأيت فيه عقداً ما رأيت مثلها قال ما ذاك اعجبني فقالا له ما الذي اعجبك فقال بنيانه على غير مثال متقدم وقال الحسن الخوارزمي قال المأمون لقاسم النمام اختر لي اسماً حسناً اسمي به جاريتي هذه قال سمها مسجد دمشق فانه احسن شيء وكان الشافعي يقول عجائب الدنيا خمسة اشياء احدها منارة ذي القرنين والثاني اصحاب الرقيم الذين هم بالروم اثنا عشر رجلا او ثلاثة عشر رجلا والثالث مرآة ببلاد الاندلس معلقة على باب مدينتها الكبيرة فاذا غاب الرجل من بلادهم على مسافة مائة فرسخ في مائة فرسخ وجاء اهله الى تلك المرآة فقعدوا تحتها ونظروا اليها رأوا صاحبهم بمسافة مائة فرسخ والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الانفاق عليه والخامس الرخام والفسيفساء فانه لا يدرى لهما

---

(١) ورواه ابن ماجه مع الزيادة التي زادها ابن عدى وقال في الزوائد اسناده ضعيف لان فيه ابا الخطاب الدمشقي وهو لا يعرف حاله وفيه رزيق وقد تكلم فيه علماء الجرح والتعديل وقال ابو زرعة لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات وفي الضعفاء وقال ينفرد باشياء حديثه لا يشبه حديث الاثبات لا يجوز الاحتجاج به الا عند الوفاق اهو ابو الخطاب هذا لم يرو عنه احد من اصحاب الكتب الستة الا ابن ماجة وبالجملة فالحديث ضعيف وقوله بجمع بتشديد الميم معناه يصلي فيه جماعة .

ولما امر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائطه القبلي لوحاً من حجر فيه كتاب نقش فأتوا به الى الوليد فبعث الى الروم فلم يستخرجوه ثم بعث الى العبرانيين فلم يستخرجوه ثم بعث الى من كان بدمشق من بقية الاشنان فلم يستخرجوه فدل على وهب بن منبه فبعث اليه فلما قدم عليه اخبره بموضع ذلك اللوح فوجدوه في ذلك الحائط ويقال ان ذلك الحائط بناء هود عليه السلام فلما نظر اليه وهب حرك راسه وقراه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من اجلك لزهدت في طويل ما ترجو من املك وانما تلقى ندمك اذا زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعى فلا تجيب فلا انت الى اهلك عائد ولا في عملك زائد فأعمل لنفسك قبل يوم القيامة وقبل الحسرة والندامة وقبل ان يحل بك اجلك وتنزع منك روحك فلا ينفعك مال جمعته ولا ولد ولدته ولا اخ تركته ثم تصير الى برزخ الثرى ومجاورة الموتى فاغتنم الحياة قبل الموت والقوة قبل الضعف والصحة قبل السقم قبل ان يؤخذ بالكظم ويحال بينك وبين العمل وكتب في زمان سليمان بن داود عليهما السلام وقال زيد بن واقد وكلني الوليد على العمال في بناء جامع دمشق فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد ذلك فلما كان الليل وافا وبين يديه الشمع فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة اذرع بثلاثة اذرع واذا فيها صندوق ففتح الصندوق فاذا فيه سفط وفي السفط رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام مكتوب عليه هذا رأس يحيى فأمر به الوليد فرد الى مكانه وقال اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الاعمدة فجعل عليه عمود مشبك سبط الرأس وقال ايضاً رأيت رأس يحيى بن زكريا حين ارادوا بناء مسجد دمشق اخرج من تحت ركن من اركان القبة وكانت البشرة والشعر على رأسه لم يتغيرا وقال الوليد بن مسلم ان الرأس الشريف تحت العمود المسفط الرابع من الركن الشرقي وقال محمد بن شعيب دخلت مع شداد بن عبد الله الى المسجد فقال لي أترى ما هنا من الكتابة الرومية قلت نعم قال فصل ركعتين فان ههنا رأس يحيى بن زكريا وقال الاوزاعي بلغنا انه في العمود الرابع المسفط واخرج حميد بن زنجويه بسنده الى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة وصلاته في المسجد الذي يجمع به بخمسمائة صلاة

غداً فيرجعون وهو اشـد ما كان فاذا انتهت مدتهم واراد الله تعالى ان يبعثهم على النـاس قالوا نرجع اليه غداً ان شـاء الله فيرجعون اليـه فيجدونه كهيئة ما تركوه فيحفرونه ويخرجون فيفر النـاس منهم الى حصونهم ويقال انهم يرمون في السماء سهماً فيرجع اليهم كأن فيه دماً فيقولون ظهرنا على الارض وقهرنا اهل السماء فيبعث الله عليهم النغف في اقفـائهم فيقتلهم وترسل السماء الماء فتحمل اجسادهم فتقذفها في البحر وقد ذكر الله تعالى يأجوج ومأجوج في القرآن فقال حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واما صفتهم وعددهم فليس في كتاب الله فيه شيء والله اعلم بأمرهم وبأحوالهم وبما هو المراد منهم وانمـا ذكرنا هذه النبذة تبعـاً للحافظ في الاصـل ونحن نكل حقيقتها وحقيقة ما قبلها الى السميع العليم علام الغيوب .

« باب ذكر شرف المسجد الجامع بدمشق وفضله وقول من قال » انه لا يوجد في الاقطـار مثله

قال يزيد بن ميسرة اربعة اجبل مقدسـة طور زيتا وطور سـينا وطور تينا وطور تينانا فالأول بيت المقدس والثاني طور موسى والثالث مسجد دمشق والرابع مكة وقال قتادة اقسم الله بمساجد اربعة فقال والتين وهو مسجد دمشق والزيتون وهو مسجد بيت المقدس وطور سينين وهو حيث كلم الله تعالى موسى والبلد الامين وهو مكة ويقـال ان قوماً ادركوا في جامع دمشق شجراً من التين قبل ان يبنيه الوليد وقال عبد الرحمن بن ابي المهاجر كان خارج باب السـاعات من الجامع الاموي صخرة يوضع عليهـا القربان فما تقبل منه جـاءت نار فـأخذته وما لم يتقبل بقي على حـاله وقال القـاسم بن عبد الرحمن اوحى الله الى جبل قاسـيون ان هب ظلك وبركتك لجبل بيت المقـدس ففعـل فأوحى الله اليـه اما اذ فعلت فاني سـأبني لي في حضنك بيتـاً اعبد فيه بعـد خراب الدنيـا اربعـين عامـاً ولا تذهب الايـام والليـالي حتى ارد عليك بركتك قال فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع ويقال ان حيطـان مسجد دمشق الاربعة من بنـاء هود عليه السـلام وما كان الفسيفسـاء فيه الى فوق فهو من بنـاء الوليد بن عبد الملك

لا يزال على ذلك حتى يقدم الكوفة فيظهر عليهم ورواه ابو بكر الخطيب وزاد حتى يقدم الكوفة فيظهر دين الله ويعمل به ويحث الناس عليه ويقول بعد اني نبي فيفزع لذلك كل ذي لب فيفارقه ,ويمكث بعد ذلك ثم يقول انا الله فتطمس عينه اليمنى وتصمع اذنه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على مسلم ويفارقه كل احد في قلبه مثقال ذرة من خردل من ايمان فيفارقه ويكون اصحابه وجنوده هذه اليهود والنصارى والمجوس واعاجم المشركين ثم يدعو برجل فيما يرون فيؤمر به فيقتل ثم يقطع عظامه كل عظمة على حدة ويفرق بينهما حتى اذا رأى الناس ذلك جمعها ثم يضربه بعصا فاذا هو قائم ويقول انا احيي واميت وذلك سحر يسحر به الناس وليس يصنع من ذلك شيئاً .وروى الامام احمد عن سمرة بن جندب ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الدجال خارج .وهو اعور العين الشمال عليها ظفرة غليظة وانه يبريء الاكمه والابرص ويحيي الموتى ويقول للناس انا ربكم فمن قال انت ربي فقد فتن ومن قال ربي الله حتى يموت فقد عصم من فتنته ولا فتنة عليه ولا عذاب فيلبث في الارض ما شاء الله ثم يجيء عيسى بن مريم من قبل المغرب مصدقاً بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملته فيقتل الدجال ثم انما هي قيام الساعة وعن مجمع بن حارثة مرفوعاً يقتل الدجال بين باب لد لسبعة عشر ذراعاً واللد بالرملة بأرض الشام قال الحافظ وهذا باب كبير ويأتي فيه حديث كثير اقتصرت منه على اليسير طلباً للتخفيف والتيسير .

((باب مختصر في ذكر ياجوج وماجوج))

يروى في بعض الآثار ان يأجوج ومأجوج اربعمائة امة كل امة اربعمائة الف امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى الف ذكر بين يديه من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم ثلاثة اصناف صنف منهم مثل الارز وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش اذنه ويتلحف بالاخرى لايمرون بشيء من البهائم الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية ويروى انهم يحفرون السد كل يوم حتى يكادوا يرون شعاع الشمس فيقولون نرجع اليه

ثم يتولى الدجال قبل الشام حتى يأتي بعض جبال الشام فيحاصرهم الدجال نازلا بأصله حتى اذا طال عليهم البلاء قال رجل من المسلمين حتى متى انتم هكذا وعدو الله نازل بأصل جبلكم هذا هل انتم الا بين احدى الحسنيين بين ان يستشهدكم الله او يظهركم فيتبايعون على الموت بيعة يعلم الله انها الصدق من انفسهم ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر امرء فيها كفه فينزل ابن مريم فتخسر عن ابصارهم وبين ارجلهم وعليه لامة فيقولون من انت يا عبد الله فيقول انا عبد الله ورسوله وروحه وكلمته عيسى بن مريم اختاروا بين احد من ثلاث بين ان يبعث الله على الدجال وعلى جنوده عذاباً من السماء او يخسف بهم الارض او يسلط عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم عنكم فيقولون هذه يا رسول الله اشفى لصدورنا ولانفسنا فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الاكول الشروب لا تقل يده سيفه من الرعدة فينزلون اليهم فيسلطون عليهم ويذوب الدجال حين يرى ابن مريم كما يذوب الرصاص حتى يأتيه او يدركه عيسى فيقتله وروي عن اسماء بنت يزيد بن السكن قالت اتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه فذكر الدجال فقال ان قبل خروجه ثلاث سنين تمسك السماء يعني السنة الاولى ثلث قطرها وثلث نباتها والسنة الثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها والارض ما فيها حتى يهلك كل ذي ضرس وظلف ثم ساق نحواً مما تقدم من قوله للرجل أرأيت من احييت اباك وامك تؤمن بي وعن سفينة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن نبي قبلي الا وحذر امته الدجال انه اعور عينه اليسرى بعينه اليمنى ظفرة غليظة عليها مكتوب بين عينيه كافر معه واديان احدهما جنة والآخر نار معه ملكان يشبهان نبيين من الانبياء لو شئت سميتهما بأسمائهما واسماء آبائهما احدهما عن يمينه والآخر عن شماله فيقول الدجال الست بربكم احيي واميت فيقول احد الملكين كذبت فلا يسمعه احد من الناس الا صاحبه فيقول له صاحبه صدقت فيسمعه الناس فيظنون انه صدق ثم يسير حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيها فيقول هذه قرية ذلك الرجل ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عند عقبة افيق وروى ابن منده عن عبد الله بن معتمر مرفوعاً ان الدجال ليس به خفاً يجيء من قبل المشرق فيدعو لنفسه فيتبع ويقاتل ناساً فيظهر عليهم

بعصاه فيقول له قم فيقوم فيقول لاصحابه كيف ترون الست بربكم فيشهدون له بالشرك فيقول المذبوح يا ايها الناس ها ان هذا المسيح الدجال الذي انذرناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زادني هذا فيك الا بصيرة فيعود فيذبحه الثالثة ويضربه بعصاه فيقول له قم فيقوم ويقول مثل مقالته الاولى والثانية ثم يعود فيذبحه الرابعة فيضرب الله على حلقه بصفيحة من نحاس فلا يستطيع ذبحه قال ابو سعيد فلا والله ما دريت ما النحاس او ما رأيت النحاس الا يومئذ قال فيغرس الناس بعد ذلك ويزرعون (١) واخرج ايضاً بسنده الى عثمان ابن ابي العاص انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون للمسلمين ثلاثة امصار مصر بملتقى البحرين ومصر بالجزيرة ومصر بالشام فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال في اعراض الناس فيهزمون من قبل الشرق فأول مصر يرده المصر الذي بملتقى البحرين فيصير اهله ثلاث فرق فرقة تنزل الشام وتنظر ما هو وفرقة تلحق بالاعراب وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ومعه سبعون الفاً عليهم التيجان واكثر تبعه اليهود والنساء حتى يأتي مصر الذي يليهم ثم يأتي الشام فينحاز المسلمون الى عقبة افيق فيبعث المسلمون بسرح لهم فيصاب سرحهم وتصيبهم مجاعة شديدة وجهد حتى ان احدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله فبينما هم كذلك اذ نادى مناد من الشجر يا ايها الناس اتاكم الغوث فيقول بعضهم لبعض ان هذا لصوت رجل شبعان فينزل عيسى عليه السلام الفجر فيقول له امير الناس تقدم يا روح الله فصل بنا فيقول انكم معشر هذه الامة امراء بعضكم على بعض فتقدم انت فصل بنا فيتقدم امير الناس فيصلي بهم فاذا انصرف اخذ حربته ثم ذهب نحو الدجال فاذا رآه ذاب كما يذوب الرصاص ويضع حربته بين ترقوته فيقتله فيهزم اصحابه فليس شيء يومئذ يجن (٢) منهم حتى الشجرة تقول يا مؤمن هذا كافر ويقول الحجر يا مؤمن هذا كافر وهذا الحديث اخرجه احمد بن حنبل في مسنده واخرج عبد الرزاق في مسنده عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال يأتي سباخ المدينة وهو محرم عليه ان يدخل نقابها فتنفض المدينة بأهلها نفضة او نفضتين وهي الزلزلة فيخرج اليه منها كل منافق ومنافقة

---

(١) رواه الحاكم ايضا بمعناه (٢) يجن يستر .

نظر الى عيسى عليه السلام ذاب كما يذوب الرصاص في النار وكما يذوب الملح في الماء ثم يخرج هارباً فيقول عيسى ان لي فيك ضربة لن تفوتني بها فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل يتوارى به يهودي الا انطق الله عز وجل ذلك الشيء فلا شجرة ولا حجر ولا دابة الا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فاقتله الا العرقدة (١) فانها من شجرهم لا تنطق قال الشيخ هو شوك يكون بناحية بيت المقدس قال ويكون عيسى في امتي حكماً عدلا واماماً مقسطاً فيقتل الخنزير ويدق الصليب ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير فترفع الشحناء والبغضاء والتباغض وتنزع حمة (٢) كل ذي دابة حتى تلقى الوليدة الاسد فلا يضرها ويكون الذئب في الغنم فلا يأكلها ويملأ الارض من السلم (٣) ويسلب الكفار ملكهم فلا يكون ملك الا للاسلام وتكون الارض كفاثور الفضة (٤) تنبت نباتها كما كانت على عهد آدم عليه السلام ويجتمع النفر على القطف فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة ويكون الثور بكذا كذا من المال وتكون الفرس بالدريهمات (٥) واخرج ابو يعلي الموصلي بسنده الى ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكن نبي الا انذر الدجال قومه واني انذركموه انه اعور ذو حدقة جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة في جنب جدار وعينه اليسرى كأنها كوكب دري ومعه مثل الجنة والنار فجنته غبراء ذات دخان وناره روضة خضراء وبين يديه رجلان ينذران اهل القرى كلما خرج من قرية دخل أوائلهم فيسلط على رجل لا يتسلط على غيره فيذبحه ثم يضربه بعصاه ثم يقول قم فيقوم فيقول لاصحابه كيف ترون ألست بربكم فيشهدون له بالشرك فيقول الرجل المذبوح يا إيها الناس ان هذا المسيح الدجال الذي انذرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما زادني هذا فيك الا بصيرة فيعود ايضاً فيذبحه ثم يضربه

---

(١) هي نوع من شجر العضاه (٢) الحمة بضم ففتح مخفف السم (٣) السلم بكسر السين وسكون اللام الصلح (٤) الفاثورة بالفاء والثاء المثلثة طست اوجام من فضة (٥) روا ابن ماجة وابن خزيمة والحاكم والضياء المقدسي وفي الفاظ ابن عساكر بعض تغيير عن الفاظ هؤلاء وفى اخر اختصار وقال ابن ماجة في اخره سمعت ابا الحسن الطنافسي يقول سمعت عبد الرحمن المحاربى يقول ينبغي ان يدفع هذا الحديث الى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب

فيبعثه الله فيقول له من ربك فيقول ربي الله عز وجل وانت عدو الله انت الدجال والله ما كنت بعد اشد بصيرة بك مني اليوم وان من فتنته ان يقول للاعرابي أرأيت ان بعثت لك امك اتشهد اني ربك فيقول نعم فيتمثل له الشيطان على صورة امه وان من فتنته ان يأمر السماء ان تمطر فتمطر ويأمر الارض ان تنبت فتنبت وان من فتنته ان يمر بالحي فيكذبوه فلا يبقى لهم سائمة الا هلكت ويمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء ان تمطر فتمطر ويأمر الارض ان تنبت فتنبت فتروح عليهم مواشيهم من يومهم هذا اعظم ما كانت واسمنه واعظمه وامده خواصروا دره ضروعاً وان (١) ايامه اربعون يوماً فيوم كالسنة ويوم دون ذلك ويوم كالشهر ويوم دون ذلك ويوم كالجمعة ويوم دون ذلك ويوم كالايام ويوم دون ذلك وآخر ايامه كالشرارة في الجريدة يضحى الرجل بباب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى تغرب الشمس قالوا يا رسول الله فكيف نصلي في تلك الايام القصار قال تقدرون في الايام القصار كما تقدرون في الايام الطوال ثم تصلوا وانه لا يبقى شيء من الارض الا وطئه وغلب عليه الا مكة والمدينة فانه لا يأتيهما من نقب من انقابهما الا لقيه ملك مصلت (٢) بالسيف فينزل عند الظريب الاحمر (٣) عند منقطع السبخة عند مجتمع السيول ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة الا خرج فتنفي المدينة يومئذ خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد فيدعى ذلك اليوم يوم الخلاص فقالت ام شريك بنت ابي العكر يا رسول الله فأين المسلمون قال ببيت المقدس وفي رواية قيل فأين العرب يومئذ قال هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس وامام المسلمين يومئذ رجل صالح فيقال له صل الصبح فاذا كبر ودخل في الصلاة نزل عيسى بن مريم فاذا رآه ذلك الرجل عرفه فيرجع يمشي القهقرى، يستقدم عيسى عليه السلام ورائه فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فانها لك اقيمت فيصلي بهم امامهم فاذا انصرف قال عيسى افتحوا الباب فيفتحوه وورائه الدجال ومعه يومئذ سبعون الف يهودي كلهم ذو سلاح وسيف محلى فاذا

---

(١) من هنا الى قوله كما تقدرون في الايام الطوال من زيادة ابن عساكر على رواية ابن ماجة وابن خزيمة الحاكم والضياء المقدسي (٢) مصلت مجرد (٣) الظريب بالتصغير والمكبر ظرب ككتف الجبل الصغير والسبخة الارض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت الا بعض الشجر .

الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفيام (١) من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ (٢) فبينما هم كذلك اذ بعث الله عز وجل عليهم ريحاً طيبة فتأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون (٣) كما تتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وفي رواية عن ابي امامة الباهلي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله يا ايها الناس انها لم تكن فتنة على وجه الارض منذ ذرأ الله ذرية آدم اعظم من فتنة الدجال وان الله لم يبعث نبياً الا حذر امته الدجال وأنا آخر الانبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة فان يخرج فيكم وأنا فيكم فأنا حجيج عن كل مسلم وان يخرج بعدي فكل مؤمن حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم وانه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يميناً ويعيث شمالا يا عباد الله فاثبتوا فاني سأصفه لكم صفة لم يصفها اياه نبي قبلي انه يبدأ فيقول انا نبي ولا نبي بعدي ثم يثني فيقول انا ربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا وانه أعور وان ربكم ليس بأعور وانه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب او غير كاتب فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه وان من فتنته ان معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلي بناره فليقرأ فواتح سورة الكهف وليستغث بالله تكن عليه برداً وسلاماً كما كانت على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان من فتنته ان معه شياطين تتمثل على صورة الناس فيأتي الاعرابي فيقول له أرأيت ان بعثت لك اباك وامك اتشهد اني ربك فيقول نعم فيتمثل له شيطانان على صورة ابيه وامه فيقولان له يا بني اتبعه فانه ربك وان من فتنته (٤) ان يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها وان تعود بعد ذلك ولن يصنع ذلك بنفس غيرها فيقول انظروا الى عبدي هذا فاني أبعثه الآن فيزعم ان له رباً غيري

---

(١) الرسل بكسر الراء وسكون السين اللبن والفئام بالهمز ككتاب الجماعة الكثيرة (٢) الفخذ دون القبيلة وفوق البطن (٣) يتهارجون أي يتشاجرون فلا شرع يردعهم ولاعلم يحجزهم ولا عقل يهديهم (٤) كذا هي الرواية في اصل ابن عساكر ولعل بها بعض تحريف ورواية ابن ماجة وان من فتنته ان يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقي شقتين ثم يقول انظروا الى عبدي هذا اهـ وهكذا رويناه في صحيح الحاكم .

ضربة فيقطعه جزلتين رمية الفرض (١) ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (٢) واضعاً كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ (٣) ولا يحل لكافر ان يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فينطلق حتى يدركه عند باب لد فيقتله ثم يأتي نبي الله عيسى قوماً قد عصمهم الله منه فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة قال فبينما هم كذلك إذ أوحى الله اليه يا عيسى اني قد اخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم (٤) فحرز عبادي الى الطور فيبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب (٥) ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ثم يمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذا ماء مرة ويحاصر نبي الله واصحابه حتى يكون رأس الثور فيهم خيراً لأحدهم من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله النغف(٦) في رقابهم فيصبحون فرسى(٧) كموت نفس واحدة فيهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الارض فلا يجدون موضع شبر الا وقد ملأه زهمهم (٨) ونتنهم ودمائهم فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل عليهم طيراً كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله عليهم مطراً لا يكن (٩) منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلقة (١٠) وقيل كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة فتشبعهم ويستظلون بقحفها(١١) ويبارك في

---

(١) جزلتين بكسر الجيم أي قطعتين وقوله رمية الغرض اراد به ان مابين القطعتين يكون بقدر رمى السهم الى الغرض وهو الهدف وقال معناه وصف الضربة أي تصيبه اصابة رمية الغرض (٢) أي بين حلتين مصبوغتين بالهرد وهو نبات يشبه الورس والزعفران وقد تقدم تفسيرهما في أول الكتاب (٣) الجمان العرق كما ورد في بعض الرويات واذا لم نفسره بهذا لا يصح تشبيهه باللؤلؤ (٤) أي لاقوة لاحد ولا طاقة له بقتالهم وقوله فحرز معناه اجمع وضم (٥) الحدب المرتفع من الارض ومعنى ينسلون يسرعون .

(٦) النغف بفتح النون والغين المعجمة دود يكن في انف الابل والغنم (٧) فرسى كقتلى لفظا ومعنى مأخوذ من فرس الذئب الشاة قتلها (٨) زهمهم بفتح اوله وثانيه ومعناه ريحهم المنتنة (٩) لايكن أي لايستر ولا يقي (١٠) الزلفة بفتحتين مصانع الماء وكذا الزلقة بالقاف (١١) العصابة الجماعة من الناس من العشرة الى الاربعين وقوله بقحفها بكسر القاف معناه بقشرها .

الكهف (١) ثم قال انه يخرج من خلة (٢) بين الشام والعراق فعاث (٣) يمين وعاث شمالا يا عباد الله اثبتوا (٤) قال قلنا يا رسول الله وما لبثه (٥) في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله ذلك اليوم الذي كسنه تكفينا فيه صلاة يوم قال فاقدروا له قدره (٦) قال قلنا يا رسول الله ما سرعته في الارض قال كالغيث استدبرته الريح قال فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء ان تمطر فتمطر ويأمر الارض ان تنبت فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعاً وامده خواصر (٧) قال ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله (٨) فينصرف عنهم وفي رواية فتتبعه اموالهم فيصبحون ممحلين (٩) ليس بأيديهم شيء ثم يمر بالخربة (١٠) فيقول لها اخرجي كنوزك فينطلق فتتبعه كنوزها كأنها يعاسيب النحل (١١) ثم يدعوا رجلاممتلأ شباباً فيضربه بالسيف

---

(١) فواتح سورة الكهف اوائلها وفي بعض الاحاديث فليقرأ اواخر سورة الكهف فالاولى الجمع بين قراءة اوليها واخرها وقراءتها كلها افضل واخرج الترمذي عن ابي الدرداء مرفوعا من قرأ ثلاث ايات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ورواه مسلم ولفظه من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم من الدجال ورواه ابو داود والنسائي وعندهما عصم من فتنة الدجال وهو كذا في بعض نسخ مسلم وفي رواية لمسلم وابي داود من آخر سورة الكهف وفي رواية للنسائي من قرأ العشر الاواخر من سورة الكهف (٢) خلة بفتح الخاء المعجمة وهي الطريق قال القرطبي قد جاء انه يخرج من خراسان ومن اسبهان ووجه الجمع ان مبدأ خروجه من خراسان من ناحية اصبهان ثم يخرج الى الحجاز فيما بين العراق والشام (٣) عاث من العيث اهو اشد الفساد (٤) معناه اثبتوا على الاسلام واحذروا فتنته فلا يهولنكم امره وعليكم بالثبات شأن الرجال الذين يدافعون عن الحق (٥) بفتح اللام وتضم أي مقدار مكثه (٦) أي اقدروا لليوم لاداء ما فيه من الصلوات الخمس قدر يوم واحد وحدوا ذلك القدر فصلوا في ذلك المقدار خمس صلوات والى هذا ذهب كثير من العلماء فاوجب صلاة العشاء على اهل البلاد التي يطلع فيها الفجر قبل مغيب الشفق كبلاد بلغار وما والاها وذهب بعضهم الى ان اهل تلك لاتجب عليهم صلاة لان الوقت هو سبب الوجود ويلزم من فقد السبب فقد المسبب والمسألة لها مباحث طويلة افردت بالتأليف (٧) تروح أي ترجع آخر النهار سارحتهم أي ماشيتهم اطول ما كانت ذرى بضم الذال المعجمة جمع ذروة بضم اوله او كسره وهو اعلى سنام البعير واسبغه أي املاء ضروعا وامده من الامتداد وهو كناية عن الشبع (٨) يردون من الرد ومعناه يكذبونه (٩) من المحل وهو الجدب (١٠) الخربة بفتح فكسر ارض الخراب (١١) اليعسوب كبير النحل ومن عادتها انها تتبعه فتسير معه حيثما سار .

وقال ابو هريرة يـا اهل الشام ليخرجنكم الروم منها كفراً كفراً حتى تلحقوا بشـنبك من الارض قيل وما ذاك الشـنبك قال طسم وجذام وليسيرن الروم على كواديها متعلقي جعابها بين بارق ولعلع وعن الضحاك بن مزاحم انه قال هلاك دمشـق نزول السفياني بين اظهركم ثم الروم وقال خالد بن معدان يهزم السـفياني الجماعة مرتين ثم يهلك وسمعته يقول لا يخرج المهدي حتى يخسف بقرية يقال لها حرستا .

باب ذكر بعض اخبار الدجال وما يكون عند خروجه من الاهوال

قال النواس ابن سمعان الكلابي (١) ذكر رسـول الله صلى الله عليه وسلم الدجـال ذات غداة فخفض فيه ورفع (٢) حتى ظنناه في طائفة النخل (٣) فلما رحنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قال قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفني عليكم (٤) ان يخرج وانا فيـكم فانا حجيجة دونكم (٥) وان يخرج ولسـت فيكم فامرء حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط (٦) عينه طافئة كأني اشبهه بعبد العزي بن قطن(٧) فمن رآه منكم فليقرأ عليه فواتح سورةاصحابالكهف وفيرواية فليقرأ فاتحة الكتابوفواتح سورةاصحاب

---

(١) بفتح السين وتشديد الواو وسمعان بكسر السين وفتحها غير منصرف (٢) المشهور في الرواية تخفيف الفاء في خفض ورفع وروى تشديد الفاء فيهما على التضعيف والتكثير والمعنى انه بالغ في تقريبه واستعمل فيه كل فن من خفض ورفع (٣) حتى لغاية المبالغة في تقريبـه حتى ظن السامعون انه في طائفة أي في قطعة من نخل المدينة وهذا من بلاغته صلى الله عليه وسلم لان الامر العظيم المهم اذا خطب فيه الخطيب ينبغي لـه ان يهول امره ويعظمه ليعظم احتراس السامعين منه (٤) اخوف اسم تفضيل المبنى للمفعول واصله اخوف مخوفاتي عليكم ثم جذف المضاف الى الياء فانصل بها اخوف لكن جيء بالنون بينهما تشبيها بالفعل (٥) كلمة ان شرطية تفيد عدم الجزم بمعنى ما بعدها وفائدتهـا هنـا ارادة اعلام الناس بقرب خروجه والحجيج الغالب بحجته وبرهانه على خصمه ولقوله فامرء من باب عموم النكرة في الاثبات فلهذا صح وقوعه مبتدأ مع كونه نكرة (٦) قطط بفتحتين معناه شديد جعودة الشعر وقوله عينه طافئة قال ثعلب الطافية من العنب الحبة التي قد خرجت عن حد نبته اخواتها من الحب فظهرت من نبتها وارتفعت وقيل اراد به الحبة الطافية على وجه الماء شبه عينه بها ويروى طائمة ومعناه باقية في موضعها صحيحة وانما ذهب نظرها وابصارها والله اعلم أي المعنيين اصح الا انه باعتبار الرواية الاولى اصح (٧) بفتحتين وهو رجل كانت صورته على هذا النعت .

في قوله منعت العراق درهمها انهم يرجعون عن الطاعة وهذا هو الوجه الثاني والاول احسن وعن ابي هريرة ايضاً مرفوعاً لا تقوم الساعة حتى يغلب اهل القفيز على قفيزهم واهل المد على مدهم واهل الاردب على اردبهم واهل الدينار على دينارهم واهل الدرهم على درهمهم ويرجع الناس الى بلادهم (١) قال ابو عبيد معناه والله اعلم ان هذا كائن وانه سيمنع بعد في آخر الزمان فاسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدرهم والقفيز كما فعل عمر بأهل السواد فهو عندي اثبت وفي تأويل قول عمر ايضاً حين وضع الخراج ووظفه على اهله ومن المعلوم انه جعله عاماً على كل من لزمته المساحة وصارت الارض في يده من رجل او امرأة او صبي او مكاتب او عبد فصاروا متساويين فيها لم يستثن احد دون احد ومما يبين ذلك قول عمر في دهقانة شهرا الملك حين اسلمت فقال دعوها في ارضها تؤدي عنها الخراج فأوجب عليها ما اوجب على الرجال وفي تأويل حديث عمر من العلم ايضاً انه انما جعل الخراج على الارضين التي تغل من ذوات الحب والثمار والتي تصلح للغلة من العام والعامين وعطل منها المساكن والدور التي هي منازلهم فلم يجعل عليهم فيها شيئاً وعن ابي نضرة انه قال كنا عند جابر بن عبد الله فقال يوشك اهل العراق ان لا يجبى اليهم دينار ولا مد قلنا من اين ذاك قال من قبل الروم رواه احمد وفي رواية ثم سكت هنيهة ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان خليفة يحثى المال حثياً لا يعده عداً قال الجريري فقلت لابي نضرة انه عمر بن عبد العزيز قال لا أخرجه مسلم وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفس محمد بيده ما خرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيراً منه او مثله ثم ساق الحديث نحواً مما تقدم وقال خالد لا يذهب الليل والنهار حتى تطرد الروم اهل الشام فيموت منهم ناس كثير من العيال بالفلاة جوعاً وعطشاً قال الامام احمد وخالد هذا اظنه ابن ابي الصلت وقال ابو الدرداء ليخرجنكم الروم من الشام كفراً كفراً حتى يردونكم البلقاء كذلكم الدنيا تميد وتفنى والآخرة تدوم وتبقى

---

(١) لم اجد من خرجه في كتب الحديث المعتبرة الا ابن عساكر وقد كشفت عنه في الجامع الكبير للسيوطي فرأيته لم يخرجه الا عن ابن عساكر وهو حديث ضعيف الاسناد .

ظهورهم واثخانهم في اعدائهم فعسكروا في مرج بردا ما بين المزة وبين مرج شعبان وكان هناك مروج مباحة فيما بين اهل دمشق وقراها ليست لاحد منهم فأقاموا بها حتى اوطأ الله المشركين ذلا وقهراً فاحيا كل قوم محلتهم ورفعوا ذلك الى عمر بن الخطاب فأمضاه لهم فبنوا الدور ونصبوا الشجر ثم امضاه عثمان ومن بعده الى ولاية امير المؤمنين فقال قد امضيناه لاهله . واما الصوافي التي استصفيت عن بني امية فقال همام بن مسلم سئل مالك بن انس عن دار من دور الصوافي أسكنها فقال ما ادري وسألت ابن ابي ذئب فقال ما ادري وسئل عباد بن كثير فقال في هذا ما فيه وسئل سفيان الثوري فقال لا تنزلها فقال له السائل فان ابى في صافية ويأبى ان يخرج منها فقال سفيان فارق اباك قيل فان كان فيها مسجد قال فلا تصل فيه قال فان كان فيها مريض قال فلا تعده قال فان كنت اعرف اهلها اشتريها منهم قال نعم وقال ايضاً ان كانت الصوافي لبني امية حلالا فهي على بني هاشم حرام وان كانت على بني امية حراماً فهي على بني هاشم أحرم وأحرم .

باب بعض ما ورد من الملاحم والفتن مما له تعلق بدمشق في غابر الزمن

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر اردبها وديناها وعدتم من حيث بدأتم قالها ثلاثاً قال ابو عبيد الهروي في هذا الحديث قد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما لم يكن وهو في علم الله كائن فخرج لفظه على لفظ الماضي لانه ماض في علم الله عز وجل وفي اعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على اثبات نبوته ودل على رضائه من عمر بما وظفه على الكفرة من الجزية في الامصار وفي تفسير المنع وجهان احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم علم انهم سيسلمون ويسقط عنهم ما وظف عليهم باسلامهم فصاروا ما نعين باسلامهم ما وظف عليهم والدليل على ذلك قوله في الحديث وعدتم من حيث بدأتم لان بدأهم في علم الله وفيما قدر وقضى انهم سيسلمون فعادوا من حيث بدأوا وقيل

عنهما ومعاوية وعبد الملك والوليد وسليمان فلم يردها على ماكانت عليه صافية ولم يجعلهاخراجا وامضاها لاهلها تؤدى العشر قالوا واعرض عمر عن تلك الاشرية فاذن لاهلها فيها لاختلاط الامور فيها لما وقع بها من المواريث ومهور النساء وقضاء الديون فلم يقدر على تخليصه ولاعلى معرفة ذلك قالوا واعرض عن تلك الاشرية التي اشتراها المسلمون فلم يغير منها شيئا وامضاها لاهلها ولمن كانت في يده كالقطائع وجعل عليها عشرا ولم يجعل عليها ولا على من صارت اليه بميراث او شراء جزية قالوا وكتب بذلك كتابا قرىء على الناس في ستة مائة واعلمهم انه لا جزية عليها وانها ارض عشر وكتب ان من اشترى شيئاً بعد سنة مائة فان بيعه مردود وسمى سنة مائة سنة المدة فسماها المسلمون بعده بذلك فأمضى ذلك في بقية ولايته ثم امضاه يزيد وهشام ابنا عبد الملك قالوا فتناهى عن شرائها بعد سنة مائة ثم اشتروها اشرية كثيرة كانت بيد اهلها يؤدون العشر ولا جزية عليها حتى افضى الامر الى ابي جعفر عبد الله بن محمد امير المؤمنين فرفعت اليه تلك الاشرية وانها تؤدى العشر ولا جزية عليها وان ذلك اضر بالخراج وكسره فأراد ردها الى اهلها فقيل له قد وقعت في المواريث والمهور واختلط امرها فبعث بالمعدلين الى كور الشام سنة اربعين او احدى واربعين يعني بعد المائة منهم عبد الله بن يزيد الى حمص واسماعيل بن عياش الى بعلبك في اشباه لهم فعدَّلوا تلك الاشرية على من اتصلت اليه بشراء او ميراث او مهر فعدَّلوا ما بقي بيد الانباط من بقية الارض على تعديل مسمى ولم تعدل الغوطة في تلك السنة وكان من كان بيده شيء من اهل الغوطة يؤدي العشر حتى بعث امير المؤمنين عبد الله ابن محمد هضابا بن طوق ومحرز بن زريق فعدَّلوا الاشرية وأمرهم ان لا يضعوا على شيء من القطائع القديمة ولا على الاشرية خراجاً وان يمضوها لاهلها شرية ويضعوا الخراج على ما بقي منها بأيدي الانباط .

قال سليمان بن عتبة سألني امير المؤمنين عبد الله بن محمد لما قدم الشام سنة ثلاث او اربع وخمسين ومائة عن سبب الارضين التي بأيدي ابناء الصحابة ويذكرون انها قطائع لآبائهم قديمة فقلت يا امير المؤمنين ان الله لما اظهر المسلمين على بلاد الشام وصالحوا اهل دمشق واهل حمص كرهوا ان يدخلوها دون ان يتم

بأرض الروم ومن قتل منها في تلك المعارك التي كانت بين المسلمين والروم فصارت تلك المزارع والقرى صافية للمسلمين موقوفة يقبلها والى المسلمين كما يقبل الرجل مزرعته قالوا فمنها اندركيسان يعني بدمشق وقبيس بالبلقاء وما على باب حمص من جيعانا وغيرها قالوا فلم تزل تلك المزارع موقوفة مقبلة تدخل قبالتها بيت المال فيخرج نفقة مع ما يخرج من الخراج حتى كتب معاوية في امرته على الشام الى عثمان ان الذي اجراه عليه من الرزق في عمله ليس يقوم بمؤن من يقوم عليه من وفود الاجناد ورسل امرائها ومن يقدم عليه من رسل الروم ووفودها ووصف في كتابه هذه المزارع الصافية وسماها له وسأله ان يقطعه اياها ليقوى بها على ما وصف له وقال انها ليست من قرى اهل الذمة ولا من الخراج فكتب اليه عثمان بذلك كتاباً قالوا فلم تزل بيد معاوية حتى قتل عثمان وافضى الى معاوية الامر فأقرها على حالها ثم جعلها من بعده حبساً على فقراء لاهل بيته والمسلمين قالوا ثم ان ناساً من قريش واشراف العرب سألوا معاوية ان يقطعهم من بقايا تلك المزارع التي لم يكن عثمان اقطعه اياها ففعل فمضت لهم اموالا يبيعون ويمهرون ويورثون فلما افضى الامر الى عبد الملك ابن مروان وقد بقيت من تلك المزارع بقايا لم يكن معاوية اقطع منها احداً شيئاً سأله اشراف الناس القطائع منها ففعل قالوا ثم ان عبد الملك سأل القطائع وقد مضت تلك المزارع لاهلها فلم يبق منها شيء فنظر عبد الملك الى ارض خراج قد باد اهلها ولم يتركوا عقباً فأقطعهم منها ورفع ما كان عليها من خراجها عن اهل الخراج ولم يحمله احدا من اهل القرى وجعلها عشراً ورآه جائزاً له مثل اخراجه من بيت المال الجوائز للخاصة قالوا فلم يزل يفعل ذلك حتى لم يجد من تلك الارض شيئاً فسأل الناس عبد الملك والوليد وسليمان قطائع من ارض القرى التي بأيدي اهل الذمة فأبوا ذلك عليهم ثم سألوهم ان يأذنوا لهم في شرى الارض من اهل الذمة فأذنوا لهم على ادخال اثمانها بيت المال وتقوية اهل الخراج به على خراجهم سنتهم مع ما ضعفوا عن ادائه واوقفوا ذلك في الدواوين ووضعوا خراج تلك الارض عمن باعها منهم وعن اهل قراهم وصيروها لمن اشتراها تؤدى العشر يبيعون ويمهرون ويورثون قالوا فلما ولي عمر بن عبد العزيز رأي تلك القطائع التي اقطعها عثمان لمعاوية رضي الله

يجعلها غنيمة فيحبسها ويقسمها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فذلك له رأى ان يجعلها فيأ فلا يخمسها ولا يقسمها ولكن تكون موقوفة على المسلمين عامة مابقوا كما صنع عمر في سواد العراق .

« احكام القطائع »

اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رايهم على اقرار ما كان بايدى اهل الذمة من ارضهم يعمرونها ويؤدون منها خراجها الى المسلمين فمن اسلم منهم رفع عن راسه الخراج وصار ما كان بيده من الارض وداره بين اصحابه من اهل قريته يؤدون عنها ما كان يؤدى من خراجها ويسلمون له رقيقه وحيوانه وفرضوا له فى ديوان المسلمين وصار من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ولا يرون انه وان اسلم اولى بما كان من ارضه بين اصحابه من اهل بيته وقرابته ولايجعلونها ضيافة للمسلمين وسموا من ثبت منهم على دينه وقريته ذمة للمسلمين ويرون انه لا يصلح لاحد من المسلمين شرىما فى ايديهم من الارضين كرها لما احتجوا به على المسلمين من ان اضيافهم كان عن قتالهم وتركهم مظاهرة عدوهم من الروم عليهم فهاب ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر قسمهم واخذ ما فى ايديهم من تلك الارضين وكرهوا للمسلمين ايضا شراؤها صونا لما كان من ظهور المسلمين على البلاد وعلى من كان يقاتلهم عليها ولتركهم وكانت البعثة الى المسلمين وولاة الامر فى طلب الامان قبل ظهورهم عليهم قالوا وكانت ابعثة الى المسلمين وولاة الامر فى طلب الامان قبل ظهورهم عليهم قالوا وكرهوا شرائها منهم طوعا بما كان من ايقاف عمر واصحابه الارضين محبوسة على آخر هذه الامة من المسلمين المجاهدين لا يباع ولا يورث قوة على جهاد من لم يظهروا عليه من المشركين ولما الزموه انفسهم من اقامه الجهاد المأمور به فى قوله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى تمام الاية فقلت لغير واحد من مشيختنا ممن كان يقول هذه المقالة فمن اين جاءت هذه القطائع التي بين ظهراني القرى الراجيةوالمزارع التى شدها غير واحد من المسلمين ومن الناس فقال ان بدء هذه القطائع كانت من الارضين التى كانت تحت يد انباط القرى فلما هزم الله الروم هربت تلك البطارقة عما كان فى ايديها من تلك المزارع فلحقت

البخارى عن عمر انه قال لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبرا وكتب عمر الى سعد حين افتتح العراق اما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر ان الناس قد سئالوك ان تقسم بينهم مغانمهم وما افاء الله عز وجل عليهم فاذا اتاك كتابى هذا فانظر ما اجلب الناس به عليك الى العسكر من كراع او مال فاقسمه بين من حضر من المسلمين واترك الارضين والانهار لعمالها ليكون ذلك فى اعطيات المسلمين فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بقى بعدهم شيء واشترى طلحة ارضا من النشانك فاتى عمر فذكر ذلك له فقال انى اشتريت ارضا معجبة فقال له عمر ممن اشتريتها فقال من اهل الكوفة من اهل القادسية فقال لطلحة كيف اشتريتها هل اشتريتها من اهل القادسية كلهم قال لا فقال له انك لم تصنع شيئا انما هى فيىء وروى ان عمر ابن الخطاب اراد ان يقسم سواد العراق فاستشار علياً بن ابي طالب فقال له دع القسمة ليكون اهل السواد مادة للمسلمين فتركهم وبعث عليهم عثمان بن حنيف فوضع عليهم ثمانية واربعين واربعة وعشرين واثنى عشر .

« حكم الدور التى هى داخل السور »

سئال رجل واثلة بن الاسقع فقال له ارأيت هذه المساكن التى اقتطعوها يوم فتحوا دمشق اماضية هى لاهلها قال نعم قال فان ناسا يقولون هى لهم سكن وليس لهم بيعها ولا اتلافها بوجه من الوجوه فى صدقة او مهر او غير ذلك فقال واثلة ومن يقول ذلك بل هى ملك ثابت يسكنون ويمهرون ويتصدقون وقال ابو عبيدة جاءتنا الاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء من بعده تخبرنا ان فى افتتاح الارضين ثلاثة احكام ارض اسلم عليها اهلها فهى ملك ايمانهم وهى ارض عشر لاشيء فيها غيره وارض افتتحت صلحا على خراج معلوم وهى على ما صولحوا عليه لايلزمهم اكثر منه وارض اخذت عنوة وهي التي اختلف فيها المسلمون فقال بعضهم سبيلها سبيل الغنيمة تخمس وتقسم فتكون اربعة اخمساسها خططا بن الذين افتتحوها خاصة ويكون الخمس الباقى لمن سمى الله وقال بعضهم بل حكمها والنظر فيها الى الامام ان رأى ان

الذمة فعليهم ديته وقال ابن ابى نجيح سئالت مجاهدا فقلت له لم وضع عمر الجزية على اهل الشام اكثر مما وضع على اهل اليمن فقال لليسار وكتب عمر بن عبد العزيز الى امصار الشام لايمشين نصرانى الا مفروق الناصية ولا يلبس قباء ولا يمشى الا بزنار من جلد ولا يلبس طيلسانا ولا يلبس سراويلا ذات خذمة ولا يلبس نعلا ذات عذبة ولا يركبن على سرج ولا يقتني في بيته سلاحا الا انتهب والله اعلم .

« باب حكم الارضين وما جاء فيه عن السلف الماضين (١) »

لا خلاف بين الائمة من سلف هذه الامة ان كل بلد صولح اهله على الخراج المعلوم انه لا يجوز تغيير ما استقر عليهم من الرسوم وقد صح ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه امضى لاهل مدينة دمشق الصلح كما تقدم في هذا الكتاب لانه رضى الله عنه لما اشكل عليه الحال في الفتح وهل كان السابق من دخلها عنوة اومن دخلها بالصلح امضاها كلها صلحا لاهلها وقبل منهم شروطا رضوا ببذلها فاما ما ظهر عليه المسلمون عنوة من اعمالها ونواحيها وحووه بالقهر والغلبة من اهلها فقد اختلف العلماء الماضون فى حكمه ولم تتفق ارائهم فى اتفاقه او قسمه فذهب عمر وعلى ومعاذ بن جبل الى انها وقف بين المسلمين لا تقسم بين من غلب عليها من الغانمين ويجرى عليها عليهم وعلى من بعدهم من الخالفين الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وذهب الزبير بن العوام وبلال بن رباح الى انها ملك الغانمين فتقسم بينهم على ما يراه امام المسلمين وذهب ابو حنيفة وسفيان الثورى وهما من العلماء الكبار الى ان الامام فى ذلك بالخيار ان شاء وقفها وان شاء قسمها وزرعها يقسم على ما يراه بين من غنمها وذهب مالك الى انها تصير وقفا بنفس الاغتنام ولا يكون فيها اختيار للامام وذهب اشافعى الى انه ليس للامام ان يقفها بل يلزمة ان يقسمها الا ان يتفق المسلمون على وقفها ويرضى بذلك من غنمها وروى

(١) يعلم من هذا الباب والذي بعده حكم الاراضي الاميرية وكيف ينبغي لولي الامر ان يتصرف بها .

على من فيها من جماعة اهلها على جزية دنانير مسمـاة لا نزيد عليهم ان كثروا ولا تنقص عنهم ان قلوا وان للمسلمين فضول الدور والمساكن عنهم واسواقها وفى رواية انهم اشترطوا على انفسهم فى عهد عمر ان لا يظهروا صليبا خارجا من كنيسة الا كسر فوق رأس صاحبه وروى البيهقى بسنده الى اسلم مولى عمر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى امراء اهل الجزية ان لايضعوا الجزية الا على من جرت او مرت عليه الموسى وجزيتهم اربعون درهما على اهل الورق منهم (١) واربعة دنانير عـلى اهل الذهب وعليهم ارزاق المسلمين من الحنطة مدان وثلاثة اقساط (٢) زيت لـكل انسان فى كل شهر ومن الودك (٣) والعسل شىء لم نحفظه وعليهم من البزالق وهى شىء من الثياب كان يلبسها امير المؤمنين وشىء لم نحفظه ويضيفون من نزل بهم من اهل الاسلام ثلاثة ايام وعلى اهل العراق خمسة عشر صاعا لكل انسان وكان عمر رضى الله عنه لا يضرب الجزية على النساء وكـان يختم فى اعناق رجال اهل الجزية وقال عكرمة سئل ابن عباس هل للعجم ان يحدثوا في امصار العرب بنيانا او شيئا فقال ايما مصر مصرته العرب فليس للعجم ان يبنوا فيه كنيسة اوقال بيعة ولايضربوا فيه ناقوسا ولايشربوا فيه خمرا ولا يدخلوه خنزيرا وايما مصر مصرته العجم ففتحه الله عـلى العرب فللعجم مافى عهدهم وعلى العرب ان يفوا لهم بعهدهم وقال الاوزاعى ان عمر كتب فى اهل الذمة ان من لم يطق الجزية خففوا عنـه ومن عجز فاعينوه فانا لا نريدهم لعام او لعامين وقال عمر فى اهل الذمة سموهم ولا تكنوهم واذلوهم ولا تظلموهم وذا جمعتكم واياهم طريق فالجؤهم الـى اضيقها وفى رواية انه وضع على اهـل العراق خمسة عشر صـاعا عـلى كل واحد منهم وعلى كـل مستطيع من اهـل مصر اردبـا من بر وقـال اسلم لمـا قدم عمر الشـام شـكى اليه اهـل الذمة فقـالوا يـا امير المؤمنين ان ضيوفنـا من المسلمين يـكلفونـا مـا لا نطيق يـكلفوننا الدجاج والشـاء فقـال لاتطعموهم الا ممـا تأكـلون ولا ممـا لا يحـل لهم من طعامكم واشترط على انباط الشام ان يصيب المسلمون من ثمارهم وتبنهم ولا يحملوا وانـه اذا قتل رجـل من المسلـمين فى ارض اهـل

---

(١) الورق بـكسر الراء الفضة ومن هنـا يعلم ان الدينار ماتساوي قيمته قيمة عشرة دراهم من الفضة (٢) القسط نصف صاع (٣) الودك دسم اللحم.

« ذكر ما اشترط صدر هذه الامة عند افتتاح الشام على اهل الذمة »

عن عبد الرحمن بن غنم ان عمر بن الخطاب كتب على النصارى كتابا حين صالحوا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر امير المؤمنين من نصارى اهل الشام انكم لما قدمتم علينا سئالناكم الامان لانفسنا واهالينا واموالنا واهل ملتنا على ان نؤدى الجزية عن يد ونحن صاغرون وعلى ان لانمنع احدا من المسلمين ان ينزل كنائسنا في الليل والنهار ونضيفهم فيها ثلاثا ونطعمهم فيها الطعام ونوسع لهم ابوابها ولا نضرب فيها بالنواقيس الا ضربا خفيا ولا نرفع فيها اصواتنا بالقراءة ولا نؤوى فيها ولا فى شيء من منازلنا جاسوسا لعدوكم ولا نحدث كنيسة ولا ديرا ولا صومعة ولا جلاية ولا نجدد ما خرب منها ولا نقصد الاجتماع فميا كان منها من خطط المسلمين وبين ظهرانيهم ولا نظهر شركا ولا ندعوا اليه ولا نظهر صليبا على كنائسنا ولا فى شيء من طرق المسلمين واسواقهم ولا نتعلم القرآن ولا نعلمه اولادنا ولا نمنع احدا من ذى قراباتنا الدخول فى الاسلام ان اراد ذلك وان تجز مقادم رؤسنا ونشد الزنانير فى اوساطنا ونلزم ديننا ولا نتشبه بالمسلمين فى لباسهم ولا فى هيئتهم ولا فى سروجهم ولا نقش خواتيمهم فننقشها عربيا ولا نكتني بكناهم وعلينا ان نعظمهم ونوقرهم ونقوم لهم من مجالسنا ونرشدهم فى سبلهم وطرقاتهم ولا نطلع فى منازلهم ولا نتخذ سلاحا ولا سيفا ولا نحمله فى حضر ولا سفر فى ارض المسلمين ولا نبيع خمرا ولا نظهر نارا مع موتانا فى طريق المسلمين ولا نرفع اصواتنا مع جنائزهم ولا نجاور المسلمين بهم ولا نضرب احدا من المسلمين ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهامهم شرطنا ذلك كله على انفسنا واهل ملتنا فان خالفناه فلا ذمة لنا ولا عهد وقد حل لكم منا ما يحل لكم من اهل الشقاق والمعاندة وروى ايضا من طريق محمد ابن اسحق وهو مروى من اربعة طرق وربما تغلب عليه الصحة وروى خليفة ابن خياط عن المغيرة قال صالح ابو عبيدة اهل الشام على انصاف كنائسهم ومنازلهم وعلى رؤسهم وان لا يمنعوا من اعيادهم ولا يهدموا شيئا من كنائسهم صالح على ذلك اهل المدينة واخذ سائر الارض عنوة وفى رواية انهم صالحوهم

الدم بغير حقه وان يعطى بالكذب مال الله بان يكذب او يفجر وان يظهر التلاعن بينكم او يقول الرجل حين يصبح والله لئن حييت او مت ما ادرى ما انا عليه . واعلم ان وقوع هذا الطاعون والوباء انما هو مصداق ماروى عن معاذ رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون منزلا يقال له الجابية والجويبية يصيبكم فيه داء مثل غدة الجمل يستشهد الله به انفسكم وخياركم ويزكى ابدانكم رواه الطبرانى (١) وفى رواية ينزل المسلمون ايضا يقال الجابية او الجويبية فتكثر به اموالهم ودوابهم فيبعث الله عليهم جرب كالدمل تزكوا فيه اموالهم وتستشهد فيه ابدانهم .

---

(١) وراه الامام احمد في مسنده بمعناه عن معاذ ولفظه ستهاجرون الى الشام فيفتح لكم ويكون فيكم داء كالدمل وكالحزة يأخذ بمراق الرجل يستشهد الله به انفسهم ويزكي به اعمالهم ولم يروه بغير هذا اللفظ ورواية الطبراني فيها شيء والجابية بكسر البـاء قرية كانت من اعمال دمشق ثم من عمـل الجيدور من نـاحية الجولان قرب مرج الصفر بتشديد الفاء في شمالي حوران اذا وقف الانسان في الصنمين واستقبل الشمال كانت تظهر له وكانت تظهر من نوى ايضا وباب الجـابية بدمشق منسوب الى هذا الموضع ويقال لها جابية الجولان وقول العامة منسوب الى الست جابية لا اصل له والطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد لـه الهواء فتفسد به الامزجة والابدان قاله فى النهاية وبه يفسر الحديث وقـال المتقدمون من الاطباء الطاعون ورم رديء يخرج معه تلهب شديد مؤلم جدا يتجاوز المقدار في ذلك ويصير ماحوله في الاكثر اسود واخضر واكمد ويأول امره الى التقرح واكثر مايكون حدوثه فـي الابط وخلف الاذن والارنبة وفي اللحوم الرخوة وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الدخول الى الارض التي وقع بها الطاعون وعن الخروج منها بعد وقوعه مع كمال التحرز منه فان في الدخول الى الارض التي هو بها تعرض للبلاء وموافاة له في محل سلطانه واعانة للانسـان على نفسه وهذا مخالف للشرع وللعقل بـل تجنبه الدخول الى ارضه من باب الحمية التي ارشدنا الله اليها وهي حمية عن الامكنة والاهوية المؤذية واما نهيه عن الخروج من بلده فله معنيان احدهما حمل النفوس على الثقة بالله والتوكل عليه والصبر على اقضيته والرضا بها والثاني ما قاله الاطباء انه يجب على كل محترز عن الوباء ان يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذاء ويميل الى التدبير المجفف من كل وجه الا الرياضة والحمام فانهما مما يجب ان يحذر منه لان البدن لا يخلو غالبا من فضل رديء كامن فيه فيثيره بالرياضة والحمام ويخلطانـه بالكيموس الجيد وذلك يجلب علة عظيمة بل يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة وتسكين هيجان الاخلاط ولا يمكن الخروج من ارض الوباء والسفر منها الا بحركة شديدة وهي مضرة جدا والكلام على هذا النوع طويل قد افرد بالتأليف فليراجعه من احب الزيادة على هذا .

جده ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما ولى زار اهل الشام فنزل بالجابية وكانت دمشق تشتعل طاعونا فهم ان يدخلها فقال له اصحابه اما قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا حل بكم الطاعون فلا تهربوا منه ولا تأتوه حيث هو وقد علمت ان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فرجانين لم يصبهم طاعون قط فارسل عند ذلك رجلا من جديلة ولم يدخلها هو وسار الى بيت المقدس فافتحها ثم دخلها عمر ومعه كعب فقال يا ابا اسحق اتعرف موضع الصخرة فقال له اذرع من الحائط الذي يلي وادى جهنم كذا وكذا ذراعا وهى مزبلة ثم احفر فانك ستجدها فحفر فظهرت لهم فقال عمر لكعب اين ترى ان نجعل المسجد فقال له اجعله خلف الصخرة فتجمع بين القبلتين قبلة موسى وقبلة محمد صلى الله عليه وسلم فقال عمر ضاهيت اليهودية والله يا ابا اسحق خير المساجد مقدمها فبناه في مقدم المسجد فبلغ اهل العراق انه زار أهل الشام فكتبوا اليه يسئالونه ان يزورهم كما زار اهل الشام فهم ان يفعل فقال كعب اعيذك بالله ياامير المؤمنين ان تدخلها قال ولم قال فيها عصاة الجن وهاروت وماروت يعلمان الناس وفيها تسعة اعشار الشر وكل داء معضل فقال عمر رضى الله عنه فيمت كلما ذكرته غير الداء العضال فما هو قال كثرة الاموال هو الذي ليس له شفاء فلم يأتها عمر وقال مدرك بن ابي سعد نزل المسلمون من البادية وهم اربعة وعشرون الفا فوقع فيهم الطاعون فاذهب منهم عشرين الفا وبقى اربعة آلاف فقالوا هذا طوفان وهذا رجز فبلغ ذلك معاذا فارسل فوارس يجمعون الناس وقال اشهدوا المدارس اليوم عند معاذ فلما اجتمعوا قام فيهم خطيبا فقال يا ايها الناس والله لو اعلم انى اقوم فيكم بعد مقامي هذا ما تكلفت اليوم القيام فيكم وقد بلغني انكم تقولون هذا الذي وقع فيكم طوفان ورجز والله ما هو طوفان ولا رجز وانما الطوفان والرجز كان الله عذب به الامم ولكنها شهادة اهداها الله لكم واستجاب الله فيكم دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم (١) الا فمن ادرك خمسا فاستطاع ان يموت فليمت ان يكفر الرجل بعد ايمانه وان يسفك

(١) تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر اسامة على الجيش واراد ارساله نحو الشام قال لهم سيروا افناكم الله بالطعن والطاعون فهذا معنى قوله ودعوة نبيكم وهذا من جملة المعجزات .

سرغ سنة سبع عشرة فاجتمع عليه المسلمون فدفع اليه امراء الاجناد ما اجتمع عندهم من الاموال فجند ومصر الامصار ثم فرض الاعطية والارزاق وقفل راجعا الى المدينة وكان فتح الجابية وايلياء سنة ست عشرة وبها كانت عمواس قاله ابو معشر وليس بصواب والصحيح ماقاله الامام احمد بن حنبل ان طاعون عمواس كان سنة ثماني عشرة قال سعيد بن كثير وفيه يقول الشاعر :

رب خرق مثل الهلال وبيضا لعوب بالجزع من عمواس
قد لقوا الله غير باغ عليهم فاحلوا بغير دار اساس
وصبرنا حقا كما وعد الله وكنا في الصبر قوما تآسى

وكذا قال الليث بن سعد ان طاعون عمواس والرمادة كانتا سنة ثماني عشرة ولعل عمواس التي ذكرها ابو معشر كانت وقعة عندها واما الطاعون فقد وافق ابو معشر فى تاريخه الجمهور والذي يعلم من تاريخ البخاري ان عمر رضى الله عنه قدم الجابية مرتين كما مر آنفا وقال سفيان بن وهب لما اجتمع الفيىء ارسل امراء الاجناد الى عمر بن الخطاب ان يقدم بنفسه فلما قدم حمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان هذا المال نقسمه على من افاء الله بالعدل الا هذين الحيين لخم وجذام فلا حق لهم فيه فقام اليه ابو حديدة الاجذمى فقال ننشدك الله يا عمر فى العدل فقال عمر العدل اريد انا اجعل اقواما انفقوا فى الظهر وشدوا العرض وساحوا فى البلاد مثل قوم مقيمين فى بلادهم ولو ان الهجرة كانت بصنعا او بعدن ما هاجر اليها من لخم وجذام احد فقام ابو حديدة فقال ان الله وضعنا من بلاده حيث شاء وساق اليها الهجرة من بلادنا فقبلناها ونصرناه افبذلك يقطع حقنا يا عمر ثم قال لكم حقكم مع المسلمين ثم قسم فكان للرجل نصف دينار فاذا كانت معه امرأته اعطاه دينارا ثم دعا ابن فاطورا صاحب الارض فقال له اخبرني ما يكفي الرجل من القوت في الشهر واليوم فاتى بالمدى والقسط فقال يكفيه هذا المديان في الشهر وقسط زيت وقسط خل فامر عمر بمديين من قمح فطحنا ثم عجنا ثم ادمهما بقسطين زيت ثم اجلس عليهما ثلاثين رجلا فكان كفاف شعبهم ثم اخذ عمر المديين والقسط بيساره ثم قال اللهم لا احل لاحد ان ينقصهما بعدى اللهم فمن نقصهما فانقص من عمره وروى الهيثم بن عمر عن

انكفأت راجعاً وخرجوا يطلبونني فجعلوا يلفون عني مخافة ان يكون لهم كمين فدفعت الى صاحبي الادنى الذي امرته ان يقف فلما راوه قالوا هذا كمين انتهى الى كمينه فانصرفوا وسرت انا وصاحبي حتى دفعنا الى صاحبي الثاني فسرنا حتى انتهينا الى المسلمين وقد عزم ابو عبيدة ان لا يبرح حتى يأتيه رأي عمر وامره فأتاه فرحلوا حتى نزلوا دمشق وخلف باليرموك بشراً بن كعب بن ابي الحميري في خيل قال وقال القعقاع بن عمرو يوم اليرموك :

الم ترنا على اليرموك فزنا كما فزنا بايام العراق
فتحنا قبلها بصرى وكانت محرمة الجناب لدى التلاقي
وعذراء المدائن قد فتحنا ومرج الصفرين على العتاق
قتلنا من اقام لنا وفينا بها بهم باسياف رقاق
قتلنا الروم حتى ما تساوى على اليرموك تفروق الوراق
فضضنا جمعهم لما استحالوا على الواقوصة البر الرفاق
غداة تهافتوا فيها فصاروا الى امر يفصل بالزواق

وقال عمرو بن العاص واعيد على لخم وجذام بالفرار عند الحملة في اول النهار على اثر جرجة وهم الذين تكشفوا للناس في الحرب

القوم لخم وجذام فى الحرب ونحن والروم نموج نضطرب
فان تعودوابعدها لا نصطحب بل نعضب الفرار بالضرب الكلب

وقال الاسود ابو مقر التميمى

وكم قد اغرنا غارة بعد غارة ويوما ويوما قد كشفنا اهاوله
ولولا رجال كان حسب غنيمة كذا ماقط رجت عليهم اوائله
لقيناهم اليرموك لما تضايقت بمن حل باليرموك منه حمائله

« باب ذكر تاريخ قدوم عمر رضى الله عنه الجابية وما سن
فيها من السنن الماضية »

قال يزيد بن عبيدة كان فتح بيت المقدس سنةست عشرةوفى تلك السنة قدم عمر بن الخطاب الى الجابية ثم عاد سنة ثماني عشرة بعد عوده من

من العراق فلما قدم عليهم خالد فرحوا به وقال سيف ان مجموع جيش الروم يومئذ مائتا الف واربعون الفاً منهم ثمانون الف مقيد واربعون الفاً منهم مسلسل للموت واربعون الفاً مربوطون بالعمائم وثمانون الف فارس وثمانون الف راجل والباقون تبع لهم ثم لما كان القتال وفتح الله على المسلمين من آخر الليل وقتلوا الاعداء حتى الصباح فلما اصبحوا اقتسموا الغنائم ودفنوا قتلى المسلمين فبلغوا ثلاثة آلاف وصلى كل امير قوم على قتلاهم ودفع خالد بن الوليد العهد الى ابي عبيدة بعد ما فرغ من القسم ودفن الشهداء وتراجع الطلب فولى ابو عبيدة النفل من الاخماس فنفل واكثروا الكتب بالفتح والارسال بالاخماس وبعث ابا جندل بشيراً وقال ميمون لما جاء خالد بن الوليد معيناً لاهل اليرموك لقيه في طريقه رجل من روم العرب فقال له يا خالد ان الروم في جمع كثير مأتي الف او يزيدون فان رأيت ان ترجع على حاميتك فافعل فقال له خالد بالروم تهددني وتخوفني فوالله لوددت ان الاشقر يلقاهم بوجهه وانهم اضعفوا ضعف ما ذكرت فكانت هزيمتهم على يدي خالد بن الوليد وروى رجال من اهل الشام عن اشياخهم انه لما كان اليوم الذي تأمر فيه خالد هزم الله عز وجل الروم مع الليل وصعد المسلمون العقبة واصابوا ما في العسكر وقتل الله صناديدهم ورؤوسهم وفرسانهم وقتل الله اخا هرقل واخذ التدارك وانتهت الهزيمة الى هرقل وهو دون مدينة حمص فارتحل وجعل حمص بينه وبينهم وامر عليها اميراً وخلف فيها كما كان امر على دمشق وخلف فيها وارتحل واتبع المسلمون الروم حتى هزموهم والخيل تتبعهم ولما صار الامر الى ابي عبيدة بعد الهزيمة نادى بالرحيل فارتحل المسلمون حتى وضعوا عسكرهم بمرج الصفرين قال ابو امامة فبعث طليعة من مرج الصفرين مع فارسين فسرت حتى دخلت فجستها بين ابياتها وشجراتها فقال احد صاحبي قد بلغت حيث امرت فانصرف لا تهلكنا فقلت قف مكانك حتى نصبح اولئك فسرت حتى دفعت الى باب المدينة وليس في الارض احد ظاهر فنزعت لجام فرسي وعلقت عليه مخلاته وركزت رمحي ثم وضعت رأسي فلم اشعر الا بالمفتاح يتحرك عند الباب ليفتح فقمت فصليت الغداة ثم ركبت فرسي فحملت عليه فطعنت البواب فقتلته فتصايحوا في المدينة ودخلت فلقيت رجلا فقتلته ثم لقيت آخر فطعنته فقتلته ثم

ترددوا بها فكان الواحد اذا هوى بها لا يرده بقية العشرة المرتبطين به بل يهوون معه وكلما هوى اثنان كانت البقية اضعف منهما وكان المقترنون اعشاراً فتهافت في الواقوصة عشرون الفاً ومائة الف منهم ثلاثون الف مقترن والباقي من المصلين سوى من قتل في المعركة من الخيل والرجال ثم ان كثيراً من اشراف الروم تجللوا ببرانسهم وجلسوا وقالوا لا نحب ان نرى يوم السواد ولن نستطيع ان نمنع عن النصرانية .فاصيبوا في تزملهم ورويت القصة ايضاً من وجه آخر ولا يخلوا ذكرها من فائدة زائدة عما تقدم .وسياقها ما قاله خالد وعبادة وابو حارثة ان قواد المسلمين توجهوا نحو الشام وكان عكرمة ردأ للناس فبلغ الروم ذلك فكتبوا الى هرقل فخرج حتى نزل بحمص واعد لهم الجيوش وعبأ لهم واراد تفريقهم وشغل بعضهم عن بعض لكثرة جنده وفضول رجاله فأرسل الى عمرو اخاه بدراف فخرج في تسعين الفاً وبعث من يسوقهم حتى نزل صاحب الساقة بثنية جلق يعني دمشق بأعلا فلسطين وبعث جرجة بن نودرا نحو يزيد بن ابي سفيان فعسكر بازائه وبعث الدارقص فاستقبل شرحبيل وبعث القيفان ونطورس في ستين الفاً نحو ابي عبيدة فخاف منهم المسلمون وكانوا يومئذ واحداً وعشرون الفاً سوى عكرمة فانه كان في ستة آلاف فتراسلوا فيما بينهم واشار عليهم عمرو بالاجتماع وقال ان مثلنا اذا اجتمع لن يغلب عن قلة ثم تواعدوا ان يكونوا باليرموك وبلغ هرقل امر اجتماعهم فكتب الى بطارقته ان اجتمعوا لهم وانزلوا بالروم منزلا واسع الطعن واسع المطرد ضيق المهرب فنزلوا الواقوصة على ضفة اليرموك وصار الوادي خندقاً لهم وهو لهث لا يدرك وانما اراد ما هان واصحابه ان يستفيق الروم ويأنسوا بالمسلمين وترجع اليهم افئدتهم عن طيرانها وانتقل المسلمون من معسكرهم الذي اجتمعوا به فنزلوا عليهم بحذائهم على طريقهم وليس للروم طريق الا عليهم فقال عمرو ايها الناس ألا ابشروا حضرت والله الروم وقل ما جاء محصور بخير وأقاموا بازائهم وعلى طريقهم وكان خروجهم في صفر سنة ثلاث عشرة فأقاموا شهري ربيع لا يقدرون من الروم على شيء ولا يخلصون اليهم لان اللهث وهو الواقوصة من ورائهم والخندق من ورائهم ايضاً فلما انسلخ شهر ربيع الاول أعلم المسلمون أبا بكر بشأن الروم وطلبوا منه ارسال مدد لهم فكتب الى خالد ليلحق بهم

جميعا ستة واربعين الفا وكان عكرمة من آخر بنى مخزوم اسلاما وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه حديث وذلك انه بارز رجلا فى بعض حروب النبى صلى الله عليه وسلم فقتله فاستضحك النبى صلى الله عليه وسلم فقال له رجل من الانصار ما يضحكك يا رسول الله وقد فجعنا بصاحبنا فقال اضحكنى انهما فى درجة واحدة فى الجنة وكان قتالهم على الانفراد كل امير مع جنده لا يجمعهم امر واحد حتى قدم عليهم خالد بن الوليد من العراق وكان ابو عبيدة مع عسكره باليرموك مجاورا لعسكر عمرو بن العاص وعسكر شرحبيل مجاورا لعسكر يزيد ابى سفيان وكان ربما صلى مع عمرو وشرحبيل مع يزيد فاما عمرو ويزيد فانهما كانا لا يصليان مع ابى عبيدة وشرحبيل وقدم خالد بن الوليد وهم على حالهم هذه فعسكر على حده فصلى باهل العراق ووافق خالد المسلمين وهم متضايقون بمدد الروم عليهم ووافق القوم وهم في انتظار لمددهم فالتقوا فهزمهم الله تعالى حتى الجاؤهم هم وامدادهم الى الخنادق والواقوصة احد حدوده وهى لهث لاج فى الارض (١) ورويت القصة ايضا عن عمرو ابن سيف انه قال حملت الروم باليرموك على المسلمين حملة ازالوهم عن مواقفهم فالتقوا فهزمهم الله تعالى حتى الجاهم وامدادهم الى الخنادق والواقوصة فركب خالد ومعه جرجة والروم خلال المسلمين فتنادى الناس وباتوا وتراجعت الروم الى مواقفها فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم هو وجرجة من لدن ارتفاع النهار الى جنوح الشمس الى الغروب فاصيب جرجة ولم يصل صلاة سجد فيها الا الركعتين اللتين اسلم عليهما فصلى الناس الاولى والعصر ايماء وتضعضع الروم وغاص خالد في القلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم وكان محل قتالهم واسع المطرد ضيق المهرب فلما وجدت خيلهم مذهبا ذهبت وتركتهم وكانت رجالتهم في مصافهم وخرجت خيلهم تشتد بفرسانهم في الصحراء واخرا ناس الصلاة حتى صلوا بعد الفتح ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للهرب فرجوا بها ولم يتبعوها فتفرقت في البلاد واقبل خالد والمسلمون على الرجالة ففروا منهم كأنما قد هدم عليهم حائط فعمدوا الى الواقوصة حتى

---

(١) اللهث التعب والعطش والاعياء ولاج داخل والمراد ان الواقوصة واد عميق مهلك لمن وقع به وقال في تاج العروس الواقوصة واد في ارض حوران بالشام .

بسيفه فلم يضره واستمسك كل واحد منهما بصاحبه فوقعا على الصخرة ثم انحدرا واخذ الاشتر يقول وهو في ذلك ملازم للعلج لا يتركه قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين فلم يزل يقول ذلك حتى انتهيا الى مستوى الجبل وقراره فلما استقرا وثب على الرومي فقتله وصاح في الناس ان جوزوا فلما رأى الروم ان صاحبهم قد قتل خلوا الثنية وانهزموا وكان الاشتر ذا بلاء حسن فى اليرموك قالوا لقد قتل ثلاثة عشر رجلا فركب خالد والمسلمون الثنية ثم انحطوا مسرعين وطافوا البلاد يطلبون اعدائهم فى القرى والجبال حتى وصلوا الى حمص فخرج اليهم اهل حمص يسئالونهم الدوام على عهدهم وعقدهم وجزيتهم ففعل بهم خالد مثل ما فعل باهل دمشق واقام بها ينتظر رأى ابى عبيدة قالوا ولما سار خالد من اليرموك فى اثر من انهزم وقع ابو عبيدة فى دفن المسلمين حتى عينهم وكفاه دفن الكفار بالواقوصة التي وقعوا فيها وكتب ابو عبيدة كتابا الى عمر بن الخطاب يصف له امرهم وقال ابو الجعد انه اشار يوم اليرموك على المسلمين بثبات الروم فقبلوا ذلك منه فبعثوا خيلا عظيمة وامروا اهل العسكر بايقاد النيران فانطلق بهم على مدقة الطريق وتوجهوا نحو عسكر الروم فقاتلوهم مليا فلما نشب القتال انحاز بهم فى ظلمة الليل عن الطريق التى اقبل منها فتنادت الروم ان العرب قد انهزمت فخرجت تتراكض نحو النيران فتوقص منهم فى وادى اليرموك اكثر من ثمانين الفا لا يعلم الآخر منهم ما لقى الاول وقال عبد الرحمن بن حبيران المسلمين ادركوا ماهان بناحية الجولان فقتلوه قال سيف بن عمرو التميمى ان ابا بكر رضى الله عنه كان قد سمى لكل امير من امراء الشام كورة فسمى لابى عبيدة حمص وليزيد ابن ابى سفيان دمشق ولشرحبيل بن حسنة الاردن ولعمروا بن العاص ولعلقمة بن محرز فلسطين فاذا فرغ منها ترك علقمة بها وسار الى مصر فلما شارفوا الشام دهم كل قوم منهم قوم كثيرون فاجمعوا رأيهم على ان يجتمعوا بمكان واحد وان يلقوا بجمع المسلمين جميع المشركين وكان مع الامراء الاربعة سبعة وعشرون الفا وثلاثة آلاف من قبل خالد بن سعيد امر عليهم ابو بكر معاوية وشرحبيل وعشرة آلاف من امداد اهل العراق مع خالد بن الوليد سوى ستة آلاف ثبتوا مع عسكره ردأ بعد خالد بن سعيد وكانوا

نصره وما وعد به نبيه صلى الله عليه وسلم فضرب الله وجوه اعدائه ومنح اكتافهم وزلزل اقدامهم وانزل الله جنده يضربون وجوههم حتى تولت المسلمون اكتافهم وروى سعيد بن المسيب عن ابيه انه قال لما جلنا هذه الجولة سمعنا صوتاً قد كاد يملأ العسكر يقول يا نصر الله اقترب الثبات الثبات يا معشر المسلمين فتعطفنا عليه فاذا هو ابو سفيان بن حرب تحت راية ابنه وشد خالد في سرعان الناس وشد المسلمون معه يقتلون كل قتلة وركن بعضهم بعضاً حتى انتهوا الى مكان مشرف على اهوية فاخذ الروم يتساقطون فيها وما يبصرون وكان يوماً ذا ضباب ومنهم من قال كان ذلك في الليل فأخذ آخرهم لا يعلم ما لقي اولهم يتساقطون فيها وهم لا يبصرون حتى سقط فيها ما يبلغ ثمانين الفاً فما احصوا الا بالقصب وبعث ابو عبيدة شداداً بن اوس ابن اخي حسان بن ثابت يعدهم بعد ذلك اليوم بيوم فوجد من سقط في تلك الاهوية بعد ما عدهم بالقصب ثمانين الفاً يزيدون قليلا او ينقصون قليلا وسميت تلك الاهوية بالواقوصة من يومئذ حتى اليوم لانهم وقصوا فيها فاخذوا وجهاً آخر وقتل المسلمون في المعركة بعد ما أدبروا ما لا يحصى وجن عليهم الليل فبات المسلمون فلما اصبحوا نظروا فاذا هم لا يرون شيئاً فقالوا كمن اعداء الله لنا فلما بعثوا الخيول في الوادي لينظروا هل لهم من كمين لو نزلوا بوطأ من المسلمين فاذا الدعاة يخبرونهم بأنهم قد سقطوا في الواقوصة فسألوا عظيم الروم فقال لهم قد ترحل منهم البارحة نحو من اربعين الفاً ثم اتبعهم خالد بن الوليد على الخيل فقتلهم حتى مر بدمشق فخرج اليه رجال من اهل دمشق فاستقبلوه وقالوا له نحن على عهدنا الذي كان بيننا وبينكم فقال لهم نعم انتم على عهدكم ثم اتبعهم يقتلهم في القرى وفي كل وجه حتى قدم دمشق مرة ثانية فخرج اليه اهلها فسألوه القيام على ما كان بينهم ففعل ثم مضى خالد يطلب عظيم الناس حتى ادرك طلبته بثنية العقاب التي يهبط الهابط منها الى الغوطة فتبعهم حتى ادركهم بغوطة دمشق فلما انتهى الى تلك الجماعة من الروم اقبلوا يرمون المسلمين بالحجارة من فوقهم فتقدم اليهم الاشتر وهو في رجال المسلمين فاذا امامهم رجل من الروم جسيم عظيم فمضى اليه حتى وثب عليه فاستوى هو والرومي على صخرة مستوية فتضاربا بسيفهما فاطن الاشتر كف الرومي وضرب الرومي الاشتر

ويعطف النـاس اليه وكان يزيد بن ابي سفيان يومئذ من اعظم الناس ثباتاً وقد كان ابوه مر به فقال له يابني عليك بتقوى الله والصبر فانه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين الا محفوظاً بالقتـال فـكيف بـك وبأشـبـاهك الذين ولوا امور المسـلمين اولئك احق النـاس بالجهاد والفضيحة فاتق الله يا بني والزم في امرك ولا يكونن احد من اخوانك بأرغب في الاجر والصبر في الحرب ولا اجرأ على عدو الاسلام منك فقال افعل فقاتل يومئذ في الجانب الذي كان فيه واقفاً قتالا شديداً وكان ممـا يلي القلب وشـد طرف من الروم على عمرو بن العـاص فانكشف هو واصحابه حتى دخلوا اول العسكر وهم في ذلك يقاتلون ويشدون ولم ينهزموا هزيمة ولو فيها الظهر فنزل النساء بعمدهن من التل فضربن وجوه الرجال ونادت الناس ابنة ابن العـاص قبح الله رجلا يفر من حليلته وقبح الله رجلا يفر من كريمته وسمع نسوة من نسـاء المسلمين يقلن لستم بعولتنا ان لم تمنعونا فتراد المسلمون وزحف عمرو واصحابه حتى عادوا الى قريب من موقفهم وقاتل ايضاً شرحبيل بن حسنة في ربعه الذي كان فيه فكان وسطاً من الناس الى جنب سعيد بن زيد وانـكشف عنه اصحـابه فثبت وهو يقول ان الله اشتـرى من المؤمنين انفسهم واموالهم الى آخر الآية اين الذين يبيعون انفسهم لله ابتغـاء مرضاة الله واين المشتاقون الى جوار الله في داره فرجع اليـه ناس كثير وبقي القلب لم ينكشف اهله للمكان الذي كان فيه سعيد بن زيد وكان ابو عبيدة من وراء ظهره ردأ له وللمسلمين فلما رأى قيس بن هبيرة خيل المسلمين وراء صفهم مما يلي الميسرة وان المسلمين قد دخلت ميسرتهم العسكر وان الروم قد صمدت لهم اعترض الروم بخيله تلك ينتظر خيـل خـالد بن الوليد فعطف بهم الى بعض ورجع المسلمون في آثارهم فقاتلوهم وحمل على من يليه من الروم وهو في ميمنة المسلمين حتى اضطروهم الى صفوفهم فلمـا رأى خالد بن الوليد ان قيسـاً قد كشف من يليه وان المسلمين قد رجعت راجعتهم حمل على من يليه من الروم يعطف بعضهم الى بعض وزحف المسلمون اليهم رويداً حتى اذا دنوا منهم ينقضون عليهم فلما رأى ابو عبيدة ذلك بعث الى سعيد بن زيد ان شد عليهم فشد المسلمون بأجمعهم شدة واحدة واظهروا التكبير ثم صكوهم صكة واحدة فطعنوا بالرماح وضربوا بالسيوف وانزل الله عليهم

لأصحابه لفوني بالثياب فلفوه بها و ال وددت ان الله كان عافاني من حرب هؤلاء القوم فلم ارهم ولم يروني ولم انصر عليهم ولم ينتصروا علي وهذا يوم شر ولم يقاتل حتى غشيه القوم فقتلوه ثم ان قناطر كان في ميمنة الروم قال لجرجين صاحب ارمينية احمل فقال له انت تأمرني ان احمل وانا امير مثلك فقال له قناطر انت امير وانا امير وانا قومك وقد امرت بطاعتي فاختلفا ثم ان قناطر حمل حملة شديدة على كنانة وقيس وخثعم وجذام وقضاعة وعاملة وغسان وهم فيما بين ميسرة المسلمين الى القلب فكشفوا المسلمين وزالت الميسرة عن مصافها وثبت اهل الرايات واهل الحفائظ فقاتلوا وركبت الروم اكتاف من انهزم حتى دخلوا معهم العسكر فاستقبلهم نساء المسلمين بعمد الفساطيط يضربون بها وجوههم ويرمونهم بالحجارة ويقولون اين اين عز الاسلام والامهات والازواج فيعطف هؤلاء الذين انهزموا الى المسلمين وينادي الناس بالحفائظ (١) والصبر ثم ان قباية بن اسامة شد فقاتل قتالا شديداً وجعل يرتجز ويقول :

ان تفقدوني تفقدوا خير فارس لدى الغمرات والرئيس المحاميا (٢)

وذا فخر لا يملأ الهول قلبه ضروبا بنصل السيف اروع ماضيا (٣)

فكسر في القوم ثلاثة رماح يومئذ وقطع سيفين واخذ يقول كلما قطع سيفاً او كسر رمحاً من يعر سيفاً او رمحاً في سبيل الله رجلا حبس نفسه مع اولياء الله قد عاهد الله ان لا يفر ولا يبرح حتى يقاتل المشركين حتى يظهر المسلمون او يموت فكان من احسن الناس بلاء في ذلك اليوم ونزل ايضاً ابو الاعور السلمي فقال يا معشر قيس خذوا نصيبكم من الاجر والصبر فان الصبر في الدنيا عز ومكرمة وفي الآخرة رحمة وفضيلة فاصبروا وصابروا ثم ان الناس حيزوا الى القلب وفيه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل حيث وضعه ابو عبيدة بن الجراح فلما نظر سعيد الى الروم وخافها اقتحم الى الارض وجثى على ركبتيه حتى اذا دنا منهم طعن برايته اول رجل من القوم ثم ثار في وجوههم كأنه الليث واخذ يقاتل

---

(١) الحفائظ جمع حفيظة وهي الحفاظ المدافعة عن المحارم والمنع عند الحرب ويقال الحفاظ المحافظة على العهد والوفاء بالعقد والتمسك بالود (٢) الغمرات الشدة من شدائد الحرب (٣) الاورع هنا من يعجبك بشجاعته .

يضرب بسيفه وهو يقول

قد علمت دوس ويشكر تعلم   انى اخو البيض ليوم مظلم (١)
واعزل الشكيم شد الابهم   كنت عزيزا فى الوغاء ضيغم (٢)

فقاتل حتى قتل وثبت جندب بن عمرو بن جهمة ورافع وهو يقول يا معشر الازد انه لا ينجو من القتل والعدو والاثم الا من قاتل الا وان المقتول الشهيد والخائب من تولى ثم اخذ يقول يامعشر الازد انه لا يمنع الراية الا الابطال فقاتل حتى قتل وبرز ابو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الازد يعاونها وهو احد الرؤس من الازد فجعل يقول سارعوا الى الحور العين وجوار ربكم عز وجلّ فى جنات النعيم ما انتم الى ربكم فى موطن احب اليه منكم فى مثل هذا الموطن الا وان للصابرين فضلهم فاطافت به ازد ثم اضطربوا حتى صارت الروم تجول فى مجال واحد كما تدور الرحا قالوا ولقلما رئى يوم اكثر قحفا ساقطا (٣) ومعصما نادرا وكفا طائرة من ذلك الموطن والناس يضطربون تحت القسطل (٤) قالوا وحل المتبلهل في الميمنة حتى القلب والقلب في نحو مافيه الميمنة ثم انقض خالد بن الوليد فحمل على الميسرة التي دخلت العسكر واضطربت ميمنة المسلمين الى القلب فصارت الميمنة والقلب شيئا واحدا فقتل خالد هو وخيله نحوا من ستة آلاف ودخل سائرهم بيوت المسلمين في العسكر مجروحين وخرج خالد بن الوليد بخيله يطرد من كان من الروم قريبا من العسكر حتى اذا ارادوا ان يمكروا به نادى عند ذلك يا اهل الاسلام لم يتوسد القوم من الجلد والشدة الا ما رايتم الشدة الشدة فو الذي نفسي بيده اني لارجوا ان يمنحكم الله اكتافهم فاعترض صفوان الروم وان فى جانبه الذى يستقبل لمائة الف من الروم فحمل عليهم وما هو الا فى نحو الف فارس قالوا فوالله ما بلغتهم الحملة حتى فض الله جمعهم وشد المسلمون على من يليهم من رجالتهم فانكشفوا واتبعهم المسلمون من قبل ميمنتهم ثم ان خالدا انتهى في تلك الحملة الى الدربيجان وقد قال

---

(١) البيض السيوف وجعل نفسه اخا لها لملازمته لها (٢) الشكيم الحديدة التى تعترض فى فم الفرس من اللجام والمعنى ان شد ابهاميه على الرجال يعزل الشكيم عن مكانه والوغا الحرب والضيغم الاسد (٣) القحف العظم الذي فوق الدماغ والمعصم موضع السوار من الساعد والنادر الساقط (٤) القسطل الغبار .

شاء الله وحافظوا فقال له ابوه وفقنى الله واياك يابنى ثم ان الروم تداعوا وتحاضوا وذكرتهم الاساقفة والرهبان وكان معاذ اذا سمع ذلك منهم يقول اللهم زلزل اقدامهم وانزل علينا السكينة والزمنا كلمة التقوى وحبب الينا اللقاء ورضنا بالقضاء وخرج ماهان صاحب الروم فجال فيهم حتى وقف وامرهم بالصبر والقتال دون ذراريهم واموالهم وسلطانهم ثم بعث الى صاحب الميسرة ان احمل وهو الذربيجان وكان متنسكا فقال للبطارقة والرؤس الذين معه قد امركم اميركم ان تحملوا قالوا فتهيأت البطارقة فشدت على ميمنة المسلمين وفيها الازد ومزحج وحضرموت وحمير وخولان فثبتوا حتى صدموا اعدائهم فقاتلوهم قتالا شديدا طويلا ثم انه ركبهم من الروم امثال الجبال فزال المسلمون من الميمنة الى ناحية القلب وانكشف طائفة من الناس الى العسكر وثبت صدر عظيم من المسلمين يقاتلون تحت راياتهم وانكشفت زبيد يومئذ وهى في الميمنة وفيهم الحجاج بن عبد يغوث فتنادوا فترادوا واجتمعوا جميعا وهم خمسمائة رجل فشدوا شدة نهنهوا (١) بها من قبلهم من الروم واشغلوهم عن اتباع ما انكشف من الميمنة وتراد ايضا جماعة من الميمنة المتحيزة فشدت حمير وحضرموت وخولان بعد ما زالوا حتى وقفوا مواقفهم فى الصف واستقبل النساء سرعان من انهزم من المسلمين معهن عمد البيوت واخذن يضربن وجوههم ويرمين بالحجارة قال العباس بن سهل بن سعد الساعدى وكانت تحته خولة بنت ثعلبة الانصارية في هؤلاء النساء فمر بهن عمرو بن بحر وهو يقول :

ياهاربا عن نسوة ثنيات فعن قليل ماترى سبات
ولا خطيئات ولا رضيات

ثم زاد الناس وثبت النساء على مواقفهن واستحر (٢) القتال في الازد فاصيبوا بما لم يقتل مثله من القبائل وقتل يومئذ عمرو بن الطفيل الدوسى وحقق الله رؤيا والده رحمة الله عليه الطفيل فانه رأى يوم مسيلمة امرأة لقيته ففتحت له فرجها فدخله وطلبه ابنه هذا فحبس عنه فقال اولت رؤياى ان اقتل وان المرأة التي ادخلتني في فرجها انما هي الارض وان ابني ستصيبه جراحة ويوشك ان يلحقني فقتل هذا يوم اليرموك وهو يقول يا معشر الازد لا يوتين المسلمون من قبلكم واخذ

(١) نهنهوا كفوا وزجروا (٢) كثر .

الفا كل عشرة في سلسلة لئلا يفروا فلما نظر اليهم خالد وهم مقبلون اقبل يركض حتى قطع صف المسلمين الى نساء المسلمين وهن على تل مرتفع من العسكر ومعهن ابو سفيان فقال يانساء المسلمين ايما رجل اقبل اليكن منهزما فاقتلنه ثم انصرف فاتى ابا عبيدة فقال ان هؤلاء قد اقبلوا بعدة ولهم زجل وفرح وان لهم حدة لا يردها شيء وليست خيلى بالكثيرة ولا والله لا قامت خيلى لشدة خيلهم ورجالهم ابدا وكانت خيله يومئذ امام صفوف المسلمين ثلاثة فقال خالد قد رأيت ان افرق خيلى فاكون في احدى الخيلين وقيس بن هبيرة في الخيل الاخرى ثم تقف خيلنا من وراء الميمنة والميسرة فاذا حمل الناس ثبت الله اقدامهم وان تكن الاخرى حملت خيولنا عليهم وهي حامية وتكون الاعداء قد انتهت شدتهم وتفرقت جماعتهم فاطلق الاعنة عند ذلك الى ان يظفرنا الله بهم ويجعل الدائرة عليهم وقد رأيت ان يجلس سعيد بن زيد مجلسك هذا ويقف من ورائه وبحذائه مائتان أو ثلاثمائة يكونون للناس ردأ (١) فقبل ابو عبيدة مشورة خالد وقال له افعل ما اراك الله وانا فاعل ما اردت واجلس ابو عبيدة سعيدا بن زيد مكانه وفعل ما امره به خالد فركب فرسه واقبل يسير فى الناس ويحرضهم ويوصيهم بتقوى الله والصبر ثم انصرف فوقف من خلف الناس ردأ لهم قال سعيد بن عبد العزيز حدثنى بعض قدمائهم ان رجلا من المسلمين اقبل يومئذ عند وصاة ابي عبيدة هذه فقال له اني قد اردت ان اقضي شأني فهل لك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فقال ابو عبيدة نعم تقرأه مني السلام وتخبره انا قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا ثم تقدم الرجل فكان اول من استشهد رحمة الله عليه قال واقبلت الروم عليهم كانها سحابة منقضة على المسلمين حتى دنا طرفهم من ميمنة المسلمين فبرز معاذ بن جبل فنادى يا معشر المسلمين ان اعدائكم قد تهيوا للشدة ولا والله لا يردهم الا الصدق عند اللقاء والصبر عند القراع ثم نزل عن فرسه وقال من يريد فرسا يركبه ويقاتل عليه فوثب ابنه عبد الرحمن وهو غلام حين احتلم فاخذه وقال يا ابه انى لا ارجوا ان يكون فارس اعظم غناء عن المسلمين منى فارسا وانت يا ابه راجلا اعظم غناء منك فارسا الرجالةهم عظمالمسلمين فاذا رأوك حافظا مترجلا صبروا وان

---

(١) الردأ العون والناصر .

معاذ بن جبل فجعل يحرضهم ويقول ياايها المسلمون غضوا الابصار واجثوا على الركب (١) واشرعوا الرماح فاذا حملوا عليكم فامهلوهم حتى اذا ركبوا اطراف الاسنة فثبوا في وجوههم وثبة الاسد فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه ويمقت الكذب ويجزى بالاحسان احسانا لقد سمعت ان المسلمين فجعل الله في مخرجه البركة فسار في صف المسلمين وهو يقول يامعشر المسلمين سيفتحونها كفرا وقصراً قصراً فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم فانكم لو صدقتموهم الحملة تطايروا تطاير اولاد الحجول فلما انقضى كلامه رجع فوقف فى موقفه معهم ثم قام ابو سفيان بن حرب وكان قد استأذن امير المؤمنين وامدداً لله وقد والله اصبحتم بازاء عدو كثير عدده شديد عليكم انتم العرب وقد اصبحتم فى دار العجم منقطعين عن الاصل تأثيرا من امير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى وبراري ليس لأحد فيها معقل ولا معقول الا حتفه (٢) وقد وترتموهم فى انفسهم (٣) وبلادهم ونسائهم والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم اليوم ولا تبلغوا رضوان الله غدا الا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة انها سنة لازمة وان الارض ورائكم بينكم وبين امير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى وبرارى ليس لاحد فيها معقل ولا معقول الا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معقول فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا بها ولتكن هى الحصون قالوا ثم رجع ابو سفيان الى النساء اللاتى مع المسلمين وكان كثير من المهاجرات قد حضرن يومئذ مع ازواجهن وابنائهن واجلسهن خلف صفوف المسلمين وامر بالحجارة فالقيت بين ايديهن ثم قال لايرجع اليكن احد من المسلمين الا رميتموه بهذه الحجارة وقلن له من يرجوكم بعد الفرار عن الاسلام واهله وعن النساء وهم امام العدو الله الله ثم رجع ابو سفيان فنادى المسلمين فقال يامعشر اهل الاسلام حضر ماترون فهذا رسول الله والجنة امامكم والنار والشيطان خلفكم ثم وقف موقفه قالوا وزحف الروم من مكانها الى المسلمين يدفون دفيفا (٤) معهم الصلبان واقبلوا بالاساقفة والقسيسيين والرهبان والبطارقة ولهم زجل كزجل الرعد (٥) وقد تتابع عظمائهم على الموت ودخل منهم ثلاثون

(١) اجثوا ابركوا (٢) هلاكه (٣) وترتموهم انقصتموهم (٤) يسيرون جماعة سيرا وليس بالشديد (٥) الزجل صوت رفيع عال .

لكم به فقال له خالد ما اخرجنا من بلادنا جوع ولا ضيق امر ولكنا معشر العرب نشرب الدماء فقيل لنا ان لا دم احلى من دم الروم فاقبلنا نهريق دمائكم ونشربها قال فنظر اصحابه بعضهم الى بعض وقالوا هذا ما كنا نحدث به عن العرب من شربها الدماء ثم انصرفا وقال سعيد بن عبد العزيز اخبرني قدماء اهل الشام وغيرهم ان ماهان لما سمع من خالد ما سمعزحف على المسلمين فتقدم ابو عبيدة وقد جعل على ميمنته معاذ ابن جبل وعلى ميسرته قثامة بن اسامة الكناني وعلى الرجالة هاشم ابن عتبة بن ابي وقاص وعلى الخيل خالد ابن الوليد وكان الامراء عمرا بن العاص على ربع ويزيد بن ابى سفيان على ربع وشرحبيل بن حسنة على ربع وكان ابو عبيدة على ربع وخرج الناس على راياتهم فيها اشراف رجال من العرب وفيها الازد وهم ثلث الناس وفيها حمير وهمدان ومزحج وخولان وخثعم وفيها كنانة وقضاعة وجذام وكندة وحضرموت وليس فيها اسد ولا تميم ولا ربيعة لان تلك الاماكن لم تكن دارهم وانما كانت دارهم عراقية فقاتلوا اهل فارس بالعراق لما بدروا لهم (١) ثم سار ابو عبيدة بالمسلمين وهو يقول عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ياعباد الله اصبروا فان الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار (٢) ولا تتركوا مصافكم ولا تخطوا اليهم خطوة ولا يبدأوهم بالقتال واشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت الا من ذكر الله عز وجل في انفسكم حتى يتم امركم ان شاء الله قالوا وخرج معاذ بن جبل على الناس فجعل يذكرهم ويقول يا اهل القرآن يامستحفظى الكتاب وانصار الحق والهدى والرحمة ان رحمة الله لاتنال وجنته لاتدخل بالاماني ولايولى الله المغفرة والرحمة الواسعة الا الصادق المصدقألم تسمعوا قولالله عز وجلوعد اللهالذين آمنوامنكموعملوا الصالحات الى آخر الاية واستحيوا رحمكم الله من ربكم ان يراكم فارين من عدوكم وانتم في قبضته وليس لكم ملتحد من دونه (٣) ولا عز بغيره ثم ان معاذا جعل يمشى في الصفوف ويذكرهم حتى اذا بلغ من ذلك ما احب ورأى من الناس الذي سره حرضهم وانصرف الى موقفه قالوا وسار عمرو بن العاص في الناس وهو احد الامراء كسير اخيه

(١) بدروا اسرعوا (٢) الدحض الابطال (٣) الملتحد الميل والعدول .

وما والاه فساروا حتى نزلوا الجابية وانضم اليهم اخوانهم فكانوا جميعا ثم اجتمع الامراء في خباء يزيد بن ابي سفيان ينتظرون خبر عين (١) لهم من قضاعة كانوا ارسلوه ليخبرهم بكثرة القوم وكان منزلهم على نهر الرواد ومرج الجولان فبينما هم على ذلك اذ طاف بهم ابو سفيان فقال ما كنت اظن ان ابقى حتى ارى اغلمة من قريش يذكرون امر حربهم ويتذاكرون بم يكيدون به عدوهم في منزلي ولا يحضروني فقال بعضهم لبعض هل لكم الى رأي شيخكم ثم قالوا ادخل يا ابا سفيان فدخل فقال ماعندكم فاخبروه بخبر القضاعي فقال ان معسكركم هذا ليس بمعسكر اني اخاف ان يأتيكم اهل فلسطين والاردن فيحولون بينكم وبين مددكم من المدينة فتكونوا بين عسكرهم فارتحلوا حتى تجعلوا اذرعات خلف اظهركم فيأتيكم المدد والخبر فقبلوا ذلك من رأيه ثم قال اذ قبلتم هذا من رأيي فاجعلوا خالدا بن الوليد اميرا على الخيل ومروه بالوقوف فيما بين العسكرين وبين الخيل فانه سيكون لرحيل العسكر وقت السحر اصوات عالية تحدث لعدوكم فيكم طمعا فان اقبلوا يريدون ذلك لقيتهم الخيول فكفتها وان كانت للخيول جولة دافعت عنها الرماة فقبلوا ذلك منه ونادوا بالرحيل وقت السحر فنادت الروم ان العرب قد هربت فاقبلت فلقيتها الخيول فكفتها حتى سار العسكر وتبعتها الرماة وساقتها الخيول حتى نزلوا خلف اليرموك وجعلوا اذرعات خلف ظهورهم ونزلت الروم فيما بين دير ايوب الى مايليه من نهر اليرموك بينهم النهر فعسكروا هنالك اياما فبعث ماهان الى خالد بن الوليد ان رأيت ان تخرج الى في فوارس واخرج اليك بمثلهم اذكرك امراً لنا ولكم فيه صلاح وخير ففعل خالد بن الوليد موافقة له فلما اجتمعا كان فيما عرض عليه ان قال له قد علمت ان الذي اخرجكم من بلادكم غلاء السعر وضيق الامر بكم واني قد رأيت ان اعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وراحلة (٢) تحمل حملها من الطعام والكسوة والادم (٣) فترجعون بها الى بلادكم وتعيشون بها اهاليكم ونحن نعين لكم هذا في هذه المرة فاذا كان من قابل بعثتم الينا فبعثنا اليكم بمثله فانا قد جئناكم ومعنا من الجيوش والعدد مالا قبل

---

(١) العين الجاسوس (٢) الراحلة التى تصلح ان يوضع عليها الرحل وقيل الراحلة المركب من الابل ذكرا كان او انثى (٣) الادم جمع اديم وهو الجلد .

الاجعل الله له بعدها فرجا ولم يغلب عسر يسرين فان الله تعالى يقول يا ايها الذين آمنو اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال كعب الاحبار ان لله في اليمن كنزين جاء باحدهما يوم اليرموك وقال ابن اسحق مات المثنى بن حارثة فتزوج امرأته سلما ابنة حفص وذلك في سنة اربع عشرة واقام تلك الحجة للناس عمر بن الخطاب ودخل ابو عبيدة في تلك السنة دمشق فحاصرها فلما تضايقت الروم سار هرقل بهم حتى نزل انطاكية ومعه لخم وجذام وبلقين وبلي وعاملة وتلك القبائل من قضاعة وغسان ومعه جمع كبير من ارمينية فلما نزلها اقام بها وبعث الصقلان ليكون كالحصن له فسار في مأتى الف مقاتل ومعه من اهل ارمينية اثنا عشر الفا عليهم رجل يقال له جرجة ومعهم من المستعربة من غسان وتلك القبائل اثنا عشر الفا عليهم جبلة بن الايهم الغساني وكان على جملة الناس الصقلان فلما علم المسلمون بتلك الجموع ساروا اليهم وهم اربعة وعشرون الفا عليهم ابو عبيدة بن الجراح فالتقوا باليرموك في رجب سنة خمس عشرة فاقتتل الناس قتالا شديدا حتى دخل عسكر المسلمين وقاتل نساء من قريش بالسيوف حين دخل العسكر منهن ام حكيم بنت الحارث بن هشام حتى سابقن الرجال وحكى صفوان بن عبد الله بن جبير انه لما جرى صلح دمشق وحمص كان قيصر هو وجنوده بانطاكية يريد ان يدخل بهم بلاده فاتاه بطارقته من الروم واهل قنسرين واهل الجزيرة والحوا عليه بان يسيرهم فيقاتلوا المسلمين فابى عليهم فقالوا له اجعل علينا رجلا اميرا وسيرنا معه ففعل وجعل عليهم ماهان الرومي الارمني وسير معه من الروم مأتي الف والحقهم كثير من روم قنسرين واهل الجزيرة وغيرهم فبلغ ذلك المسلمين الذين كانوا على حمص فاجمعوا امرهم على المسير الى اخوانهم الذين بدمشق ليكون امرهم واحدا فقال لهم اهل مدينة حمص نحن على صلحنا ان ظفرتم ونحن الآن لا نكثر الاعداء عليكم ولا نمدهم قالوا نعم فسار المسلمون الى دمشق وسارت الروم الى حمص ثم الى بعلبك ثم الى البقاع ثم على حولة دمشق فخاف المسلمون ان يحال بينهم وبين اخوانهم المرابطين في سواد الاردن

وما زلت امسح منذ خرجت قال اصبت رواه عبد الله ابن وهب ورواه البيهقي بمعناه وروى من طرق متعددة وفي بعضها ان عقبة بن عامر قدم على عمر من مصر فقال له كم لك منذ لم تنزع خفيك قال من الجمعة الى الجمعة قال اصبت وفي رواية ان عقبة قدم على عمر اما قال من مصر واما قال من الشام فقال له منذكم لم تنزع خفيك قال من جمعة قال اصبت . وقال المغيرة افتتح شرحبيل بن حسنة الازدي جهات طبرية كلها عنوة (١) ما عدا طبرية فان اهلها صالحوه وذلك بامر ابي عبيدة وقال ابن الكلبي بعث ابو عبيدة خالدا بن الوليد فغلب على ارض البقاع وصالحه اهل بعلبك وكتب لهم كتابا وقال ابن المغيرة على ابيه صالحهم على انصاف منازلهم وكنائسهم ووضع الخراج وقال ابن اسحق وغيره يعنون سنة اربع عشرة فتحت حمص وبعلبك صلحا على يدي ابي عبيدة في ذي القعدة ويقال في سنة خمس عشرة

« باب تاريخ وقعة اليرموك ومن قتل بها » من سوق الروم والملوك

قال يزيد بن عبيدة كانت واقعة اليرموك سنة خمس عشرة قاله ابو زرعة وقالوا كانت في رجب وقاله الليث بن سعد وزاد والخليفة يومئذ عمر بن الخطاب وهي من ارض الاردن وهو نهر وهذه الاقوال هي المحفوظة في تاريخ اليرموك وقد ذكر سيف بن عمر انها كانت سنة ثلاث عشرة قبل فتح دمشق ولم يتابعه احد على ما قاله وكان قد شهد اليرموك الف رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم نحو من مائة من اهل بدر وقال سعيد ابن عبد العزيز ان المسلمين كانوا اربعة وعشرين الفا وعليهم ابو عبيدة بن الجراح والروم عشرين الفا ومائتا الف عليهم ماهان وسقلان وعن زيد ابن اسلم عن ابيه قال سمعت عمر يقول ما استطيع ان اصلى قال فلما حضر ابو عبيدة وتالب (٢) عليه العدو كتب اليه عمر اما بعد فانه مهما ينزل بعبده شدة

---

(١) العنوة القهر والغلبة وهو من عنا يعنو اذا ذل وخضع (٢) التالب اجتماع القوم على عداوة انسان .

وقفوا على باب حمص فظن اهلها انهم لما يأتوا حمص الا وقد صالحوا اهلها فقالوا نحن على ماصالحتم عليه اهل دمشق ففعلوا وقال عبد الرحمن بن جبير بن نفير ان المسلمين لما افتتحوا مدينة دمشق بعثوا ابا عبيدة بن الجراح وافدا الى ابي بكر وبشيرا بالفتح فلما قدم المدينة وجد ابا بكر توفي رحمة الله عليه ورضوانه واستخلف عمر بن الخطاب فاعظم عمر ان يأتمر على ابي عبيدة احد من اصحابه قولا فولاه جماعة الناس فقدم عليهم فقالوا مرحبا بمن بعثناه بريدا فقدم علينا اميرا وقال مكحول ان الذي ابرد يفتح دمشق رجل من الصحابة ليس بابي عبيدة وانه اخبر عمر انه لم يخلع خفيه من يوم الجمعة الى يوم الجمعة وقال ابو عبد الله ابن عائذ الواقدي هذا اصح وعليه الناس وفي حديث عبد الرحمن بن جبير خطأ في مواضع ثلاثة احدها قوله ان دمشق فتحت في خلافة ابي بكر وانما حوصرت في خلافته ولم تفتح الا بعد وفاته والثاني قوله ان عمر ولى ابا عبيدة بالمدينة وانما ولاه وهو مقيم بالشام فبعث اليه بكتاب توليته وهم محاصروا دمشق فكتمه ابو عبيدة خالدا حتى تم الفتح والثالث قوله ان ابا عبيدة كان البريد ويدل عليه ايضا اجماع اهل التواريخ على ان فتح دمشق كان سنة اربع عشرة وبلا خلاف ان ابا بكر توفي سنة ثلاث عشرة في جمادى الآخرة ويدل على ان البريد كان بفتح دمشق عقبة بن عامر ولم يكن ابو عبيدة بريدا وروى باسناده الى عقبة بن عامر انه قال قدمت على عمر رضى الله عنه بفتح دمشق وعلى خفان فقال كنت تمسح عليهما قلت نعم قال منذكم قلت منذ جمعة قال اصبت السنة (١) وروى من جه آخر عن عقبة انه قال ابردت بفتح دمشق وعلى خفان جرمقيان (٢) فقال عمر متى عهدك قال يوم الجمعة وهذا يوم الجمعة

---

(١) ذهب الى هذا المذهب الليث بن سعد فقال يمسح على الخفين ما بداله وكذلك قال الامام مالك فى المسافر وله فى المقيم روايتان احداهما يمسح ماشاء والثانية يمسح يوما وليلة وروى ابو داود عن ابن ابى عمارة انه قال يارسول الله امسح على الخفين قال نعم قال يوما قال ويومين قال وثلاثة قال نعم وما شئت واستدل القائلون بهذا بالقياس فقالوا ان المسح على الخفين كمسح الرأس والجبيرة فلم يتوقت بوقت واخرج ابو داود عن خزيمة ابن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المسح على الخفين ثلاثة ايام وللمقيم يوم وليلة وفى رواية ولو استزدناه لزادناه وروى عن مالك فيالعتبية المنع من المسح على الخفين وقال ابن اصبع المسح عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن اكابر اصحابه اثبت عندنا من ان نتبع مالكا على خلافه اهـ (٢) جرمقيان واحدها جرموق كعصفور قال فى الصحاح هو الذى يلبس فوق الخف اهـ وفى التاج قيل هو خف صغير يلبس فوق الخف .

منعنا كموامنهم وقد زعزع القفا　وكنا قديمانمنع الجار ذا الذنب(١)
هنالك اذ لا يمنع النـاس وسمة　واذ انتمحروب بمدرجة الترب(٢)
وقد علمـت ابنـا تميم بـاننـا　لنا العز قد ماعند ذائدة النهب(٣)
وامـا موالينـا تعز بعـزنـا　وموالاكم الماكول انكان ذا سهب(٤)

وقال ايضا

من ذا عـلى الاجداث عز كعزنـا　اذا الحرب قامت بالجموع على قفر(٥)
فسائل بنا سيطاس والروم حوله　غداة دمشق والحروب بها تجري(٦)
ينبوك انا في الحروب مصـالب　نسيل اذا جاش الاعاجم بالثغر(٧)
بقوم تراهم فـي الـدهور اعزة　لهم عرض ما بين الفرائص والوتر(٨)
ابـى الله الا ان عمـرا بنـا هموا　قوائم حرب لا تلين ولا تجري(٩)

قال ابو عبيد القاسم بن سلام ان مدينة دمشق افتتحها خـالد بن الوليد صلحا وزد على هذا ان مدن الشـام كـانت كلها صلحا دون ارضها على يدي يزيد ابن ابي سفيان وشرحبيـل بن حسنة وابـي عبيدة بن الجراح قال الوليد اخبرني غير واحد من شيوخ دمشق قالوا بينما المسلمون على حصـار دمشق اذ اقبلـت خيـل عظيمـة مزينـة بالحرير هابطـة مـن ثنية السلمية فرآهم المسلمون وهـم منحدرون منهـا فخرج اليهـم جمـاعة مـن المسلمـين فيما بـين بيت لهيـا والثنيـة التـي هبطـوا منها فهزمهم الله تعالى وطلبهم المسلمون يترجل هؤلاء وينزل هؤلاء حتى

---

(١) المعنى منعناكم عن التقدم يوم الوغا والحرب والحال ان اقفيتكم قد تزعزعت اى تحركت تحركا شديدا فوليتم الادبار من الخوف وكنا قديما نمنع جارنا من كل ما يسؤه وان كـان مذنبا وانتم جيراننا ولكن سنة الحرب تقتضى ان نعاملـكم تلك المعاملة (٢) لا يمنع النـاس وسمة اى لايمكنهم المدافعة عن راياتهم وعلامـاتهم والمحروب مأخوذ من الحرب بفتح الحـاء والراء وهو نهب مال الانسان وتركه لاشيء معه ومدرجة الترب التراب الذى تفشيه الرياح اذا عصفت (٣) ذائدة النهب المحاماة والمدافعة عن النهب والمعنى اننا نرغب فى العز ولا نريد النهب (٤) السهب كثرة العطاء والمستهب الجواد قاله الليث (٥) الجدث القبر والقفر المفازة التى لا نبات فيها ولا ماء والمعنى ان الحروب اذا قامت بها الجموع فى القفار تجسم العز على قبورنا لاننا لم نقتل الا كراما (٦) سيطاس اسم قائد عسكر الروم يومئذ (٧) المصالب جمع مصلب بتشديد اللام وهو اليابس الشـديد اى يخبروك باننا اشداء فى الحرب نسيـل اى نندفع مثل السيل اذا جاش أي ارتاع وخاف (٨) الفرائص جمع فريصة وهي عصب الرقبة وعرقها والوتر جمع وترة وهي عصبة تحت اللسان والمعنى ان لهم اعنـاق الاعداء يتصرفون بها كيف شاؤا (٩) قوائم حرب اى حرب قائمة .

جعدة فخروا بذلك وعددوه وعيروه فاجابهم النابغة بن جعدة بقوله

فان تكن قدم بالشام نادرة (١) فان بالشام اقداما واوصالا
وان يكن حاجب ممن فخرت به فلم يكن حاجب عما ولا خالا

ثم فخر عليهم فقال

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فصارا بعد ابوالا (٢)

وقال القعقاع بن عمرو في يوم دمشق

اقمنا على داري سليمان اشهرا نجالد روما وماقد حملنا بصارم (٣)
قصصنا الى الباب العراقي عنوة فدان لنا مستسلما كل قائم (٤)
اقول وقد دارت رحانا بدراهم اقيموا لهم الدرى بالغلاصم (٥)
فلما زأدنا في دمشق نحورهم وتدمر عضوا منهما بالاباهم (٦)

وقال ابو بجيد نافع بن الاسود

فلا تحسبني وابن امي صلصلا كقاسمة الباكين مزكية الحرب (٧)
تركنا دمشقا منهلا بطريقنا نحن اليها ما نحن من الكرب (٨)
كأنك لم تشهد دمشقا وحايلا ويوما ببصرى حين فلط بني لهب (٩)
فانا واياهم سحاب بقفرة تلحقها الارواح بالصيب السكب (١٠)

---

(١) نادرة ساقطة (٢) القعب قدح بمقدار ما يروى الرجل وشيب خلط والمعنى ان فعالنا هى المكارم الحقيقية وليست المكارم الكرم بقدح صفير فيه لبن بمقدار ما يشربه الرجل قد خلط بماء حتى صار لونه يشبه لون البول (٣) دارى سليمان اسم مكان والمراد هنا تدمر ودمشق لانهما كانا دارين لسليمان عليه السلام والجلاد الضرب بالسيف فى القتال جلدته بالسيف والسوط ونحوه اذا ضربته به والصارم السيف القاطع (٤) المعنى تتبعنا وتوجهنا الى الباب الذى يسار منه الى العراق وهو الباب الشرقى عنوة وقهرا فدان لنا اى اطاعنا كل قائم (٥) دوران الرحى كناية عن قيام الحرب على ساقها لان الحرب تهلك النفوس كما ان الرحى تهلك الحب فتطحنه والدرى شيء كالمسلة يكون مع المرأة تصلح به شعرها والغلاصم جمع غلصمة وهو اللحم الذي بين الرأس والعنق او هو رأس الحلقوم والمعنى يقول لنسائهم اجعلوا لرجالكم المدارى برأس حلقومهم لجبنهم وخوفهم من الحرب (٦) يقول لما افزعنا فى دمشق وتدمر نحورهم وولوا الادبار صاروا يعضون ابهامهم اسفا وحزنا (٧) اى لا تظن انني وابن أمي صلصلا من الذين يقاسمون الجبناء البكاء عند ماتذكو الحرب أي تشتعل نارها (٨) المنهل من المياه كلما يطؤه الطريق وما كان على غير الطريق لايدعى منهلا ولكن يضاف الى موضعه او الى من هو مختص به فيقال منهل بنى فلان اى مشربهم والمعنى تركنا دمشق فى طريقنا نحن اليها مثل ما نحن من الكرب (٩) حائل اسم مكان والفلط لمفاجأة فى لغة هزيل اى حين فاجأها بنو لهب (١٠) المعنى انا وبنى لهب كسحاب فوق ارض مقفرة تلحقها الارواح جمع ريح فتجود بالمطر الكثير المنسكب وهو مثال للسرعة وكثرة الخير .

الى اول من يليه فأقامهم وانحدر الى الباب فقتل البوابين وثار اهل المدينة وفزع سائر الناس فاخذوا مواقفهم ولا يدرون ما الشأن وتشاغل اهل كل ناحية بما يليهم فقطع خالد بن الوليد ومن معه اغلاق الباب بالسيوف وفتحوا للمسلمين فاقبلوا عليهم من داخل حتى مابقي مما يلي باب خالد مقاتل الا تقدم ولما شد خالد على من يليه وبلغ منهم الذي اراد عنوة وارز من افلت الى اهل الابواب التي تلي غيره وقد كان المسلمون دعوهم الى المناظرة فابوا وابعدوا فلم يفاجئهم الاوهم يتوقعون لهم بالصلح فاجابوهم وقبلوا منهم وفتحوا لهم الابواب وقالوا ادخلوا وتمتعوا فامن اهل ذلك الباب فدخل اهل كل باب بصلح ما يليهم ودخل خالد مما يليه عنوة فالتقى خالد والقواد في وسطها استعراضا وانتهاما وهؤلاء صلحا وتسكينا فاخروا ناحية مجراهم وقالوا قد قروا الينا ودخلوا معنا فاجاز لهم ذلك رضى الله عنه فاجرى النصف الذي اجرى عنوة مجرى الصلح فصار صلحا وكان صلح دمشق على مقاسمة الديار والعقار ودينار على كل رأس واقتسموا الاسلاب فكان اصحاب خالد فيها كاصحاب سائر القواد وجرى على الديار ومن بقي في الصلح جريب من كل جريب ارض ووقفوا ما كان للملوك ومن صوب معهم فيأ وقسموا لذي الكلاع ومن معه ولابي الاعور ومن معه ولبشير ومن معه وبعثوا بالبشارة الى عمر وقدم على ابي عبيدة كتاب عمر بان اصرف جند العراق الى العراق فامر على جند العراق هاشما بن عتبة وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى مجنبته عمرو بن مالك الزهري وربعي بن عامر وانصرفوا بعد دمشق نحو سعد فخرج هاشم نحو العراق في جند اهل العراق وخرج القواد نحو فحل وكان اصحاب هاشم عشرة آلاف الا من اصيب منهم فعوضوهم بناس ممن لم يكن منهم وخرج علقمة ومسروق الى ايلياء فنزلا على طريقها وبقي بدمشق مع يزيد بن ابي سفيان من قواد اهل اليمن عدد منهم عمرو بن شمر بن غزنة وسهم بن المسافر بن هزنة ومسافع ابن عبد الله بن شافع وبعث يزيد بن ابي سفيان دحية بن خليفة الكلبي في خيل بعد فتح دمشق الى تدمر وابا الزهراء القشيري الى البنسينة وحوران فصالحوهم على صلح دمشق وولى القيام على فتح مابعث الله اليهم من الخير وكان اخو ابى الزهراء قد اصيب رجله بدمشق يوم فتحها فلما هاجا بنوا قنر بني

عبيدة من المرج وقدم خالد بن الوليد وعلى مجنبته عمرو وابو عبيدة وعلى الخيل عياض وعلى الرجال شرحبيل فقدموا على دمشق وعليهم بسطاس بن بسطوريمن فحصروا اهل دمشق ونزلوا حواليها فكان ابو عبيدة يومئذ بحمص ومدينة حمص بينه وبينهم فحاصروا اهل دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً وقاتلوهم قتالا شديداً بالزحوف والترمي والمجانيق وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغياث وهرقل منهم قريب وقد استمدوه وذو الكلاع بين المسلمين وبين حمص في جبل على رأس ليلة من دمشق كأنه يريد حمص وجاءت خيول هرقل معينة لاهل دمشق فأثخنتها الخيول التي مع ذي الكلاع بالجراح وشغلتها عن الناس ففروا ونزلوا بازائه واهل دمشق على حالهم فلما ايقن اهل دمشق ان الامداد لا يصل اليهم فشلوا وذهلوا وابلسوا وازداد المسلمون طمعاً فيهم وقد كانوا يرون انها كالغارات قبل ذلك اذا هجم البرد قفل الناس فغاب نجم الثريا والقوم مقيمون فعند ذلك انقطع رجائهم وندموا على دخول دمشق وولد للبطريق الذي على اهل دمشق مولود فصنع لاجله طعاماً فأكل القوم وشربوا وغفلوا عن مواقفهم ولا يشعر بذلك احد من المسلمين الا ما كان من خالد بن الوليد فانه كان لا ينام ولا يسأم ولا يخفي عليه من امورهم شيء عيونه زاكية وهو معنى بما يليه قد اتخذ حبالا كهيئة السلاليم واوهافاً فلما امسى من ذلك اليوم نهد ومن معه من جنده الذين قدم بهم عليهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومدعور بن عدي وامثاله من اصحابه في اول نومة الناس وقال اذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا الينا وانهدوا الى الباب فلما انتهى الى الباب الذي يليه هو واصحابه المتقدمون رموا بالحبال وعلى ظهورهم القرب التي قطعوا بها خندقهم فلما ثبت لهم وهفان تسلق فيها القعقاع ومدعور ثم لم يدعا احبولة الا اتياها والاوهاف بالشرف وكان المكان الذي اقتحموا منه احصن مكان يحيط دمشق واحصنه ماء واشده مدخلا وتوافوا لذلك فلم يبق ممن قدم معه احد الا رقى او دنا من الباب حتى اذا استووا على السور انحدر عامة اصحابه وانحدر معهم وخلف من يحمي ذلك المكان لمن يرتقي وامرهم بالتكبير فكبر الذين على رأس السور فهد المسلمون الى الباب ومال الى الحبال بشر كثير فوثبوا فيها وانتهى خالد

الحميري كيلا تغتال برده ويقطع العدو على موادة وخرج ابو عبيدة حتى
تنزل بالصفرين وهو يريد اتباع الفالة ولا يدري هل يجتمعون ام يتفرقون
فأتاه الخبر بأنهم ارزؤا الى فحل فأتاه الخبر بأن المدد اتى اهل الشام
فهو لا يدري ابدمشق يبدأ ام بفحل من بلاد الاردن فكتب بذلك الى عمر
وانتظر الجواب واقام بالصفرين ولما جاء عمر الخبر بفتح اليرموك اقر
الامراء على ما كان استعملهم عليه الا ما كان من عمرو بن العاص وخالد
بن الوليد فانه ضم خالداً الى ابي عبيدة وامر عمراً بمعونة الناس حتى
يصير الحرب الى فلسطين واهل حمص فان فتحها الله قبل دمشق
تولى حربها ولما جاء عمر رضي الله عنه الكتاب من ابي عبيدة بالذي
ينبغي ان يبدأ به كتب اليه اما بعد فأبدؤا بدمشق وانهدوا لها فانها حصن
الشام وبيت مملكتكم واشغلوا عنكم اهل فحل بخيل تكون في ازائهم
وفي نحورهم واهل فلسطين واهل حمص فان فتحها الله عز وجل فذلك
الذي نحب وان تأخر فتحها فاصبروا حتى يفتح الله عز وجل دمشق
فلتترك دمشق لمن تمسك بها ودعوها وانطلق انت وسائر الامراء حتى
تعبروا على فحل فان فتحها الله عز وجل عليهم فانصرف انت وخالد
الى حمص ودع شرحبيل وعمراً وحلهما بالاردن وفلسطين انت وامير
كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من امارته فسرح ابو عبيدة الى
اهل فحل عشرة قواد كالاعور السلمي وعبد وعمرو بن يزيد بن عامر
الجرشي وعامر بن حتمة وعمرو بن كلب بن يحصب وعماره بن الصعق
بن كلب وصيفي بن علبة بن سنامل وعمرو بن الجنيب ووليدة بن عامر
بن خثعمة وبشر بن عصمة وعمارة بن محسن قائد الناس ومع كل رجل
خمسة قواد قريباً من فحل وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا
يجدوا من يحتمل ذلك منهم فساروا من الصفرين حتى نزلوا قريباً
من فحل فلما رأت الروم ان الجنود تريدهم تبقوا الى المساء حول فحل
فأقاموا بأرضهم ثم ساروا في الارض ليلا واغتنم المسلمون ذلك فحبسوا
عن المسلمين ثمانين الف فارس فكان اول محصور بالشام اهل فحل ثم
اهل دمشق وفلسطين والامير يريد يفصل وفصل بأبي عبيدة من المرج
وبعث ابو عبيدة ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحمص ردأ وبعث علقمة ابن
حكيم ومسروقا فكان بين دمشق وفلسطين والامير يريد ان يفصل بأبي

ينقضي ذلك كله ثم قد كنت اعلمك ان شاء الله وما سلطان الدنيا اريد وما للدنيا اعمل وان ما ترى سيصير الى زوال وانقطاع وانما نحن اخوان وقوام بأمر الله عز وجل وما يضر الرجل ان يلي عليه اخوه في دينه ودنياه بل يعلم الوالي انه يكاد ان يكون ادناهما الى الفتنة واوقعهما في الخطيئة لما تعرض من الهلكة الا من عصم الله عز وجل وقليل ما هم ودفع ابو عبيدة عند ذلك الى خالد بن الوليد الكتاب قال ابو حذيفة وولي ابو عبيدة حصار دمشق وولي خالد بن الوليد القتال على الباب الشرقي وولاه الخيل اذا كان يوم يجتمع المسلمون فيه للقتال فحاصروا دمشق بعد هلاك ابي بكر حولا كاملا واياماً وانه لما طال على صاحب دمشق انتظار مدد قيصر ورأى المسلمين لا يزدادون الا كثرة وقوة وانهم لايفارقونه اقبل يبعث الى ابي عبيدة يسئاله الصلح وكان ابو عبيدة احب الى الروم وسكان الشام من خالد بن الوليد فكاد ان يكون الكتاب منه احب اليهم وكان اكتبهما واقربهما منهم قربا وكان قد بلغهم انه اقدمهما هجرة واصلاحا فكانت رسل صاحب دمشق انما تأتي ابا عبيدة وخالد يلح على اهل الباب فارسل صاحب دمشق الى ابي عبيدة فصالحه وفتح باب الجابية والح خالد على الباب الشرقي فافتتحه عنوة فقال خالد لابي عبيدة اسهمهم فاني قد افتتحها عنوة فقال ابو عبيدة لا اني قد امنتهم ودخل المسلمون دمشق قالوا وكان فتح دمشق سنة اربع عشرة في رجب لخمس عشرة ليلة مضت منه يوم الاحد ولثلاثة عشر شهرا من خلافة عمر الا سبعة ايام وكان اهل دمشق قد بعثوا الى قيصر وهو بانطاكية رسلا يقولون له ان العرب قد حاصرونا وليست لنا بهم طاقة وقد قاتلناهم مرارا فعجزنا عنهم فان كان لك فينا وفي السلطان علينا حاجة فامددنا واعنا والا فانا في ضيق وجهد فاعذرنا وقد اعطانا القوم الامان ورضوا منا بالجزية اليسيرة فسرح اليهم ان تمسكوا بحصنكم وقاتلوا عدوكم على دينكم فانكم ان صالحتموهم وفتحتم حصنكم لهم لم يفوا لكم واجبروكم على دينهم واقتسموكم بينهم وانا مسرح اليكم الجيش في اثر رسولي هذا فانتظروا جيشه فابطأ عليهم وكتب عمر الى ابي عبيدة يأمره بالمناهضة قال سيف بن عمرو لما هزم الله عز وجل جند اليرموك وتهافت اهل الواقوصة وفرغ من المقاسم والانفال وبعث بالاخماس وسرحت الوفود واستخلف ابو عبيدة على اليرموك بشيرا ابن كعب بن ابي

وان يضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثة ايام وان لا يشتموا مسلماً ولا يضربوه ولا يرفعوا في نادي اهل الاسلام صليباً ولا يخرجوا خنزيراً من منازلهم الى افنية المسلمين ولا يمروا في الخمر في ناديهم وان توقد النيران للغزاة في سبيله عز وجل ولا يدلوا للمسلمين على عورة وان لا يحدثوا بناء كنيسة ولا يضربوا بناقوسهم قبل اذان المسلمين وان لا يخرجوا الرايات في عيدهم وان لايلبسوا السلاح في عيدهم وان لا يظهر السلاح في بيوتهم فان فعلوا شيئا من ذلك عوقبوا واخذ منهم وحسب لهم في جزيتهم ومنهم من قال وقد كان ابو بكر رضى الله عنه توفى قبل فتح دمشق وكتب عمر رضى الله عنه الى ابي عبيدة بالولاية على الجماعة وعزل خالد بن الوليد فكتم ابو عبيدة الكتاب من خالد وغيره حتى انقضت الحرب كما تقدم آنفا فكتب خالد الامان لاهل دمشق وابو عبيدة الامير وهم لا يدرون قال فكان كتاب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بنعي ابي بكر واستعماله ابا عبيدة بن الجراح وعزله خالدا . بسم الله الرحمن الرحيم من عمر امير المؤمنين الى ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لااله الاهو امابعد فان ابا بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي فانا لله وانا اليه راجعون ورحمة الله وبركاته على ابي بكر الصديق العامل بالحق والآمر بالقسط والآخذ بالعرف اللين الستير الوادع السهل القريب الحكيم نحتسب مصيبتنا فيه ومصيبة المسلمين عامة عند الله تعالى وارغب الى الله في العصمة بالتقى في مرحمته والعمل بطاعته ما احياناً والحول في جنته اذا توفانا فانه على كل شيء قدير وقد بلغنا حصاركم لاهل دمشق وقد وليتك جماعة المسلمين فبث سراياك في نواحي اهل حمص ودمشق وما سواها من ارض الشام وانظر في ذلك برأيك ومن حضرك من المسلمين ولا يحملنك قولي هذا على ان تغري عسكرك فيطمع فيك عدوك ولكن من استغنيت عنه فسيره ومن احتجت اليه في حصارك فاحتبسه وليكن فيمن يحتبس خالد بن الوليد فانه لا غنى بك عنه قالوا فدفع ذلك الكتاب الى خالد بن الوليد بعد فتح دمشق لنحو من عشرين ليلة فاقبل حتى دخل على ابي عبيدة فقال يغفر الله لك اتاك كتاب امير المؤمنين فلم تعلمني وانت تصلي خلفي والسلطان سلطانك فقال ابو عبيدة وانت يغفر الله لك ما كنت لأعلمك ذلك حتى تعلمه من عند غيري وما كنت لاكثر عليك حزنك حتى

من اهل المعاندة والشقاق على ذلك اعطينا الامان لانفسنا واهل ملتنا فأقرونا في بلادكم التي ورثكم الله اياها شهد الله على ما شرطنا لكم على انفسنا وكفى به شهيداً وحكى ابو عثمان الصنعاني ان يزيد بن ابي سفيان دخل من الباب الصغير قسراً وان خالداً دخلها من الباب الشرقي صلحاً لذلك الصلح الذي كان من خالد في بعضها فغلب الصلح على العنوة وامضيت دمشق كلها صلحاً انتهى وعلى هذا فلا فائدة في الخلاف في ان الذي دخل قسراً هل هو يزيد ام خالد وقال اسحق بن بشير ان عمر بن الخطاب على جده وانصافه كان اكثر همه وهم المسلمين معه جيوشهم التي بالشام وكان اعظم همه وهم في حصارهم في دمشق ان لا يفتحوها والامراء على منازلهم وخالد عليهم لم يحركوه لئلا يرى العدو واختلاف امورهم وكتموا عن العدو وفاة ابي بكر جهدهم فلما طال عليهم الحصار دس بطريقهم عيوناً فجسوا عساكرهم وامرائهم ثم عادوا الى عظيمهم فسألهم ما جسوا ورأوا فقالوا أما الليل فطول القيام واما النهار فالخير الظاهر والحرص على الجهاد وان وجد احدهم نعلا او كبة من شعر او غزل دفعها الى صاحب المغنم فاذا قال صاحب المقسم ما هذا قالوا هذا لا نستحله الا بحله (١) فلما سمع عظيم دمشق هذه القصة قال ما لنا بهؤلاء طاقة ولا لنا في قتالهم خير فراضوا خالداً عند ذلك على الصلح حتى صالحهم ودخلها من بابها بصلح وعليهم ابو عبيدة من الناحية الاخرى فدخلها عنوة فالتقيا في مدينة دمشق وفيهم من قال ابو عبيدة هو الذي صالح وخالد هو الذي دخلها عنوة فقال احدهما قد اعطيت الامان وقال الآخر انه دخلها عنوة فقالوا نمضي الامان فكتب لهم خالد كتاب امان فيه شهادة ابي عبيدة وغيره من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وكان صالح اهل دمشق على دينارين دينارن وشيء من طعام وبعضهم على الطاقة ان زاد المال زاد عليهم وان نقص ترك ذلك عنهم وكان قد اشترط على اهل الذمة بأرض الشام ان عليهم ارشاد الضالة وان يبنوا قناطر ابناء السبيل من اموالهم

---

(١) من هنا يعلم ان العدل والاتحاد ومعرفة الانسان ماله وما عليه هو قاعدة الترقي والعمران ومنه يكون الظفر والنصر على الاعداء وان الظلم واغتصاب حقوق الغير والتخاذل هو النار الحامية التى تفرق الامة وتجعل رقابها بيد اعدائها ومن كان فى شك من ذلك فليطالع ما يأتى فى هذا الكتاب مطالعة متبصر يهتد الى الصواب ويعلم الاسباب التى تنقل الدولة من امة الى امة وهذا هو المقصود الاعظم من التاريخ .

لابي عبيدة اسبهم فاني قد فتحتها عنوة فقال ابو عبيدة اني قد امنتهم فأبرم لهم ابو عبيدة الصلح وكتب لهم كتاباً وهذا كتابه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لابي عبيدة بن الجراح ممن اقام بدمشق وارضها وارض الشام من الاعاجم انك حين قدمت بلادنا سألناك الامان على انفسنا واهل ملتنا وانا اشترطنا لك على انفسنا ان لانحدث في مدينة دمشق ولا فيما حولها كنيسة ولا ديراً ولا قلامة ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب من كنائسنا ولا شيئاً منها مما كان في خطط المسلمين ولا نمنع كنائسنا من المسلمين ان ينزلوها في الليل والنهار وان نوسع ابوابها للمارة وأبناء السبيل ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً ولا نكتم على من غش المسلمين وعلى ان لا نضرب بنواقيسنا الا ضرباً خفياً في جوف كنائسنا ولا نظهر الصليب عليها ولا نرفع اصواتنا في صلاتنا وقرائتنا في كنائسنا ولا نخرج صليبنا ولا كتابنا ولا نخرج باعوثاً ولا سعانين (١) ولا نرفع اصواتنا بموتانا ولا نظهر النيران معهم في اسواق المسلمين ولا نجاورهم بالخنازير ولا نبيع الخمور ولا نظهر شركاً في نادي المسلمين ولا نرغب مسلماً في ديننا ولا ندعو اليه احداً وعلى ان لا نتخذ شيئاً من الرقيق الذين جرت عليهم سهام المسلمين ولا نمنع حداً من قرابتنا ان أرادوا الدخول في الاسلام وان نلزم ديننا حيثما كنا ولا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نتسمى بأسمائهم وان نجز مقادم رؤوسنا ونفرق نواصينا ونشد الزنانير على اوساطنا وان لا ننقش في خواتيمنا بالعربية ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نجعله في بيوتنا ولا نتقلد السيوف وان نوقر المسلمين في مجالسهم ونرشدهم الطريق ونقوم لهم من المجالس اذا أرادوها ولا نطلع عليهم في منازلهم ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نشارك احداً من المسلمين الا ان يكون للمسلم امر التجارة وان نضيف كل مسلم عابر سبيل من اوسط ما نجد ونطعمه فيها ثلاثة ايام وعلينا ان لا نشتم مسلماً ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده . ضمنا ذلك لك على أنفسنا وذرارينا وأرواحنا ومساكننا وان نحن غيَّرنا او خالفنا عما اشترطنا لك وقبلنا الامان عليه فلا ذمة لنا وقد حل لك منا ما حل

---

(١) الباعوث للنصارى كالاستسقاء للمسلمين وهو اسم سريانى وقيل هو بالغين المعجمة والتاء فوقها نقطتان والسعانين بالسين المهملة اسم عيد للنصارى يكون قبل عيدهم الكبير باسبوع وهو سريانى ايضا قاله فى النهاية .

ان جعلوها صلحاً وقال الاوزاعي كنت عند ابن سراقة عندما أتاه النصارى من اهل دمشق بعهدهم فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من خالد ابن الوليد لاهل دمشق اني امنتهم على دمائهم وكنائسهم ان لا تسكر ولا تهدم شهد يزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة وقضاعة بن عامر وكتب في رجب من سنة اربع عشرة قال الوليد واخبرني من سمع يحيى بن يحيى الغساني يحدث عن الرجلين من قومه اللذين دخلا دمشق يتسوقان منها قبل حصارها فبعث اليهما بطريقها فأمر احدهما بالذهاب الى معسكر المسلمين ليأتيه بخبرهم ثم رجع فخبره بما خبره به فمنعهما من الخروج كراهية ان يزيع خبرهما قال فبينما نحن فيها اذ سمعنا التكبير حول المدينة وجعل كل قوم من اهلها على ما يليهم من حائطها وكنا ممن جعلهم على الباب الشرقي فنزل خالد ومن معه دير خالد ونزل ابو عبيدة ومن معه ويزيد على باب الجابية فبينما نحن على برج بابها الشرقي اذ نشب اصحاب خالد بن الوليد القتال ودنا رجل منهم في يده اليمنى السيف وفي يده اليسرى الدرقة فنادى بالبراز فقال لنا ما يقول قلنا انه يدعو الى المبارزة فأنزلوا حبشياً كالبعير متستراً بسلاحه فتدانى فضربه المسلم فقتله ثم نادى بالبراز فأنزلوا اليه صاحب بندهم فأجلسوه على باب داره فتدانى فضربه المسلم فقتله ثم نادى بالبراز فقالوا له قل للشيطان يبارزك وقال يزيد بن مرثد حدثني عصابة من قومي شهدوا فتح دمشق قالوا دخلها ابو عبيدة من باب الجابية بالامان ودخلها خالد بن الوليد من الباب الشرقي عنوة بالسيف وهو يقتل فالتقيا عند سوق الزيت فلم يدروا أيهما كان اولا هل العنوة أم الامان فاجتمعوا وقالوا والله ان اخذنا ما ليس لنا سفكنا الدماء واخذنا الاموال لنأثمن ولئن تركنا بعض مالنا لا نأثم قال فاجتمعوا على ان امضوه صلحاً وقال عباس بن سهل بن سعد لما حاصر المسلمون دمشق طال على صاحب دمشق انتظار مدد هرقل ورأى المسلمين لا يزدادون الا كثرة وقوة وانهم لا يفارقونه ارسل الى ابي عبيدة يسأله الصلح وكان ابو عبيدة احب الى الروم وسكان الشام من خالد وكان يكون الكتاب منه احب اليهم فكانت رسل صاحب دمشق انما تأتي أبا عبيدة وخالد يلح على اهل الباب الذي يليه فأرسل صاحب الرحا الى ابي عبيدة فصالحه وفتح له باب الجابية وألح خالد بن الوليد على الباب الشرقي ففتحه عنوة فقال خالد

الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر بأثرة اهله بكل ماقدر عليه من تقويتهم بالاموال التي صرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فيها مع اعماله رأيه ونظره وتدبيره اياه ما حضر منه او غاب ففتح الله به وعلى يديه الفتوح العظيمة من دمشق سنة اربع عشرة واليرموك سنة خمس عشرة وقال عبد الرحمن بن جبير بن نفير ان ابا بكر جهز بعد النبي صلى الله عليه وسلم جيوشا على بعضها شرحبيل بن حسنة ويزيد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص وارسل الى خالد بن الوليد ان يأتي من العراق فينضم اليهم وقد فتح الله عليه القادسية وجلولاء وامره ان يسرع فنزل خالد على شرحبيل ويزيد وعمرو فاجتمع هؤلاء الامراء الاربعة وكان فيما كتب اليه ان انصرف بثلاثة آلاف فارس فامد اخوانك بالشام والعجل العجل الى اخوانكم بالشام فوالله لقرية من قرى الشام يفتحها الله على المسلمين احب الى من رستاق (١) عظيم من رساتيق العراق ففعل خالد فاشتق الارض بمن معه حتى اجتمع بالمسلمين وهم معسكرون بالجابية فاجتمع الامراء ثم قدم سعد بعد ذلك وقال ابو عثمان الصنعاني لما فتح الله علينا دمشق خرجنا مع ابي الدرداء في مسلحة (٢) برزة ثم تقدمنا مع ابي عبيدة ففتح الله بنا حمص ثم تقدمنا مع شرحبيل بن السحط فاوطأ الله بنا مادون النهر يعني الفرات وحاصرنا عانات وقدم علينا سلمان في مدد لنا وقال ايضا حاصرنا دمشق فنزل يزيد بن ابي سفيان على باب الصغير ونزل ابو عبيدة على باب الجابية ونزل خالد بن الوليد على باب شرقي وكان ابو الدرداء ببرزة فحاصرناها اربعة اشهر وكان راهب دمشق قد طلب من خالد بن الوليد الصلح فشرط عليه خالد اشياء أبى الراهب ان يجيبه اليها قال فدخلها يزيد بن ابي سفيان قسرا من باب الصغير حتى ركبها وذهب الراهب كما هو على الحائط فاتى خالد بن الوليد ولايعلم احد ان يزيد قد دخلها قسرا فقال له هل في الصلح فقال وتجيبني الى ماشرطت عليك قال نعم فاشهد عليه ففتح له باب الشرقي فدخل يزيد فبلغ المقسلاط فالتقى هو وخالد عنده فقال هذا دخلتها عنوة وقال هذا دخلتها صلحا فاجمع رأيهم على

---

(١) الرستاق السواد يعنى القرية التى تكون خارج المدينة (٢) المسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدو وسموا مسلحة لانهم يكونون ذوى سلاح او لانهم يسكنون المسلحة وهى كالثغر والمرقب فيه اقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة فاذا رأوه اعلموا اصحابهم ليتاهبوا له .

باب كيف كان أمر دمشق في الفتح وما امضاه المسلمون لاهلها من الصلح

قال الاموي لما ولي عمر بن الخطاب فتحت على يديه دمشق سنة اربع عشرة قال ابو زرعة كان فتحها في رجب من السنة المذكورة وقال الوليد بن مسلم سمعت اشياخنا يقولون ان دمشق فتحت في سنة اربع عشرة وان عمر بن الخطاب توجه نحو الشام سنة ست عشرة فولاه الله فتح بيت المقدس على صلح ثم قفل راجعاً وقال سعيد بن عبد العزيز وكانت اليرموك سنة خمس عشرة وعلى المسلمين ابو عبيدة بن الجراح وقال ابراهيم بن سيف بن عمر كانت وقعة دمشق في شوال هكذا أورد الحافظ الاول بأسانيد متعددة ثم روى هذه الرواية واتبعها بروايات اخر فروى بالسند الى محمد بن اسحق انه قال سار المسلمون الى دمشق وعلى الناس خالد بن الوليد وقد كان عمر عزله وامر ابا عبيدة فرابطوها حتى فتح الله عليهم فلما قدم الكتاب على ابى عبيدة بامرته وعزل خالد استحيا ان يقرئى خالدا الكتاب حتى فتحت دمشق وكانت سنة اربع عشرة في رجب واظهر ابو عبيدة امرته وعزل خالد وقال خليفة بن خياط سار او عبيدة ومعه خالد بن الوليد فحاصرا دمشق ثم صالحوا ابا عبيدة وفتحوا له باب الجابية وفتح خالد احد الابواب عنوة واتم لهم ابو عبيدة الصلح وقال ابن الكلبي كان الصلح يوم الاحد النصف من رجب وروى خليفة بن خياط عن بكر بن عطية انه قال حاصرهم ابو عبيدة رجب وشعبان وشهر رمضان وشوال وتم الصلح في ذي القعدة وقال سعيد ابن كثير بن عفير المصري في تاريخ فتح دمشق حاصروها اربعة اشهر ومنهم من قال حاصروها اربعة عشر شهرا وروى الشيخ الاموي عن ابيه ان ابا بكر ولى سنتين واربعة اشهر فعلى يديه كانت وقعة اجنادين وفحل ثم مضى المسلمون الى دمشق فنزلوا عليها في رجب سنة ثلاث عشرة وتوفي ابو بكر رضى الله عنه بعد ذلك وولى عمر بن الخطاب فعلى يديه فتحت دمشق في سنة اربع عشرة قال وسمعت اشياخنا يقولون ان عمر بن الخطاب ولى سنة ثلاث عشرة فاقام عمر عمود رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وكان اول ماابتدأ به اقامة فريضة الجهاد والائتمام برسول

فبنيت مجدهم وما هدَّمته ... وبنى بعدي ان بقوا عمار
ما زال منا في الحروب مروس ... ملك يغير وخلفه جرار (١)
بطل اللقاء اذا الثغور توكلت ... عند الثغور مجرب مظفار
وغداة فحل قد رأوني معلماً ... والخيل تمخط والبلا اطوار (٢)
يفدي بلائي عندها متكلف ... سلس المياسر عودة حوار (٣)
سلس المياسر ما تسامى ما قطا ... عند الرهان معبر عيار (٤)
ما زالت الخيل العراب تدوسهم ... في حوم فحل والقنا موار (٥)
حتى رميت سراتهم عن اسرهم ... في ردغة ما بعدها استمرار (٦)
يوم الرداع فعند فحل ساعة ... وخز الرماح عليهم مدرار (٧)
ولقد أبرنا في الرداع جموعهم ... طراً ونحوي تبسم الابصار (٨)

وقال ايضاً

وغداة فحل قد شهدنا مأقطاً ... ينسي الكمى سلاحه في الدار (٩)
ما زلت أرميهم بقرحة كامل ... كر المبيح ريانة الابسار (١٠)
حتى فضضنا جمعهم بتردس ... ينفي العدو اذا سما جرار (١١)
نحن الاولى جسوا العراق بخيلهم ... والشام جسا في ذرى الاسفار (١٢)

---

(١) المروس الرئيس والجرار صفة لمحذوف أي جيش جرار (٢) يقال اعلم الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان وتمخط يسيل مخاطها من التعب والاطوار التارات التى تتتابع (٣) المعنى يفدينى بنفسه وقت الحرب واصل البلاء الاختبار وسمى الحرب بلاء لانه تظهر فيه افعال المحارب من خير او شر والمتكلف المتولع بامره وشأنه وسلس المياسر اى لين السماحة متساهلا وعوده حوار اى سهل الفتل من قولهم حار اى رجع ومعناه لين العريكة (٤) ماتسامى ماقطا يعنى ما ارتفع متغيظا والرهان المراهنة على السباق ومعبر سالك وعيار ذاهب ههنا وههنا من مرحه ومراده مدح فرسه (٥) اى والرماح تموج فيهم (٦) الردغ الماء والطين والوحل الشديد ومالها استمرار مالها بقاء (٧) الوخذ الطعن بالرمح ونحوه ولا يكون نافذا والمدرار الكثير (٨) ابرنا اهلكنا وهو من ابرت الكلب اذا اطعمته الابرة وفى الكلام تورية والرداع اسم مكان وتبسم هو فى الاصل هكذا ولعل المعنى انها تنظر الى فعله فرحة كأنها متبسمة (٩) المأقط اضيق المواضع فى الحرب والكلمى البطل (١٠) القرحة بالضم الغرة فى وسط الجبهة وفى وجه الفرس مادون الغرة وكامل صفة لمحذوف تقديره فرس كامل والمعنى ما زال يرميهم بغرة فرسه أى انه لم يزل مقابلا لهم وهو يكركر المبيح أى الاسد والريانة البطؤ والتأخر والابسار مصدر بسراى كلح وجهه والمعنى انى القاهم بوجه غير كالح لانى لا اهابهم (١١) فضضنا أى فرقنا جمعهم فتفرق وقوله بتردس كذا رأيته فى الاصل ويأتى بمعنى الضرب والدفع والتردى وهو كناية عن الجيش وجرار صفته وينفى العدو يبدده اذا سما اى اعتلا ميدان الحرب (١٢) ذرى الاسفار اعاليها والجس المس .

فأما اجنادين نكانت في جمادى الاولى واما فحل ففي ذي القعدة وقال محمد بن اسحق استخلف عمر بن الخطاب على رأس اثنتي عشرة سنة وثلاثة اشهر واثنتين وعشرين يوماً من الهجرة وكان امر الناس بالشام الى خالد بن الوليد والامراء على منازلهم فساروا قبل فحل من الاردن فلما استخلف نزع خالداً وامَّر ابا عبيدة على الاجناد وقال الواقدي وفي سنة اربع عشرة كان فتح مرج الصفراء فأقام المسلمون بها خمس عشرة ليلة من المحرم ثم زحف المسلمون الى دمشق في المحرم فحاصروها ستة اشهر الا يوماً ولما كانت وقعة اجنادين التقوا على النهر فكثر القتل في الروم يومئذ حتى جرى النهر وطحنت طاحونة بدمائهم فأنزل الله على المسلمين نصره وقتلت يومئذ ام حكيم اربعة من الروم بعمود فسطاطها وقتل من المسلمين اربعة عشرة رجلا وقال عمرو بن العاص شهدنا اجنادين ونحن يومئذ عشرون الفاً فهزم الله الروم وتفرقوا ثم انهم ساروا الى فحل فأتبعناهم حتى اجليناهم عنها وقال محمد بن عمرو اهل الشام قاطبة وعامة رواتنا يقولون ان اجنادين كانت قبل فحل وقال الوليد اخبرني معبد بن عبد العزيز وابن جابر ان اول وقعة كانت بين المسلمين وبين الروم بأجنادين نصر الله بها المسلمين قال ابن جابر فهي احدى ملاحم الروم التي أسروا فيها وقال الواقدي واليقين عندنا ان اجنادين كانت في جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وبشر بها ابو بكر رضي الله عنه وهو بآخر رمق فقال قوم هرقل لا يعرفون ما حدهم قد اسلمتهم هزيمتهم الى الوحل فركبوه ولحق اوائل المسلمين بهم وقد وحلوا فركبوهم ولا يمنعون يد لامس فوخزوهم بالرماح فكانت الهزيمة في فحل وكانت مقتلتهم في الرداغ فأصيب الثمانون الفاً ولم يتفلت منهم الا الشريد وانزل الله نصره على المؤمنين واقتسموا ما أفاء الله عليهم وانصرف ابو عبيدة وخالد من فحل الى حمص فصرفوا بشير بن كعب من اليرموك معهم ومضوا بذي كلاع ومن معه وخلفوا شرحبيل ومن معه . وقال القعقاع بن عمرو في يوم الفحل :

كم من اب لي قد ورثت فعاله ... جم المكارم بحره تيار (١)
ورث المكارم عن ابيه وجده ... فبنى بنائهم له استنصار

---

(١) الجم الكثير والتيار موج البحر ولجته .

اليها أبوا ان يدخلوا فيها وقالوا لا نستحل الحرير فانزل الينا فنزل الى فرش له ممهدة وبلغ ذلك هرقل فقال ألم أقل لكم هذا اول الذل اما الشام فكلا شام وويل للروم من المولود المشؤوم ولم يتأت بينهم وبين المسلمين صلح فرجع ابو عبيدة واصحابه وابعدوا فكان القتال حتى جاء الفتح وقال يحيى بن يحيى الغساني حدثني رجلان من غسان ان المسلمين لما كانوا بناحية الاردن قلنا ان دمشق ستحاصر فقال احدنا لصاحبه هل لك ان تدخل المدينة فنشتري من سوقها قبل إحصارها فبينما نحن نتسوق اذ أتانا رسول بطريقها يطلبنا فذهب بنا اليه فقال أنتما من العرب قلنا نعم قال وعلى النصرانية قلنا نعم فقال ليذهب أحدكما الى هؤلاء فيتجسس لنا من خبرهم ومن اين هن وليثبت الآخر على متاع اخيه ففعل ذلك احدنا فلبث لبثاً ثم جاء فقال جئتك من عند رجال رقاق يركبون خيولا مشاقاً اما بالليل فرهبان واما بالنهار ففرسان يريشون النبل ويبرونها ويقوِّمون القنا (١) لو حدثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما على من اصواتهم بالقرآن والذكر فالتفت الى اصحابه فقال منهم ما لا طاقة لكم به وقال ابن اسحق كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يثبت لهم العدو فواقاً (٢) عند اللقا فقال هرقل وهو على انطاكية لما قدمت منهزمة جيشه اخبروني ويلكم من هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليس هم بشر مثلكم قالوا بلى قال فأنتم أكثر أم هم قالوا بل نحن اكثر منهم اضعافاً في كل موطن قال فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم فقال شيخ من عظمائهم من اجل انهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ومن اجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بما يسخط الله وننهى عما يرضى الله ونفسد في الارض فقال له انت صدقتني .

باب ذكر ظفر جيش المسلمين المظفر وظهوره على الروم بأجنادين وفحل ومرج الصفراء

قال ابن شهاب الزهري كانت وقعة أجنادين وفحل في سنة ثلاثة عشرة

---

(١) القنا الرماح (٢) الفواق بضم الفاء وفتحها قدر ما بين الحلبتين من الناقة لاجل الراحة

رهبان بالليل وفرسان بالنهار هم فيما بينهم كالعبيد وعلى من سواهم كالاسود اذا قالوا صدقوا واذا وعدوا وفوا يأخذون لله حقوقهم ولو من انفسهم وفي رواية ولو سرق ملكهم قطعوا يده ولو زنا رجموه يعني بذلك اقامتهم الحق لله فقال ان كنت بما تقول صادقاً للموت خير من الحياة وليمرن علينا منهم شر طويل ولوددت ان احظى من ربي ان يخلي بيننا وبينهم فلم ينصرنا عليهم ولم ينصرهم علينا قالوا وقد كان هرقل قبل مهزم خالد بن سعيد حج بيت المقدس فبينما هو مقيم به اتاه الخبر بقرب الجنود منه فجمع الروم وقال ارى من الرأي ألا تقاتلوا هؤلاء القوم ابداً فوالله لان تعطوهم نصف ما اخرجت الشام وتبقى لكم جبال الروم خير من ان يغلبوكم على الشام ويشاركوكم في جبال الروم فنحن أحق ونحن ختنة (١) ونصدع عنه من كان حوله فلما رآهم يعصونه ويردون عليه بعث اخاه وامر الامراء ووجه الى كل جند جنداً فلما اجتمع المسلمون امرهم بمنزل جامع واسع حصين فنزل بالواقوصة وخرج فنزل حمص فلما بلغه ان خالداً قد اطلع على سود فاشف اهله (٢) وأموالهم وعمد الى بصرى فافتتحها وأماج عذراً (٣) فقال لجلسائه ألم أقل لكم لا تقاتلوهم فانه لا قوام لكم مع هؤلاء القوم ان دينهم دين جديد يجدد لهم جدهم ونشاطهم ولا يقوم لهم احد حتى يبلى (٤) فقالوا له قاتل عن دينك ولا تخش الناس وأقض الذي عليك قال وأي شيء أطلب بهذا الا توفير دينكم ولما نزلت جنود المسلمين اليرموك بعث اليه المسلمون انا نريد كلام أميركم وملاقاته أفتدعونا نأتيه نكلمه فأبلغوه فأذن لهم فأتاه ابو عبيدة كالرسول ويزيد بن ابي سفيان والحارث بن هشام وضرار بن الازور وابو جند بن سهيل ومع اخي الملك يومئذ في عسكره ثلاثون رواقاً وثلاثون سرادقاً (٥) كلها من ديباج فلما انتهوا

(١) الاختان من قبل المرأة والاحماء من قبل الزوج والصهر يجمعهما وخاتن الرجل اذا تزوج اليه وفى الصحاح الختن كل من كان من قبل المرأة مثل الاب والاخ (٢) اشف استأصل مأخوذ من الاشتفاف وهو شرب جميع مافى الاناء (٣) امالهم وهو مجاز (٤) من هنا اخذ ابن خلدون قوله ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية لانهم لا ينقاد بعضهم لبعض فاذا كانت رابطتهم صبغة دينية تذهب عنهم مذمومات الاخلاق وتأخذهم بمحمدها وتؤلف كلمتهم لاظهار الحق تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب وهم مع ذلك اسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الاخلاق فلتراجع مقدمة ابن خلدون (٥) الرواق الفسطاط يعني الخيمة والسرادق كلما احاط بشيء من حائط او مضرب او خباء والديباج معرب ديوباف اى نسج الجن قاله فى شفاء الغليل وهو المنسوج من الحرير .

حتى ادخل الله على الاسلام وكان ابن الناظور وهو صاحب ايليا وهرقل اسقفا (١) على نصارى الشام يحدث ان هرقل حين قدم ايلياء اصبح يوماً خبيث (٢) النفس فقال له بعض بطارقته (٣) لقد انكرنا هيئتك قال ابن الناظور وكان هرقل رجلا حزاء (٤) ينظر في النجوم فقال لهم حين سألوه اني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ان ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الامة قالوا ليس يختتن غير اليهود فلا يهمنك شأنهم وامر الى مداين ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود فبينما هم على امرهم ذلك اتى هرقل برجل ارسل به ملك غسان (٥) يخبره عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخبره هرقل فقال اذهبوا فانظروا أمختتن هو ام لا فنظروا اليه فحدثونه انه مختتن فسأله عن العرب أيختتنون فقال نعم هم يختتنون فقال هرقل هذا ملك هذه الامة قد ظهر فكتب هرقل الى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم (٦) حمص حتى اتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه نبي فأذن هرقل بعظماء الروم في دسكرة (٧) له بحمص ثم امر بأبوابها ففلقت ثم اطلع فقال لهم يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت ملككم تتبعوا هذا الرجل فحاصوا (٨) حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد اغلقت فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من ايمانهم قال ردوهم علي وقال انما قلت مقالتي التي قلت لكم آنفاً اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت الذي أحب فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل واخرجه البخاري (٩) عن ابي اليمان ووقع في روايته ابن الناظور بالظاء المعجمة والصواب انه بالمهملة وقال سيف بن عمرو اخبرني محمد وطلحة ان امير جند الروم قد كان بعث عيناً من عرب الشام من غسان وقال له ادخل في هؤلاء القوم يعني ابا عبيدة وجنوده فدخل على عسكر المسلمين ومكث يوماً وليلة ثم رجع فأخبرهم انهم

---

(١) اى رئيسا من رؤساء دينهم وهو فوق القسيس ودن المطران (٢) خبث النفس كسلها وقلة نشاطها وسوء خلقها (٣) البطارقة قواد الملك وخواص دولته واهل الرأى والشورى منه (٤) الحزاء الكاهن وينظر فى النجوم يعرف فن احكام النجوم فيستدل به على الحوادث (٥) هو الحارث بن ابى شمر (٦) يفارقها (٧) الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت (٨) نفروا وكروا راجعين (٩) رواه البخارى في اربعة عشر موضعا من كتابه واخرجه مسلم من خمسة طرق ورواه ابو داود والترمذى والنسائى ولم يخرجه ابن ماجة .

هل كان من ابائه من ملك فذكرت ان لا فقلت لو كان من ابائه من ملك قلت هو رجل يطلب ملك ابيه وسئالتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لافقد اعرف انه لم يكن ليذر (١) الكذب على الناس ويكذب على الله عز وجل وسئالتك اشراف الناس اتبعوه ام ضعفائهم فذكرت ان ضعفائهم اتبعوه وهم اتباع الرسل وسألتك ايزيدون أم ينقصون فذكرت انهم يزيدون وكذلك امر الايمان حتى يتم وسألتك ايرتد احد منهم سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فذكرت ان لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب (٢) وسئالتك هل يغدر فزعمت ان لا وكذلك الرسل لا يغدرون وسئالتك بما يأمركم فذكرت انه يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة وبالصدقة والعفاف والصلة فان كان مايقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وهو نبي وقد كنت اعلم انه خارج ولكن لم اكن اظن انه منكم ولكن لو اني اعلم اني اخلص اليه لتجشمت لقائه (٣) ولو كنت عنده لغسلت قدميه ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية الى عظيم بصرى (٤) فدفعه الى هرقل عظيم الروم سلام من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت عليك اسم الاريسيين (٥) ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا الآية قال ابو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب (٦) وارتفعت الاصوات واخرجنا فقلت لاصحابي حين اخرجنا لقد امر امر (٧) ابن ابي كبشة انه ليخافه بنوا الاصفر فما زلت موقنا انه سيظهر

---

(١) يدع يترك (٢) معناه ان الايمان لا يزال ينمو حتى يختلط بفرح القلب به والانبساط اليه والانس به فلا يزال الانس به مصاحبا له فلا يتركه المتلبس به ساخطا عليه كارها له لان المحب للشيء لا يمكنه ان يترك مايحبه سخطا عليه (٣) اخلص اصل لتجشمت اى تكلفت الوصول اليه ولاستصغرت الخطر والمشقة (٤) اميرها وبصرى بضم الباء مدينة حوران وهرقل بكسر وفتح الراء ولقبه قيصر (٥) الاريس الزارع والفلاح والمعنى عليك اثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لامرك (٦) الصخب اختلاط الاصوات وارتفاعها (٧) أي كبر امره وعلا شأنه

« باب ما روى من توقع المشركين لظهور دولة المسلمين »

روى الطبراني بسنده الى ابن عباس انه قال اخبرني ابو سفيان بن حرب ان هرقل ارسل في ركب (١) من قريش وكانوا تجارا في الشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش فاتوه وهو بايليا (٢) فدعاهم الى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعى بترجمانه ثم قال ايكم اقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي قال ابو سفيان فقلت انا اقربهم به نسبا فقال ادنوه مني وقربوا اصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم اني سائل هذا عن هذا الرجل فان كذبني فكذبوه فقال ابو سفيان فوالله لولا الحياء ان يؤثروا (٣) على كذبا لكذبته عنه قال ثم كان اول ما سئالني عنه ان قال كيف نسبه فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا القول منكم احد قط قبله قال لا قال فهل كان في ابائه ملك قلت لا قال فاشراف الناس (٤) اتبعوه ام ضعفائهم قلت بل ضعفائهم قال ايزيدون ام ينقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد احد منهم لدينه (٥) بعد ان يدخل فيه قلت لا قال فهل يغدر(٦) قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول الذي قال قلت لا قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ماهو فاعل فيها ولم يمكني كلمة ادخل فيها شيئا غير هذه الكلمة قال فهل قاتلتموه قلت نعم فكيف كان قتالكم اياه قلت الحرب بيننا وبينه سجال (٧) ينال منا وننال منه قال فماذا يأمركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول اباؤكم ويأمرنا بالصلاة وبالصدق والعفاف والصلة فقال للترجمان قل له اني سئالتك عن نسبه فقلت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال احد منكم هذا القول قبله فذكرت ان لا فقلت لو كان احد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتم (٨) بقول قيل قبله وسألتك

---

(١) الركب اصحاب الابل في السفر العشرة فما فوقها (٢) بيت المقدس (٣) أي يحكوا على الكذب فى بلادى (٤) الشريف من كان ذا قدر وقيمة عند قومه ورفعة يرفع الناس ابصارهم بالنظر الى رفعته وقدره يستشرفونها كذا فى النهاية (٥) سخطة كراهة (٦) الغدر ترك الوفاء بالعهد (٧) اى نوبة لنا ونوبة له وينال يصيب (٨) يأتم يقتدى .

والعين منه قد تغشاها الردى … معصوبة كأنها ملآى ثرى (١)
فهو يرى بقلبه مالا يرى … من الصوى تترى له تمر الضوى (٢)
اذا التقى بعد النقا اذا سرى … وهو به يخبرنا وما دنا (٣)
وما رآه ليس بالقلب حسى … قلت حفيظ وفهاد قد على (٤)
فوز من قراقر الى سوى … والسير زعزاع فما فيه ونا (٥)
خمس اذا ماسارها الجيش بكى … في اليوم يومين رواحا وسرى (٦)
ما سارها من قبله انسي ارى … هذا لعمري رافع هو الهدى

ثم استقام بخالد الطريق وتواصلت به المياه حتى اذا اغار على مرج العذارا وبه ناس من غسان فاصاب منهم ثم مضى حتى نزل مع ابي عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة على قناة بصرى فنزل معهم حتى صالحت بصرى على الجزية وكانت اول جزية وقعت بالشام على عهد ابي بكر وكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد اما بعد فدع العراق وخلف اهله فيه الذين قدمت عليهم وهم فيه ثم امض مخففا في اهل قوة من اصحابنا الذين قدموا معك العراق من اليمامة وصحبوك من الطريق وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فتلقى ابا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين واذا التقيتم فانت امير الجماعة والسلام عليكم ورحمة الله .

---

(١) الردى الرمد والمعنى ان عينه قد حل بها الرمد وقد عصبها كأنها مملوءة ترابا (٢) الصوى العلامات التى تجعل ليستدل بها فى الطريق وما لا يرى بضم الياء وتترى تتتابع وتظهر وقوله تمر الضوى كذا فى الاصل وتمر من قولهم تمر اللحم اذا قطعه قطعا صغارا كالتمر والضوى الضعيف النحيف ومعناه أن علامات الطريق تظهر له وهو ارمد على نحافتها وصغارها حتى كأنها التمر (٣) النقا كثيب الرمل والمعنى انه اذا تلاقت اطراف الرمل المتباعد عن بعضه فذلك الدليل يخبرنا به قبل ان يدنو منه ويصل اليه ومن غير ان يراه (٤) حسى اى احساس كأحساس العين والمعنى انه اذا اخبرك به وهو على هذه الحالة وليس فى القلب احساس اى حس كالعين قلت انه حفيظ اى حافظ لما يراه وفهاد قال فى التهذيب يقال فهد فلان كمنع اذا عمل فى امره بالغيب جيلا اهـ والمعنى انه يعمل عملا جيلا قد علي به على غيره وقوله قلت جواب الشرط (٥) اى سار فى تلك المفازة المهلكة من قراقر الى محلة سوى مأخوذ من قولهم فوز اذا مات اى كأنه مات فى تلك المفاوز ثم حي والسير الزعزع الشديد كما فى لسان العرب والالف هنا للاشباع وما فيه ونا أي ضعف (٦) أي سار خمسة ايام فسار اليومين في يوم واحد والرواح الوقت من زوال الشمس الى الليل والسرى المشى بالليل والمعنى سار ليلا ونهارا .

جموع الروم فاني اذا استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين فكلهم قال لا نعرف الا طريقا لايحمل الجيوش يأخذه الفذ (١) والراكب فاياك ان تغرر المسلمين فعزم عليه ولم يجبه الى ذلك الا رافع بن عميرة فانه قال اني اعرف طريقا ولكنه حذر من السلوك فقال خالد له وللمسلمين لا يهولنكم فانا عباد الله وفي سبيل الله وفي طاعة خليفة رسول الله ونحن وان كثرنا بعد ان نتزود فكالقليل المنكمش (٢) فناشدوه فثاب فيهم (٣) فقال لاتختلفن ولا تضعفن انفسكم واعلموا ان المعونة تأتي على قدر النية والمعونة على قدر الحسنة وان المسلم لا ينبغي له ان يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له فقالوا له انت رجل قد جمع الله لك الخير ثم وافقوه على رأيه ثم ساق الحكاية نحوا مما تقدم من سقي الابل وغير ذلك ولما سار خالد قال له محرز بن حريش المحاربي اجعل كوكب الصبح على حاجبك الايمن ثم امه (٤) تفضى الى سواد فهداهم الله الى الطريق وقال ابن اسحق خرج عمرو من العراق حتى نزل على عين التمر واغار على اهلها ورابط حصونها حتى استنزلهم فضرب اعناقهم وسبى من عين التمر بشرا كثيرا بعث بهم الى ابى بكر وذلك اول سبى قدم المدينة من تلك البلاد ووجدوا في كنيسة اليهود صبيانا يتعلمون الكتابة في قرية من قرى عين التمر وكان فيهم حمران بن ابان مولى عثمان فسباهم ثم سار على نحو ما تقدم وفي آخر هذه القصة انه لما نفذت الابل التي سقاها خالد وربط افواهها خاف العطش فقال لرافع وهو امد ويحك ما عندك قال ادركت الرى ان شاء الله هل ترى علمين كأنهما توامان قال نعم فلما دنا من العلمين قال انظروا هل ترون شجرة من عوسج كقعدة الرجل قالوا لا والله فقال انا لله وانا اليه راجعون ثم فتشوا على الشجرة فوجدوها قد قطعت وبقى منها بقية فحفروا فوجدوا الماء فقال رافع اما والله ما وردته قط الا مرة واحدة مع ابي وانا غلام صغير فقال ابو احيحة القرشي في ذلك

لله عينا رافع انى اهتدي   في مهمه مشتبه الى سوى (٥)

---

(١) الفذ الرجل وحده (٢) أي صاحب التشمر والجد (٣) جمعهم (٤) اجعله امامك (٥) انى كحتى تكون بمعنى اين تقول انى لك هذا من اين لك هذا وبمعنى متى وبمعنى كيف كما هنا فانها بمعنى كيف اهتدى والمراد التعجب والمهمه المفازة والبرية القفر والمعنى اتعجب منه كيف اهتدى فى برية مشتبهة الى محلة سوى .

بن سعيد بن العاص الى الشام حيث وجه خالدا بن الوليد الى العراق فسار خالد بن سعيد حتى نزل على الشام ولم يقتحم واستجلب الناس وعز فهابته الروم واحجموا عنه فلم يصبر على امر ابي بكر ولكن توردها فاستطردت له الروم حتى اوردوه الصفرين ثم تعطفوا عليه بعد ما امن فوافقوا ابنه سعيد بن خالد مستمطرا فوافقوه فقتلوه ومن معه واتى الحي خالدا فخرج هاربا حتى اتى البر فتنزل منزلا واجتمعت الروم الى اليرموك فنزلوا به وقالوا والله لنشغل ابا بكر في نفسه عن تردد بلادنا بخيوله وكتب خالد بن سعيد الى ابى بكر بالذي كان فكتب ابو بكر الى عمرو بن العاص وكان ببلاد قضاعة بالسير الى بلاد اليرموك ففعل وبعث ابا عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابي سفيان وامر كل واحد منهما بالغارة وان لاتتوغلوا حتى لا يكون ورائكم احد من عدوكم وقدم عليه شرحبيل بن حسنة بفتح من فتوح خالد فسرحه نحو الشام في جند وسمى لكل واحد من امراء الاجناد كورة (١) من كور الشام وتوافوا باليرموك فلما رأت الروم ترافيهم ندموا على الذي ظهر منهم ونسوا الذي كانوا يتواعدون ابا بكر به واهتموا وهمتهم انفسهم واشجوهم وشجوهم ثم نزلوا الواقوصة وقال ابو بكر والله لا يسبن الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد فكتب اليه كتابا وامره ان يخالف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس واذا فتح الله على المسلمين الشام فارجع الى عملك بالعراق فقال عمرو هذا عمله من حسدني ان يكون فتح العراق على يدي فاحب ان يبعدني بعد ماكسر الله حد العراق ورعب اهله وشجع المسلمين على غزوه قاله ذو الجوشن الضبابي قال وكان قصد بذلك عمر بن الخطاب ولا يشعر ان عمر لا ذنب له فقال القعقاع لعمرو ارفع لسانك عن عمر فوالله ماكذب الصديق ولا صدقت على ان اخيك قال صدقني الله ففتح الله الغضب والظنون وما لله ياقعقاع لقد اغريتني بحسن الظن فقال القعقاع الحمد لله الذي خلصك وابقى فيك الخير ونفى عنك الشر وبعث خالد بالاخماس الى ماتقل منها مع عمير بن سعد الانصاري بميرة الى الشام ثم ارتحل من الحيرة سائرا الى دومة ثم طعن في البر الى قراقر ثم قال كيف لي بطريق اخرج فيه من وراء

(١) الكورة بالضم المدينة والصقع وفي المحكم الكورة من البلاد المحلاف وهى القرية قال ابن دريد لااحسبه عربيا .

البطريق ومت (١) اليه بقرابة العيص بن اسحاق بن ابراهيم وقال ما الذي جاء بكم فقد كانت الاباء اقتسمت الارض فصار لكم مايليكم وصار لنا ما يلينا وقد عرفنا انكم انما اخرجكم من بلادكم الجهد وسنأمر لكم بمعروف وتنصرفون فقال عمرو اما القرابة فهي على ماذكرت واما القسمة فانها كانت قسمة شططا (٢) فنحن نريد ان نتراد فتكون قسمة معتدلة لنأخذ نصف مافي ايديكم من الانهار والعمارة ونعطيكم نصف مافي ايدينا من الشوك والحجارة واما ما ذكرت من الجهد الذي اخرجنا فانا قدمنا فوجدنا في هذه البلاد شجرة يقال لها الحنطة فدفعنا (٣) منها طعاما فنحن لا نفارقكم حتى نصيركم عبيدا او تقتلونا تحت اصول هذه الشجرة قال فالتفت الى اصحابه فقال صدقوا وافترقنا فاقتتلوا فكانت بينهم معركة انصرف القوم على حامية ومضى المسلمون في آثارهم حتى طووهم عن فلسطين والاردن الا ما كان من ايليا وقيسارية فقد تحصن فيهما اناس فتركوهم ومضوا الى ناحية البثنية ودمشق وقال شراحيل بن مرثد بعث ابو بكر الصديق رضى الله عنه في خلافته خالدا بن الوليد الى اهل اليمامة وبعث يزيد بن ابي سفيان الى الشام فكنت ممن سار مع خالد الى اليمامة فلما قدمنا قاتلنا اهلها قتالا شديدا وظفرنا بهم وهلك ابو بكر واستخلف عمر بن الخطاب فبعث ابا عبيدة بن الجراح الى الشام فقدم دمشق فاستشار ابو عبيدة عمر فكتب عمر الى خالد ان سر الى ابي عبيدة بالشام فدعا خالد بن الوليد الدليل فقال كم تأتي الى الحيرة فقال في كذا وكذا فعطش خالد الابل ثم سقاها واستقا وسقى الخيل ثم طمم (٤) افواه الابل وادبارها وقال له الدليل ان انت اصبحت دون الشجرة فقد هلكت وهلك من معك فسار خالد بمن معه فاصبح عند اضاءة الفجر عند الشجرة فنحر الابل وسقى الخيل مما في بطونها واطعم لحومها المسلمين وسقى المسلمين من المياه التي كانت تحمل معه ثم اتى الحيرة اوالكوفة فصالحة اسقفها كذا قال وانما كان هذا بعد رجوعه من الحيرة وابو عبيدة كان بالشام ايام ابي بكر وقال سياه الاحمري كان ابوبكر وجه خالدا

---

(١) المت التوسل والتوصل بحرمة اوقرابة اوغير ذلك . (٢) قسمة جائرة . (٣) يقال دقع دقعا وادقع اسف الي مداق الكسب ومعناه هنا اكتسبنا طعاما . (٤) ربطها او جعل لها كيسا .

واستأجر رافعا الطائي يهديه واشترى خمسين شارفا فكبتها واوجرها وسقاها عللاو نهلا فكلما نزل منزلا نحر وجعل اكراشها على النار وشرب القوم منها حتى اذا شارفوا رمد رافع حتى لم يبصر فقال ايتوني بغلام حدث قال اروني الماء ثم قال للغلام ماترى قال ارى سدرا على موضع مرتفع فقال ذلك سدر دومة الجندل وقال خالد بن الوليد اقسم بالله لتركبن وقال يرتجز ويقول وقال اسحق بن ابي فروة ان خالدا ومن معه هبطوا من ثنية الغوطة (١) تقدمهم راية رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء التي يقال لها العقاب فبها سميت ثنية العقاب وقال ابن اسحق وكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد فسار الى الشام فاغار على غسان بمرج راهط ثم سار فنزل على قناة بصرى وعليها يزيد بن ابي سفيان وابو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة فاجتمعوا فرابطوها حتى صالحت على اخذ الجزية وفتحهاالله على المسلمين فكانت اول مدائن الشام فتحا في خلافة ابي بكر وصالح خالد في وجهه ذلك اهل تدمر ومر على حوارين فقتل وسبى وروى اللآلكائي والبيهقي الرحمن بن جبير ان خالد بن الوليد لما كان بالعراق وكتب اليه ابو بكر رضى الله عنه ان ينصرف بثلاثة آلاف فارس الى الشام اسرع فاشتق الارض بمن معه حتى خرج الى ضمير فوجد المسلمين معسكرين بالجابية وتسامع الاعراب الذين كانوا في مملكة الروم بخالد ففزعوا له هذه رواية اللآلكائي والبيهقي وزاد اللآلكائي فنزل خالد على شرحبيل بن حسنة ويزيد وعمرو فاجتمع هؤلاء الاربعة امراء وسارت الروم من انطاكية وحلب وقنسرين وحمص وما دون ذلك وخرج هرقل كراهية لمسيرهم متوجها نحو الروم وسار باهان الرومي بن الرومية الى الناس بمن كان منه وقال جعفر ان المسلمين ساروا وعليهم هؤلاء الامراء يزيد بن ابي سفيان وعمرو وابو عبيدة وشرحبيل كل على عسكره ومن كانت الواقعة ما يلي عسكره فهو على اصحابه وسار معهم النساء والذوية بالخيل والسلاح وليس معهم حمار ولا شاة فاخذوا على طريق فلسطين حتى نزلوا على قرية يقال لها ثادن من قرى غزة وما يلي الحجاز فلقيهم بها بطريق بطارقة الروم فارسل اليهم ان يخرجوا اليه احد القواد ليكلمه قال فتواكلوا ذلك (٢) وقالوا لعمرو بن العاص انت لذلك فخرج اليه عمرو فرحب به

---

(١) هي الثنية التى بقرب عذرا وهي مشهورة . (٢) يعني اتكل كل واحد منهما على صاحبه .

الى الشام ثلاثة امراء خالد بن سعيد بن العاص على جند وعمرو بن العاص على جند وشرحبيل بن حسنة على جند ولم يزل عمرو بابي بكر حتى امر يزيد بن ابي شقيق على جند فادركه بذي مروة وهذه الرواية ثابتة وبها اجتمعت الروايات

((وصية ابي بكر رضى الله عنه لامرائه))

رويت هذه القصة من اوجه متعددة ولنذكر هنا اختلاف الفاظها في الرواية فنقول . قال ابن عمر ان ابا بكر بعث يزيد بن ابي سفيان الى الشام فمشى مع الجيش نحوا من ميلين فقيل له يا خليفة رسول الله لو انصرفت فقال لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار ثم بدا له في الانصرف الى المدينة فقام في الجيش فقال اوصيكم بتقوى الله عز وجل لا تعصوا ولا تغلوا ولا تجبنوا ولا تهدموا بيعة ولا تفرقوا نخلا ولا تحرقوا زرعا ولاتشجروا بهيمة ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تقتلوا شيخا كبيرا ولا صبيا صغيرا وستجدون اقواما قد حبسوا انفسهم للذي حبسوها فذروهم وما حبسوا انفسهم له وستجدون اقواما قد اتخذت الشياطين اوساط رؤوسهم افحاصا فاضربوا على اعناقهم وسترون بلدا يغدو ويروح عليكم فيه الوان الطعام فلا يأتيكم لون الا ذكرتم اسم الله عليه ولا ترفعوا لونا الا حمدتم الله عز وجل عليه ورويت بالمعنى من طريق ابي محمد بن الاكفاني ومن طريق البيهقي ايضا بالفاظ مختلفة والمعنى متقارب ولكن تركنا رواية البيهقي لما رواه عبد الله بن احمد بن حنبل قال سمعت ابي يقول هذا حديث منكر ما اظنه انه شيء هذا كلام اهل الشام ورويت من طريق ابن اسحق وفي آخرها عن ابن اسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير وقال لي هل تدري لم فرق ابو بكر وامر بقتل الشمامسة ونهى عن قتل الرهبان فقلت لا اراه الا لحبس هؤلاء انفسهم فقال اجل ولكن يلقون القتال فيقاتلون وان الرهبان رأيهم ان لا يقاتلوا وقد قال الله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم

((عود الى ماكنا بصدده))

قال مصعب بن عبد الله لما سار خالد بن الوليد يريد دومة الجندل اخذ المفاوز

آخر ولا يخلو نصها من فائدة وهي ما قاله القاسم بن محمد قال كتب ابو بكر الى عمرو والى الوليد بن عقبة وكان على النصف من صدقات قضاعة وقد كان ابو بكر شيعهما وبعثهما على الصدقات واوصى كل واحد منهما بوصية واحدة فقال اتق الله في السر والعلانية فانه من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا فان تقوى الله خير ماتوصى به عباد الله انك في سبيل من سبل الله لايسعك فيه الارهان والتفريط ولاالغفلة عما فيه قوام دينكم وعصمة امركم فلا تنيا ولاتفترا وكتب اليهما استخلفا على اعمالكما واندبا من يليكما فولى عمرو على علياء قضاعة عمر ابن فلان العذري وولى الوليد على ضاحية قضاعة ممايلي دومة امرىء القيس وندب الناس فتضام اليهم بشر كثير وانتظر امر ابي بكر وقام ابو بكر في الناس خطيبا فحمد الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال ان لكل امر جوامع فمن بلغها فهو حسبه ومن عمل لله عز وجل كفاه الله عليكم بالجد والقصد فان القصد ابلغ الا انه لا دين لاحد لا ايمان معه ولا اجر لمن لا حسبة له ولا عمل لمن لانية له الا وان في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم ان يحب ان يحض به هي النجاة التي دل الله عليها ونجى بها من الخزي والحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة فامد عمرا ببعض من انتدب الى من اجتمع اليه وامره على فلسطين وامره بطريق سماها له واتى الوليد فامره بالاردن وامده ببعضهم ودعا يزيد بن ابي سفيان فامره على جند عظيم هم جمهور من انتدب له وفي جنده سهيل بن عمرو واشباهه من اهل مكة وشيعه ماشيا وقال يزيد يا خليفة رسول الله اتمشي وانا راكب فابى عليه وقال اني احتسب خطاى في سبيل الله وقال عبد الرحمن بن جبير ان الله تبارك وتعالى لما نصر المسلمين على اهل الردة وكفرة بني حنيفة وقتل مسيلمة الكذاب كتب ابوبكر الى خالد يأمره بالمسير الى العراق فسار في ستة آلاف وجهز ابو بكر الجيوش الى الشام فاجتمع له اربعة وعشرون الفا من المهاجرين والانصار ومسلمة الفتح وامداد اليمن واهل العالية وولى ابا عبيدة على ربع وعمرا بن العاص على ربع وشرحبيل بن حسنة على ربع ويزيد بن ابي سفيان على ربع وولاه على جماعته وقال الزهري ان ابا بكر بعث خالدا على جيشه قبل العراق وبعث

يدعو من حوله الى الانضمام اليه وان لا يقبل شيئا الا ممن لم يرتد وان لا يقاتل الا من قاتله حتى يأتيه امره ففعل خالد ما امره به ابو بكر رضي الله عنه واقام بتيماء فاجتمع اليه جموع كثيرة وبلغ الروم عظم ذلك العسكر فضربوا على العرب الضاحية البعوث بالشام اليهم ليستعينوا بهم فكتب خالد بن سعيد الى ابي بكر بذلك وبنزول من استنفرت الروم فنفر اليهم من بهراء وكلب وصليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان ومن انضم اليهم من مثلهم وكان نزولهم من دون زيزا بثلاث فكتب اليه ابو بكر ان اقدم ولاتحجم واستنصر الله فسار اليهم خالد فلما دنا منهم تفرقوا وتركوا منزلهم فنزله خالد ودخل عامة من كان تجمع له في الاسلام وكتب خالد الى ابي بكر بذلك فكتب اليه ابو بكر اقدم ولا تقتحمن حتى لا تؤتى من خلفك فسار فيمن كان خرج معه من تيماء وفيمن لحق به في طرق الرمل حتى نزلوا فيما بين ابل وزيزا والقسطل فسار اليه بطريق من بطارقة الروم يدعى ماهان فهزمه وقتل جنده وكتب بذلك الى ابي بكر واستنفره وقدم على ابي بكر اوائل مستنفري اليمن ومن بين مكة وبين اليمن وفيهم ذو الكلاع وقدم عليه عكرمة قافلا وغازيا فيمن كان معه من تهامة وعمان والبحرين والسرو فكتب لهم ابو بكر الى امراء الصدقات ان يبدلوا من استبدل فكلهم استبدل فسمي ذلك الجيش جيش البدال وقدموا على خالد بن سعيد وعند ذلك اهتاج ابو بكر للشام وعناه امره وقد كان رد عمرا بن العاص على عمالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاها اياه من صدقات سعد هزيم وعذرة ومن لقيهم من جذام وجديس قبل ذهابه الى عمان فخرج الى عماله وهو على عدة من عمله اذا هو رجع فخرج الى عمان فانجز له ذلك ابو بكر وكتب ابو بكر عند اهتياجه للشام الى عمرو اني قد كنت رددتك الى العمل الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاكه مرة وسماه لك اخرى وهو مبعثك الى عمان انجازا لمواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وليتكه ثم وليتكه وقد احببت ان افرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك الا ان يكون الذي انت فيه احب اليك فكتب اليه عمرو اني سهم من سهام الاسلام وانك بعد الله الرامي بها والجامع لها فانظر اشدها وافضلها فارم به شيئا ان جاءك من ناحية من النواحي وكتب الى الوليد نحو ذلك فاجابه بايثار الجهاد ورويت هذه القصة من وجه

عمراً بن العاص فكان خالد مدداً لعمرو وكان امر الناس الى عمرو بن العاص يوم اجنادين ويوم فحل ويوم حصار دمشق حتى فتحت قال ابو عبد الله الصوري الحافظ في الاصل فحل بكسر الحاء والمحفوظ سكونها وقال الحارث التيمي لما رأى عمرو بن العاص كثرة الجموع بالشام كتب الى ابي بكر يذكر امر الروم وما جمعوا ويستمده فشاور ابو بكر من عنده من المسلمين فقال عمر بن الخطاب يا خليفة رسول الله اكتب الى خالد بن الوليد ان يسير بمن معه الى عمرو فيكون له مدداً ففعل ابو بكر وكتب الى خالد فلما اتاه كتاب ابي بكر قال هذا عمل عمر حسدني على فتح العراق وان يكون على يدي واحب ان يجعلني مداد لعمرو واصحابه فاكون كأحدهم فان يكن فتح شركنا فيه او ان اكون تحت يدي بعضهم فان كان فتح كان ذكره له دونى وقال المطلب بن السائب بن وداعة لما كتب ابوبكر الى خالد كتب ايضا الى عمرو بن العاص اني كتبت الى خالد بن الوليد ليسير اليك مداد لك فاذا قدم عليك فاحسن مصاحبته ولا تطاول عليه ولا تقطع الامور دونه لتقديمي اياك عليه وعلى غيره شاورهم ولا تخالفهم وقال موسى بن عقبة لما ارسل ابو بكر امرائه الثلاثة الى الشام وكان خالد بن الوليد قد فرغ من امر اليمامة كتب اليه ابو بكر يأمره بالمسير الى الشام فمضى خالد على وجهه وسلك على عين التمر فمر بدومة الجندل فاغار عليها فقتل بها رجالا وهزمهم وسبى ابنة الجودي ثم مضى حتى قدم الشام وبه يومئذ ابو عبيدة ابن الجراح على جند ويزيد بن ابي سفيان على جند وعمرو بن العاص على جند وشرحبيل بن حسنة على جند فقدم عليهم خالد بن الوليد فامرهم يوم اجنادين وهزم الله عدوه وكان مسير عمرو الى جهة ايلة كما تقدم وبقية الامراء سلكوا طريق البلقاء من عليا الشام من جهة التبوكية وقال الوليد بن مسلم سمعت اشياخنا يذكرون المغازي فكان من جملة كلامهم ان ابا بكر لماذا انفذ الجيوش لقتال اهل الردة ثم اتته وفود العرب مقرة بما كانت انكرت راجعة الى ماكانت خارجة منه وراى ابو بكر حسن خلافته وما سهل عليه فيه ربه وما من به عليه من النصر دعى العرب الى جهاد قيصر وكسرى ومن يليهما من اهل ملكهما فاجتمع له اربعة وعشرون الفا وولى عليهم الامراء ثم وجههم للجهاد وقالوا امر ابو بكر خالدا ان ينزل تيماء وان لا يبرحها وان

خفافاً وثقالا ويجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله والجهاد فريضة مفروضة والثواب عند الله عظيم وقد استنفرنا المسلمين الى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا الى ذلك وقد حسنت بذلك نيتهم وعظمت حسبتهم فسارعوا عباد الله الى ما سارعوا اليه ولتحسن نيتكم فيه فانكم الى احدى الحسنيين اما الشهادة واما الفتح والغنيمة فان الله تبارك وتعالى لم يرض من عباده بالقول دون العمال ولا يزال الجهاد لاهل عداوته حتى يدينو بدين الحق ويقروا لحكم الكتاب حفظ الله لكم دينكم وهدى قلوبكم وزكى اعمالكم ورزقكم اجر المجاهدين الصابرين وبعث بهذا الكتاب مع انس بن مالك رضي الله عنه قال عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم لما اجمع ابو بكر ان يبعث الجيوش الى الشام كان اول من سار من عماله عمرو بن العاص وأمره ان يسلك على ايلة عامداً لفلسطين فقدم عمرو امامه مقدمة عليهم سعيد بن الحارث السهمي ورفع لوائه الى الحجاج بن الحارث السهمي وكان جند عمرو بن العاص خرجوا معه من المدينة ثلاثة آلاف فيهم ناس كثير من المهاجرن والانصار وخرج ابو بكر الصديق يمشي الى جنب راحلة عمرو بن العاص وهو يوصيه ويقول يا عمرو اتق الله في سر أمرك وعلانيته واستحيه فانه يراك ويرى عملك وقد رأيت تقديمي اياك على من هو اقدم سابقة منك ومن كان اعظم غناء عن الاسلام واهله منك فكن من عمال الآخرة وأرد بما تعمل وجه الله وكن والداً لمن معك ولا تكشفن الناس عن استارهم واكتف بعلانيتهم وكن مجداً في امرك واصدق اللقاء اذا لاقيت ولا تجبن وتقدم في الغلوم (١) وعاقب عليه واذا وعظت اصحابك فأوجز واصلح نفسك تصلح لك رعيتك في وصية له طويلة وعهده عهده اليه ليعمل به وقال جعفر ان ابا بكر رضي الله عنه قال لعمرو بن العاص اني قد استعملتك على من مررت به من بلى وعذرة وسائر قضاعة ومن سقط هناك من العرب فأندبهم الى الجهاد في سبيل الله ورغبهم فيه فمن تبعك منهم فاحمله وزوده ورافق بينهم واجعل كل قبيلة على حدتها ومنزلتها وقال قوم بعث ابو بكر الصديق ثلاثة امراء الى الشام عمرو بن العاص ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة فكان عمرو هو الذي يصلي بالناس اذا اجتمعوا وان تفرقوا كان كل رجل منهم على اصحابه وكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ان يمد

---

(١) الذين جاوزوا حدود ماامروا به من الدين وطاعة الامام وبغوا عليه وطغوا .

مالكم لا تجيبون خليفة رسول الله وقد دعاكم لما يحييكم أما انه لو كان عرضاً قريباً او سفراً قاصداً لابتدرتموه فقام عمرو بن سعيد فقال يا ابن الخطاب ألنا تضرب الامثال امثال المنافقين فما منعك مما عبت علينا فيه ان تبدأ به فقال عمر انه يعلم اني اجيبه لو يدعوني واغزو لو يغزيني فقال عمرو بن سعيد ولكن نحن لا نغزوا لكم ان غزونا انما نغزوا لله فقال عمر وفقك الله فقد احسنت فقال ابو بكر لعمرو اجلس رحمك الله فان عمر لم يرد بما سمعت اذى مسلم ولا تأنيبه انما اراد بما سمعت ان ينبعث المتثاقلون الى الارض الى الجهاد فقام خالد بن سعيد فقال صدق خليفة رسول الله اجلس أي أخي فجلس وقال خالد الحمد لله الذي لا اله الا هو الذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فالحمد لله منجز وعده ومظهر دينه ومهلك عدوه ونحن غير مخالفين ولا مختلفين وانت الولي الناصح الشفيق ننفر اذا استنفرتنا ونعطيك اذا امرتنا ففرح بمقالته ابو بكر وقال له جزاك الله خيراً من اخ وخليل فقد كنت اسلمت مرتغباً وهاجرت محتسباً قد كنت هربت بدينك من الكفار لكيما ترضي الله ورسوله وتعلو كلمته وانت امير الناس فسر يرحمك الله ثم انه نزل ورجع خالد بن سعيد فتجهز وامر ابو بكر بلالا فأذن في الناس ان انفروا ايها الناس الى جهاد الروم بالشام والناس يرون ان اميرهم خالد بن سعيد وكان الناس لا يشكون ان خالداً بن سعيد اميرهم وكان قد عسكر قبل كل احد ثم ان الناس خرجوا الى معسكرهم من عشرة وعشرين وثلاثين واربعين وخمسين ومائة كل يوم حتى اجتمع اناس كثيرون فخرج ابو بكر ذات يوم ومعه رجال من الصحابة حتى انتهى الى عسكرهم فرأى عدة حسنة لم يرض عدتها للروم فقال لاصحابه ما ترون في هؤلاء ان ارسلتهم الى الشام في هذه العدة فقال عمر ما أرضى هذه العدة بجموع بني الاصفر فقال لاصحابه ماذا ترون انتم فقالوا نحن نرى ما رأى عمر فقال ألا اكتب كتاباً الى اهل اليمن ندعوهم به الى الجهاد ونرغبهم في ثوابه فرأى ذلك جميع اصحابه فقالوا نعم ما رأيت افعل فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من خليفة رسول الله الى من قرىء عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من اهل اليمن سلام عليكم فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم ان ينفروا

مستوجباً على الله ثواب المجاهدين وهذا رأيي الذي رأيت فليشر امرء علي برأيه فقام عمر بن الخطاب فقال الحمد لله الذي يخص بالخير من شاء من خلقه والله ما استبقنا الى شيء من الخير قط الا سبقتنا اليه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قد والله اردت لقاءك بهذا الرأي الذي رأيت فما قضى ان يكون حتى ذكرته فقد اصبت اصاب الله بك سبيل الرشاد سرب اليهم الخيل في اثر الخيل وابعث الرجال بعد الرجال والجنود تتبعها الجنود فان الله ناصر دينه ومعز الاسلام واهله ثم ان عبد الرحمن بن عوف قام فقال يا خليفة رسول الله انها الروم وبنوا الاصفر حد حديد وركن شديد ما ارى ان نقتحم عليهم اقتحاماً ولكن نبعث الخيل فتغير في قواصي ارضهم ثم ترجع اليك واذا فعلوا ذلك بهم مراراً اضروا بهم وغنموا من اداني ارضهم فقعدوا بذلك عن عدوهم ثم تبعث الى اراضي اليمن واقاصي ربيعة ومضر ثم تجمعهم جميعاً اليك ثم ان شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وان شئت اغزيتهم ثم سكت وسكت الناس ثم قال لهم ابو بكر ما ترون فقال عثمان بن عفان اني ارى انك ناصح لاهل هذا الدين شفيق عليهم فاذا رأيت رأياً تراه لعامتهم صلاحاً فاعزم على امضائه فانك غير ظنين فقال طلحة والزبير وسعد وابو عبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والانصار صدق عثمان ما رأيت من راي فامضه فانا لا نخالفك ولا نتهمك وذكروا هذا واشباهه وعلي في القوم لم يتكلم فقال ابو بكر ماذا ترى يا أبا الحسن فقال أرى أنك ان سرت اليهم بنفسك او بعثت اليهم نصرت عليهم ان شاء الله فقال بشرك الله بخير ومن اين علمت ذلك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناواه حتى يقوم الدين واهله ظاهرون فقال سبحان الله ما احسن هذا الحديث لقد سررتني به سرك الله ثم ان أبا بكر رضي الله عنه قام في الناس فذكر الله بما هو اهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس ان الله قد انعم عليكم بالاسلام واكرمكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على كل دين فتجهزوا عباد الله الى غزو الروم بالشام فاني مؤمر عليكم امراء وعاقد لكم الوية فاطيعوا ربكم ولا تخالفوا امرائكم لتحسن نيتكم واشربتكم واطعمتكم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال فسكت القوم فوالله ما اجابوا فقال عمر يامعشر المسلمين

امر هذا الجند والعدو مشقة ويكابدونه ثم نعلوا بعد ويعلوا أمرنا وأما نزولنا من القنة العالية الى الارض السهلة الدمثة والزرع والعيون والقرى والحصون فاننا ننزل الى امر اسهل مما كنا فيه من الخشب (١) والمعاش واما قولي للمسلمين شنو الغارة على اعداء الله فاني ضامن لكم الفتح والغنيمة فان ذلك دنو المسلمين الى بلاد المشركين وترغيبي اياهم على الجهاد والاجر والغنيمة التي تقسم لهم وقبولهم أما الراية التي كانت معك فتوجهت بها الى قرية من قراهم ودخلتها واستأمنوا فأمنتهم فانك تكون احد امراء المسلمين ويفتح الله على يديك واما الحصن الذي فتح الله لي فهو ذلك الوجه الذي يفتح الله لي واما العرش الذي رأيتني عليه جالساً فان الله يرفعني ويضع المشركين قال الله تعالى حكاية عن يوسف ورفع أبويه على العرش وأما الذي أمرني بطاعة الله وقرأ على السورة فانه نعى الي نفسي وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى الله اليه نفسه حين نزلت هذه السورة وعلم ان نفسه قد نعيت اليه ثم سالتا عيناه فقال لآمرن بالمعروف ولأنهين عن المنكر ولا جاهدن من ترك امر الله ولا جهزن الجنود الى العادلين بالله في مشارق الارض ومغاربها حتى يقولوا الله احد احد لا شريك له او يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون هذا امر الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا توفاني الله عز وجل لا يجدني عاجزاً ولا وانياً ولا في ثواب المجاهدين زاهداً فعند ذلك امر الامراء وبعث الى الشام البعوث وروى الزهري عن عبد الله بن ابي اوفى الخزاعي انه قال لما أراد ابو بكر غزو الروم دعا علياً وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والانصار من اهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه فقال عبد الله بن ابي اوفى وانا فيهم فقال ابو بكر ان الله عز وجل لا تحصى نعماؤه ولا تبلغ جزائها الاعمال فله الحمد قد جمع الله كلمتكم واصلح ذات بينكم وهداكم الى الاسلام ونفى عنكم الشيطان فليس يطمع ان تشركوا به ولا تتخذوا الهاً غيره فالعرب اليوم بنوا ام وأب وقد رأيت ان استنفر المسلمين الى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ويجعل الله كلمته العليا مع ان للمسلمين في ذلك الحظ الاوفر لانه من هلك منهم هلك شهيداً وما عند الله خير للابرار ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين

---

(١) خشونة المعيش .

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ياابا بكر رد هؤلاء توجههم الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فقال والذي لااله الاهو لو جرت الكلاب بارجل ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشا وجهه رسول الله ولا حللت لواء عقده رسول الله فوجه اسامة فجعل لايمر بقبيل يريدون الارتداء الا قالوا لولا ان لهؤلاء قوة ماخرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فبلغوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الاسلام

« باب ذكر اهتمام ابي بكر الصديق بفتح الشام وحرصه عليه ومعرفة انفاذه الامراء بالجنود الكثيفة اليه »

قال ابن اسحق كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود الى الشام سنة اثنتي عشرة وذلك ان ابابكر لما حدث نفسه بان يغزوا الروم ولم يطلع عليه احد جاءه شرحبيل بن حسنة فجلس اليه فقال ياخليفة رسول الله اتحدث نفسك انك تبعث الى الشام جندا فقال نعم قد حدثت نفسي بذلك وما اطلعت عليه احدا وما سئالتني عنه الالشيء قال اجل اني رأيت ياخليفة رسول الله فيما يرى النائم كأنك تمشي في الناس فوق حرشفة (١) من الجبل ثم اقبلت تمشي حتى صعدت قنة (٢) من القنان العالية فاشرفت على الناس ومعك اصحابك ثم انك هبطت من تلك القنان الى ارض سهلة رمثة (٣) فيها الزرع والقرى والحصون فقلت للمسلمين شنو الغارة على اعداء الله وانا ضامن لكم بالفتح والغنيمة فشد المسلمون وانا فيهم معي راية فتوجهت بها الى اهل قرية فسئالوني الامان فامنتهم ثم جئت فاجدك قد انتهيت الى حصن عظيم ففتح الله لك عليك والقوا اليك السلم ووضع الله لك مجلسا فجلست عليه ثم قيل لك يفتح الله عليك وتنصر فاشكر ربك واعمل بطاعته ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة ثم انتبهت فقال له ابو بكر نامت عيناك خيرا رأيت وخيرا يكون ان شاء الله ثم قال بشرت بالفتح ونعيت الى نفسي ثم دمعت عينا ابي بكر ثم قال اما الحرشفة التي رأيتنا نمشي عليها حتى صعدنا الى القنة العالية فاشرفنا على الناس فانا نكابد من

---

(١) الحرشفة الارض الغليظة . (٢) القنة اعلى الجبل قنان . (٣) رمثة لينة .

من الغنائم وكان اسامة خرج على فرس ابيه التي قتل عليها ابوه يوم مؤتة وكانت تدعى سبحة وقتل قاتل ابيه في الغارة اخبره به بعض اهل ابنى واسهم للفرس سهمين ولصاحبه سهما واخذ لنفسه مثل ذلك فلما استوى أمر الناس بالرحيل ومضى وكان الدليل امامه حريث العذري فاخذوا الطريق التي جاؤا منها ودأبوا ليلهم حتى اصبحوا بارض بعيدة ثم طووا البلاد حتى وصلوا الى وادي القرى في تسع ليال ثم توجهوا الى المدينة وما اصيب من المسلمين احد فبلغ ذلك هرقل وهو بحمص فدعى بطارقته فقال هذا الذي حذرتكم فابيتم ان تقبلوه مني قد صارت العرب تأتي من مسيرة شهر فتغير عليكم ثم تخرج من ساعتها ولم تتكلم قال اخوه يناف فابعث رابطة تكون بالبلقاء فبعث رابطة (١) واستعمل عليهم رجلا من اصحابه فلم يزل مقيما حتى تقدمت البعوث الى الشام في خلافة ابي بكر وعمر قالوا واعترض لاسامة في منصرفه قوم من اهل كثكث قرية هناك قد كانوا اعترضوا لابيه في بدأته فاصابوا من اطرافه فناهضهم اسامة بمن معه فظفر بهم وحرق عليهم وساق من نعمهم (٢) واسر منهم اسيرين فاوثقهما وهرب من بقي فقدم بهما المدينة فضرب اعناقهما وكان اسامة ارسل بشيره من وادي القرى بسلامة المسلمين وانهم اغاروا على العدو فاصابوهم فلما سمع المسلمون بقدومهم خرج ابوبكر في المهاجرين وخرج اهل المدينة حتى العواتق وسروا بسلامة اسامة ومن معه من المسلمين ودخل يومئذ على فرسه سبحة كأنما خرج من ذي خشب عليه الدرع واللواء امامه يحمله بريدة حتى انتهى به الى المسجد فدخل فصلى ركعتين وانصرف الى بيته ومعه اللواء وكان مخرجه من الجرف لهلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة فغاب خمسة وثلاثين يوما سار عشرين في بدأته وخمس عشرة في رجعته وعن ابي هريرة انه قال والذي لااله الاهو لولا ان ابابكر استخلف ماعبد الله ثم قال الثانية ثم قال الثالثة فقيل له ياابا هريرة ماتقول فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه اسامة بن زيد في سبعمائة الى الشام فلما نزل بذي خشب قبض النبي صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب حول المدينة فاجتمع اليه

---

(١) معناه بعث اليه جندا من القوم الذين كانوا مرابطين بالبلقاء خلف فلان بالثغر خيلا رابطة وببلد كذا رابطة من الخيل كما في الصحاح . (٢) النعم واحد الانعام وهي المال الراعية واكثر مايقع على الابل .

تكلموا في امارة اسامة فلفظ عليهم واخذهم بالخروج فلم يتخلف عن البعث انسان واحد وخرج ابو بكر يشيع اسامة والمسلمين فلما ركب من الجرف في اصحابه وهم ثلاثة آلاف رجل وفيهم ألف فرس فسار ابو بكر الى جنب اسامة ساعة ثم قال استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصاك فانفذ لامر رسول الله فاني لست آمرك ولا انهاك عنه انما انا منفذ لامر امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج سريعا فوطىء بلادا هادئة لم يرجعوا عن الاسلام مثل جهينة وغيرها من قضاعة فلما نزل وادي القرى قدم عينا (١) له من بني عذره يدعى حريثا فخرج على صدر راحلته امامه فغزى حتى انتهى الى أبني فنظر الى ماهناك وارتاد (٢) الطريق ثم رجعا سريعا حتى لقى اسامة على مسيرة ليلتين من أبني فاخبره ان الناس غازون ولا جموع لهم وامره ان يسرع السير قبل ان تجتمع الجموع وان شنها غارة وقال بريدة لاسامة ياابا محمد اني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي اباك ان يدعوهم الى الاسلام فان اطاعوه خيرهم فان احبوا ان يقيموا في ديارهم ويكونوا كاعوان المسلمين فلا شيء لهم في الفيىء ولا في الغنيمة الا ان يجاهدوا مع المسلمين وان تحولوا الى دار الاسلام كان لهم ماللمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فقال اسامة هكذا وصية رسول الله لابي ولكنه امرني وهو آخر عهده الى ان اسرع المشي واسبق الاخبار وان اشن الغارة عليهم بغير دعاء فاحرق واخرب فقال بريدة سمعا وطاعة لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى أبني فنظر اليها منظر العين عبى اصحابه وقال اجعلوها غارة ولا تمعنوا في الطلب ولا تفترقوا واجتمعوا واخفوا الصوت واذكروا اسم الله في انفسكم وجردوا سيوفكم وضعوها فيمن اشهروا عليكم السلاح ثم رفع عليهم الغارة فما نبح كلب ولا تحرك احد ولا شعروا الا بالقوم قد شنوا عليهم الغارة ينادون بشعارهم يامنصور امت فقل من اشرف له وسبى من قدر عليه وحرق في طوائعها بالنار وحرق منازلهم وحروثهم ونخلهم فصارت اعاصير من الدخاخين واقام الخيل في عرصاتهم ولم يمعنوا في الطلب بل اصابوا ماقرب منهم واصابوا يومهم ذلك في تعبية ماصابوا

---

(١) العين الجاسوس وهو مجاز مرسل من اطلاق الجزء واوردة الكل وشرط هذا النوع فقدان الكل بفقد الجزء . (٢) طلب الطريق .

بلواء اسامة معقودا حتى اتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لابي بكر امر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة ولا يحله ابدا حتى يغزوهم اسامة فقال بريدة فخرجت باللواء حتى انتهيت به الى بيت اسامة ثم خرجت به الى الشام معقودا مع اسامة ثم رجعت به الى بيت اسامة فما زال معقودا في بيته حتى توفي فلما بلغ العرب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد منها عن الاسلام قال ابو بكر لاسامة انفذ في وجهك الذي وجهك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ الناس بالخروج وعسكروا في موضعهم الاول وخرج بريدة باللواء حتى انتهى الى معسكرهم الاول فشق ذلك على كبار المهاجرين الاولين ودخل على ابي بكر عمر وعثمان وابو عبيدة وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد فقالوا ياخليفة رسول الله ان العرب قد انتقضت عليك من كل جانب وانك لاتصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئا اجعلهم عدة لاهل الردة ترمي بهم في نحورهم واخرى لاتأمن على اهل المدينة ان يغار عليها وفيها الذراري والنساء ولو تأخرت لغزو الروم حتى يضرب الاسلام بجرانه (١) ويعود اهل الردة الى ماخرجوا منه او يفنيهم السيف ثم تبعث اسامة حينئذ فنحن نأمن الروم ان تزحف الينا فلما استوعب ابو بكر كلامهم قال هل منكم احد يريد ان يقول شيئا قالوا لا قد سمعنا مقالتك فقال والذي نفسي بيده لو ظننت ان السباع تأكلني بالمدينة لانفذت هذا البعث ولا بد ان يؤوب منه كيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي من السماء يقول انفذوا جيش اسامة ولكن خصلة اكلم بها اسامة اكلمه في عمر يقيم عندنا فانه لاغنى بنا عنه والله ما ادري يفعل اسامة ام لا والله ان ابي لا اكرهه فعرف القوم ان ابا بكر قد عزم على انفاذ بعث اسامة ومشى ابو بكر الى اسامة في بيته وكلمه في ان يترك عمر ففعل وجعل يقول له أذنت ونفسك طيبة فقال اسامة نعم قال فخرج وامر مناديه ينادي عزمة مني ان لايتخلف عن اسامة من بعثه من كان انتدب معه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني لن اوتى باحد ابطأ عن الخروج معه الا الحقته به ماشيا وارسل الى النفر من المهاجرين الذين كانوا

---

(١) اي يقر قراره ويستقيم والجران عنق البعير يقال القي البعير جرانه اذا مد عنقه على الارض واستراح .

بالامارة وان كان لاحب الناس الي وان هذا لمن احب الناس الي وانهما لمخبآن لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر ليال خلون من ربيع الاول وجاء المسلمون الذين سيخرجون مع اسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم عمر بن الخطاب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انفذوا بعث اسامة ودخلت أم ايمن فقالت أي رسول الله لو تركت اسامة يقيم في معسكره حتى تماثل فان اسامة ان خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفذوا بعث اسامة فمضى الناس الى المعسكر فباتوا ليلة الاحد ونزل اسامة يوم الاحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل مغمور وهو اليوم الذي لدوه (١) فيه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وعنده العباس والنساء حوله فطأطأ عليه اسامة فقبله ورسول الله صلى الله عليه وسلم لايتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ويصبهما على اسامة فاعرف انه كان يدعو لي قال اسامة فرجعت الى معسكري فلما اصبح يوم الاثنين غدا من معسكره واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مفيقا فجاءه اسامة فقال اغد على بركة الله فوعده اسامة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مفيق وجعل نساءه يتماشطن سرورا براحته ودخل ابو بكر فقال يارسول الله اصبحت مفيقا بحمد الله واليوم يوم ابنة خارجة فأذن لي فاذن له فذهب الى السيح وركب اسامة الى معسكره وصاح في اصحابه باللحوق الى العسكر فانتهى الى معسكره ونزل وامر الناس بالرحيل وقد متع (٢) النهار فبينا اسامة يريد ان يركب من الجرف اتاه رسول ام ايمن وهي امه تخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت فاقبل اسامة الى المدينة ومعه عمر وابو عبيدة فانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت فتوفي عليه السلام حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بن الحصيب

---

(١) اللدود بفتح اللام مايسقاه المريض من الادوية في احد شقي الفم ومنه الحديث انه صلى الله عليه وسلم لد في مرضه فلما افاق قال لايبقى في البيت احد الالد فعل ذلك عقوبة لهم لانهم لدوه بغير اذنه قاله في النهاية . (٢) متع النهار طال وامتد وتعالى والمراد هنا الاخير .

وبركته حتى تنتهي الى مقتل ابيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على اهل ابنا وحرق عليهم واسرع السير بسبق الخبر فان اظفرك الله فاقلل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون امامك والطلائع فلما كان يوم الاربعاء الليلتين بقيتا من صفر بدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدع وحم فلما اصبح يوم الخميس لليلة بقيت من صفر عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده لواء ثم قال يااسامة اغز بسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله اغزوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولاتمنوا لقاء العدو فانكم لاتدرون لعلكم تبتلون بهم ولكن قولوا اللهم اكفناهم واكفف بأسهم عنا فان لقيتموهم قداجلبوا وصبحوا فعليكم بالسكينة والصمت ولا تتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وقولوا اللهم نحن عبادك وهم عبادك نواصينا ونواصيهم بيدك وانما تغلبهم انت واعلموا ان الجنة تحت البارقة وروى الزهري عن عروة عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يغير على اهل ابنى صباحا وان يحرق ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسامة امض على اسم الله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريده بن الحصيب الاسلمي فخرج به الى بيت اسامة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة فعسكر بالجرف وضرب عسكره في موضع سقاية سليمان اليوم وجعل الناس يأخذون بالخروج فيخرج من فرغ من حاجته الى معسكره ومن لم يقض حاجته فهو على فراغ ولم يبق احد من المهاجرين الاولين الا انتدب في تلك الغزوة عمر بن الخطاب وابو عبيدة وسعد بن ابي وقاص وابو الاعور وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في رجال من المهاجرين وكان اشدهم في ذلك عدة قتادة بن النعمان وسلمة بن اسلم بن حريش فقال رجال من المهاجرين وكان اشدهم في ذلك قولا عياش بن ابي ربيعة يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين فكثرت القالة في ذلك فسمع عمر بن الخطاب بعض ذلك القول فرده على من تكلم به وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بقول من قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فخرج وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة فوالله لئن طعنتم في امارتي اسامة لقد طعنتم في امارتي اباه من قبله وايم الله ان كان للامارة لخليق وان ابنه من بعده لخليق

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم امض في جيشك للوجه الذي امرت به ثم اغز حيث امرك رسول الله من ناحية فلسطين وعلى اهل مؤتة فان الله سيكفي ماتركت ولكن ان رأيت ان تأذن لعمر بن الخطاب فاستشر واستعن به فانه ذو رأي ومناصح للاسلام فافعل ففعل اسامة ورجع عامة العرب عن دينهم وعامة اهل المشرق وغطفان وبنو اسد وعامة اشجع وتمسك طيء بالاسلام وقال عامة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم امسك اسامة وجيشه ووجههم الى من ارتد عن الاسلام من غطفان وسائر العرب فابى ابو بكر ان يحبس اسامة وجيشه وقال انكم قد علمتم انه قد كان من عهد رسول الله اليكم في المشورة فيما لم يمض من نبيكم فيه سنة ولم ينزل عليكم به كتاب وقد اشرتم وسأشير عليكم فانظروا ارشد ذلك فأئتمروا به فان الله لن يجمعكم على ضلالة والذي نفسي بيده ما ارى من امر افضل في نفسي من جهادمن منع منا عقالا كان يأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانقاد المسلمون لرأي ابي بكر ورأوا انه افضل من رأيهم فبعث ابو بكر حينئذ اسامة بن زيد لوجهه الذي امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصيب في الغزو مصيبة عظيمة وسلمه الله وغنمه هو وجيشه وردهم صالحين وخرج ابو بكر في المهاجرين والانصار حين خرج اسامة وهربت الاعراب بذراريهم فلما بلغ المسلمين هرب الاعراب بذراريهم كلموا ابا بكر وقالوا ارجع الى المدينة والى الذراري والنساء وامر رجلا من اصحابك على الجيش واعهد اليه بأمرك فلم يزل المسلمون بابي بكر حتى رجع وامر خالد بن الوليد على الجيش فقال له اذا اسلموا واعطوا الصدقة فمن شاء منكم ان يرجع فليرجع ورجع ابو بكر الى المدينة وقال الواقدي قالوا لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر مقتل زيد بن حارثه وجعفر واصحابه ووجد عليهم وجدا شديدا فلما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالتأهب لغزو الروم وامرهم بالانكماش (١) في غزوهم فتفرق المسلمون من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يجدون في الجهاز فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد يوم الثلاثا لثلاث ليال بقين من صفر دعا اسامة بن زيد فقال يا اسامة سر على اسم الله

---

(١) الانكماش التشمير والجد .

فدعوهم ومافرغوا انفسهم له وسوف تقدمون على اقوام يأتونكم بآنية فيها انواع الطعام فاذا اكلتم منها شيئا بعد مايبقى بقية فاذكروا اسم الله عليها وسوف تلقون اقواما قد فحصوا اوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصافير فاخفقوهم بالسيوف خفقا اندفعوا باسم الله افناكم الله بالطعن والطاعون وفي رواية عروة ان ابا بكر رضى الله عنه وصل الى الجرف وانه قال لاسامة ابدأ ببلاد قضاعة ثم ائت ابل الزيت فمضى اسامة يتغذى على ذي المروة والوادي وانتهى الى ما امره به النبي صلى الله عليه وسلم من بث الخيول في بلاد قضاعة والغارة على ابل الزيت فسلم وغنم وكان فراغه في اربعين يوما سوى مقامه ومقيله راجعا وقال زيد بن اسلم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعماله على قضاعة وعلى كلب امرؤ القيس بن الاصبع الكلبي من بني عبد الله وعلى القين عمرو بن الحكم وعلى سعد هزيم معاوية بن فلان الوائلي فارتد وديعة الكلبي فيمن آزره من كلب وبقى امرؤ القيس على دينه وارتد زميل بن قبطة القيني فيمن آزره من بني القين وبني عمرو وارتد معاوية فيمن آزره من سعد هزيم فكتب ابو بكر الى امرؤ القيس بن فلان وهو جد سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما فثار بوديعة وآل عمرو فاقام لزميل وآل معاوية العذري ولمعاوية فلما توسط اسامة بلاد قضاعة بث الخيول قبلهم وامرهم ان ينهضوا من اقام على الاسلام الى من رجع عنه فخرجوا هرابا حتى آزروا الى دومة الجندل واجتمعوا الى وديعة ورجعت خيول اسامة اليه فمضى فيها اسامة على انتخار وعلى الحملتين فاصاب في بني الضبيب من جذام وفي بني حيليل من لخم ولفها من القبيلتين وحازهم من ايل ثم انكفأ سالما غانما وقال السخيط بن النعمان اللخمي

اما ينفك من زيد جذام ولا لخم وان رمت عظامه

وروى عن عروة من طريق آخر قال لما فرغوا من البيعة واطمأن الناس قال ابو بكر لاسامة امض لوجهك الذي بعثك له رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه رجال من المهاجرين والانصار وقالوا امسك اسامة وبعثه فانا نخشى ان تميل علينا العرب اذا سمعوا بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر وكان احزمهم امرا انا احبس جيشا بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اجترأت على امر عظيم والذي نفسي بيده لان تميل على العرب احب الى من احبس جيشا

نعيم والبيهقي وهو حديث غريب واهل الشام يقولون يبني بالياء المثناة التحتية . كلا القولين صواب وقد تبدل الالف ياء والياء همزة في مواضع كقولهم احمد ويحمد واساف ويساف واخامر ويخامر وقال عبد الله بن عمرو الغزي سمعت ابا مسهر وقد قيل له ابني فقال نحن اعلم هي يبنا فلسطين

وقال الحسين بن ابي الحسين ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا قبل وفاته على اهل المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب وامر عليهم اسامة بن زيد فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف اسامة بالناس ثم قال لعمر ارجع الى خليفة رسول الله فاستأذنه يأذن لي فليرجع الناس فان معي وجوههم وحدهم (١) ولا آمن على خليفة رسول الله وثقل رسول الله واثقال المسلمين ان يتخطفهم المشركون وقالت الانصار فان ابى الا ان نمضي فابلغه عنا واطلب اليه ان يولي امرنا رجلا اقدم سنا من اسامة فخرج عمر بامر اسامة فاتى ابابكر فاخبره بما قال اسامة فقال ابو بكر لو اختطفتني الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان الانصار امروني ان ابلغك انهم يطلبون اليك ان تولي امرهم رجلا اقدم سنا من اسامة فوثب ابو بكر وكان جالسا فاخذ بلحية عمر وقال ثكلتك امك وعدمتك يابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني ان انزعه فخرج عمر الى الناس فقالوا له ما صنعت فقال امضوا ثكلتكم امهاتكم ما لقيت في سببكم اليوم من خليفة رسول الله ثم خرج ابو بكر حتى اتاهم فاشجعهم وشيعهم وهو ماشي واسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة ابي بكر فقال له اسامة يا خليفة رسول الله لتركبن او لانزلن فقال والله لا تنزل ووالله لااركب وما علي ان اغبر قدمي ساعة في سبيل الله فان للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له ويمحى عنه سبعمائة خطيئة حتى اذا انتهى قال اني رأيت ان تعينني بعمر بن الخطاب فافعل فأذن له وقال يايها الناس قفوا اوصيكم بعشر فاحفظوها عني لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تتلفوا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع

---

(١) المراد من الحد هنا المضاء في الدين والصلابة والقصد الى الخير .

الناس بعثا وامر عليهم اسامة بن زيد وامره ان يوطىء ابل الزيت من مشارق الشام بالاردن فقال المنافقون في ذلك ورد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم انه لخليق لها اي حقيق بالامارة ولئن قلتم فيه لقد قلتم في ابيه من قبله وان كان لها خليقا وطارت الاخبار لتجلل السير بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه صلى الله عليه وسلم قد اشتكى ووثب الاسود باليمن ومسيلمة باليمامة وجاء النبي صلى الله عليه وسلم الخبر عنهما ثم وثب طليحة في بلاد بني اسد بعد ما افاق النبي صلى الله عليه وسلم ثم اشتكى في المحرم وجعه الذي توفاه عز وجل فيه وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضرب بعث اسامة ولم يستتب فرجع اليه صلى الله عليه وسلم واخلع مسيلمة والاسود (١) وقد اكثر المنافقون في تأمير اسامة حتى بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج عاصبا رأسه من الصداع لذلك من الشأن ولبشارة اريها في بيت عائشة وقال اني أريت البارحة فيما يرى النائم في عضدى سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا هذين الكلبين صاحب اليمامة وصاحب اليمن وقد بلغني ان اقواما يقولون في امرة اسامة ولعمري لان قالوا في امارته لقد قالوا في امارة ابيه من قبله ولئن ابوه لخليقا لها لخليق فانفذوا بعث اسامة وقال لعن الله الذين يتخذون قبور انبيائهم مساجد فخرج اسامة فضرب بالجرف وانشأ الناس في العسكرة ونجم طليحة يمهل الناس وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الامام احمد عن اسامة بن زيد قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قرية يقال لها ابنى فقال ائتها صباحا ثم حرق وروى الزهري عن عروة عن اسامة بن زيد ان رسول الله بعثه الى الشام وامره ان يغير على ابني صباحا ثم يحرق ورواه الامام احمد بلفظ اتم وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان وجه اسامة فقبض عليه الصلاة والسلام فسئاله ابوبكر رضى الله عنه ما الذي عهد اليك فقال عهد الى ان اغير على ابنى صباحا ثم احرق ورواه ابويعلي الموصلي وزاد ولم يتوجه اسامة حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ابو

(١) واخلع هي عادة في العرب فانهم كانوا يتعاهدون ويتعاقدون على النصرة والاعانة وان يأخذ كل منهم بيد الآخر فاذا ارادوا ان يتبرؤا من انسان قد خالفوه اظهروا ذلك للناس وسموا ذلك الفعل خلعا والمتبرأ منه خليعا أى مخلوعا فلا يؤخذون بجنايته ولا يؤخذ بجنايتهم فكائنهم قد خلعوا اليمين التي كانوا قد لبسوها معه وسموه خلعا مجازا واتساعا .

واذرح بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لاهل اذرح انهم آمنون بامان الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان الى المسلمين ومن لجأ اليهم من المسلمين من المخافة وذكر باقي الكتاب قال واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل ايلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم امانا لهم فاشتراها ابو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالدا بن الوليد فبعثه الى اكيدر دومة وقال قيس بن النعمان السكوني خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع بها اكيدر دومة الجندل فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه بلغنا ان خيلا انطلقت واني خفت على ارضي ومالي فاكتب لي كتابا لايتعرضوا لشيء لي فاني مقر بالذي علي من الحق فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ثم ان اكيدر اخرج قبا من ديباج منسوجا مما كان كسرى يكسوهم فقال يارسول الله اقبل مني هذا فاني اهديته لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع بقباك فانه ليس يلبس هذا في الدنيا الاحرمه يعني في الآخرة فرجع به حتى اتى منزله وانه وجد في نفسه ان ترد عليه هديته فقال يارسول الله انا اهل بيت يشق علينا رد هديتنا فاقبل مني هديتي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى عمر بن الخطاب قال وقد كان سمع ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ودمعت عيناه وظن انه قد لحقه شيء فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله احدث في امر حتى قلت في هذا القباء ماقلت ثم بعثت به الي فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وضع يده او ثوبه على فيه ثم قال مابعثت به اليك لتلبسه ولكن تبيعه وتستعين بثمنه

((باب ذكر بعث النبي صلى الله عليه وسلم اسامة قبل وامره اياه ان يشن الغارة على مؤتة ويبني وابل الزيت))

قال ابو مويهبة مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد ماقضى حجة التمام فتحلل به السير وضرب على

القصة من طريق ابي يعلي الموصلي وبها زيادات قليلة نذكرها تباعا فمنها ان قيصر لما جمع بطارقته وقسيسيه قال لهم قد تجدون فيما تقرأون من كتبكم سيملك ماتحت قدمي من ملكي فنخروا نخرة حتى ان بعضهم خرجوا من برانسهم وقالوا نرسل الخراج الى رجل من العرب جاء في بردته فقال اسكتوا انما اردت ان اعلم تمسككم بدينكم ورغبتكم فيه ومنها انه لما وصل الى تبوك اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مع اصحابه وهم محتبون بحمائل سيوفهم حول بئر تبوك فقلت ايكم محمد فاومأ بيده الى نفسه زاد ابن المقري انهم قالوا له انك رسول قوم وان لك حقا ولكن جئتنا ونحن مرملون (١) فقال عثمان بن عفان انا اكسوه حلة صفورية وقال رجل من الانصار هو على ضيافته قال وقد كان قيصر قال لي فيما قال انظر الى ظهره فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اريد النظر الى ظهره فالقى ثوبه عن ظهره فنظرت الى الخاتم في بعض الكتف فاقبلت عليه اقبله وفيه قال وكتبت الى قيصر فرفع كتابي فلا يزال في الناس خير ما كان في العيش خير ومن ذلك اليوم لم يزل في الناس ذكر هذه الكلمة وهي ماكان في العيش خير وروى هذه القصة الامام احمد في مسنده بنحو الرواية الاولى وهي اتم والراوي لها عباد وهو احسن اقتصاصا للحديث فلذلك اخترناها وزاد في رواية احمد ان النبي صلى الله عليه وسلم ضحك بحين دعاه الى الاسلام فابى ان يسلم وتلى انك لاتهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وروى البيهقي عن ابن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى تبوك اتاه يحنة بن روبة صاحب ايلة فصالحه واعطاه الجزية واتاه اهل جربا واذرح فاعطوه الجزية وكتب لهم كتابا فهو عندهم فكتب ليحنة بن روبة بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي ورسوله ليحنة بن روبة واهل ايلة اساقفتهم وسائرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معه من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لايحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس وانه لايحل ان يمنعوا ما يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق وكتب لاهل جربا

---

(١) المرملون هم الذين قد نفد زادهم واصله من الرمل كانهم قد لصقوا بالرمل قاله في النهاية.

الى بطارقته ورؤوس اصحابه فقال لهم ان هذا الرجل بعث اليكم رسولا وكتب اليكم كتابا يخبركم طالبا منكم احدى ثلاث اما ان تتبعوه على دينه او تقروا له بخراج يجري له عليكم ويقركم على هيئتكم في بلادكم او ان تلقوا اليه بالحرب قال فنخروا نخرة حتى خرج بعضهم من برانسهم وقالوا لانتبعه على دينه وندع ديننا ودين ابائنا ولا نقر له بخراج يجري له علينا ولكن نلقي اليه الحرب فقال قد كان ذلك ولكني كرهت ان اتبات دونكم بامر قال عباد المهلبي قلت لابي خيثم عند روايته هذه القصة او ليس قيصر قد كان قارب وهم بالاسلام فيما بلغنا قال بلى لولا انه رأى منهم ثم قال قيصر لقومه ابغوني رجلا من العرب اكتب معه اليه جواب كتابه قال فاتيت وانا شاب فانطلق بي اليه فكتب جوابه وقال لي مهما نسيت من شيء فاحفظ عني ثلاث خلال انظر اذا قرأ كتابي هذا هل يذكر الليل والنهار وهل يذكر كتابه الى وانظر هل ترى في ظهره علما قال فاقبلت حتى اتيته وهو بتبوك في حلقة من اصحابه محتبين فسئالت عنه فاخبرت به فدفعت اليه الكتاب فدعى معاوية فقرأ عليه الكتاب فلما بلغ الى قوله دعوتني الى جنة عرضها السموات والاض قلت له فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء الليل فاين النهار ثم قال اني قد كتبت الى النجاشي فخرقه فخرقه الله مخرق الملك فقال عباد فقلت لابي خيثم اليس قد اسلم النجاشي ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة الى اصحابه فصلى عليه فقال بلى وانما ذلك فلان بن فلان وهذا فلان بن فلان يعني ان ذاك النجاشي غير هذا النجاشي ثم قال وكتب الى كسرى كتابا فمزقه فمزقه الله ممزق الملك وكتبت الى قيصر كتابا فاجابني فيه فلن يزال الناس يجدون منهم بأسا ما كان في العيش خير ثم قال لي ممن انت قلت من تنوخ فقال يااخا تنوخ هل لك في الاسلام قلت لا اني اقبلت من قبل قوم وانا منهم على دين ولست مستبدلا بدينهم حتى ارجع اليهم قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبسم فلما قضيت حاجتي قمت فلما وليت دعاني فقال يااخا تنوح هلم فامض للذي امرت به قال وكنت نسيتها فاستدرت من وراء الحلقة والقى بردة كانت عليه عن ظهره فرأيت على غضروت (١) كتفه مثل المحجم الضخم ورويت هذه

---

(١) الغضروف ويقال له الغرضوف كل عظم رخص يؤكل وهو مثل مارن الانف ونغض الكتف ورؤوس الاضلاع ورهابة الصدر وداخل قوف الاذن قاله في القاموس .

الى النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى صفته والى علامته والى حمرة في عينيه والى خاتم النبوة بين كتفيه وسأل فاذا هو لايقبل الصدقة فوعى اشياء من حال النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف الى هرقل يذكر ذلك له فدعا قومه الى التصديق فأجابوا حتى خافهم على ملكه وهو في موضعه لم يتحرك ولم يزحف وكان الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تغيب أصحابه ودنوه الى أدنى الشام باطل لم يرد ذلك ولم يهم به وشاور رسول لله صلى الله عليه وسلم اصحابه في التقدم فقال عمر بن الخطاب ان كنت أمرت بالسير فسر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرت به ما استشرتكم فيه فقال يا رسول الله ان للروم جموعاً كثيرة وليس بها أحد من أهل الشام وقد دنوت منهم حيث ترى وقد افزعهم دنوك فلو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله لك في ذلك أمر وعن معاذ بن جبل قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء قال فأخر الصلاة يوماً ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب ثم قال والعشاء جميعاً ثم قال انكم ستأتون غداً ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي قال فجئناها وقد سبق اليها رجلان والعين مثل الشراك تبض(١) بشيء من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئاً قالا نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله ان يقول ثم غرفوا من العين بأيديهم قليلا قليلا حتى اجتمع شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقا الناس ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك يامعاذ ان طالت بك حياة ان ترى ماءها هنا قد ملأ جناناً وقال الحسن آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك وعن سعيد بن ابي راشد وكان مولى لآل معاوية قال قدمت الشام فقيل لي في هذه الكنيسة رسول قيصر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فدخلت الكنيسة فاذا انا بشيخ كبير فقلت له انت الذي أرسلك قيصر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فقلت حدثني عن ذلك قال انه لما غزا تبوكاً أرسل الى قيصر كتاباً وبعث به مع رجل يقال له دحية بن خليفة فلما قرأ كتابه وضعه معه على سريره وبعث

---

(١) تبض تقطر وتسيل .

في جهازهم والناس في عسرة شديدة وحين طابت الثمار وأحبت الظلال فالناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالانكماش والجد وضرب رسول الله عسكره بثنية الوداع والناس كثير لا يجمعهم كتاب قل رجل يريد أن يتغيب الا ظن أن ذلك سيخفى له مالم ينزل فيه وحي من الله فلما استمر برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره وأجمع السير استخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ويقال محمد بن مسلمة ولم يتخلف عنه في غزوة غيرها ويقال ابن أم كلثوم وأثبتهم عندنا محمد بن مسلمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من النعال فان الرجل لا يزال راكباً مادام منتعلا فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف ابن أبي عنه فيمن تخلف من المنافقين وقال يغزو محمد بني الاصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد الى مالا قبل له به يحسب محمد ان قتال بني الاصفر اللعب ونافق ممن هو معه على مثل رأيه ثم قال ابن أبي والله يتخذلوا ورائه والقبائل من العرب فيها الرايات والالوية وكان رسول الله صلى وسلم وأصحابه فلما رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية الوداع الى تبوك وعقد الالوية والرايات رفع لوائه الاعظم الى ابي بكر ورايته العظمى الى الزبير ورفع راية الاوس الى أسيد بن الخضير ولواء الخزرج الى ابي دجانة ويقال الى الحباب ابن المنذر بن الجموح ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فصبح ذا خشب فنزل تحت الدومة فراح منها ممسياً حيث أبرد وكان في حر شديد وكان الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين ألفاً ومن الخيل عشرة آلاف فرس وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بطن من الانصار ان يتخذوا ورائه والقبائل من العرب فيها الرايات والالوية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رفع راية بني مالك بن النجار الى عمارة بن حزم فأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت فأعطاه الراية فقال عمارة يارسول الله لعلك وجدت عليَّ قال لا والله ولكن قدّموا القرآن وكان زيد أكثر أخذاً للقرآن منك والقرآن يقدم وان كان عبداً أسود مجدعاً وأمر في الاوس والخزرج أن يحمل راياتهم أكثرهم أخذاً للقرآن وكان ابو زيد يحمل راية بني عمرو بن عوف وكان معاذ بن جبل يحمل راية بني سلمة قالوا وكان هرقل قد بعث رجلا من غسان

للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبة عدوهم واخبرهم بالوجه الذي يريده وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القبائل والى مكة يستنفرهم الى عدوهم فبعث بريدة بن الحصيب الى أسلم وأمره أن يبلغ الفرع وبعث أبارهم الغفاري الى قومه وامره ان يطلبهم ببلادهم وخرج ابو واقد الليثي في قومه وخرج ابو جعد الضمري في قومه بالساحل وبعث رافع بن مكيث وجندب بن مكيث الى جهينة وبعث نعيم ابن مسعود الى أشجع وبعث في بني كعب بن عمرو عدة وهم بديل بن ورقاء وعمر بن سالم وبشر بن سفيان وبعث في سليم عدة منهم العباس بن مرواس وحض رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد ورغبهم فيه وأمرهم بالصدقه فحملوا صدقات كثيرة وكان اول من حمل ابوبكر الصديق بماله كله أربعة آلاف درهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لأهلك شيئاً فقال الله ورسوله أعلم ثم جاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لأهلك شيئاً قال نعم نصف ماجئت به وبلغ عمر ماجاء به ابوبكر الصديق فقال ما استبقنا الى خير قط الا سبقتني اليه وحمل العباس بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحمل عبدالرحمن بن عوف اليه مأتي اوقية وحمل سعد بن عبادة اليه مالا وكذلك محمد بن مسلمة وتصدق عاصم بن عدي بتسعين وسقاً تمراً وجهز عثمان بن عفان ثلث ذلك الجيش وكان من أكثرهم نفقة حتى كفى ثلث ذلك الجيش مؤونتهم حتى ان كان ليقال مابقيت لهم حاجة حتى كفاهم شق أسقيتهم فيقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ ما يضر عثمان مافعل بعد هذا ورغب أهل الغنى في الخير والمعروف واحتسبوا في ذلك الخير وقوى ناس دون هؤلاء من هو اضعف منهم حتى ان الرجل ليأتي بالبعير الى الرجل والرجلين فيقول هذا البعير بينكما يعتقبانه ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج حتى ان كن النساء ليعن بكل ماقدرن عليه لقد قالت أم سنان الاسلمية لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة فيه مسك(١) ومعاضد وخلاخل واقرطة وخواتيم وقدمات ممابعث به النساء يعينون به المسلمين

(١) المسك من الطيب فارسي امعرب ويقال له المشموم .

في وجه من مغازيه الا اظهر انه يريد غيره غير انه في غزوة تبوك قال يا أيها الناس اني أريد الروم فأعلمهم وذلك في زمان من البأس وشدة الحر وجدب من البلاد وحين كانت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في جهازه ذلك قال للجد بن قيس ياجد هل لك في جلاد بني الاصفر فقال يارسول الله ائذن لي ولا تفتني لقد علم قومي انه ليس من أحد أشد عجباً بالنساء مني واني أخاف ان رأيت نساء بني الاصفر أن يفتنني فأذن لي يارسول الله فأعرض عنه وقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا يقول ما وقع فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبته بنفسه عن نفسه مما يخاف من فتنة نساء بني الاصفر وان جهنم لمحيطة بالكافرين يقول لمن ورائه وقال رجل من جملة المنافقين لا تنفروا في الحر فأنزل الله تعالى قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون قال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جد في سفره وأمر الناس بالجهاد وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله فحمل رجال من أهل الغنى وأحسنوا وأنفق عثمان رضي الله عنه في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم منها وحمل على مأتي بعير وأخبر طائفة من الثقات انه كانت طائفة من الانباط يقدمون المدينة بالدرمك(١) والزيت في الجاهلية وبعد ان دخل الاسلام فانما كانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الانباط فقدمت منهم قادمة فذكروا ان الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام وان هرقل قد رزق أصحابه لسنة وأجلبت معه لخم وجذام وغسان وعاملة وزحفوا وقدموا مقدماتهم الى البلقاء وعسكروا بها وتخلف هرقل بحمص ولم يكن ذلك انما ذلك شيء قيل لهم فقالوه ولم يكن عدو أخوف المسلمين منهم وذلك لما عاينوا منهم اذ كانوا يقدمون عليهم تجاراً من العدد والعدة والكراع وكان رسول الله صلى الله عليهم وسلم لا يغزو غزوة الا ورى بغيرها كي لا تذهب الاخبار بأنه يريد كذا وكذا حتى كانت غزوة تبوك فغزاها في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً واستقبل غزواً وعدداً كثيراً فجلى

---

(١) الدرمك هو الدقيق الحواري بضم الحاء وتشديد الواو أي المبيض ٠

ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي فرجع علي الى المدينة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره وأخرج الامام احمد في مسنده عن كعب بن مالك انه قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك الا بدراً ولم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم أحداً تخلف عن بدر انما خرج يريد العير (١) فخرجت قريش مغوثين (٢) لغيرهم فالتقوا عن غير موعد كما قال الله عز وجل ولعمري ان أشرف مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس لبدر وكنت أحب اني كنت شهدتها فكانت بيعتي ليلة العقبة حين توافقنا على الاسلام ولم أتخلف بعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك وهي آخر غزاة غزاها فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالرحيل وأراد ان يتأهبوا اهبة عدوهم وذلك حين طابت الظلال وطابت الثمار فكان قلما أراد غزوة يغزوها الا ورّى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة (٣) فأراد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ان يتأهب الناس اهبته وانا أيسر ما كنت قد جمعت راحلتين وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ (٤) وأنا في ذلك أصغو الى الظلال وطيب الثمار فلم أزل كذلك حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم غازياً بالغداة وذلك يوم الخميس وكان يحب ان يخرج يوم الخميس قال الزهري ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وهو يريد الروم وكفار العرب بالشام حتى اذا بلغ تبوك اقام بها بضعة عشرة ليلة واقيه بها وفد ازرح ووفد ايلة فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ثم قفل من تبوك ولم يجاوزها وفي رواية للبيهقي عن محمد بن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم أقام ما بين ذي الحجة الى رجب ثم امر بالنهي عن غزو الروم وأخرج القصة البيهقي من طريق ابن اسحاق عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم انه قال ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج

---

(١) العير بالكسر الابل التي تتخذ للميرة . (٢) معينين . (٣) خدعة يروى بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال وبضمها مع فتح الدال فالاول معناه ان الحرب ينقضي امرها بخدعة واحدة من الخداع اي ان المقاتل اذا خدع مرة واحدة لم يكن لها اقالة وهو افصح الروايات وأصحها ومعنى الثاني هو الاسم من الخداع ومعنى الثالث ان الحرب تخدع الرجال وتمينهم ولا تفي لهم كما يقال فلان رجل لعبة وضحكة للذي يكثر اللعب والضحك قاله في النهاية . (٤) خفة الظهر من العيال .

يبق ذو علة الا وهو ينظر الفرج فيما ينزل الله في كتابه ولم تزل سورة براءة
تنزل حتى ظن الناس بالمؤمنين الظنون واشفقوا ان لا ينفلت منهم كبير ولا صغير
اذنب في شأن التوبة قط ذنباً الا انزل فيه بلاء حتى انقضت وقد وقع بكل
عامل تبيان منزلته من الهدى والضلالة وقال الزهري ان قائد كعب ابن مالك
الذي كان يقوده حين عمي قال له حدثني كعب بن مالك ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا اراد المسير في الغزاة اذن بالمسلمين بالجهاد وكتمهم اين يجاهدون
مكيدة للعدو وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذن بالجهاد الا وعندي بعير
فأقوى به على الخروج معه حتى كانت تبوك فكانت في حر شديد وحين اقبلت
الثمرة فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد الى تبوك وبينها للمسلمين ووافق
ذلك عندي بعيرين فرأيت اني قوي على الخروج فتجهز رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمسلمون وغدوت انا لا اتجهز فوالله لكأنما اجيء لأربط فارجع وما قطفت
شعرة وعندي بعيران وانا ارى اني قوي على الخروج اذا اردت فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون ثم ذهبت انظر فاذا انا لا ارى رجلا تخلف الا
رجلا مغموصاً عليه في دينه غير اني قد رأيت رجلين من الانصار صحيحين كدت
اسكن اليهما هلال بن امية الواقفي ومرارة العمري حتى اذا استمر الخروج
قلت اعتذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رجع قال ابن اسحق ثم خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخميس واستخلف على المدينة محمد بن
مسلمة الانصاري فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية
الوداع ومعه زيادة على الثلاثين الفاً من الناس وضرب عبد الله بن ابي عدو الله
على ذي حدة عسكره اسفل منه نحو ذباب وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين
فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن ابي فيمن تخلف من
المنافقين واهل الريب وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب
على اهله وامره بالاقامة فيهم فأرجف به المنافقون فقالوا ما خلفه الا استثقالا له
وتخففاً منه فلما قال ذلك المنافقون اخذ علي بن ابي طالب سلاحه ثم خرج حتى
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال رسول الله زعم
المنافقون انما خلفتني انك استثقلتني وتخففت مني فقال رسول الله كذبوا ولكني
خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في اهلي واهلك أفلا ترضى يا علي

الا قد احتوب (١) فاترك لاهله شيئاً فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لاهلك شيئاً قال نعم اكثر مما انفقت واطيب قال كم قال ما وعد الله ورسوله من الرزق والخير وجاء رجل من الانصار يقال له ابو عقيل بصاع من تمر فتصدق به وعمد المنافقون حين راوا الصدقات يتغامزون فاذا كانت صدقة الرجل كثيرة تغامزوا به وقالوا مرائي واذا تصدق رجل بيسير تمر من طاقته قالوا هذا أحوج الى ما جاء به فلما جاء ابو عقيل بصاع من تمر قال بت ليلتي اجر بالحزير على صاعين والله ما كان عندي من شيء غيره وهو يعتذر وهو يستحي فأتيت بأحدهما وتركت الآخر لأهلي فقال المنافقون هذا افقر الى صاعه من غيره وهم في ذلك ينتظرون ان يصيبوا من الصدقات غنيهم وفقيرهم فلما ازف(٢) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا الاستيذ ان وشكوا الحر وخافوا زعموا الفتنة ان غزوا ويحلفون بالله على الكذب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن لهم لا يدري ما في أنفسهم وبنى طائفة منهم مسجد النفاق يرصدون به الفاسق أبا عامر وهو عند هرقل قد لحق به وكنانة بن عبد ياليل وعلقمة بن علاثة العامري وسورة براءة تنزل في ذلك ارسالا ونزلت فيها آية ليست فيها رخصة لقاعد فلما أنزل الله عز وجل انفروا خفافاً وثقالا اشتكى الضعيف الناصح لله ولرسوله والمريض والفقير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا هذا الامر لا رخصة فيه وفي المنافقين ذنوب مستورة لم تظهر حتى كان بعد ذلك وتخلف رجال غير مستيقنين ولا ذوى علة ونزلت هذه السورة بالبيان والتفضيل في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبر بنبأ من اتبعه حتى بلغ تبوك فبعث منها علقمة بن محيرز المدلجي الى فلسطين وبعث خالداً بن الوليد الى دومة الجندل فقال اسرع لعلك أن تجده خارجاً يتقنص فتأخذه فوجده فأخذه وارجف المنافقون في المدينة بكل خبر سوء فاذا بلغهم ان المسلمين اصابهم جهد وبلاء تباشروا به وفرحوا وقالوا قد كنا نعلم ذلك ونحذر منه واذا اخبروا بسلامة منهم وخير حزنوا وعرف ذلك منهم فيهم كل عدو لهم بالمدينة فلم يبق احد من المنافقين اعرابي ولا غيره الا استخفى بعمل خبيث ومنزلة خبيثة واستعلن ولم

---

(١) ارتكب الاثم . (٢) ازف دنا .

العاص يقول بعثني رسول الله على جيش ذات السلاسل وفي القوم ابو بكر وعمر فحدثت نفسي انه لم يكن يبعثني على ابوبكر وعمر الا لمنزلة لي عنده قال فأتيته حتى قعدت بين يديه وقلت يارسول الله من احب الناس اليك قال عائشة قلت اني لست أسألك عن اهلك قال فابوها قلت ثم من قال ثم عمر قلت ثم من حتى عد رهطاً قال قلت في نفسي لا اعود أسأل عن هذا وعن قيس بن حازم لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عمرو ابن العاص في ذات السلاسل سأله اصحابه أن يأذن لهم أن يوقدوا ناراً ليلا فمنعهم فكلموا ابا بكر فكلمه في ذلك فأتاه فقال قد ارسلوك الي لا يوقد احد منهم ناراً الا القيته فيها قال فلقوا العدو فهزموهم فأرادوا ان يتبعوهم فمنعهم فلما انصرف ذلك الجيش ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وشكوه اليه فقال يارسول الله اني كرهت ان آذن لهم ان يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم وكرهت ان يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفوا عليهم فأحمد رسول الله امره فقال يا رسول الله من احب اليك قال لمَ قال لأحب من تحب قال عائشة قال من الرجال قال ابو بكر .

« باب غزاة النبي صلى الله عليه وسلم تبوك بنفسه وذكر مكاتباته » ومراسلاته منها الى الملوك

قال ابن عباس جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من الطائف بستة اشهر ثم امره الله بغزوة تبوك وهي التي ذكر الله في ساعة العسرة وذلك في حر شديد وقد كثر النفاق وكثر اصحاب الصفة والصفة بيت كان لأهل الفاقة يجتمعون فيه فتأتيهم صدقة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين واذا حضر غزو عمد المسلمون اليهم فاحتمل الرجل الرجل او ماشاء الله بشبعه فجهزوهم وغزوا معهم واحتسبوا عليهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالنفقة في سبيل الله والحسبة فانفقوا احتساباً وانفق رجال غير محتسبين وحمل رجال من فقراء المسلمين وبقي اناس وافضل ماتصدق به يومئذ احد عبدالرحمن بن عوف تصدق بمأتي اوقية وتصدق عمر بن الخطاب بمائة اوقية وتصدق عامر الانصاري بتسعين وسقاً من تمر وقال عمر بن الخطاب يارسول الله اني لاأرى عبدالرحمن

عن بعض مشيختهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لأؤمر الرجل على القوم وفيهم من هو خير منه لانه ايقظ عيناً وابصر بالحرب ورويت القصة عن ابن شهاب الزهري قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثين الى كلب وغسان وكفار العرب الذين كانوا بمشارف الشام وامر على احد البعثين ابا عبيدة ابن الجراح وامر على البعث الآخر عمراً بن العاص فانتدب في بعث ابي عبيدة ابو بكر وعمر فلما كان عند خروج البعث أوصاه بقوله لا تتغاضبا فلما فصلا من المدينة خلا ابو عبيدة بعمرو فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي واليك على ان لا نتغاضبا فأما ان تطيعني واما ان اطيعك فقال لا بل اطعني فأطاعه ابو عبيدة وكان عمرو اميراً على البعثين كلاهما فوجد عمر من ذلك وقال اتطيع ابن النابغة وتؤمره على نفسك وعلى ابي بكر وعلينا ما هذا الراي فقال ابو عبيدة لعمر يا ابن أم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي واليه ان لا نتغاضبا فخشيت ان لم اطعه ان اعصي رسول الله ويدخل بيني وبينه الناس واني والله لا اطيعنه حتى اقفل(١) فلما قفلوا كلم عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى اليه ذلك فقال لن اؤمر عليكم بعدها الا منكم يريد المهاجرين فكانت تلك غزوة ذات السلاسل واسر فيها ناس كثير من العرب وروى البيهقي القصة ايضاً بنحو اللفظ الاول عن موسى بن عقبة بلا زيادة غير ان بها غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من مشارف الشام في بلى وسعد الله ومن يليهم من قضاعة وفي رواية لاحمد في مسنده عن داود ابن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل ابا عبيدة على المهاجرين وعمرو بن العاص على الاعراب فقال لهما تطاوعا فكانوا يأتمرون ان يغيروا على بكر فانطلق عمرو فأغار على قضاعة لان بكراً اخواله فانطلق المغيرة بن شعبة الى ابي عبيدة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك علينا وان ابن فلان قد ارتبع امر القوم وليس لك معه امر فقال ان رسول الله امرنا ان نتطاوع فأنا اطيع رسول الله وان عصاه عمر والصواب انه اغار على بلى لا على قضاعة وروي من طريق البيهقي عن ابي عثمان النهدي قال سمعت عمراً بن

---

(١) ارجع .

رحم بهم وكانت ام العاص بن وائل بلوية فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتالفهم بعمر فسار وكان يكمن النهار ويسير الليل وكان معه ثلاثون فرساً فلما دنا من القوم بلغه ان لهم جمعاً كثيراً فتمهل قريباً منهم عشاء وهم شاتون فجمع اصحابه الحطب يريدون ان يصطلوا وهي ارض باردة فمنعهم فشق ذلك عليهم حتى كلمه في ذلك بعض المهاجرين فغالظه فقال عمرو قد امرت ان تسمع لي وتطيع قال نعم فافعل وبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ان لهم جمعاً كثيراً ويستمده بالرجال فبعث ابا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه من سراة المهاجرين ابا بكر وعمر والانصار وامره ان يلحق عمراً بن العاص فخرج ابو عبيدة في مائتين وامره ان يكونا جميعاً ولا يختلفا فساروا حتى لحقوا بعمرو بن العاص فأراد ابو عبيدة أن يؤم الناس ويتقدم عمراً فقال عمرو انما قدمت عليَّ مدداً لي وليس لك ان تؤمني وأنا الامير وانما ارسلك النبي صلى الله عليه وسلم اليَّ مدداً فقال المهاجرون كلا بل انت امير اصحابك وهو امير اصحابه فقال عمرو لا بل انتم مدد انا فلما راى ابو عبيدة الاختلاف وكان حسن الخلق لين الشيمة فقال انظرن يا عمرو تعلمن ان آخر ما عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال اذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا وانك والله ان عصيتني لأطيعنك فأطاع ابو عبيدة فكان عمرو يصلي بالناس فآب(١) الى عمر وجمع فكانوا خمسمائة فسار الليل والنهار حتى وطئوا بلاد بلى ودوخها (٢) وكلما انتهى الى موضع بلغه انه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك تفرقوا حتى انتهى الى اقصى بلاد بلى(٣) وعذرة وبلقين ولقي في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير فتقاتلوا ساعة وتراموا بالنبل ورمي يومئذ عامر بن ربيعة بسهم فأصيبت ذراعه وحمل المسلمون عليهم فهربوا واعجزوا هرباً في البلاد وتفرقوا ودوخ عمرٌ هناك واقام اياماً لايسمع لهم بجمع ولا بمكان صاروا فيه وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم وكانوا ينحرون ويذبحون فلم يكن في ذلك أكثر من ذلك ولم يكن غنائم تقسم الا مالا ذكر له وأورد البيهقي القصة مختصرة وفي آخرها اخبرنا يونس عن ابي معشر

---

(١) رجع . (٢) قهرها واستولى عليها . (٣) قبيلة من قضاعة .

قرم علا بنيانه من هاشم فرعاً اشم وسؤدداً ما ينقل(١)
فضلوا المعاشر عزة وتكرما وتغمدت احلامهم من يجهل(٢)
لا يطلقون الى السفاه حباهم ويرى خطيبهم بحق يفضل(٣)
بيض الوجوه ترى بطون اكفهم تندى اذا اعتذر الزمان المحمل(٤)
وبهديهم رضى الاله لخلقه وبجدهم نصر النبي المرسل

« غزوة ذات السلاسل »

واما غزوة ذات السلاسل (٥) فهي بعد غزوة مؤتة فيما ذكر اهل المغازي سوى ابن اسحاق فانه ذكر انها قبل غزوة مؤتة قال اهل السير بلغ رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان جمعاً من بلى وقضاعة قد تجمعوا يريدون ان يدنوا الى اطراف رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم فدعا عمراً بن العاص فعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في سراة(٦) المهاجرين والانصار في ثلاثمائة فمن المهاجرين عامر بن ربيعة وصهيب بن سنان وابو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وسعد بن ابي وقاص ومن الانصار سيد بن حضير وعبادة بن بشر وسلمة بن سلامة وسعد بن عبادة وامره ان يستعين بمن مر به من العرب وهي بلاد بلى وعذرة وبلقين (٧) وذلك ان عمراً بن العاص كان اذا

---

(١) القرم الرجل السيد هنا واصله الفحل من الابل ثم اطلق على الماجد الشريف والبطل الشجاع والشمم ارتفاع قصبة الانف واستواء أعلاها واشراف الارنبة قليلا ثم جعل كناية عن الرفعة والعلو وشرف الانفس والسؤدد السيادة والمعنى انه ماجد كريم فرع من بني هاشم سيادته لم تنتقل عنه لان شرف النفس لا يزول . (٢) المعنى ان احلامهم أي عقولهم تسع الجاهل . (٣) السفه في الاصل الخفة والطيش وسفه فلان رأيه اذا كان مضطرباً لا استقامة له والسفيه الجاهل والحبى بضم الحاء وكسرها جمع حبوة بالكسر وأصل الاحتباء ان يضم الانسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما والمعنى هنا انهم لا يحلون ازرهم لعمل السفه بمعنى انهم عفيفون لا يهمون بشيء من الفواحش وان خطيبهم يفضل خطيب غيرهم بالحق . (٤) تندى تجود بالعطاء . (٥) هي وراء وادي القرى بضم السين الاولى وفتحها لغتان وبينها وبين المدينة عشرة أيام وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان . (٦) سراة خيار . (٧) أصله ابي القين فحذفوا الهمزة والياء ووصلوا الباء بالكلمة كما قالوا بلحادث وبلعنبر لابي الحارث وابي العنبر .

هم اولياء الله انزل حكمه عليهم وفيهم والكتاب المطهر(١)

وقال كعب بن مالك يبكي جعفراً واصحابه يوم مؤتة :

نام العيون ودمع عينك يهمل سحاً كما وكف الطباب المخضل(٢)
في ليلة وردت علي همومها طوراً أحن وتارة أتململ(٣)
واعتادني حزن فبت كأنني ببنات نعش والسماك موكل
وكأنما بين الجوانح والحشا مما تأوبني شهاب مدخل(٤)
وجداً على النفر الذين تتابعوا يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا(٥)
صلى الاله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للاله نفوسهم خذر الردى وحفيظة ان ينكلوا(٦)
فمضوا أمام المؤمنين كأنهم فنق عليهن الحديد المرفل(٧)
اذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الاول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر حيث التقى وعث الصفوف مجدل(٨)
فتغير القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تأفل(٩)

---

(١) والكتاب بالواو في الاصل وفي سيرة ابن هشام وفيهم ذا الكتاب المطهر أي صاحب الكتاب والمطهر خبر لمبتدأ محذوف وهذه الرواية أولى. (٢) تهمل يفيض وسح الدمع سال من فوق والوكف التقاطر والطباب جمع طبابة وهو سير بين خرزتين في المزادة فاذا كان غير محكم وكف منه الماء والطباب شقة مستطيلة قاله في الروض الانف والمخضل الرطب والمراد هنا المبتل . (٣) يروى اخن بالخاء والمعجمة وأصل الخنين خروج الصوت من الانف كالحنين من الفم ثم أطلق على نوع من البكاء فيه خنين ويروى أحن بالحاء المهملة وهو ما ليس معه دمع ولا بكاء والتململ عدم الاستقرار من الوجع . (٤) تأوبني تراجعني والمعنى كأنما بين جوانحي والحشا شهاب من نار مدخل لكثرة ما يراجعني من الحزن . (٥) النفر بفتحتين عدة رجال من ثلاثة الى عشرة والوجد الحزن والمعنى خزنا على النفر الذين تتابعوا في الشهادة يوم مؤتة فدفنوا في مكانهم ولم ينقلوا عنه وأصل السند ما ارتفع من الارض وقيل ما قابلك من الجبل وعلا . (٦) والحفيظة الغضب والنكل الجبن أي وغضبا من ان يجبنوا . (٧) الفنق جمع فنيق وهو الفحل المكرم من الابل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم والمعنى هنا على التشبيه والمراد من الحديد المرفل الدروع السابغات . (٨) الفرجة الانفراج والوعث هو الانفراج ما بين الصفوف ومنه الحديث مثل الرزق كمثل حائط له باب فما حول الباب سهولة وما حول الحائط وعث ووعر ومجدل مرمى ملقى على الارض قتيلا . (٩) تأفل تغيب والمراد منه تعظيم الحزن والمصاب واذا فهم مغزى الشاعر في كلامه فالمبالغ في الشيء ليس بكذب وانما الكذب ان يقولوا فعلنا ولم يفعلوا وقتلنا ولم يقتلوا .

تأوبني ليل بيثرب أعسر ... وهمٌ اذا ما نوَّم الناس مسهر(١)
لذكرى حبيب هيجت لي عبرةً ... سفوحاً واسباب البكاء التذكر(٢)
بلى ان فقدان الحبيب بلية ... وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تتابعوا ... شعوباً وخلفاً بعدهم يتأخر(٣)
فلا يبعدنَّ الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعاً وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... الى الموت ميمون النقيبة أزهر(٤)
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبيٌّ اذا سيم الظلامة مجسر(٥)
فطاعن حتى مات غير موسد ... بمعترك فيه القنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتف الحدائق أخضر (٦)
وكنا نرى في جعفر من محمد ... وفاءً وأمراً حازماً حين يأمر(٧)
وما زال في الاسلام من آل هاشم ... دعائم عز لا يزلن ومفخر(٨)
هم جبل الاسلام والناس حولهم ... رضام الى طود يروق ويقهر(٩)
بهاليل منهم جعفر وابن امه ... عليٌّ ومنهم احمد المتخير(١٠)
وحمزة والعباس منهم ومنهمُ ... عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مأزق ... عماس اذا ماضاق بالناس مصدر(١١)

---

(١) تأوبني تراجعني ويثرب من اسماء المدينة والاعسر من جعله بمعنى عسر بالفتح قال عسير ومن قال عسر يعسر بكسرتين قال في الاسم عسر واعسر مثل حمق وأحمق ونوَّم للتكثير أي أكثر الناس من النوم ومسهر بكسر الهاء اسم فاعل . (٢) ضمير هيجت للذكرى وعبرة مفعوله وهي بفتح العين تحلب الدمع . (٣) في سيرة ابن هشام . رأيت خيار المؤمنين تواردوا . وشعوباً فرقاً والخلف المتأخر وتخطر تهتز وتتبختر . (٤) ميمون النقيبة مبارك النفس والازهر النير والابيض المشرق الوجه . (٥) الاغر الشريف والابي المتمنع وسيم الظلامة أوليها وأريد عليها والظلامة ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما أخذه منك (٦) الحديقة الروضة ذات الشجر وقيل هي كل بستان عليه حائط . (٧) الحزم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة . (٨) الدعامة بالكسر عماد البيت . (٩) الرضام دون الهضاب وقيل صخور بعضها على بعض والطود الجبل العظيم . (١٠) البهاليل جمع بهلول وهو المضيء الوجه مع طول وقوله منهم احمد المتخير قد عابه بعض الناس لانه أضاف احمد المتخير اليهم وليس بعيب لانها ليست باضافة تعريف وانما هو تشريف لهم حيث كان منهم . (١١) اللأواء الشدة والمأزق المضيق من مضايق الحرب والخصومة والعماس المظلم .

يقفل المسلمون على طريقهم التي أتوا منها حتى مروا بتلك القرية والحصن الذين كانوا شدوا على ساقتهم وقتلوا رجلاً منهم فحاصروهم في حصنهم حتى فتحه الله عليهم عنوة فقتل خالد بن الوليد مقالتهم في نقيع الى جانب حصنهم صبراً فبها سمي ذلك النقيع نقيع الدم الى اليوم وهدموا حصنهم هدماً لم يعمر بعده الى اليوم وفي حديث طويل رواه ابو يعلى الموصلي وقد تقدم وفيه غير ما سنذكره وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صعد المنبر وأراه الله تعالى محل الواقعة حتى اذا أخذ الراية خالد بن الوليد رفع صلى الله عليه وسلم اصبعه وقال هو سيف من سيوفك فانتصر به ومن يومئذ سمي خالد سيف الله ثم قال انفروا فأمدوا اخوانكم ولا يتخلفن أحد فنفر الناس في حر شديد مشاة وركباناً وقال عوف بن مالك الاشجعي خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة فرافقني مددي من أهل اليمن ليس معه غير سيفه فنحر رجل من المسلمين جزوراً فسأله المددي في طائفة من جلده فأعطاه اياه فاتخذه كهيئة الدرقة ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب فجعل الرومي يفري بالمسلمين وقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقب فرسه فخر فعلاه وقتله فحاز فرسه وسلاحه فلما فتح الله على المسلمين بعث خالد بن الوليد فأخذ منه السلب(١) قال عوف فأتيته فقلت ياخالد أما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالسلب للقاتل قال بلى ولكني استكثرته قال عوف قلت لتردنه أو لاعرفنكها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يرده عليه فاجتمعنا فقصصت عليه قصة المددي وما فعل خالد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخالد ماحملك على ماصنعت فقال يارسول الله استكثرته فقال له رد عليه ماأخذت منه فقلت دونك يا خالد ألم أقل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذاك فأخبرته فغضب وقال ياخالد لا ترد عليه هل أنتم تاركوا لي أمرائي لكم صفوة إمركم وعليهم كدره أخرجه الامام مسلم(٢) وقال محمد بن اسحاق بكى حسان بن ثابت أهل مؤتة فقال:

---

(١) ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها وهو فعل بمعنى مفعول أي مسلوب . (٢) ورواه احمد وابو داود ورواه ايضاً مسلم واحمد مختصراً وفيه هل أنتم تاركون لي أمرائي انما مثلكم كمثل رجل استرعى ابلا وغنماً فرعاها ثم تخير بيعها فأوردها حوضاً فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره فصفوه لكم وكدره لهم . ه . وفيه حجة لمن جعل السلب المستكثر الى الامام وان الدابة من السلب .

لك سن وقد شهدت بدراً قال ثابت خذه أيها الرجل فوالله ما أخذته الا لك فأخذه خالد فحمله ساعة وجعل المشركون يحملون عليه فيثبت حتى تكركر(١) المشركون وحمل بأصحابه ففض جمعاً من جمعهم ثم دهمه منهم جمع من بشر كثير فانحاش (٢) بالمسلمين فانكشفوا راجعين وقال الواقدي حدثني عطاف ابن خالد قال لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد بن الوليد فلما أصبح غدوا وقد جعل مقدمته ساقة وساقته مقدمة وميمنته ميسرة وميسرته ميمنة فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا قد جاءهم مدد فرعبوا فانكشفوا منهزمين فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم وقال الوليد سمعت انهم ساروا حتى اذا كانوا بناحية معان من أرض الشراة(٣) فأخبروا أن الروم قد نذروا(٤) وجمعوا لهم جموعاً كثيرة من الروم وقضاعة وغيرهم من نصارى العرب فاستشار زيد بن حارثة أصحابه فقالوا قد وطئت البلاد وأخفت أهلها فانصرف فانه لا يعدل العافية شيء وعبد الله بن رواحة ساكت فسأله زيد عن رأيه فقال انا لم نسر الى هذه البلاد ونحن نريد الغنائم ولكنا خرجنا نريد لقاهم ولسنا نقاتلهم بعدد ولا عدة والرأي المسير اليهم فقبل رأيه وسار اليهم وحدثني رجل بني سلامان عن غير واحد من كبراء قومه أن زيد بن حارثة سار بهم على جبال بين الشراة والبلقاء على ريفها وعمارتها فمر بقرية من قرى الجبال يقال لها اكثب فشهد أهلها على ساقة

على ريفها وعمارتها فمر بقرية من قرى الجبال يقال لها اكثب فشهد أهلها على ساقة

المسلمين فأصابوهم بجراحة وقتلوا رجلا من المسلمين فبلغ ذلك جماعة الجيش فاستأذنوا زيد بن حارثة في الرجعة اليهم والانتقام منهم فقال زيد لا أرى ذلك لان عدوكم أمامكم قد جمعوا لكم ودنوا منكم فأكره أن يفلوا جدكم ونشاطكم بقتال غيرهم ثم لا آمن ان يجمعوا لكم فيكونوا من ورائكم فتكونوا بين عسكرين فمضى زيد ومن معه حتى بلغوا عدوهم بين قريات ثلاثة بين مؤتة وزقوقين فصافوهم هناك وقال السلاميون هم الى زقوقين أقرب قال الوليد وأخبرنا رجل من أهل البلقاء ان الذين لقونهم يومئذ من أهل المشارق من النصارى من لخم وجذام وبلقين قال الوليد أما السلامي فانه أخبرني عن غير واحد أن خالداً لما اخذ الراية قاتلهم قتالا شديداً ثم انحاز الفريقان كل عن كل قافلاً من غير هزيمة

---

(١) تكركر المشركون يعني رجعوا . (٢) جمعهم وضمهم . (٣) الشراة صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول . (٤) أبلغوا من ورائهم .

نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب (١) من أرض البلقاء في بهراء وبلّى وبلقين وبكر ولخم وجذام في مائةالف عليهم رجل من بلي يقال له مالك فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا ليلتين لينظروا امرهم فقالوا نكتب الى رسول الله ثم ساق القصة على نحو ما تقدم وروى الواقدي عن ابي هريرة انه قال شهدت مؤتة فلما راينا المشركين راينا ما لا قبل لنا به من العدد والسلاح والكراع (٢) والديباج والحرير والذهب فبرق بصري فقال لي ثابت بن أقرم يا أبا هريرة مالك كأنك ترى جموعاً كثيرة قلت نعم قال لم تشهدنا ببدر أنا لم ننصر بالكثرة وقال عبد الله بن ابي بكر لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وكشف له ما بينه وبين الشام فهو ينظر الى معتركهم فقال أخذ الراية زيد بن حارثة فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت وحبب اليه الدنيا فقال الآن قد استحكم الايمان في قلوب المؤمنين تحبب الدنيا فمضى قرماً (٣) حتى استشهد فصلى عليه رسول الله وقال استغفروا له وقد دخل الجنة وهو يسعى ثم أخذ الراية جعفر بن ابي طالب فجاءه الشيطان فمناه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا فقال الآن حين استحكم الايمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا ثم مضى قدماً حتى استشهد فصلى عليه رسول الله ثم قال استغفروا لأخيكم فانه شهيد دخل الجنة فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة ثم أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضاً فشق ذلك على الانصار قيل يا رسول الله ما اعتراضه قال لما أصابته الجراح نكل (٤) فعاتب نفسه فشجع فاستشهد فدخل الجنة فسرى عن قدمه وقال الواقدي عن رجل من العرب انه لما قتل عبد الله بن رواحة انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رايتها قط في كل وجه ثم انهم تراجعوا فأقبل رجل من الانصار يقال له ثابت بن أقرم فأخذ اللواء وجعل يصيح بالانصار فجعل الناس يثوبون اليه (٥) من كل وجه وهم قليل وهو يقول اليَّ أيها الناس فاجتمعوا اليه قال فنظر ثابت الى خالد بن الوليد فقال له خذ اللوء يا أبا سليمان فقال لا آخذه أنت أحق به أنت رجل

---

(١) مآب بفتح الميم مدينة في طريق الشام من نواحي البلقاء قاله ياقوت . (٢) الكراع اسم يجمع الخيل . (٣) القرم السيد . (٤) نكل بفتح الكاف جبن والكسر لغة فيه وأنكرها الاصمعي . (٥) يرجعون .

وزعموا والله اعلم ان يعلي بن منيه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر اهل مؤتة فقال له ان شئت فاخبرني وان شئت اخبرك فقال بل اخبرني يارسول الله قال فاخبرهم خبرهم كله ووصفه لهم فقال والذي بعثك بالحق ماتركت من حديثهم حرفا لم تذكره وان امرهم لكما ذكرت فقال رسول الله ان الله تبارك وتعالى رفع لي الارض حتى رأيت معتركهم وروى عن رجل من الاشعريين وكان من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه مبعثا ركب فيه البحر حتى خرج الى ايلة ومايليها فلما كان بالمكان الذي هو به من الشام بلغهقدوم زيد بن حارثة وذلكالجيش بالبلقاء (١) ومن لقيهم من جماعة الروم ومن معهم من قبائل العرب قال فخرجت حتى اتيتهم قال فلقيناهم وشهدت المعركة فاقتتلنا قتالا شديدا ولبس زيد درعا وركب فرسا وبيده الراية يقاتل ثم نزل عن الفرس ونزع الدرع وقال من يأخذ هذا وقتل زيد فاخذه جعفر فلبس الدرع وركب الفرس واخذ الراية فتقدم فقاتل قال ونزل جعفر عن الفرس ونزع الدرع وقال من يأخذ هذا فتقدم عبد الله بن رواحة فلبس الدرع وركب الفرس واخذ الراية فقاتل فقتل ولما انتهت الراية الى عبد الله بن رواحة قاتل ثم صنع ماصنع صاحباه ثم نزل عن الفرس ونزع الدرع ثم قال من يأخذ هذا وجال الناس جولة واخذ الراية رجل من الانصار فقاتل بها اذ مر به خالد بن الوليد فقال له الانصاري ياخالد خذ الراية فقال انت احق بها أنت اخذتها وقال الانصاري انت احق بها فانت اشجع الناس فاخذها خالد وقال الواقدي مضى المسلمون وقد امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتهيؤا الى مقتل الحارث بن عمير فلما فصل المسلمون من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا الجموع وقام فيهم رجل من الازد يقال له شرحبيل فقدم الطلائع امامه وقد نزل المسلمون وادي القرى (٢) واقاموا اياما وبعث اخاه سدوسا بن عمرو في خمسين من المشركين فالتقوا وانكشف اصحابه وقتل سدوس وخاف شرحبيل بن عمرو فتحصن وبعث اخا له يقال له وبر بن عمرو فسار المسلمون حتى

---

(١) البلقاء قال ياقوت هي كورة من اعمال عمان بين الشام ووداى القرى قبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجودة حنطتها يضرب المثل سميت باسم بالق من بني عمان بن لوط وبها مدينة الشراة شراة الشام ارض معروفة قيل وبها الكهف والرقيم وقيل سميت ببلقاء بن سويدة من بني عسل بن لوط

(٢) قال ياقوت هو واد بين المدينة والشام من اعمال المدينة كثير القرى .

كعب مسعود بن الاسود ومن بني عامر بن لؤي وهب بن سعد بن ابي سرج وقتل من الانصار ثم من بني الحارث بن الخزوج عبد الله بن رواحة وعبد الله بن ربيع ومن بني زريق عباد بن ماعص وفي هذه الغزوة يقول عبد الله بن رواحة

اذا بلغتني وحملت رحلي مسافة اربع بعد الحساء (١)
فحمدك انعم وخلاك ذم ولا ارجع الى اهلي ورائي
وآب المسلمون وغادروني بارض الروم مشتهر الثواء (٢)
هنالك لا ابالي طلع فحل ولا نخل اسافلها رواء (٣)

وخرج ابو سفيان الى الشام تاجرا فقدم على قيصر فارسل اليه قيصر ليسئاله عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء قال له اخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم اكل مرة يظهر عليكم فقال ماظهر علينا قط الا وانا غائب ثم قد غزوتهم مرتين في بيوتهم فبقرنا البطون (٤) وجدعنا الانوف وقطعنا الذكور قال قيصر أتراه كاذبا ام صادقا قال بل هو كاذب اقال قيصر لا تقولواذلك فان الكذب لايظهر افيه احد فان كان فيكم نبيا لا تقتلوه فان افعل الناس لذلك اليهود . وقال عبد الله رواحة ايضا في يوم مؤتة

اقسمت بالله لتنزلنه يانفس طوعا او لتكرهنه
مالي اراكي تكرهين الجنة وقبل ذا قد كنت مطمئنه
اذا جلب الناس وشدوا الرنه (٥)

---

(١) يروى اذا ادنيتني بدل بلغتني والحساء مكان معروف بارض الشام وانعم جمع نعمة وخلاك ذم معناه اعذرت وسقط عنك الذم . (٢) اب رجع وغادروني تركوني والثواء الاقامة والمعنى ورجع المسلمون وتركوني بارض الروم ثاويا مدفونا بمكان مشهور بانه قبري وبعد هذا البيت في سيرة ابن هشام

وردك كل ذي نسب قريب الى الرحمن منقطع الاخاء

(٢) طلع النخلة معروف والفحل من النخل ذكرها الذي تلقح منه وفي رواية لعبد الملك بن هشام طلع بعل بدل طلع فحل قال الازهري هو ماينبت من النخل في ارض يقرب ماؤها فرسخت عروقها في الماءواستغنت عن ماء السماء والانهار وغيرها وهذه الرواية هي المناسبة لقوله بعد ولانخل اسافلها رواء اي حصل لها الري من الماء الذي تسقى به ورواه بالرفع ففي القافية الاقواء وهو اختلاف المجرى بكسر وضم . (٤) البقر بفتح الباء وسكون القاف الشق والتوسعة وجدع الانوف قطعها . (٥) اجلب الناس تجمعوا والشد القوة والرنة الصوت .

وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف ووقفوا حوله فقال اغزوا بسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون بها رجالا في الصوامع معتزلين الناس فلا تتعرضوا لهم وستجدون آخرين للشياطين في رؤوسهم مفاحيص فافلقوا هامهم بالسيوف ولا تقتلن امرأة ولا صغيرا ضرعا ولا كبيرا فانيا ولا تحرقن نخلا ولا تقطعن شجرا ولا تهدموا بناء وروى هذا الخبر من طرق بها اسنادان مرسلان والمحفوظ ان هذه وصية ابي بكر رضى الله عنه ثم ساق القصة من طريق الخطيب البغدادي عن موسى بن عقبة قال فانطلقوا يعني عبد الله بن رواحة واصحابه حتى لقوا ابن ابي سبرة الغساني بمؤتة وبها جموع من نصارى العرب والروم فاغلق سبرة الحصن دون المسلمين ثلاثة ايام ثم خرجوا فالتقوا على درع احمر (١) فاقتتلوا قتالا شديدا فاخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ثم اخذه جعفر بن ابي طالب فقتل ثم اخذه عبد الله بن رواحة فقتل ثم اصطلح المسلمون بعد امراء رسول الله صلى الله عليه وسلم على خالد بن الوليد المخزومي فهزم الله العدو واظهر المسلمين وزعموا والله اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مر جعفر بن ابي طالب في الملائكة يطير معهم كما يطيرون له جناحان (٢) وقتل يومئذ من المسلمين من قريش ثم من بني هاشم زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب ومن بني مخزوم هبار بن سفيان بن عبد الاسد ومن بني عدي بن

---

(١) كذا في الاصل وهو في اصل الخطيب ايضا ولم يحضرني تخرج له الا ان يكون المعنى على ذي احمر فيكون المعنى انهم اجتمعوا على قائد لهم ذي درع أحمر . (٢) قال ابو قاسم السهيلي فى الروض الانف ومما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين انهما ليسا كما يسبق الى الوهم على مثلي جناحي الطائر وريشه لان الصورة الادمية اشرف الصور ولكنها عبارة عن صورة ملكية وقوة روحانية اعطيها جعفر كما اعطيتها الملائكة وقد قال تعالى لموسى اضمم يدك الى جناحك فعبر عن العضد بالجناح وليس ثم طيران فكيف بمن اعطى القوة مع الملائكة اليس الاخلق به اذاً ان يوصف بالجناح مع كمال الصورة الادمية وتمام الجوارح الشرية وقد قال اهل العلم في اجنحة الملائكة انها ليس كاجنحة الطير كما يتوهم ولكنها صفات ملكية لاتفهم الابالمعاينة ولم ير طائر له ثلاثة اجنحة ولا اربعة فكيف بستمائة جناح كما جاء في وصف جبريل عليه السلام فدل على انها صفات لاتنضبط كيفيتها بالفكر ولاورد في بيانها خبر حتى يجب علينا الايمان بها ولا يفيدنا اعمال الفكر علما بكيفيتها . هـ . وكان سن جعفر رضى الله عنه لماقتل ثلاثا وثلاثين كما في زاد المعاد وغيره .

ثم خرج القوم حتى نزلوا معان فبلغهم ان هرقل قد نزل بمآب من ارض البلقاء بمائة الف من الروم ومائة الف من العرب المستعربة فاقاموا بمعان يومين فقالوا نبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بكثرة عدونا فاما ان يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمره فشجع الناس عبد الله بن رواحة فقال ياقوم ان التي تكرهون للتي خرجتم لها اياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا كثرة ولا قوة وانما نقاتلهم بهذا الدين الذي اكرمنا الله به فربما فعل وان تكن الاخرى فهي الشهادة وليست بشر المنزلتين فقال الناس والله لقد صدق ابن رواحة فانشمر الناس وهم ثلاثة آلاف حتى لقوا جموع الروم بقرية من قرى البلقاء يقال لها شراف ثم انحاز المسلمون الى مؤتة قرية فوق احسا يقال لها مؤتة وكان سبب هذه الغزوة ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل الحارث بن عمير الازدي ثم احد بني لهب الى ملك بصرى بكتاب فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له اين تريد قال الشام قال لعلك من رسل محمد قال نعم انا رسول رسول الله فامر به فاوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه صبرا ولم يقتل لرسول الله رسول غيره فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم الخبر فاشتد عليه وندب الناس فاخبرهم بمقتل الحارث ومن قتله فاسرع الناس وخرجوا فعسكروا بالجرف ولم يبين النبي صلى الله عليه وسلم الامر فلما صلى الظهر جلس وجلس اصحابه حوله وجاء النعمان بن مهض اليهودي فوقف على رسول الله مع الناس فقال رسول الله زيد بن حارثة امير الناس الى آخر ما مر سابقا فقال النعمان يا ابا القاسم ان كنت نبيا فسميت من سميت قليلا او كثيرا قتلوا ان الانبياء في بني اسرائيل اذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا ان اصيب فلان فلو سموا مائة اصيبوا جميعا ثم جعل اليهودي يقول لزيد ابن حارثة اعهد فلا نرجع الى محمد ابداً ان كان نبياً فقال زيد اشهد أنه نبي صادق بار فلما اجمعوا المسير وقد عقد لهم النبي صلى الله عليه وسلم اللواء ودفعه الى زيد بن حارثة وكان لواء ابيض مشى الناس الى امراء رسول الله يدعونهم ويدعون لهم وجعل المسلمون يودع بعضهم بعضا وهم ثلاثة آلاف من المهاجرين والانصار وغيرهم وفي بعض طرق هذه القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث هذا البعث فخرجوا

الحجة فاقام بالمدينة حتى بعث الى مؤتة في جمادي الاولى من سنة ثمان وامر على الناس في مؤتة زيد بن حارثة ثم قال فان اصيب زيد فجعفر وان اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فان اصيب فليرتض المسلمون رجلا فليجعلوه عليهم فتجهز الناس وتهيئوا للخروج فودع الناس امراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم وودعوا عبدالله بن رواحة قال البيهقي فلما ودعوه بكى فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة فقال والله مابي حب الدنيا ولا صبابة اليها (١) ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست ادري كيف لي بالصدر بعد الورود (٢) فقال المسلمون صحبكم الله وردكم الينا صالحين ودفع عنكم فقال ابن رواحة

لكنني اسئال الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا (٣)
او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا (٤)

وقال البيهقي حمران بدل حران

حتى يقولوا وقد مروا على جدثي يا ارشد الله من غاز وقد رشدا

ثم اتى الى النبي صلى الله عليه وسلم وودعه فقال

وثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا
اني تفرست فيك الخير نافلة والله يعلم اني ثابت البصر (٥)
انت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد ازرى به القدر

---

(١) الصبابة بفتح الصاد رقة الشوق وحرارته ولفظ ابن هشام في السيرة ولا صبابة بكم . (٢) الورود هو الاشراف عليها ومعاينتها فما من أحد الا يشرف على النار ويعاينها وحكوا عن العرب وردت الماء فلم اشرب وقال ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولايدخله والصدر بفتحتين من باب نصر ودخل الرجوع والورد ضد الصدر يقول اذا وردت النار فكيف اني ارجع عنها . (٣) اي صاحبة فراغ يعني تكون شديدة تفرغ الدم بسرعة بحيث يقذف بزبده . (٤) الحراق العطشان وهو من امثلة المبالغة ومجهزة من اجهز على الجريح اذا اسرع قتله والمعنى او طعنة من يدي عطشان الى القتال تسرع في قتل الجريح .

(٥) في البيت الاقواء وهو اختلاف حركات الروي لان اواخر القصيدة مرفوع والبصر مجرور واورده ابن هشام بلفظ

اني تفرست فيك الخير نافلة فراسة خالفت فيك الذي نظروا

ويمكن ان يكون هذا هو الصحيح .

ظهرت الفاحشة في قوم الا سلط الله عليهم الطاعون وما حكم قوم بغير آي القرآن الا البسهم الله شيعا واذاق بعضهم بأس بعض قال فخرج عبد الرحمن فسار حتى لحق اصحابه ثم سار حتى قدم دومة الجندل فلما حل بها دعاهم الى الاسلام فمكث بها ثلاثة ايام يدعوهم الى الاسلام وقد كانوا ابوا اول ما قدم أن يعطوه الا السيف فلما كان اليوم الثالث اسلم الاصبغ بن عمرو الكليبي وكان نصرانيا وكان رأسهم فكتب عبد الرحمن الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك وبعث رجلا من جهينة يقال له رافع بن مكيث وكتب يخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه قد اراد ان يتزوج فيهم فكتب اليه النبي عليه الصلاة والسلام ان تزوج ابنة الاصبغ تماضر فتزوجها عبد الرحمن وبنى بها ثم اقبل بها وهي ام سلمة بن عبد الرحمن بن عوف

((سرية ذات اطلاح))

قال الزهري بعث النبي صلى الله عليه وسلم كعبا بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلا حتى انتهوا الى ذات اطلاح من ارض الشام فوجدوا جمعا من جمعهم كثيرا فدعوهم الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فلما رأى ذلك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قاتلوهم اشد القتال حتى قتلوا فأفلت منهم رجل جريحا في القتلى فلما برد عليه الليل تحامل حتى اتى رسول الله فاخبره بذلك فشق على النبي عليه الصلاة والسلام وهم بالبعثة اليهم فبلغهم انهم قد ساروا الى موضع آخر فتركهم وقال ابن اسحاق في عدد الغزوات والبعوث والسريا ان غزوة كعب بن عمير الغفاري ذات الطلاح من ارض الشام اصيب فيها هو واصحابه جميعا

((غزوة مؤتة (١)))

روى البيهقي عن محمد بن اسحاق قال حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة ابن الزبير قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آتيا من عمرة القضاء في ذي

---

(١) موتة مهموزة بالواو وهي قرية من ارض البلقاء بالشام واما موتة بلا همز فضرب من الجنون قاله في الروض الانف .

الصوائف ان غزوة دومة الجندل اول غزوات الشام قال هي من المدينة على ثلاث عشرة مرحلة ومن الكوفة على عشرة مراحل في برية مرت ومن دمشق على عشرة مراحل وهي ارض نخل وزرع يسقون على النواضح وحولهاعيون قليلة وزرعهم الشعير وهي مدينة عليها سور ولها حصن عادي مشهور في العرب يدعى ماردا والغزوة الثانية مؤتة والغزوة الثالثة تبوك والغزوة الرابعة غزوة اسامة بن زيد ابل الزيت في سنة احدى عشرة وهي التي امره عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مريض فغزاها بعد وفاة النبي عليه الصلاة السلام ولم اجد احدا من العلماء فرق بين غزوة يبني وبين غزوة ابل الزيت غير الواقدي وقد ذكر في كتاب المغازي الذي صنفه حديث الامر بالغارة على يبني في جملة قصة انفاذ ابي بكر لجيش اسامة واغارته على ابل الزيت وعندي انهما غزوة واحدة اغار فيها على الموضعين جميعا ومن رواية الواقدي عن ابن عمر قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف فقال له تجهز فاني باعثك في سرية من يومك هذا او من غد ان شاء الله قال ابن عمر فسمعت ذلك فقلت لادخلن فلاصلين مع النبي عليه الصلاة والسلام الغداة ولا سمعن وصيته لعبد الرحمن بن عوف قال فقعدت فصليت فاذا ابو بكر وعمر وناس من المهاجرين فيهم عبد الرحمن واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان أمره أن يسير من الليل الى دومة الجندل فيدعوهم الى الاسلام فقال عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن ماخلفك عن اصحابك قال ابن عمر وقد مضى اصحابه في السحر فهم معسكرون بالجرف وكانوا سبعمائة رجل فقال احببت يارسول الله أن يكون آخر عهدي بك وعلي ثياب سفري قال وعلى عبد الرحمن ابن عوف عمامة لفها على رأسه فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فاقعده بين يديه فنقض عمامته بيده ثم عممه بعمامة سوداء فارخى بين كتفيه منها ثم قال هكذا فاعتم يا ابن عوف قال وعلى ابن عوف السيف متوشحه ثم قال اغز بسم الله وفي سبيل الله قاتل من كفر بالله لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدا قال ابن عمر ثم بسط يده فقال ايها الناس اتقوا خمسا قبل ان يحل بكم البلاء مانقص مكيال قوم الا اخذهم الله بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون ومانكث قوم عهدهم الا سلط الله عليهم عدوهم ومامنع قوم الزكاة الا امسك الله عنهم قطر السماء ولولا البهائم لم يسقطوا وما

الى الشام فتفتح لكم ويكون فيكم داء كالدمل او كالحرة يأخذ بمراق الرجل يستشهد به انفسهم ويزكي به اعمالهم اسناد هذا الحديث منقطع وعن ابي ايوب مرفوعا ستفتح عليكم الشام وسيضرب عليكم بعوث يكره الرجل فيها البعث ثم يتخلف عن قومه ثم يتبع القبائل فيقول من اكفه منه الا وذاك الاجير الى آخر قطرة من دمه رواه الطبراني وعن معاذ بن جبل مرفوعا تنزلون منزلا يقال له الجابية او الجويبية يصيبكم فيه داء مثل غدة الجمل يستشهد الله به انفسكم وذراريكم ويزكي فيه اموالكم وعن سهل بن سعد مرفوعا اتقوا الله ياعباد الله فانكم ان اتقيتم الله اشبعكم من خبز الشام وزيت الشام وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها الاية الى قوله على كل شيء قدير المغانم فتوح من لدن خيبر تأخذونها وتغنمون مافيها عجل لكم من ذلك خيبر وكف ايدي الناس قريش عنكم بالصلح يوم الحديبية ولتكون آية للمؤمنين شاهداً على مابعدها ودليلا على انجازها واخرى لم تقدروا عليها على علم وقتها افيئها عليكم فارس والروم قد احاط الله بها قضى الله بها لكم منها الايام والقوادس والراقومية والمداين والحمر بالشام ومصر والضواحي فاجتمعت هذه الصفات فيمن قاتل فارس والروم وسائر الاعاجم ذلك الزمان وقال بن ابي ليلا في قوله تعالى واثابهم فتحا قريبا هي خيبر قال واخرى لم تقدروا عليها قال فارس والروم رواه البيهقي وقال ابن عباس واخرى لم تقدروا عليها هي مافتحه الله من هذه الفتوح وقال الواقدي هي فارس والروم ويقال مكة وقال مجاهد في قوله تعالى اولى باس شديدهم فارس والروم وكذلك قال الحسن

« باب سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشام وبعوثه الاوائل » وهي غزوة دومة الجندل وذات اطلاح وغزوة مؤتة وذات السلاسل

« غزوة دومة الجندل (١) »

حكى ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي في كتاب له سماه

---

(١) قال السهيلي في الروض الانف قال ابو عبد الله البكري سميت دومة الجندل بدوما بن اسماعيل وكان قد نزلها . ه . وقال ياقوت في المعجم دومة الجندل بضم اوله وفتحه وقد انكر ابن دريد الفتح وعده من اغلاط المحدثين وقد جاء في حديث الواقدي دوماء الجندل وعدها ابن السقفية من اعمال المدينة وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة المنورة وقال ابو سعيد دومة الجندل في غائط من الارض خمسة فراسخ ومن قبل مغربه عين تنج فسقي مابه من النخل والزرع وحصنها يقال له مارد وسميت دومة الجندل لان حصنها مبني بالجندل وهي بالقرب من جبلي طيء .

صلى الله عليه وسلم شاة والطعام يومئذ قليل فقال لاهله اطبخوا هذه الشاة وانظروا الى هذا الدقيق فاخبزوه واطبخوا وابردوا عليه قال وكانت للنبي صلى الله عليه وسلم قصعة يقال لها الغراء يحملها اربعة رجال فلما اصبح وسبح الضحى اتى بتلك القصعة فالتفوا عليها فاذا كثر الناس جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابي ماهذه الجلسة فقال ان الله جعلني عبدا كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً ثم قال كلوا من جوانبها ودعوا ذروتها (٢) يبارك الله فيها ثم قال خذوا فكلوا فوالذي نفس محمد بيده لتفتحن عليكم ارض فارس والروم حتى يكثر الطعام ولا يذكر اسم الله عليه وقال سليمان كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في عصابة من اصحابه فجاءت عصابة فقالوا يارسول الله انا كنا قريبي عهد بالجاهلية وكنا نصيب من الآثام والزنا فائذن لنا بالخصاء فكره مسألتهم حتى عرف ذلك في وجهه ثم جاءت عصابة اخرى فقالوا يارسول الله ان كنا قريبي عهد بجاهلية وكنا نصيب من الآثام فاذن لنا بالجلوس في البيوت نصوم ونقوم حتى يدركنا الموت فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسألتهم حتى عرف البشر في وجهه وقال انكم ستجندون اجنادا وستكون لكم ذمة وخراج وارض يمنحها الله لكم منها مايكون على شفير البحر مدائن وقصور فمن ادرك ذلك منكم فاستطاع ان يحبس نفسه في مدينة من تلك المدائن او قصر من تلك القصور حتى يدركه الموت فليفعل(١) وعن عوف بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الفقر تخافون او العوز او تهمكم الدنيا ان الله عز وجل فاتح لكم ارض فارس والروم ويصب عليكم الدنيا صبا حتى لايزيغكم الاهي رواه الطبراني وقال عمر بن الخطاب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول انها ستفتح عليكم الشام وتجدون فيهابيوتا يقال لها الحمامات هي حرام على رجال امتي الابازر وعلى نساء امتي الانفساء او سقيمة وعن معاذ مرفوعا ستهاجرون

---

(١) ذرا الشيء بالضم اعاليه الواحدة ذروه بكسر الذال وضمها

(٢) انفرد ابن عساكر برواية هذا الحديث ورواه في الجامع الكبير عنه فقط وقال السيوطي في خطبة الجامع الكبير وكلما عزى الى العقيلي وابن عدي والخطيب في التاريخ وابن عساكر اوللحكيم الترمذي في نوادر الاصول اوللحاكم في تاريخة او لابن الجارود في تاريخه اوللديلمي في مسند الفردوس فهو ضعيف فيستغنى بالعز واليها او الى بعضها عن بيان ضعفه . هـ . وقد مشينا نحن على هذه القاعده هنا .

حوالة الازدي فقال لي بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغنم على اقدامنا فرجعنا فلم نغنم شيئا وعرف الجهد في وجوهنا فقام فينا فقال اللهم لاتكلم الي فاضعف عنهم ولا تكلم الى انفسهم فيعجزوا عنها ولا تكلهم الى الناس فيستأثروا عليهم ثم قال لتفتحن الشام والروم وفارس حتى يكون لكم من الابل كذا وكذا ومن البقر كذا وكذا وحتى يعطى احدكم مائة دينار فيتسخطها ثم وضع يده على رأسي او قال على هامتي ثم قال ياابن حوالة اذا رأيت الخلافة نزلت الارض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلاء والامور العظام والساعة يومئذ اقرب الى الناس من هذه من رأسك ورواه البيهقي بمعناه وقال البراء بن عازب لما كان حيث امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنافي بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء فلما رأها القى ثوبه واخذ المعول فقال بسم الله ثم ضرب ضربة فكسر ثلثها فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله اني لأبصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال الله اكبر اعطيت فارس والله أني لا بصر قصر المدائن الابيض ثم إضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني لأبصر ابواب صنعاء من مكاني هذا الساعة رواه احمد بن حنبل وعن ابي امامة مرفوعا ان الله استقبل بي الشام وولى ظهري اليمن وقال لي يامحمد اني جعلت ماورائك مددا وجعلت ماتجاهك عصمة لك ورزقا ثم قال والذي نفسي بيده لايزال الله يزيد الاسلام واهله وينقص الشرك واهله حتى يسير الراكب من النطفتين (١) لايخشى الا جوار يعني جور السلطان قيل يارسول الله وما النطفتان فقال بحر المشرق والمغرب ثم قال والذي نفسي بيده ليبلغن هذا الدين مابلغ الليل وفي رواية حتى تسير المراتان لاتخشيان الا جورا ثم قال والذي نفسي بيده لاتذهب الايام والليالي حتى يبلغ هذا الدين مبلغ هذا النجم وعن عبد الله بن بسر اهديت للنبي

---

(١) النطفتين بالفاء هما بحر المشرق وبحر المغرب يقال للماء القليل والكثير نطفة وهو بالقليل اخص وقيل اراد ماء الفرات وماء البحر الذى يلي جده وهكذا في كتاب الغريب للهروي والفائق للزمخشرى لايخشى جورا أى لايخاف في طريقه احدا يجور عليه ويظلمه والذي جاء في كتاب الازعري لايخشى الاجورا اي لايخاف في طريقه غير الضلال والجور عن الطريق .

العرب لا افعل ذلك ما أبس عبد بناقة وفي مثل آخر الايناس قبل الابساس وقال ابو سعيد المكفوف انما هو يبسون او ينشون يعني يسيحون في الارض وانشد . وانبش حبات الكثيب (١) الاهيل . وروى من طريق البغوي عن بشر بن سعد انه سمع سفيان بن ابي زهير في مجلس يقول ان فرسه اعيت عليه بالعقيق وهم في بعث بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليه يستحمله وفي لفظ (٢) فخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم يبتغي له بعيرا فلم يجد الا عند ابي جهم بن حذيفة العدوي فسامه فقال ابو جهم لا ابيعكه يارسول الله ولكن خذه فاحمل عليه من شئت فأخذه منه ثم خرج حتى اذا بلغ بير الاهاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك البنيان ان يبلغ هذا المكان ويوشك الشام ان يفتح فيأتيه رجال من اهل هذا البلد ويعجبهم ريفه (٣) ورخاؤه فيسيرون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم يفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون باهليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ان ابراهيم عليه السلام دعا لاهل مكة واني اسأل الله ان يبارك لنا في صاعنا ومدنا وان يبارك لنا في مدينتنا بما بارك لاهل مكة رواه الامام احمد بن حنبل وقال ابو الرباب سمعت اباذر يقول استعيذوا بالله من زمن التباغي وزمن التلاعن قالوا وما ذاك قال لاتقوم الساعة حتى يكون قتال قوم دعوتهم دعوة جاهلية فيقتل بعضهم بعضا ولا تقوم الساعة حتى توقف العربية التي تنتسب الى سبعة آباء بالاسواق لايمنع الرجل ان يبتاعها الا حموشة (٤) ساقيها وكان يقال المحروم من حرم غنيمة كلب قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الناس هلاكا قريش واول الناس هلاكا اهل بيتي قال ويقال اشتكي اليه وباء المدينة فقال اللهم انقل وباءها الى مهيعة (٥) اللهم حببها الينا ضعف ماحببت الينا مكة قال ويقال استقبل الشام فقال اما ههنا فيبس الناس اليه بسا ويفتح المشرق فيبس الناس اليه بسا والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وبورك لهم في صاعهم ومدهم وقال من صبر على لاوائها وشدتها كنت له شهيدا يوم القيامة . وقال ابن زغب الايادي تزل علي عبد الله بن

---

(١) الكثيب ماجتمع من الرمل والاهيل الجاري المنصب وهو افعل تفضيل (٢) هذا اللفظ هو الثابت فى مسند احمد وقبله فزعموا ووقع فيه يبسون بالسين في جميع رواياته وبير الاهاب بفتح الهمزة موضع قرب المدينة وضبطه ابن الاثير وعياض بكسر الهمزة ويقال فيه يهاب بالياء التحتية . (٣) الريف ارض فيها زرع وخصب والجمع ارياف . (٤) حموشة ساقيها أي دقة ساقيها . (٥) المهيعة بوزن مشرعة الحجفة وهي ميقات اهل الشام .

كسرى الى عراقه واذا بالحرب قد نشبت بين ملك الهند وملك الخزر فكتب اليه كلاهما يسألانه النصرة على كل واحد منهما على ان يرد من والاه على صاحبه جميع مااستباحه من بلاده ويزيده كذا وكذا فرأى كسرى واساورته ان يعاون ملك الخزر على ملك الهند لمجاورته له ومقارعته اياه في كل يوم ولحزة (١) ملك الهند عليه وتناوله الفرصة منه اذا امكنته من بعد فوالى كسرى ملك الخزر على ملك الهند فقهراه واستنقذا ماكان اصاب من بلاده واستباح عسكره فخرج مغلوبا مدحورا ورد ملك خزر الى كسرى ما كان اصاب من بلاده من سبى او غير ذلك وزاده هدية ثلاثين ألف مملوك وانصرف عنه بجنوده فملك كسرى على الثلاثين ألف مملوك الذين خلفهم ملك خزر رجلا من عنده وسيرهم الى ماخلف القسطنطينية وأسكنهم تلك البلاد وهي يومئذ خراب قال محمد بن المهاجر فهم اليوم بوجان (٢) .

« باب تبشير المصطفى عليه الصلاة والسلام امته المنصورة بافتتاح الشام »

عن أبي زهير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون باهاليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ويفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون باهليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ويفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون باهاليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وسقط من كلام أبي القاسم القشيري ذكر الشام ورواه مالك والبيهقي بمعناه (٣) وروى الامام احمد صدره ورواه العسكري وقال ومما يشكل قوله في ذكر اهل المدينة ثم يجيء قوم يبسون باهل المدينة ليذهبوا معهم وقد خلطوا فيه ورواه ينشون ذهبوا الى النشي والصواب يبسون بالضم أو بفتح الياء والسين غير معجمة تقول ابيست بالرجل اذا دعوته الى طعام اوغيره واصله من ابست الناقة اذا دعوتها الى الحلب ويقال بسست وابسست لغتان وانشدنا نفطويه . ولم يك فيها للمبسين محلب . وهو من ابس وفي امثال

---

(١) الحزازة وجع في القلب من غيظ . (٢) كذا في النسخة التي بايدينا وصوابه بغدان وهي مملكة رومانيا كما في قاموس الاعلام . (٣) رأيت في الجامع الكبير رمزاً الى انه رواه البخاري ومسلم .

الذي فيه ولم يكن شهريار ليكتب هذا الكتاب وهو ظاهر على عامة ملكي الا لامر حدث بينه وبين كسرى فوالله لالقينه فكتب اليه هرقل انه قد بلغني كتابك وفهمت ماذكرت فيه واني ملاقيك غدا بمكان كذا وكذا فاخرج باربعة آلاف من اصحابك فاني خارج في مثلهم فاذا بلغت مكان كذا وكذا فضع ممن معك خمسمائة فاني سأضع بمكان كذا وكذا مثلهم وهكذا الى ان نلتقي انا وانت في خمسمائة وبعث هرقل الرسل من عنده الى شهر براز وامرهم ان يقوموا على ذلك فان فعل كما كتب اليه لم يرسلوا اليه جوابا وان لم يفعل عجلوا اليه بكتاب فرأى رأيه ثم ان شهر براز لما وصل رسل هرقل اليه فعل ماأمره به وسار هرقل في أربعة آلاف ولم يضع منهم احدا بمكان مما وعد به حتى التقيا بالموعد وعسكره كله معه واتى شهر براز بخمسمائة فلما رآهم ارسل الى هرقل يقول له اغدرت فارسل اليه هرقل اني لم اغدر ولكن خفت الغدر من قبلك وامر هرقل بقبة من ديباج فضربت لهما بين الصفين فنزل هرقل فدخلها ومعه ترجمانه واقبل شهر براز حتى دخل عليه فتكلما فيما بينهما حتى احكما امرهما واستوثق كل واحد منهما بالعهود والمواثيق فلما فرغا من امرهما خرج هرقل واشار الى شهر براز ان يقتل الترجمان لئلا يفشي امرهما وسرهما فقتله ثم انكشف جيش الفرس وسار جيش هرقل الى كسرى حتى اغاروا عليه وعلى من بقي معه فكان ذلك اول هلكة لكسرى ووفي هرقل لشهر براز بما عاهده عليه فاعطاه ماصار الميثاق عليه من ارض فارس ثم ان الفرس هاجت على كسرى فقتلته ولحق شهر براز بفارس ومعه العسكر التي كان قائدها (١) وقال محمد بن مهاجر الانصاري ان فارسا غلبت الروم بالشام وظهرت عليهم الى مادون خليج القسطنطينية وسارت جنود الفرس حتى نزلت بخليجها واخذت تبنيه بالحجارة والكلس حق تجعله طريقا يبسا فبينما هم على ذلك اذ بلغ كسرى ان ملك الهند وملك الخزر قد خلفاه في بلاده من العراق فانصرف عن القسطنطينية وخلف على ماظهر عليه من مدائن الشام عامين في جماعة من اساورته (٢) وخيولهم فنزل ذلك العامل حمص وضبط له ماخلفه عليه

---

(١) في سياق هذه القصة عبرة سياسية يعلم منها كيف يكون تلاشي الدول اذا خون الصادق وعومل بالاستبداد وكيف ان الحاكم اذا كان مستبدا تنحل رابطته ويرجع مكره عليه .

(٢) الاساورة قوم من العجم نزلوا بالبصرة كالاحامرة بالكوفة قاله في القاموس .

وجنده ثم حاصرهم بجنده وعساكره وقاتلهم فكانوا يخلون له الحصن وقت الحصار وينضمون الى من ورائهم من الحصون فكان هذا سبب استبطاء كسرى له فجعل كسرى يكتب اليه انك لواردت ان تفتح مدينة الروم لكنت افتتحتها في هذه المدة ولكنك رضيت بمكانك فاردت طول السلطان وجعل كسرى يكثر من ارسال الكتب اليه وشهر براز يكثر المراجعة والاعتذار اليه فلما طال ذلك على كسرى كتب الى عظيم من عظماء فارس كان مع شهر براز يأمره بقتله وان يقوم هو مقامه في امر الجنود فكتب اليه ذلك العظيم كتابا يقول فيه انشهر براز مجاهد ناصح وانه انبل الجنود وامثلهم وهو اعلم مني بالحرب فكتب اليه كسرى يؤكد في قتله فجعل يراجعه ويكتب له ليس الك عبد مثل شهر براز وانك لو تعلم مايكيد به الروم لعذرته فكتب اليه كسرى يأمره بقتله وان يكون هو قائد الجيوش فكتب اليه يراجعه ايضا فغضب كسرى وكتب الى شهر براز يأمرهبقتل ذلك العظيم فارسل الى ذلك العظيم من فارس واقراه كتاب كسرى فقال له راجع في فقال له قد علمت أن كسرى لايراجع وقد علمت محبتي اياك ولكنه قد جاءني مالا استطيع تركه فقال له ذلك الرجل الا تدعني ارجع الى اهلي فآمرهم بامري واعهد اليهم عهدي فقال بلى وذلك الذي املك لك فانطلق الى اهله واخذ صحايف كسرى الثلاث التي كتبها اليه فجعلها في كمه ثم جاء حتى دخل على شهر براز فرفع اليه الصحيفة الثانية فلما قراها نزل عن سريره وقال اجلس عليه فابى ان يفعل ودفع اليه الصحيفة الثالثة فقرأها ولما فرغ من قراءتها قال له انت خير مني ثم قال شهر براز اقسم بالله لا سوأن كسرى فاجمع حينئذ المكربه وكاتب هرقل وقال له ان كسرى قد افسد فارسا وجهز بعوثها واستبد بملكه وسأله ان يلقاه بمكان يحكمان فيه الامر ويتعاهدان فيه ثم كشفعنه شهر براز جنود فارسوخلىبينه وبين السيرالىكسرى فلما وصل الكتاب الى هرقل دعا رهطا من عظماء الروم وقال لهم حين جلسوا انا اليوم احزم الناس او اعجز الناس وقد اتاني مالا تحسبونه وسأعرضه عليكم فاشيروا علي فيه ثم قرأ عليهم كتاب شهر براز فاختلفوا عليه في الرأي فقال بعضهم هذا مكر من كسرى وقال بعضهم أراد هذا العبد ان يلقاك فيفعل بك مايريده ثم لايبالي مالقي فقال هرقل أن الرأي ليس حيث ذهبتم اليه أنه لعمرى لو كان هذا الكتاب في حق بعض كتاب كسرى لما شتمه هذا الشتم

ظهرت الروم على فارس فذلك قوله تعالى ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله قال الدار قطنى هذا اثر غريب تفرد به ابو الزناد ولم يروه عنه غير ابنه عبد الرحمن وقال ابن عباس لما نزل آلم غلبت الروم الاية اتى ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني قد ناجيت قريشا فقال له فهلا احتطت فان البضع مابين الثلاث الى التسع قال الحجبي المناجية المراهنة وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك وفي رواية ان أبا بكر لقي رجالا من المشركين فقال لهم ان اهل الكتاب سيغلبون فارسا قالوا في كم قال في بضع سنين قالوا فنحن نناجيك (نراهنك) على ذلك فسم سنينا نناجيك عليها فسمى ابو بكر سبع سنين فعقدوا المناجية على ذلك وكان ذلك قبل ان يحرم القمار فلما رجع ابو بكر أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال لم فعلت فكل مادون العشرة بضع وكان ظهور فارس على الروم لسبع سنين زمن الحديبية وقيل بعدها ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب وكان ظهور المؤمنين على المشركين بعد مدة الحديبية وقال ابو سعيد الخدري التقينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركي العرب والتقت الروم وفارس فنصرنا الله على مشركي العرب ونصر الله اهل الكتاب على المجوس ففرحنا بنصر الله ايانا على المشركين وفرحنا بنصر اهل الكتاب على المجوس وفي رواية عن البراء ان ابا بكر لما مضى الست سنين واخذ المشركون منه الذي راهنهم عليه قال له النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت هذا قال مافعلته الا تصديقا لله ورسوله ثم انه اتى المشركين فقال لهم هل لكم في العود والعود احمد قالوا نعم فبايعوه واعظموا الخطر فلم تمض السنون حتى ظهرت الروم على فارس فاخذ ابو بكر الخطر (المراهنة) واتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذا التنجيب يعني المراهنة وقال عياش بن عبد الله لما نزل الهرمزان عظيم الاهواز على حكم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاسلم وعفا عنه سأله عن شأن جيوش فارس التي بعث بها كسرى مع شهر برازا ومع شهربراز وما الذي سبب من كشف فارس عنهم فقال الهرمزان كان كسرى بعث شهر براز وبعث معه جنود فارس فملك الشام ومصر وخرب عامة حصون الروم واقام زمنا في تلك الارض فجعل كسرى يستبطئه وفي رواية كان عامل كسرى اذا انتهى الى حصن من حصونهم ابتنى حصنا بجنب حصنهم فنزل به هو

دخل معاوية في مثل ذلك ولا على الحجاج ان يقول لابي حمير وهذا كما قال معاوية لاهل الشام . والله يعيذنا من اشاعة الكذب على سلف الامة ويمن علينا بالثبات على الحق فيما نحكيه وهو ولي العصمة وانما يتم من الامر ما هذا سبيله على من اشتهر منه تغفيله ومثل ما مر مما اشتهر عن المغفلين فنسب لعموم اهل بلده ما حكاه ابو عمرو بن العلاء قال خرج ابو بكر ابن بدر يوم خميس وقد لبس ثيابه يريد الجمعة فمر بميمون بن مهران فقال له أين تريد فقال الجمعة فقال له ميمون قد اخروها الى غد فرجع الى اهله فقال لهم قال لي ميمون بن مهران انهم قد اخروا الجمعة الى غد فالى مثل هذا ينسب أمثال هذه الحكاية واما الى من اخروا الجمعة الى غد فالى الصحابة والتابعين فلا يجوز ان يلحق بهم مالا يليق من اختراعات المخترعين وقد كان معاوية يأمر بحضور الجمعة اهل القرى القاصية من ساكني قين وقردا وذاكيه فكيف يظن به انه اخرها عن حاضرتها من مرتقبي تاديتها ومنتظريها وهذا مما لا يظنه به الا اهل الغباوة ولا يكلفه في حق ذلك القرن الا اهل الشقاوة وقد قال يونس بن حليس سمعت معاوية بن ابي سفيان على هذا المنبر منبر دمشق يقول يا أهل قردا وذاكية يا اداني البثنية الجمعة الجمعة وربما قال يا أهل قين يا أهل الغوطة الجمعة الجمعة لا تدعوها

« باب ذكر بعض ما بلغنا من اخبار ملوك الشام »
قبل الاسلام

قال ابو سعيد الخدري لما كان يوم بدر وظهرت الروم على فارس واعجب بذلك المؤمنون وفرحوا بظهور الروم على فارس نزل قوله تعالى آلم غلبت الروم الى قوله ويومئذ يفرح المؤمنون رواه ابو يعلى الموصلي وقال سيار بن مكرم وكانت له صحبة لما نزل اول سورة الروم اتخذ المؤمنون ذلك اليوم شبه عيد وكان المشركون يحبون ان لاتغلب الروم فارسا لانهم اهل كتاب وتصديق بالبعث فقالوا لابي بكر نبايعك على ان الروم لاتغلب فارسا فقال ابو بكر البضع مابين الثلاث الى التسع ننتظر من ذلك ست سنين لااقل ولا اكثر فلما كانت السنة السادسة لم يظهر الروم على فارس فاخذوا الرهان فلما كانت السنة السابعة

اذا كنت بالشام فحدث بفضائل علي واذا كنت بالعراق فحدث بفضائل عثمان انتهي وهذا انما كان لما وجد في اهل الشام الانحراف عن آل بيت الرسول واما الآن فقد انمحى هذا كله وامن منه لما وقفوا عليه من فضلهم المنقول وقال ابو يحي السكري دخلت مسجد دمشق فرأيت به حلقا فقلت هذا بلد قد دخله جماعة من الصحابة فملت الى حلقة في صدرها شيخ جالس فجلست اليه فقال له رجل امامه من علي بن ابي طالب فقال خفاق (١) كان بالعراق اجتمعت عليه جماعة فقصد امير المؤمنين ليحاربه فنصره الله عليه قال فاستعظمت ذلك وقمت فرأيت في جانب المسجد شيخا يصلي الى سارية حسن السمت والصلاة والهيبة فقلت له ياشيخ انا رجل من اهل العراق جلست الى تلك الحلقة وقصصت عليه القصة فقال في هذا المسجد عجائب بلغني ان بعضهم يطعن على ابي محمد الحجاج بن يوسف فعلي بن ابي طالب من هو ثم جعل يبكي فقمت عنه وقلت لا استحل ان ابيت بهذا البلد وهذه الحكاية وردت عن طرق كلها لا تصح واما مايحكيه العامة من تأخير معاوية صلاة الجمعة الى يوم السبت ورضاء اهل الشام بذلك فانما هو امر مختلق لا اصل له ومعاوية ومن كان معه في عصره في الشام من الصحابة والتابعين اتقى لله واورع واشد محافظة على اداء فريضة واقعة في دين الله من ان يخفي عنهم ان ذلك لا يجوز ولم اجد لذلك اصلا في شيء من الروايات وانما يحكي باسناد منقطع ان بعض المغفلين من اهل الشام امتحن بذكر ذلك في العراق في زمن الحجاج فلعل بعض الناس بلغه ذلك فعزاه الى اهل الشام وانتشر عنه واصل الحكاية انه كان للحجاج قاض من اهل الشام بالكوفة يقال له ابو حمير فحضرت الجمعة فمضى لصلاتها فلقيه رجل من اهل العراق فقال له يا ابا حمير الى اين تذهب فقال الى صلاة الجمعة فقال له اما بلغك ان الامير قد اخر الجمعة اليوم فانصرف راجعا الى بيته فلما كان من الغد قال له الحجاج اين كنت يا ابا حمير ولم تحضر معنا الجمعة فقال لقيني بعض اهل العراق فاخبرني ان الامير اخر الجمعة فانصرفت فضحك الحجاج وقال يا ابا حمير اما علمت ان الجمعة لا تؤخر وهذه الحكاية ان صحت تدل على بطلان ما نسب الى معاوية من ذلك لانه لو كان لما نسب اليه اصل لكان ابو حمير يقول للحجاج قد

---

(١) الخفاق الضعيف .

أمور قد خلت والله يعفو عنها وفتن قد مضت والله يعصم منها وعبد الله بن الكوا لايعتمدعلىما يرويه فكيفيعتمد علىمايقوله من تلقاء نفسه والاحتجاج بما قاله لسان الحمرة من الاحتجاجات الباطلة المنكرة . وعن ابي المخيس قال كنت جالسا عند الاحنف فاتاه كتاب من عبد الملك بن مروان يدعوه الى نفسه فقال يدعونى ابن الزرقاء الى طاعة اهل الشام ولوددت ان بيننا وبينهم جبلا من نار من اتانا منهم احترق ومن اتاهم منا احترق وهذا لما كان يجري بين اهل الشام والعراق من الحروب فاما الآن فقد الف الله بين المسلمين وازال ما كان في القلوب وقال ابو زياد قال لي كعب الاحبار اترى هذه الاهواء التي هي فيكم اليوم يعني بالعراق فانها ستنقل الى الشام وقال الزهريينبغي للناسان يدعوامنحديثاهل المدينةحديثينومنحديث اهل مكة حديثين ومن حديث اهلالعراق حديثين ومن حديث اهل الشام حديثين فاما حديثا اهل المدينة فالسماع والقيان واما حديثا اهل مكة فالصرفوالمتعة واماحديثااهلالعراقفالنبيذ والسحوروااما حديثااهلالشام فالطلا والطاعة والمراد بالسحور تأخيره وروي من لفظ آخر وفيه واما اهل المدينة فاتيان النساء في ادبارهن والسماع واما اهل الشام فبيع العصير واخذ الديوان وهذا ان الامران قد ذهبا اما بيع العصير فليس في الشام عالم اليوم يبيحه وانما يفعل ذلك اهل الفسوق واما الديوان فقد منعهموه السلطان وعن النعمان ابن المنذر الغساني قال كنت مع مكحول بالصايفة فاتاه فتيان من اهل العراق فجعلوا يسألونه قال فجعل يخبرهم فقالوا له عمن ومن حدثك قال فنشط لهم مكحول فجعل يسند لهم قال فلما تهيأ لقيامه ضحك ثم قال هكذا ينبغي لكم يا اهل العراق فلا يصلحكم الا هذا واما اصحابنا هؤلاء اهل الشام فيأخذون كما تيسر ثم قام وقال الاعمش اذا جاءنا الحديثفانكرناه قلنا شاميوقال شعبة لا تكتب عن الشامي كثيرا وقيل لعبد الرحمن بن مهدي اي الحديث اصح قال حديث اهل الحجاز قيل ثم من قال حديث اهل البصرة قيل ثم من قال اهل الكوفة قيل ثم من قال فنفض يده وربما كانت هذه الحكاية موضوعة ولم يقلها ابن مهدي لان الحديث اذا جاء مسندا منرواية ثقات اهل الشامبعضهمعن بعض فهو صحيح تلزمبهالحجةكما تلزم باحاديثغيرهم مناهل الامصار وقال الثوري

يغضب عليه فينفيهاليهاليكونالطاعون شهادة لهومكفرا عنه مافرط منهوهذا مأخوذ مما رواه احمد وابو يعلى الموصلي عن ابي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعا اتاني جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينةوارسلتالطاعون الى الشامفالطاعونشهادة لامتيزاد احمدورحمةلهم ورجس على الكافر وعلى هذا المعنى تحمل جميع الاحاديث التي وردت في طاعون الشام وقيل لعمرو بن العاص صف لنا اهل الامصار فقال اهل الحجاز احرص الناس على فتنة وابعدهم عنها واهل العراق احرص الناس على العلم وابعدهم عنه واهل الشام اطوع الناس للمخلوق واعصاهم للخالق واهل مصر اكيس (١) الناس في الصغر واحمقهم في الكبر وروى هذا عن زيد بن جدعان عن عمرو وزيد ضعيف ولم يدرك عمرا وقال معاوية لعبد الله بن الكوا اخبرني عن اهل البصرة فقال يقاتلون معا ويدبرون شتى فقال له اخبرني عن اهل الكوفة فقال انظر الناس في صغيرة واوقعهم في كبيرة قال فاخبرني عن اهل المدينة فقال احرص الناس على الفتنة واعجزهم فيها قال اخبرني عن اهل مصر فقال لقمة آكل قال فاخبرني عن اهل الجزيرة فقال كناسة بين مدينتين قال فاخبرني عن اهل الموصل فقال قلادة وليد فيها من كل خرزة قال فاخبرني عن اهل الشام فقال جند امير المؤمنين ولا اقول فيهم شيئا قال لتقولن فقال اطوع الناس للمخلوق واعصاهم للخالق ولا يحسبون للسماء ساكنا وفي لفظ واجرأهم على الموت لايدري مابعده دمشقيهم يشتمل ولا يدري وحمصيهم يشبع ولا يعي وسئل لسان الحمرة عن اهل الكوفةفقال انظرهم لصغيرة واركبهم لكبيرة قيل فأهل البصرة فقال ابل وردت معا وصدرت اشتاتا فقيل واهل لشام فقال ما اطوعهم للمخلوق واعصاهم للخالق قيل فاهل مصر فقال عبيد لمن غلب قيل فاهل الجزيرة فقال كاسد بين اجمتين (٢) وسئلعن اهل الموصل فقال قلادة خرز جمعت انواعا والمراد مما في هذه الحكايات ما كان عليه اهل الشام من طاعة ائمتهم وامرائهم واقتدائهم في الفتن والحروب بارائهم من غير نظر في عواقب الامور والفتن كما فعلوا في سالف الزمن من قتالهم علي بن ابي طالب وهو الامام المرتضى وفعلهم في يوم الحرة وحصار بن الزبير ومالا يرتضى وتلك

---

(١) الكيس بفتح الكاف الظرف . (٢) تثنية اجمة وهي غابة القصب

الغنى وملائكة الشرف وملائكة المرؤة والجفا والجهل والسيف والبأس حتى انتهوا الى العراق فقال بعضهم لبعض افترقوا فقال ملك الايمان انا اسكن المدينة ومكة فقال ملك الحياء انا معك فاجتمعت الامة على الايمان والحياء ببلد الرسول وقال ملك الشفاء انا اسكن البادية فقال ملك الصحة وانا معك فاجتمعت الامة على ان الصحة والشفاء في الاعراب وقال ملك الجفا اناا سكن المغرب فقال ملك الجهل انا معك فاجتمعت الامة ان الجفا والجهل فى البربر وقال ملك السيف انا اسكن الشام فقال له ملك البأس انا معك وقال ملك الغنى انا اقيم ههنا فقال له ملك المرؤة انا معك فقال ملك الشرف وانا معكما فاجتمع ملك الغنى والمروءة والشرف بالعراق وقال حَيم بن جابر اخبرت أن الاسلام قال انا لاحق بارض الشام قال الموت وانا معك وقال الملك وانا لاحق بارض العراق فقال وانا معك قـــال الجوع وانا لاحق بارض المغرب قالت الصحة وانا معك وانما اراد بذلك كثرة ما كان بها من الطاعون او القتل في الجهاد وكلاهما شهادة والى هذا يشير قول حســـان

يغدا علينا بنا جود ومسمعة (١) ان الحجاز رضيع الجوع والبوس

قال الجاحظ اشياء اتفقت ثمانية ازواج ستة عشر صنفا ثم اتفقت ازواجا فصارت ثمانية ازواج قال الدين اسكن الحرمين مكة والمدينة قالت الامانة وانا معك قال الغنى واليسار اســكن مصر قال الذل وانا معك قال السخاء اسكن الشام قالت الشجاعة وانا معك قال العقل اسكن العراق قالت المرؤة وانا معك قال العلم اسكن خراسان قال الورع وانا معك قالت التجارة اسكن الحوز ستان واصبهان قالت النذالة وانا معك قال الجفاء اسكن المغرب قال الجهل وانا معك قال الفقر اسكن اليمن قالت القناعة وانا معك وهذا مــدح ليس بذم قال عبد الله بن ابي الهذيــل ان عمر رضى الله عنه اتى برجل قــد افطر في رمضان فلما رجع اليه عثر فقال على وجهك او بوجهك وصبياننا صيام فضربه الحد وكان اذا غضب عــلى أنســان سيره الــى الشــام فبسيره الى الشام لم يكن عمر ينفى الى الشام لدنائة حال اهله عنده وانمــا كان ينفى اليها لكثرة ما كان بها من الطاعون رجاء ان يكفيه الطاعون امر من

---

(١) الناجود كل اناء يجعل فيه الشراب ويقال للخمور ناجـود وللراووق ايضا والمسـمعه المغنية ورضيع بمعنى مرتضع والبوس الخضوع والفقر .

عبد الملك فصلبه وكفى اهل الشام امره وقد كانت القدرية بالبصرة اكثر وضررهم على اهل السنة اكبر فانهم صنفوا في نفيه التصانيف والفوا لاهل الاعتزال فيه التأليف فافناهم الله وابادهم ولم يبلغوا مماحاولوا مرادهم وعن عائشة مرفوعا ان الله عز وجل خلق اربعة اشياء واردفها اربعة اشياء خلق الجدب واردفه الزهد واسكنه الحجاز وخلق العفة واردفها الغفلة واسكنها اليمن وخلق الريف واردفه الطاعون واسكنه الشام وخلق الفجور واردفه الدرهم واسكنه العراق وهذا اسناد فيه مجاهيل فلا يحتج به وقال سليمان بن يسار كتب عمر بن الخطاب الى كعب الاحبار ان اختر لي المنازل فكتب اليه كعب يا امير المؤمنين ان الاشياء اجتمعت فقال السخاء اريد اليمن فقال حسن الخلق وانا معك وقال الجفا اريد الحجاز فقال الفقر وانا معك وقال البأس اريد الشام فقال السيف وانا معك وقال العلم اريد العراق فقال العقل وانا معك فلما ورد الكتاب عن عمر قال فالعراق اذاً فالعراق اذاً وفي لفظ وقال الغنى اريد مصر فقال الذل وانا معك والاسانيد التي روت هاته الحكاية كلها منقطعة فلا يحتج بشيء من ذلك وقال انس ابن مالك (١) لما حشر الله الخلائق الى بابل بعث اليهم ريحا شرقية وغربية وقبلية وبحرية فجمعتهم الى بابل فاجتمعوا يومئذ ينظرون لما حشروا له اذ نادى مناد من جعل المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره واقتصد الى البيت الحرام بوجهه فله كلام اهل السماء فقام يعرب بن قحطان فقيل له يا يعرب بن قحطان فقال ابن هود فقيل أنت هو فكان أول من تكلم بالعربية ولم يزل المنادي ينادي من جعل كذا وكذا فله كذا وكذا حتى افترقوا على اثنين وسبعين لسانا وانقطع الصوت وتبلبلت الالسن فسميت بابل وكان يومئذ بابليا وهبطت ملائكة الخير والشر وملائكة الايمان والحياء وملائكة الصحة والشفاء وملائكة

---

(١) هذا مخرج مخرج التشبية والتمثيل وهو من اللطائف حيث فيه تصوير المتخيل بصورة الحاصل المحسوس .

والسكنات والاعتماد والنظر والعلم قال ويستحيل ان يخاطب العبد بافعل وهو لا يمكنه أن يفعل وهو يحس من نفسه الاقتدار والفعل ومن انكره فقد انكر الضرورة وهذه قاعدة غيلان وستأتي ترجمته في حرف الغين من هذا الكتاب مع تزييف مقالاته وقد بينا الصواب في اول كلامنا هنا بعبارة تكفي المطالع وسنورد فيما بعد ما فيه مقنع .

عليه وسلم يقول اذا ركب الناس الخيل ولبسوا القباطي (١) ونزلوا الشام واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء عمهم الله بعقوبة من عنده رواه ابن عدى وقال هذا الاسناد منكر موضوع على حماد بن سلمة وعبد الوهاب الثقفي كان منكر الحديث يسرق الحديث ويحدث بالبواطيل وقال ابو حاتم الرازي كان عبد الوهاب هذا يضع الحديث فلا يحتج بروايته وقد تقدم باب حث النبي صلى الله عليه وسلم امته على سكنى الشام فكيف يكون نزولهم به مذموما ولعله ان صح كان المراد به قرب الساعة وقال ابو هريرة سينعق (٢) الشيطان بالشام نعقة يكذب ثلثاهم بالقدر وهو حديث موقوف على ابى هريرة وقد روى من وجه آخر مرفوعا وهو ضعيف وقال ابن ايزي بلغ عمر ان اناسا تكلموا فى القدر فقام خطيبا فقال يا ايها الناس انما هلك من كان قبلكم فى القدر والذي نفسى بيده لااسمع برجلين تكلما فيه الاضربت اعناقهما قال فامسك الناس عنه حتى نبعت نابعة او نبعة بالشام رواه ابو داود وقال الشيباني قال لي الاوزاعي يا ابا ذرعة اهلك عبادنا هذا الرأي يعني القدر (٣) وكان المتكلم فى القدر بالشام غيلان القدرى وتبعه علي ذلك اتباع فاخذه هشام بن

---

(١) القباطي جمع قبطية وهو ثوب من ثياب كانت تصنع بمصر رقيقة بيضاء وكأنها منسوبة الى القبط وهم اهل مصر . (٢) النعيق صوت الراعي بغنمه فشبه ابليس بالراعى وشبه من يتبعه بالعلم بجامع التقليد الاعمى .

(٣) هذه المسألة طويلة الذيل يضيق المقام عن شرحها وسأؤخره الى أن أجعل له مؤلفا مخصوصا وحاصل القول هنا انه ذهب بعض الناس الى ان في معنى القضاء والقدر مايدل على معنى الاكراه والاجبار وليس الامر كما زعموا بل معنى القدر في اللغة العربية الترتيب والحد الذي ينتهي اليه الشيء ومعنى القضاء والقدر حكم الله تعالى في شيء بحمده او بذمه وبكونه وترتيبه على صفة كذا والى كذا وليس فيه شيء من معنى الاجبار كما ذهب اليه الجبرية وهذا معنى قول علماء السنة القدر هو اعتقاد انه كلما يوجد في العالم حتى افعال العبد بقضاء الله وتأثيره واما المراد من ذم القول بالقدر هنا فليس القصد منه هذا المعنى بل القصد منه ان قوما كذبوا بالقدر فقال جمهور المعتزلة أن جميع افعال العباد من حركاتهم وسكونهم في اقوالهم وافعالهم واعمالهم وعقودهم لم يخلقها الله عز وجل ثم اختلفوا فقالت طائفة منهم خلقها فاعلوها دون الله وقالت طائفة هي افعال موجودة لا خالق لها اصلا وقالت طائفة وهم الدهريون ان الطبيعة اوجدتها بلا تكلف والمعتزلة يسمون بالقدرية وهم فرق متعددة واولى مانذكره هنا من فرقهم الواصلية اصحاب واصل بن عطاء ومن قواعده القول بالقدر وقد تبع بها غيلان الدمشقي ومعبد الجهيني فقال ان الباري تعالى حكيم عادل لايجوز ان يضاف اليه شر وظلم ولايجوز أن يريد من العباد خلاف مايأمر ويحكم عليهم شيئا ثم يجازيهم عليه فالعبد هو الفاعل للخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازي على فعله والرب اقدره على ذلك كله وافعال العباد محصورة في الحركات

رجل يوم صفين من دعى الى البلغة(١) يوم كفر اهل الشام فقال علي من الكفر فروا وقال عقبة بن علقمة اليشكري شهدت مع علي يوم صفين فاتي بخمسة عشر اسيرا من اصحاب معاوية فكان من مات منهم غسله وكفنه وصلى عليه وسئل عن قتلاه وقتلى معاوية فقال يؤتي بي وبمعاوية يوم القيامة فنجتمع عند ذي العرش فاينا فلج فلج صاحبه (٢) وقال ايضا من كان يريد وجه الله نجايعنى اصحاب صفين وقال عبدالله بن عروة حدثني رجل شهد صفين قال رأيت عليا خرج في بعض تلك الليالي فنظر الى اهل الشام فقال اللهم اغفر لي ولهم قال فاتى عمار فاخبر فقال جروا له الحضير (٣) فاجره لكم وقال عمار بن ياسر لاتقولوا كفر اهل الشام ولكن قولوا ظلموا اقولوا فسقوا يريد بذلك وقائع صفين وسمع عمار رجلا يقول كفر اهل الشام فقال لم يكفروا ان حجتنا وحجتهم واحدة وقبلتنا وقبلتهم واحدة ولكنهم قوم مفتونون حادوا عن الحق فحق علينا ان نردهم الى الحق وفي لفظ بغوا علينا فحق لنا قتالهم .

«باب ذكر ماورد في ذم اهل الشام»

عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجفا والبغي في الش وهذا الحديث لايمكن الاعتماد عليه لضعف اسناده فان فيه ابان ابن ابي عياش البصرى وهو مجمع على ضعفه وفيه الفضل بن المختار وهو صاحب غرائب وعبيد الله بن سعيد بن كثير لايحتج بحديثه وعن انس انه سمع النبي صلى الله

---

(١) هذه الواقعة ستأتي مفصلة ولكننا نشير الى شرح هذه الكلمة وذلك انه لما كان القتال بصفين وجرح الاشتر وحمي الحرب دعا علي رضي الله عنه بفرسه التي كانت لرسول الله ثم دعا ببغلة رسول الله عليه الصلاة والسلام الشهباء ثم تعصب بعمامة الرسول السوداء ثم نادى من يبع نفسه اليوم بربح غدا يوم لـه ما بعده وأن عدوكم قدح كما قد حتم فأنتدب لـه مابين عشرة آلاف الى اثني عشر الفا فحمل علي والناس حملة واحدة فلم يبق لاهل الشام صف الا اغمد حتى افضى الامر الى معاوية وعلي يضرب بسيفه ولا يستقبل احداً الاولى عنه وعلى اثر هذه الواقعة نادى اهل الشام كتاب الله بيننا وبينكم . (٢) المعنى اينا فاز وظفر بصاحبه غلبه بحجته . (٣) في النهاية حضير قاع يسل عليه فيض البقيع بالنون وهو بفتح الحاء وكسر الضاد .

والغفارة سحابة رقيقة تكون فوق اخرى كثيفة وقالوا هو الغفر وقال ابـو هريرة لاتسبوا اهل الشام فانهم جند الله المقدم

((باب ماورد من اقوال المنصفين فيمن قتل)) من اهل الشام بصفين

عن ابي هريرة مرفوعا (١) اربع ملاحم فى الجنة الجمل فى الجنة وصفين فى الجنة وحرة فى الجنة وكان يكتم الرابعة وعن جعفر بن محمد عن ابيه قـال سمع على يوم الجمل او يوم صفين رجلا يغلو فى القول يقول الكفر فقال لاتقولوا ذلك فانهم زعموا انا بغينا عليهم وزعمنا انهم بغوا علينا فقاتلناهم على ذلك وقال سالم بن عبيد الاشجعي رأيت عليا بعد صفين وهو آخذ بيدي ونحن نمشى فى القتلى فجعل علي يستغفر لهم حتى بلغ قتلى الشام فقلت له يا أمير المؤمنين انا فى اصحاب معاوية فقال علي انما الحساب على علي ومعاوية وقال نافع القاري قدمت العراق فدخلت دار ابي طالب التي كان يسكنها فاذا الموالي حلقتان يتحدثون فجلست معهم فخرج علي وهم يذكرون قتلى علي ومعاوية فقالوا قبلتنا واحدة والهنا واحد ونبنا واحد فاين قتلانا وقتلاهم فـاقبل علي فلما رآهم قصد اليهم فسكتوا فقال علي عزمت عليكم لتخبرونني فقالوا ذكرنا قتلانا وقتلى معاوية وان قبلتنا واحدة والهنا واحد ودينناواحد فقال علي فاني اخبركم عن ذلك أن الحساب علي وعلى معاوية وعن سعد بن ابراهيم قال خرج علي ذات يوم وهم يذكرون قتلاه ومعه عدى بن حاتم الطائي فاذا رجل من طى قتيل قد قتله اصحاب علي فقال عدى ياويح هذا كان امس مسلما واليوم صار كـافرا فقال علي مهلا كـان امس مؤمنـا واليوم هو مؤمن وسئـل عمن قتـل من اصحـاب معـاوية فقـال هم مؤمنون وقـال

---

(١) لم اجد بعد الفحص السديد احدا اخرجه غير اين عساكر واورده الجلال السيوطي في الجامع الكبير وعزاه لصاحب هذا التاريخ وهو حديث ضعيف والمراد فيـه أن أصحـاب واقعة الجمل وصفين والحرة في الجنة وسيأتي تفصيل هذه الثلاثة في هذا الكتاب مسوفا واقعة الجمل وصفين والحرة في الجنة وسيأتي تفصيل هذه الثلاثة في الكتاب مستوفي ان شاء الله تعالى .

المسلمين الفتهم ونعمتهم وقاصيهم وبداريهم الصواب ودانيهم قال الطبراني لم يرو هذا الحديث الا زيد بن ابي الزرقاء وهذا وهم من الطبراني فقد رواه الوليد بن مسلم ايضا عن ابن لهيعة ورواه الحارث بن يزيد المصري فوقفه على علي ولم يرفعه (١) وقال علي بن ابي طالب لاتسبوا اهل الشام فان فيهم الابدال وسبوا ظلمتهم وقال ايضا يا اهل العراق لاتسبوا اهل الشام فان فيهم الابدال لايموت منهم رجل الا اثبت الله مكانه آخر ثم قال لرجاء بن حيوة يارجاء اذكر لي رجلين صالحين ببيسان فان الله تبارك وتعالى اختص بيسان برجلين من الابدال لاتذكر مناناً ولا لعاناً على الائمة (٢) فانه لايكون منهم الابدال وفي لفظ فانه بلغني ان الله اختص اهل بيسان برجلين من الابدال لايموت واحد الا جعل الله مكانه واحد ولا تذكر منهما متماوتا (٣) ولا طعانا على الائمة فانه لايكون منهما الابدال وقال ابو عثمان قام رجل فسب اهل الشام فقال علي لاتسبوهم جماغفيرا (٤) فان فيهم او منهم الابدال وقال رجل يوم صفين اللهم العن اهل الشام فقال له علي لاتسب اهل الشام جما غفيرا فان بها الابدال قالها ثلاثا وفي لفظ فان بها كارهين لما يرون وان فيهم يكون الابدال قال ابو عبيدة وفي حديث يا اهل العراق لاتسبوا اهل الشام جما غفيرا فان فيهم الابدال يعني جماعتهم كلهم والمغفر البيضة (٥) يقول هم في جماعتهم واستوائهم اذا اجتمعوا كالبيضة في اجتماعها واستوائها وقال البيضة هي جما ليس لها حيود والواحد حيد أي ماشرف منها وهي غفير تغفر الراس اي تغطيه قال الراعي

صغيرهم وكلهم سواء هم الجماء في اللوم الغفير

وقال العبسي

وان وراء الاثل غزلان ايكة مضمخة آذانها والغفائر

والغفائر ماغطين به رؤوسهن وقال ذو الرمة

* سقى دارها مستمطر ذو غفارة *

---

(١) طعن فيه الطبراني وكونه من كلام علي رضى الله عنه اقرب الى الصواب . (٢) المنان هو الذي لايعطي شيئا الا منة واعتد به على من اعطاه وهو مذموم لان المنة تفسد الصنيعة والمراد باللعان من يسب الائمة ويدعو عليهم فان الابدال لايكونون من المتصفين بهذين الوصفين . (٣) يقال تماوت الرجل اذا اظهر من نفسه التخافت والتضاعف من العبادة والزهد والصوم وذلك من علامات الرياء . (٤) معناه على وجه العموم . (٥) وعبارة النهاية المغفر هو مايلبسه الدراع على راسه من الزرد ونحوه .

فاختصما الى عبد الملك فاحضر رجاء بن حيوة فقال انظر فيما بينهما فعرضه رجاء على الامرأة فابت ان تقبله وعرضه على الرجل فأبى ان يقبله فقال ياامير المؤمنين اعطها ثمنه واطرحه فى بيت مال المسلمين وقال ايضا رأيت سوار من ذهب وزنه ثلاثون مثقالا معلقا فى قنديل من قناديل مسجد دمشق اكثر من شهر لايأتيه احد فيأخذه وقال جعفر بن محمد كنت مع ابي محمد بن على بمكة فى ليالي العشر قبل التروية بيوم او يومين وابى قائم يصلي بالحجر وانا جالس وراءه اذ جاءه رجل ابيض الرأس واللحية جليل العظام بعيد مابين المنكبين (١) عريض الصدر عليه ثوبان غليظان فى هيئة المحرم (٢) فجلس الى جنبه فعلم ابى انه يريده فخفف الصلاة فسلم ثم اقبل عليه فقال له الرجل ياابا جعفر اخبرني عن بدأ خلق هذا البيت كيف كان فقال له ابى ممن انت قال رجل من اهل الشام فقال له ان احاديثنا اذا سقطت (٣) الى الشام جاءتنا صحاحا واذا سقطت الى العراق جاءتنا وقد زيد فيها ونقص .

« باب النهى عن سب اهل الشام وما ورد فى ذلك عن اعلام الاسلام »

قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب في المعدن (٤) فلا تسبوا اهل الشام ولكن سبوا شرارهم فان فيهم الابدال يوشك أن يرسل الله على اهل الشام سيبا (٥) من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب لغلبتهم (٦) فعند ذلك يخرج خارج من اهل بيتى فى ثلاث رايات المكثر يقول هم خمسة عشر الفا والمقل يقول هم اثناعشر الفا امارتهم (٧) امت امت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله الى

---

(١) الجيل العظيم وبعيد تصح قراءته بالتصفير والتكبير وما موصولة أو موصوفة وليست زائدة والمنكبان تثنية منكب وهو مجمع العضد والكتف والمراد بكونه بعيد مابين المنكبين أنه عريض اعلى الظهر ويلزمه انه عريض الصدر . (٢) بضم الميم وكسر الراء . (٣) وقعت واخذت (٤) المعنى ان هذه الفتنة تميز بين الاخيار وبين الاشرار من الناس كما يحصل اي يخلص المعدن من ترابه . (٥) السيب والسائب من المطر ما كان جاريا . (٦) اي لما يعتريهم من الوهن والضعف وتفرق الكلمة . (٧) علامتهم وامت أمر بالموت والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الامر بالاماتة مع حصول الغرض بالعلامة وذلك أن العرب كانت تجعل هذه الكلمة علامة بينهم في الحرب يتعارفون بها في ظلمة الليل .

علماء اهل الشام واهل المدينة وكانت احاديث العراق لاتجاوز جدر (١) بيوتهم فمتى كان علماء اهل الشام يحملون عن خوارج اهل العراق وقال سفيان بن عيينة من اراد المناسك (٢) فعليه بأهل مكة ومن اراد مواقيت الصلاة فعليه بأهل المدينة ومن اراد السير فعليه بأهل الشام ومن اراد شيئاً لا يعرف حقه من باطله فعليه بأهل العراق وقال ايضا اذا اردت الحديث الصحيح والاسناد الجيد فعليك باهل المدينة واذا اردت النسك فعليك باهل مكة واذا اردت المغازى فعليك باهل الشام وفي لفظ آخر من اراد الاسناد والحديث الذي يسكن (٣) اليه فعليه بأهل المدينة ومن اراد المناسك والعلم بها والمواقيت فعليه باهل مكة ومن اراد المقاسم وامر الغزو فعليه باهل الشام ومن اراد شيئا لايعرف حقه من باطله فعليه بأهل العراق وقال ابن بنت الشافعي ان اردت الصلاة يعني احكامها فعليك باهل المدينة وان اردت المناسك فعليك باهل مكة وان اردت الملاحم فعليك باهل الشام والرأى عن اهل الكوفة وقال ابن المبارك مادخلت الشام الا لاستغنى عن حديث اهل الكوفة وقال موسى بن هارون اهل البصرة يكتبون لعشر سنين واهل الكوفة لعشرين واهل الشام لثلاثين وقال الزبير نسخت كتب الحديث في العشرين لانها مجتمع العقل واحب ان يشتغل دونها بحفظ القرآن والفرائض وقال عطاء الخراساني مارأيت فقيها افقه اذا وجدته من شامي وكان عبد الرحمن بن يزيد بن جابر يقول من اراد العلم فلينزل بداريا من عنس وخولان قال يزيد بن محمد عنس وخولان قريتان بدمشق فيهما مسجدان فتجمع في واحد عنس وفي واحد خولان فاذا كان هذا في اهل داريا وهي قرية من قرى دمشق فما ظنك باهل البلد الكبير الذى حوى الخلق

«باب وصف اهل الشام بالديانة وما ذكر عنهم من الثقة»

قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر باعت امرأة طستاً في سوق الصفر (٤) بدمشق فوجده المشترى ذهبا فقال لها اما انى لم اشتره الا على انه صفر وهو ذهب فهو لك فقالت ماورثناه الا على انه صفر فان كان ذهبا فهو لك قال

---

(١) جمع الجدار وهو الحائط وجمع الجدر جدران . (٢) المناسك جمع منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد ثم سميت افعال الحج كلها مناسك . (٣) يطمئن . (٤) الصفر بالضم الذي يعمل منه الاواني وابو عبيدة يقوله بالكسر ولونه كلون الذهب .

لنا ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا فاتبعته ناصية (١) من الناس كان الرجل يخرج من بين ابويه فيبايعه فقاتلوا على الدين حتى امن الله الناس وحتى لزموا كلمة الحق فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم تشايع (٢) الناس وتحزبوا فقامت تلك الناصية فقاتلوا الناس حتى ردوهم الى كلمة الاسلام وحتى قالوا لا اله الا الله وان نبيكم حق فلما اجتمعوا انطلقت تلك الناصية براية محمد صلى الله عليه وسلم ومعهم الشرائع التي جاء بها مهاجرين حتى نزلوا الشام وتركوا الناس اعواناً فمن رآهم فلم يتعلم من هديهم وينتهى اليه وعمى عنه ثم ابتغاه من الاعراب فهو اقلهم علما واشدهم غما وقال الزهرى قالت عائشة رضى الله عنها يااهل العراق اهل الشام خير منكم خرج اليهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير فحدثونا بما نعرف وخرج اليكم نفر قليل من اصحابه فحدثتمونا بما نعرف وبما لانعرف قال الزهري اذا سمعت بالحديث العراقي فأردد به ثم اردد به وقال الوليد بن مسلم دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مسلم بن مسلم قال لي ابو الدرداء اعدد من يقرأ عندنا يعني في مجلسنا هذا فعددت الفا وستمائة ونيفا (٣) فكانوا يقرأون ويتسابقون عشرة عشرة لكل عشرة منهم مقرى وكان ابو الدرداء قائما يستفتونه في حروف القرآن يعني المقرئين فاذا احكم الرجل من العشرة القرأة تحول الى الدرداء وكان ابو الدرداء يبتدي في كل غداة اذا انفتل من الصلاة فيقرأ جزء من القرآن واصحابه محدقون به (٤) يسمعون الفاظه فاذا فرغ من قراءته جلس كل رجل منهم في موضعه واخذ على العشرة الذين اضيفوا اليه وكان ابن عامر مقدما فيهم وكان ابو الدرداء يأتي المسجد ثم يصلى الغداة ويقرى (٥) حتى اذا اراد القيام قال لاصحابه هل من وليمة نشهدها او عقيقة او فطرة (٦) فان قالوا نعم قام اليها وان قالوا لا قال اللهم اني اشهدك اني صائم وان ابا الدرداء هو الذى سن هذه الحلق يقرأ بها وقال ابو عمرو الكلبي كان عند كل عمود من اعمدة جامع دمشق شيخ وعليه الناس يكتبون العلم وقال الاوزاعي كانت الخلفاء بالشام فاذا كانت الحادثة سألوا عنها

---

(١) الناصية هنا الرؤس الاشراف تشبيها بناصية الانسان التي هي من رأسه فيقال للرؤساء نواص كمايقال للاتباع اذناب على سبيل المجاز . (٢) صاروا فرقا . (٣) النيف بتشديد الياء الزيادة وكلما زاد على عقد فهو نيف مأخوذ من ناف الشيء ينوف اذا طال وأرتفع . (٤) أي يحيطون به . (٥) يقرأ القرآن . (٦) الوليمة طعام العرس والعقيقة الشاة التي تذبح عن المولود يوم اسبوعة والفطرة زكاء الفطر .

الامر في كذا وكذا وسئل عامر عن قتال اهل العراق واهل الشام فقال عامر لايزالون يظهرون علينا اهل الشام لانهم جهلوا واجتمعوا وعلمتم وتفرقتم فلم يكن الله ليظهر اهل فرقة على جماعة ابدا وقال سعيد بن عبد العزيز اذا كان علم الرجل حجازيا وخلقه عراقيا وطاعته شامية فناهيك به فانه قد كل وقال سليمان بن موسى اذا وجدت الرجل علمه علم حجازي وسخاؤه سخاء عراقي واستقامته استقامة شامي فهو رجل وقال ابو جعفر المنصور لاسماعيل ابن عبدالله صف لي الناس فقال اهل الحجاز مبتدأ الاسلام وبقية العرب واهل العراق ركن الاسلام والمقاتلون عن الدين واهل الشام حصن الامة وابنية الائمة واهل خراسان فرسان الهيجاء (١) واعنة الرجل والترك منابت الحصون وابناء المغازى واهل الهند حكماء استغنوا ببلادهم فا كتفوا بها عما سواها والروم اهل كتاب ودين نجاهم من القرب الى البعد والانباط كان ملكهم قديما فظهر لكل قوم عبيد قال فاى الولاة أفضل قال الباذل للعطاء والمعرض عن السيئة قال فايهم اخرق قال انهكهم للرعية واتعبهم لها بالخرق (٢) والعقوبة قال فالطاعة على الخوف ابلغ في حاجة الملك ام الطاعة له على المحبة قال ياامير المؤمنين الطاعة على الخوف تسر العدو وتبالغ عند المعاينة والطاعة على المحبة تضم الاجتهاد وتبالغ عند الغفلة قال فاي الناس اولاهم بالطاعة قال اولاهم بالمضرة والمنفعة قال ما علاقة ذلك قال سرعة الاجابة وبذل النفس قال فمن ينبغي للملك أن يتخذ وزيرا قال اسلمهم قلبا وابعدهم عن الهوى وذكر الامام احمد كورة (٣) من نحو الشام فقال قدرية ويتكلمون به في مساجدهم ويتعرضون للناس ولكن اهل الشام واهل حمص خاصة اصحاب سنة وهم اذا راوا الرجل يخالف السنة اخرجوه من بينهم كانت حمص مسكن ثورين يزيد فلما عرفوه بالقدر اخرجوه من بينهم فسكن بيت المقدس

« باب توثيق اهل الشام في الرواية ووصفهم بصرف الهمة » الى العلم والعناية

عن جبير بن نفير قال دخلنا على عبد الله بن عمر نسأله ونسمع منه فقال

---

(١) الحرب . (٢) الخرق بفتحتين مصدر الاخرق وهو ضد الرفيق وبابه طرب والاسم الخرق بالضم . (٣) الكورة بوزن الصورة المدينة والصقع والجمع كور .

حيدى حياد لايمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق (١) الا بالجد والصدق (٢) فايدار بعد داركم تمنعون ومع اي امام بعدى تقالون المغرور والله من غررتموه ومن فاز بالسهم الاخيب (٣) اصبحتم والله لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم فرق الله بيني وبينكم واعقبني بكم من هو خير لي منكم واعقبكم مني من هو شر لكم مني اما انكم ستلقون بعدي ثلاثاً ذلا شاملا وسيفاً قاطعاً واثرة (٤) قبيحة يتخذها فيكم الظالمون سنة (٥) فتبكي لذلك اعينكم ويدخل الفقر بيوتكم وستذكرون عند تلك المواطن فتودون انكم رأيتموني وهرقتم دمائكم دوني فلا يبعد الله الا من ظلم والله لوددت اني اقدر اصرفكم صرف الدينار بالدراهم عشرة منكم برجل من اهل الشام فقام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين انا واياك كما قال الاعشى :

علقتها عرضا وعلقت رجلا غيرى وعلق اخرى غيرها الرجل (٦)

علقنا بحبك وعلقت انت باهل الشام وعلق اهل الشام بمعاوية وقال دعفل قال المال انا اسكن العراق فقال الغدر وانا اسكن معك وقالت الطاعة انا اسكن الشام فقال الجفا انا اسكن معك وقال العيش انا اسكن مصر فقال الموت وانا اسكن معك وقالت المروءة انا اسكن الحجاز فقال الفقر وانا اسكن معك وقيل انه كان مكتوب على صخرة بباب العريش يقرأه من دخل مصر ادخل الى بلد وفي وعيش رخى وموت وحى (٧) وقال يحيى بن سعيد بن سليمان بن يسا لو نزل اخوان من حصن فسكن احدهما الشام وسكن الآخر العراق ثم لقيت الشامي لوجدته يذكر الطاعة وامر الطاعة والجهاد ولو لقيت الآخر لوجدته يسأل عن السنة يقول كيف سنة كذا وكذا وكيف

---

(١) عبارته في نهج البلاغة فاذا جاء القتال قلتم حيدي حياد هـ وهي كلمة يقولها الهارب كانه يسأل الحرب ان تتنحى عنه من الحيدان وهو الميل والانحراف عن الشيء وحياد مبني على الكسر والمعنى انهم يقولون في المجلس سنفعل بالاعداء مانفعل فاذا جاء القتال فروا وتقاعدوا . (٢) اي ان الذليل الضعيف البأس الذي لامنعة له لايقدر على منع الضيم ولكنما القوى العزيز هو الذي يمنع الضيم . (٣) فاز ظفر والمعنى من ظفر بكم وكنتم نصيبه فقد ظفر بالسهم الاخيب وهو من سهام الميسر الذي لاحظ له اي من فاز بكم خسر وخرجت قرعته فارغة . (٤) يقال استأثر بالشيء استبد به والاسم الاثرة والمعنى ستلقون استبدادا قبيحا . (٥) طريقة متبعة . ورضى الله عن ذلك الامام فان كل امة تتخاذل وتتفرق ولم تدفع الضيم عن انفسها فانها تبتلي بهذه الاشياء الثلاثة ويكون مالها الى ماقاله من قوله فتبكي أعينكم الخ . (٦) المعنى هويتها عن غير قصد مني وهويت رجلا غيري عرضا ايضا وهوي ذلك الرجل امرأة غيرها فكل واحد منا متعلق بشخص وهو متعلق بغيره فلا يهدأ لكل منهم بال . (٧) الوفى صاحب الوفاء والرخى الناعم المحبوب والوحي السريع .

استنكرت من يليني ولم أسأل احداً من اهل الافاق عمن يليه الا وجدته استنكر من يليه فما اعرف شيئا فكيف بكم كررها مرتين فقال ما يعصينا اهل بلادنا ولا يستبدون علينا قال فالزمها فو الله لينقلن الامر اليكم فقد استنكرت الاشياء فما اعرف الا الصلاة ياابا الدرداء وانها من آخر ماينكر من هذا الامر وعن عبد الملك بن عمير قال كانت عامة خطب يزيد وهو على الشام عليكم بالطاعة والجماعة فمن ثم لا يعرف اهل الشام الا الطاعة وقال زهير بن الاقمر خطبنا على ابى طالب فقال الا ان بشيرا قد طلع عليه من قبل معاوية ولاارى هؤلاء القوم الا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبطاعتهم اميرهم ومعصيتكم اميركم وبادائكم الامانة وبخيانتكم استعملت فلانا فغل (١) وغدر وحمل المال الى معاوية واستعملت فلانا فخان وغدر وحمل المال الى معاوية حتى لو ائتمنت احدهم على قدح من الخشب لغل علاقته اللهم اني ابغضتهم وابغضوني فارحمهم مني وارحمني منهم وقال ايضا يا اهل العراق وددت اني ابيع عشرة منكم برجل من اهل الشام تصرف الدراهم العشرة بدينار فقيل له نحن وانت كما قال الاعشى

علقتها عرضا وعلقت رجلا غيري وعلق اخرى غيرها الرجل

علقناك وعلقت اهل الشام وعلق اهل الشام معاوية وقال خباب بن عبد الله بعث معاوية خيلا فاغارت على هيت والانبار فاستنفر على الناس فابطؤا وتثاقلوا (٢) فخطبهم فقال ايها الناس المجتمعة ابدانهم المتفرقة اهوائهم (٣) ماعزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم (٤) كلامكم يوهي الصم الصلاب(٥) وفعلكم يطمع فيكم عدوكم فاذا دعوتكم الى المسير ابطأتم وتثاقلتم وقلتم كيت وكيت اعاليل اباطيل(٦) سألتموني التأخير دفاع ذي الدين المطول(٧)

---

(١) الغلول الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة وكل خائن في شيء خفية يقال له غال وسميت الخيانة غلولاً لان الايدي تكون فيها مغلولة اي ممنوعة مجعول فيها غل وهو الحديدة التي تجمع يد الاسير الى عنقه ويقال لها جامعة ايضا . (٢) تأخروا ولم يخفوا الى ما أمرهم به . (٣) اهوائهم آرائهم وما تميل اليه قلوبهم . (٤) اي من دعاهم وحلهم بالترغيب على نصرته لم تصر دعوته عزيزة لتخاذلهم فان قاساهم وقهرهم انتقضوا عليه فاتبعوه . (٥) الصم من الحجارة الصلت المصمت والصلاب جمع صليب وهو الشديد ويوهي يضعف ويفتت اي ان كلامكم يضعف ويفتت الحجارة الشديدة الصلابة المصمتة . (٦) اي انكم تتعللون بالاباطيل التي لاجدوى لها . (٧) اي كما يدافع صاحب الدين الذي يحب المماطله غريمه فيوعده من يوم الى يوم آخر .

باب ما روي عن الافاضل والاعلام من انحياز بقية المؤمنين في آخر الزمان الى الشام

قال القاسم مد الفرات على عهد عبد الله فكره الناس ذلك فقال عبد الله يا ايها الناس لا تكرهوا مده يوشك أن يلتمس فيه ملء طست من ماء فلا يوجد ذلك وذلك حين يرجع كل ماء الى عنصره فيكون بقية الماء والمؤمنون بالشام رواه ابو داود وعبد الله هو ابن مسعود واضطربت الرواية فيه فمرة قال القاسم شكونا الى ابن مسعود قلة الماء بالفرات وفي رواية المسعودي شكونا اليه كثرة الماء وعلى الاتفاق في الروايتين ان الفرات يقل ماؤه قلة ضارة بالناس وقال عبد الله بن عمرو ليأتين على الناس زمان لا يبقى على وجه الارض مؤمن الا لحق بالشام وجاء من طريق مرفوعاً والمحفوظ انه موقوف على ابن عمر وقال ابو امامة لا تقوم الساعة حتى تتحول أشرار الناس الى العراق وخيار أهل العراق الى الشام حتى تكون الشام شاماً والعراق عراقاً زاد في رواية وأكره ان يدركني أجلي وأنا بالعراق .

باب ما ذكر من تمسك أهل الشام بالطاعة واعتصامهم بلزوم السنة والجماعة

تقدم حديث ابن عمر ان ابليس دخل العراق فقضى حاجته منها ثم دخل الشام فطردوه حتى بلغ يساف ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقريه وتقدم انه موضوع قال ابن وهب أرى ذلك في فتنة عثمان لان الناس افتتنوا فيه وسلم اهل الشام كذا قال وقال يزيد ابن اسد لما قدم كتاب عثمان الى اهل الشام في القراءة (١) قالوا سمعنا واطعنا وما اختلف في ذلك اثنان انتهوا الى ما اجتمعت عليه الامة وعرفوا فضله وقال لمعاوية لابن الكوا اخبرني عن اهل الاحداث(٢) من اهل الشام فقال هم اطوع الناس لمرشدهم وأعصاهم لمغويهم (٣) ولما قدم ابو الدرداء حاجاً على عثمان قال له يا أبا الدرداء اني قد

---

(١) على مقتضى المصحف الذي كتبه وارسله اليهم (٢) الحدث الامر المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة والمراد من أهل الاحداث هنا اهل الفتن (٣) الغي ضد الرشد .

وتواضع في غير مذلة وأعلم انهم لا يلعنون شيئاً ولا يؤذون أحداً ولا يتطاولون على أحد تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون أحداً فوقهم ليسوا بمتخشعين ولا متماوتين (١) ولا معجبين لايجبون لدنيا ولا يحبون الدنيا ليسوا اليوم في وحشة وغداً في غفلة .

باب نفي الخير عن أهل الاسلام عند وجود فساد أهل الشام

عن معاوية بن قرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ورواه الامام احمد وزاد ولن تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة ورواه ابو داود وفي لفظ اذا اهلك اهل الشام فلا خير في أمتي ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتلوا الدجال وقال الحسن البصري خيار أهل الشام خير من خياركم وشرار أهل الشام خير من شراركم قالوا لم تقول هذا يا أبا سعيد قال لان الله قال ونجيناه ولوطاً الى الارض التي باركنا فيها للعالمين .

باب ما جاء ان بالشام يكون بقايا العرب عند حلول البلايا والامر

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب الا بقايا ههنا يعني الشام وقد سقط من اسناده سعيد ابن بشير ويروى هلكة بدل هلاكاً وروي عن ابي هريرة من وجه آخر قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل معاذ بن جبل أو سعد بن معاذ فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين رآه اني لارى في وجهه لاحسن طالع قال فجاء حتى سلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابشر يا رسول الله قد قتل الله كسرى فقال صلى الله عليه وسلم لعن الله كسرى ثلاثاً ثم قال ان أول الناس فناء او هلاكاً فارس والعرب من ورائها ثم أشار بيده قبل الشام وقال الا بقية ههنا .

---

(١) يقال تماوت الرجل اذا اظهر من نفسه التخافت والتضاعف من العبادة والزهد والصوم ومنه ان عمر رأى رجلا مطأطأ رأسه فقال ارفع رأسك فان الاسلام ليس بمريض ورأى رجلا متماوتاً فقال لا تمت علينا ديننا اماتك الله اهـ نهاية .

من امر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته وروي عن ابن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار أمتي خمسمائة والابدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون ينقصون كلما مات بدل أبدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخل في الاربعين مكانهم فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون ينقصون قالوا يا رسول الله دلنا على أعمال هؤلاء قال هؤلاء يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من أساء اليهم وفي رواية كلما مات بدل ادخل الله مكانه من الخمسمائة وأدخل في الاربعين مكانهم وزاد في آخره ويواسون فيما آتاهم الله وتصديق ذلك في كتاب الله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ورواه أبو نعيم الحافظ(١) وعن عبد الله بن عمر(٢) ايضاً مرفوعاً ان الله في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم وأربعون قلوبهم على قلب موسى وسبعة قلوبهم على قلب ابراهيم وخمسة قلوبهم على قلب جبريل وثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وواحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله مكانه واحد من الثلاثة واذا مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه واحدمن الخمسة واذا مات واحد من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة ومن مات من السبعة أبدل مكانه من الاربعين ومن مات من الاربعين أبدل مكانه من الثلاثمئة ومن مات من الثلاثمئة أبدل مكانه من العامة فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء فقيل لعبد الله بن مسعود كيف بهم يحيي ويميت قال لانهم يسألون الله عز وجل اكثار الامم فيكثرون ويدعوا على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبت لهم الارض ويدعون فيدفع بهم البلاء وقال أبو الزناد لما ذهبت النبوة وكان أهلها اوتاد الارض أخلف الله مكانهم أربعون رجلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقال لهم الابدال لا يموت الرجل منهم حتى ينشىء مكانه آخر يخلفه وهم أوتاد الارض قلوب ثلاثين منهم على مثل يقين ابراهيم لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام ولابحسن التخشع ولابحسن الحلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب والنصيحة لجميع المسلمين ابتغاء مرضاة الله بصبر رصين(٣) أولب(٤)حليم

---

(١) وعلامات الضعف لائحة عليه (٢) رواه ابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود ولا يخفى ضعفه (٣) محكم ثابت (٤) عقل .

وقال أبو الطفيل خطبنا علي رضي الله عنه فذكر الخوارج فقام رجل فلعن أهل الشام فقال له ويحك لاتعم ان كنت لاعناً ففلاناً وأشياعه فان منهم الابدال ومنهم النجباء وقال ايضاً الابدال من الشام والنجباء من أهل مصر والاخيار من أهل العراق وقال اذا قام قائم اهل محمد جمع الله له أهل المشرق وأهل المغرب فيجتمعون كما يجتمع قزع الخريف (١) فاما الرفقاء فمن أهل الكوفة وأما الابدال فمن أهل الشام وقال أيضاً وهو بالكوفة ما أشد بلايا الكوفة لاتسبوا أهل الكوفة فوالله ان فيهم لمصابيح الهدى وأوتاد ذكر الله ومتاعاً الى حين والله ليدقن الله بهم جناح كفر لا ينجبر ابداً ان مكة حرم ابراهيم والمدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم والكوفة حرمي وما من مؤمن الا هو من أهل الكوفة او هواه لينزع اليها الا ان الاوتاد من اهل الكوفة وفي مصر من الامصار وفي أهل الشام ابدال وقال الحسن البصري لا تخلوا الارض من الابدال لايهلك منهم رجل الا أخلف مكانه مثلة هم أربعون بالشام وثلاثون في سائر الارضين وقال قتادة لن تخلو الارض من الاربعين بهم يغاث الناس وبهم ينصرون وبهم يرزقون كلما مات منهم واحد أبدل مكانه غيره واني لارجو ان يكون الحسن منهم وقال خالد بن معدان قالت الارض للرب تبارك وتعالى كيف تدعني وليس علي نبي فقال لها سوف أدع عليك أربعين صديقاً بالشام وقال ابو الزاهرية الابدال رجلا بالشام بهم تجازون وبهم ترزقون اذا مات منهم رجل أبدل الله مكانه وقال الفضيل بن فضالة ان الابدال بالشام في حمص خمسة وعشرون رجلا وفي دمشق ثلاثة عشر وببيسان اثنان وقال الحسن الخشني بدمشق من الابدال سبعة عشر نفساً وببيسان أربعة وقال بن شوذب الابدال سبعون فستون بالشام وعشرة في سائر الارضين وقال عطاء الابدال اربعون انساناً فقيل له أربعون رجلا فقال لا تقل هم أربعون رجلا ولكن قل هم أربعون انساناً لعل ان يكون فيهم امرأة وقال ابو سليمان المجتهدون بالبصرة والفقهاء بالعراق والزهاد بخراسان والبدلاء بالشام وقال الكناني النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والبدلاء أربعون والاخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد فمسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سياحون في الارض والعمد في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا عرضت الحاجة

---

(١) قطع السحاب المتفرق وانما خص الخريف لانه أول الشتاء والسحاب يكون فيه متفرقاً غير متراكم ولا منطبق ثم يجتمع بعضه الى بعض بعد ذلك .

ثلاثون مثل ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا رواه عبد الله في زوائد مسند والده وفيه الحسن بن ذكوان وهو منكر الحديث وعن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هارباً الى مكة فيأتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال اهل الشام وعصائب اهل العراق فيبايعونه ثم ينشو رجل من قريش اخواله كلب فيبعث اليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ويلقي الاسلام بجرانه (١) الى الارض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون قال ابو داود وقال بعضهم عن هشام تسع سنين رواه البيهقي واحمد وابو يعلي الموصلي وفي رواية فيخرج رجل من بني هاشم من المدينة حتى يأتي مكة وعن ابن عباس مرفوعاً (٢) مكة آية الشرف والمدينة معدن الدين والكوفة فسطاط الاسلام والبصرة فخر العابدين والشام معدن الابرار ومصر عش ابليس وكهفه ومستقره والسند مداد ابليس والزنا في الزنج والصدق في النوبة والبحرين منزل مبارك والجزيرة معدن القتل واهل اليمن افئدتهم رقيقة ولا يعد منهم الرزق والائمة من قريش وسادة الناس بنو هاشم . وقال سهل لما رجع عمر من تشييع اهل القادسية الى صرار كان قد كتب الى ابي عبيدة اذا فرغت من دمشق ان شاء الله فاصرف اهل العراق الى العراق فانه قد ألقي في روعي انكم ستفتحونها ثم تدركون اخوانكم فتنصرونهم على عدوهم وأقام عمر بالمدنة لمرور الناس به وذلك أنهم ضربوا اليه من بلدانهم فجعل اذا سرح قوماً الى العراق قال ليتني أدري خبراً عن الابدال هل مرت بهم الركاب ام لا واذا سرح قوماً الى الشام قال ليت شعري كم في هذا الجيش من الابدال وقال علي رضي الله عنه قبة الاسلام الكوفةوالهجرة المدينة والنجباء بمصر والابدال بالشاموهم قليل قال كعب الابدال ثلاثون وقال ايضاً الابدال بالشام والنجباء بالكوفة

---

(١) الجران العنق والمعنى انه يقر قراره ويستقيم كما ان البعير اذا برك واستراح مد عنقه على الارض (٢) تفرد به ابن عساكر وهو ضعيف لما قال السيوطي في اول الجامع الكبير ما ارويه عن ابن عساكر والديلمي في مسند الفردوس يعني على الانفراد فهو ضعيف انتهى فلتعلم هذه القاعدة .

وهو بالعراق فقالوا العنهم يا امير المؤمنين فقال لا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الابدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا فيسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الاعداء ويصرف عن اهل الشام بهم العذاب رواه الامام احمد (١) وجاء من لفظ آخر بزيادة وبهم يصرف عن اهل الارض البلاء والغرق ولكن اسناده منقطع وقال شهر بن حوشب (٢) لما فتح معاوية بن ابي سفيان مصر وفي لفظ لما فتحت مصر جعل اهلها يسبون اهل الشام فاخرج عوف بن مالك رأسه من برنسه ثم قال يا أهل مصر انا عوف بن مالك لا تسبوا اهل الشام فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم الابدال وبهم تنصرون وبهم ترزقون وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (٣) بدلاء امتي أربعون رجلا اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم واحداً بدل الله مكانه فاذا جاء الامر قبضوا وفي لفظ قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة وروي عن انس بلفظ آخر مرفوعاً ولفظه دعائم (٤) امتي عصائب اليمن واربعون رجلا من الابدال بالشام كلما مات رجل ابدل الله آخر مكانه أما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولا صيام بل بغناء الانفس وسلامة الصدور والنصيحة للمسلمين وعن عبادة بن الصامت مرفوعاً (٥) الابدال في هذه الامة

---

(١) ورجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد وهو ثقة (٢) رواه الطبراني وفي اسناده عمرو بن واقد وقد ضعفه جمهور الائمة ووثقه محمد بن المبارك الصوري وشهر اختلف فيه وبقية رجاله ثقات (٣) رواه الحكيم الترمذي والخلال في كرامات الاولياء وابن عدي (٤) الدعامة عماد البيت الذي يقوم عليه وبه سمي السيد دعامة (٥) قال الهيثمي في منبع الفوائد رواه احمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد بن قيس وقد وثقه العجلي وابو زرعة وضعفه غيرهما .

من امتي قائمة على الحق وهي مشهورة وما اخرجه احمد وابن ماجة عن ابي عنبة الخولاني انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته حكى ابن مفلح في الآداب الشرعية عن الامام احمد انه قال هم اصحاب الحديث وقال ونص احمد على ان لله تعالى ابدالا في الارض وقال ايضاً ان لم يكن اصحاب الحديث هؤلاء الناس فلا أدري من الناس قال السندي في شرح سنن بن ماجة معنى الحديث ان الله يوجد في اهل هذا الدين ولداً يستعمل اهل الدين في طاعته ولعل هذا هو المجدد للدين على رأس كل مائة سنة ويحتمل انه اعم فيشمل كل من يدعو الناس الى اقامة دين الله وطاعته وسنة نبيه انتهى ويمكن ان يكون الغوث هو المجدد وملخص القول ان هؤلاء الناس هم انصار الشرع المتصفون بالصفات المذكورة آخر الباب العارفون بربهم تعالى السائرون بسيرة خير الانام وليسوا هم البله الذين يمشون وهم مكشوفوا العورة الخاليون من الآداب العقلية والشرعية كما يتوهمه كثير من العوام فليكن المطلع على ما هنا محتاطاً في دينه لئلا يفهم الاشياء على غير حقيقتها .

المنصور يوماً ما على ظهرها احد اعلم منك قلت بلى قال فسمهم لي فقلت لا احفظ اسمائهم فقال قد طلبت هذا الشأن في زمن بني امية وقد عرفته اما اهل العراق فأهل افك وباطل وزور واما اهل الشام فأهل جهاد وليس فيهم كبير علم واما اهل الحجاز ففيهم بقية العلم وانت عالم الحجاز وعن خريم بن فاتك الاسدي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الشام سوط الله في ارضه ينتقم بهم ممن يشاء من عباده وحرام على منافقيهم ان يظهروا على مؤمنيهم ولا يموتوا الا هماً وغماً رواه البغوي . وعن عطاء السائب قال سمعت عبد الرحمن الحضرمي أيام ابن الاشعث يخطب وهو يقول يا أهل الشام أبشروا فان فلاناً اخبرني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون قوم من آخر امتي يعطون من الاجر مثل ما يعطى أولهم ويقاتلون اهل الفتن وينكرون المنكر وانتم هم وقال قتادة في قوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون قال هم اهل الشام وقال مرة ولا اعلم اولئك الا اهل الشام وقال كعب اهل الشام سيف من سيوف الله ينتقم الله بهم ممن عصاه في ارضه وقال قرأت فيما انزل الله على الانبياء ان الله تعالى يقول الشام كنانتي فاذا غضبت على قوم رميتهم منها بسهم وقال ابو بكر النهشلي كنت في جمع الكوفة يوم جاء اهل الشام يقاتلون اهل الكوفة فاذا شيخ حسن الخضاب حسن الهيئة على دآبة له وهو يقول اللهم لا تنصرنا عليهم اللهم فرق بيننا وبينهم اللهم فرق بيننا وبينهم قال فقلت يا عبد الله ألا تتقي الله ألا تخرج فترى قوماً قد جاؤا يريدون ان يقاتلوا مقاتلتنا ويسبوا ذرارينا وانت تقول اللهم لا تنصرنا عليهم فقال ويحك سمعت عبد الله بن مسعود يقول لا يغلب اهل الشام الا شرار الخلق وكان سعيد بن خالد بن معدان يقول الحمد لله الذي اطعمنا الطعام وجعلنا من اهل الشام وكان مكحول يقول الحمد لله الذي اطعمنا الطعام وسقانا الشراب وجعلنا من اهل الشام .

باب ما جاء ان بالشام يكون الابدال (١) الذين بهم تصرف عن هذه الامة الاهوال

قال شريح بن عبيد ذكر اهل الشام عند علي بن ابي طالب رضي الله عنه

---

(١) قال بن الاثير في النهاية الابدال هم الاولياء والعباد سموا بذلك لانهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر اه ولهم اوصاف ونعوت ستذكر آخر هذا الباب ويؤيد وجودهم ما روي من الاحاديث هنا على اختلاف درجاتها في القوة والضعف واحاديث لا تزال طائفة

ثمرة ارضنا وبارك لنا في صاعنا ومدنا رواه البيهقي وفي لفظ نظر قبل العراق والشام واليمن فقال اللهم اقبل بقلوبهم الى طاعتك وحط من ورائهم وفي رواية لابي نعيم والبيهقي والطبراني عن انس قال نظر رسول الله قبل اليمن فقال اللهم اقبل بقلوبهم ونظر قبل العراق فقال اللهم اقبل بقلوبهم ونظر قبل الشام فقال اللهم اقبل بقلوبهم وبارك لنا في صاعنا ومدنا . هذا حديث غريب ولم أجده في مسند احمد . وفي بعض رواياته مثل المؤمن كمثل السنبلة تخر (١) مرة ومثل الكافر كمثل الارزة (٢) لا تزال تستقيم حتى تخر ولا تشعر .

باب ما روي في ان اهل الشام مرابطون وانهم جند الله الغالبون

عن ابي الدرداء مرفوعاً اهل الشام وازواجهم وذراريهم وعبيدهم وامائهم الى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله فمن احتل منها مدينة من المدائن فهو في رباط ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد وفي لفظ نزل بدل احتل ورواه الطبراني وفي رواية سيفتح على امتي من بعدي الشام وشيكاً (٣) فاذا فتحتها واحتلتها فأهل الشام مرابطون الى منتهى الجزيرة رجالهم ونسائهم وصبيانهم وعبيدهم فمن احتل ساحلا من تلك السواحل فهو في جهاد ومن احتل بيت المقدس وما حوله فهو في رباط وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجلسائه يوماً أي الناس اعظم اجراً فجعلوا يذكرون له الصوم والصلاة ويقولون فلان وفلان بعد امير المؤمنين فقال ألا اخبركم بأعظم الناس اجراً ممن ذكرتم ومن امير المؤمنين قالوا بلى قال رويجل بالشام اخذ بلجام فرسه يكلأ (٤) من وراء بيضة المسلمين لا يدري أسبع يفترسه ام هامة (٥) تلدغه او عدو يغشاه فذلك اعظم اجراً ممن ذكرتم ومن امير المؤمنين وقال ابراهيم اليماني قدمت من اليمن فأتيت سفيان الثوري فقلت يا أبا عبد الله اني جعلت في نفسي ان انزل جدة فارابط بها كل سنة واعتمر في كل شهر عمرة واحج في كل سنة حجة وأقرب من اهلي احب اليك ام آتي الشام فقال لي يا أخا اليمن عليك بسواحل الشام قالها مرتين فان هذا البيت يحجه كل عام مائة الف ومائتا الف او ثلاثمائة الف وما شاء الله من التضعيف له مثل حجهم وعمرهم (٦) ومناسكهم وقال انس قال لي ابو جعفر

---

(١) تسقط (٢) بسكون الراء وفتحها قال في النهاية شجرة الارزن وهو خشب معاروف وقيل هي الصنوبر اه قلت وهو في لبنان معروف (٣) قريباً وضمير فتحتها واحتلتها للامة وهذا من المعجزات حيث اخبر انها تفتح من بعده (٤) يكلأ يحفظ وبيضة المسلمين مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم (٥) الهامة تقال للدابة والمراد هنا ما كان من ذوات السموم واللدغ بالدال المهملة (٦) عمرهم بضم العين وفتح الميم جمع عمرة .

ساروا الى الشام ينزلون أرباعاً قال الشيخ وكما كانت بنوا اسرائيل مع موسى عليه السلام ثم بعده ينزل في عساكرها أسباط وكان بين كل جندين فرجة وطريق للعامة ومجال للخيل ومركز لها ان كانت فزعة من ليل او نهار قلت فأين كان ينزل قال الصائفة ومنهم من كان ينزل بخاصته ورهطه في القلب من اهل دمشق ثم ينزل اجناد الشام يمنة ويسرة قال وحدثني شيخ من قدماء المشيخة ممن كان يلزم الجهاد انهم كانوا اذا كان اللقاء تقدم ربع قريش من اهل دمشق حتى يكونوا عند راية الامير والجماعة ثم ربع كندة من جند دمشق عن يمنتهم أي عن يمين المشيخة لان دمشق كانت عند سير اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشام والشام يومئذ وجهتهم فاليها ساروا وبها بدأوا فلما افتتحوها كان غيرها من مدائن الشام لها تبعاً قال فاتخذها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم داراً وفسطاطاً ومجتمعاً وفيها منزل واليهم الاعظم وبيت مالهم . وقال سليمان بن ابي شيخ سألت أبا سفيان الحميري كم كان جند بني امية فقال ثلاثمائة ألف وخمسون الفاً من اهل الشام ومائة وخمسون الفاً من اهل العراق .

باب ما جاء عن كعب الاحبار أن أهل دمشق يعرفون في الجنة بالثياب الخضر

قال عروة بن رويم ان رجلا لقي كعب الاحبار فسلم عليه ودعا له فسأله كعب ممن هو فقال من اهل الشام قال لعلك من الجند الذين يدخل الجنة منهم سبعون الفاً بغير حساب ولا عذاب قال ومن هم قال اهل دمشق فقال لست منهم قال فلعلك من الجند الذين ينظر الله اليهم في كل يوم مرتين قال ومن هم قال اهل فلسطين قال انا منهم وفي لفظ قال لعلك من الجند الذين يشفع شهيدهم بسبعين قال ومن هم قال اهل حمص قال لا قال فلعلك من الذين يعرفون في الجنة بثياب خضر قال من هم قال اهل دمشق ثم ساق ما تقدم .

باب دعاء النبي عليه السلام لاهل الشام بأن يهديهم الله فيقبلوا بقلوبهم الى الاسلام

عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر نحو الشام فقال اللهم بارك لنا في

ظاهرون على النـــاس فقام مالك بن يخامر فقال سمعت معاذ بن جبل يقول وهم بالشام فقال معاوية هذا مالك بن يخامر زعم انه سمع معاذاً يقول وهم أهل الشام ورواه البغوي والبيهقي والخطيب البغدادي بهذا اللفظ وروي بلفظ أنها لن تبرح عصابة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين على الناس حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ثم نزع (١) بهذه الآية يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وروي عن معاوية من وجه آخر ولفظه سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها النـــاس انما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٢) وانما يخشى الله من عباده العلماء ولن تزال امة من امتي على الحق ظاهرين على الناس لا يبالون بمن خالفهم ولا بمن ناوأهم حتى يأتي أمر الله وهم ظـــاهرون روي عن مكحول عن معاوية ومكحول لم يدرك معاوية وعن ابي هريرة مرفوعـــاً اذا وقعت الملاحم يخرج بعث من دمشق من الموالي وهم أكثر وفي لفظ هم اكرم العرب فرساً وأجودهم سلاحاً يؤيد الله بهم الدين وروي اذا وقعت الملاحم (٣) خرج بعث (٤) من دمشق هم خيار عباد الله الاولين والآخرين وقال محيريز خير فوارس تظل الســـماء ، فوارس من قيس يخرجون من غوطة دمشق يقاتلون الدجال وقال الوليد بن مسلم حدثني شيخ من قدماء الجند ممن كان يلزم الجهاد في الزمن الاول ان اهل الشـــام كانوا اذا غزوا الصـــوايف (٥) كانوا ينزلون اجنـــاداً كمـــا كان ينزل اصحاب رســـول الله صلى الله عليه وسلم في مســـيرهم اذا

---

(١) جذب ومعناه انه قرأها بتكلف وفي الحديث ما لي انازع القرآن اي اجاذب في قراءته كأنهم جهروا بالقراءة خلفه فشغلوه (٢) قال في النهاية الفقه في الاصـــل الفهم واشتقاقه من الشق والفتح يقال فقه الرجل بالكسر يفقه فقهاً اذا فهم وعلم وفقه بالضم يفقه اذا صار عالماً وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة وتخصيصاً بعلم الفروع انتهى ولا يناسب هنا الا المعنى اللغوي ليتناول فهم كل علم من علوم الدين قال الحسن البصري الفقيه هو الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بأمر دينه المداوم على عبادة ربه وقال ابن الانباري قولهم رجل فقيه معناه عالم اهـ فيشمل الفقه علم التوحيد والتفسير والحديث والفروع وكل علم مطلقاً ولما كان معناه عاماً شاملا لكل علم خصصه بالعلوم الشرعية بقوله في الدين فتخصيص الفقه بعلم الفروع اصطلاح للمتأخرين فلا يجوز قصر الحديث عليه . ويخشى يخاف والامة الجماعة والمناوأة المعادات (٣) جمع ملحمة وهي الحرب وموضع القتال مأخوذة من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدا وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها (٤) جماعة مبعوثون فهو مصدر بمعنى اسم المفعول (٥) جمع صائفة وهي غزوة الروم لانهم يغزون صيفاً لمكان البرد .

يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها وعلى أبواب بيت المقدس وما حولها لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق الى يوم القيامة رواه عبد الجبار الداراني في تاريخ داريًا وفي لفظ آخر لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حولها وعلى أبواب أنطاكية وما حولها وعلى باب دمشق وما حولها وعلى أبواب الطالقان وما حولها ظاهرين على الحق لا يبالون بمن خذلهم ولا من نصرهم حتى يخرج الله كنزه من الطالقان فيحيي به دينه كما أميت من قبل واسناد هذا الحديث غريب وألفاظه غريبة جداً وروي من وجه آخر عن ابي هريرة وليس فيه هذه الزيادة بل هو مثل ما تقدم وروي من وجه آخر في أهل الشام على العموم من غير تخصيص دمشق ولفظه لا يزال لهذا الامر أو على هذا الامر عصابة على الحق لا يضرهم خلاف من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وفي لفظ آخر لا تزال من امتي عصابة قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها تقاتل أعداء الله كلها كلما ذهب حرب نشبت (١) حرب قوم آخرين يزيغ الله قلوب قوم لرزقهم منه حتى تأتيهم الساعة كأنها قطع الليل المظلم فيفزعون لذلك حتى يلبسوا له ابدان الدروع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أهل الشام ونكت باصبعه يومي بها الى الشام حتى أوجعها رواه البخاري في تاريخه وفي لفظ آخر هذه الامة منصورة بعدي منصورون أينما توجهوا لا يضرهم من خالفهم من الناس حتى يأتيها امر الله أكثرهم أهل الشام وفي لفظ آخر لن تبرح هذه الامة منصورة تقذف كل مقذف (٢) منصورين اينما توجهوا لا يضرهم من خذلهم من الناس هم أهل الشام وفي لفظ لا تزال عصابة من امتي على الحق ظاهرين على الناس لا يبالون بمن خالفهم حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام قال ابو عمرو فحدثت قتادة بهذا الحديث فقال لا أعلم اولئك الا أهل الشام وروي عن أنس مرفوعاً ولفظه لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة واومأ بيده الى الشام(٣) وعن عمير بن هانىء قال خطبنا معاوية بن ابي سفيان فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(٤) لا تزال طائفة من امتي امة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم

---

(١) يقال نشبت الحرب بينهم وقد ناشبه نابذه اه صحاح (٢) تسير حيث شاءت
(٣) رواه بن قانع والضيا عن جابر قال البخاري في التاريخ هذا الحديث خطأ انما هو عن قتادة عن مطرف عن عمران (٤) رواه الامام احمد والبخاري ومسلم واللفظ لاحمد .

لي رحماً (١) وقرابة وان منزلي قد نبا (٢) بالعراق والحجاز قال له ما أرضى به لنفسي وولدي عليك بدمشق مرتين ثم عليك بمدينة الاسباط بانياس فانها مباركة السهل والجبل يعيش أهلها بغير الحجرين الذهب والفضة أجلى (٣) الله عنها أهلها حين بدلوا تطهيراً لها وان البركة عشر بركات خص الله بانياس من ذلك ببركتين لا يعيل (٤) ساكنها يعيش من برها وبحرها واذا وقعت الفتن كانت بها أخف منها في غيرها فاتخذها وارتدها (٥) فوالله لفدان (٦) بها أحب الي من عشرين بالوهط والوهط بالطائف . وقال معاوية لكعب الاحبار أحمص أعجب اليك أم دمشق فقال لمربض (٧) ثور في دمشق خير من دار عظيمة بحمص كذا قال وقال عبد الله بن الهدير منزل في دمشق خير من عشر منازل في غيرها من أرض حمص ومنزل داخل دمشق خير من عشر منازل بالفراديس (٨) واياك وارباضها(٩) فان في سكناها الهلاك وعن يونس بن ميسرة أن رجلا سكن طبرية بعياله شهراً فكفاهم بها عشرة أمداد من قمح ثم تحول الى دمشق فكفاهم خمسة أمداد قمح وقيل لأبي سلام الاسود ما نقلك من حمص الى دمشق قال ما سألني عنها عربي قبلك بلغني أن البركة فيها مضاعفة وقال عبيد بن يعلى بركات الشام كلها مسوقات الى دمشق وقال جابر بن ازد سيأتي على الناس زمان لمربض ثور في دمشق خير من دار عظيمة بحمص وأنها لمعقل المسلمين وقال محمد بن عبدوس لما كان المال يحمل الى بغداد لبيت المال من جميع النواحي كان الذي يحمل من دمشق أربعمائة ألف وعشرين ألفاً من الدنانير وقال المدايني كان يفضل في زمان معاوية أربعمائة ألف دينار من مال دمشق خاصة بعد صرف ما لا بد من صرفه في ديوان الجند والولاة وأرزاق الفقهاء والمؤذنين والقضاة وهذا يدل على كثرة دخلها وعظم البركة في مغلها .

« باب ما جاء عن سيد المرسلين في أن أهل دمشق »
لا يزالون على الحق ظاهرين

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال عصابة

---

(١) الرحم الاقارب ويطلق على كل من يجمع بينك وبيه نسب فعطف قرابة عليه عطف تفسير (٢) تجافى وتباعد (٣) الجلاء الخروج من البلد والاخراج (٤) لا يفتقرو في الحديث ما عال مقتصد ولن يعيل اي ما افتقر ولن يفتقر (٥) اطلبها (٦) كلمة اصطلاحية تطلق على قطعة معلومة من الارض تختلف باختلاف اصطلاح البلدان (٧) بكسر الباء الموضع الذي ينام فيه والمراد مقداره (٨) موضع بالشام (٩) ما حولها من القرى .

قطرس ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور ومن رواية أبي داود لتمخرن (١) الروم الشام أربعين صباحاً لا يمتنع منها الا دمشق وعمان ومن طريقه أيضاً عن عبد الرحمن بن سلمان أنه قال سيأتي ملك من ملوك العجم يظهر على المداين كلها الا دمشق (٢) .

((باب ما نقل عن أهل المعرفة أن البركة فيها مضاعفة))

قال سفيان بن سعيد القاري توفي أخي وأوصى بمائة دينار في سبيل الله فوافق ذلك صلح بن فرعون صاحب الروم ولم يكن عامئذ غازياً فقدمت المدينة في حج أو عمرة فدخلت على عثمان بن عفان وعنده رجل قاعد وعلي قباء من بزن والصواب بزبون وكان أصابه من الغنيمة بأرض الروم وكان جيبه وبروجه مكفوفاً بحرير فلما رآه ذلك الرجل أقبل علي يجاذبني قبائي ليخرقه فلما رأى ذلك عثمان قال دعه فتركني ثم قال لقد عجلتم فسألت عثمان فقلت يا أمير المؤمنين مات أخي وأوصى بمائة دينار في سبيل الله فوافق ذلك صلح بن فرعون فلم يجينا غاز فما تأمرني قال فهل سألت أحدا قبلي فقلت لا قال لئن استفتيت أحدا قبلي فأفتاك غير الذي أفتيتك به ضربت عنقه ان الله عز وجل أمرنا بالاسلام فاسلمنا فنحن المسلمون وأمرنا بالهجرة فهاجرنا فنحن المهاجرون أهل المدينة ثم أمرنا بالجهاد فجاهدتم فأنتم المجاهدون أهل الشام أنفقها على نفسك أو على أهلك وعلى ذي الحاجة ممن حولك فانك لو خرجت بدرهم ثم اشتريت به لحماً فأكلت أنت وأهلك كتب لك بسبعمائة درهم فخرجت من عنده فسألت عن الرجل الذي جاذبني فقيل هو علي بن أبي طالب فأتيته في منزله فقلت ما رأيت مني فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اوشك أن تستحل أمتي فروج النساء والحرير وهذا أول حرير رأيته على أحد المسلمين فخرجت من عنده فبعته الى الخياط .

وقال عبد الرحمن بن سابط الجمحي قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص ان

---

(١) اصل المخر الشق يقال مخرت السفينة الماء اذا شقته بصدرها وجرت والمعنى هنا ان الروم تدخل الشام وتخوضه وتجوس خلاله وتتمكن منه فشبهه بمخر السفينة البحر ويمكن ان يكون هذا اشارة الى ما وقع ايام حروب الصليبيين (٢) يمكن ان يكون اشارة الى ما كان ايام التتار .

المأمومة (١) وذات الاصابع ذنباتها فعليك بالفحص قال وهي الغوطة فانها فسطاط للمسلمين فاذا امتنعت الحمراء والبيضاء ووهن (٢) الاولياء عن الاولياء فعليك بمدينة الاسباط فان العافية تجوز اليها كما يجوز السيل الدمن لو أرى أني أدرك ذلك لكان رحيلي اليها ولا أنت تدركه. يريد بمدينة الاسباط بانياس وقال عبد الله بن عمرو ما أود الى ان لي مصر وكورها (٣) بعد الخمسين والمائة أسكنها ولدمشق خير لو كنتم تعلمون . وقال نافع بن كيسان الدمشقي لقيت يزيد بن شجرة الرهاوي فقلت اني أردت أن آتي فلسطين قال لاتفعل فاني أحدثك في دمشق أحاديث ليست في غيرها أن حبل (٤) الناس اذا اضطرب كانت دمشق عصمتهم وان أهلها مدفوع عنهم وانه لا ينزل بأرضها جوع ولا بلاء ولا فتنة الا خفف ذلك عنهم . وقال جابر بن عبد الله الانصاري من سكن دمشق نجا فقيل له أعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فقال أعن رأيي أحدثك . وقال ابن محيريز قال لي رويفع بن ثابت الانصاري وكان من أصحاب بيعة الشجرة أسكن فلسطين ما استقامت العرب فاذا باؤا بشعار (٥) الجاهلية فاسكن دمشق وشرقها خير من غربها ولما حضرت عقبة بن رافع الوفاة أوصى بنيه فقال لهم يا بني احفظوا ما أوصيكم به تنتفعون ألا تداموا (٦) وان لبستم العبا ولا يدخل أحد منكم في بيعة الرايات السود طائعاً ان أدركتموها ولا تدعن حظكم من دمشق وان لم تصيبوا البيت الابدية (٧) وقال الاوزاعي بلغنا أن بالشام وادياً يقال له الغوطة فيه مدينة يقال لها دمشق هي خير مدائن الناس يوم الملاحم وقال كعب الاحبار معقل المسلمين من الملاحم دمشق ومعقلهم من الدجال نهر أبي

---

(١) النسجة التى بلفت ام الرأس وهي الجلدة التي تجمع الدماغ وذات الاصابع اليلما والذنبات الاسافل والمعنى اذا بلغ الامر منتهى الشدة ونطاول الاسافل على الرؤوس وعلى الناهضين بالاصلاح (٢) بخل والولي ضد العدو (٣) جمع كورة المدينة والصقع (٤) العهد والميثاق (٥) التزموا شعار الجاهلية ورجعوا اليه والشعار العلامة والمعنى فاذا التزموا ورجعوا الى علامات الجاهلية التي كانوا يتعارفون بها قبل الاسلام من الجهل بالله وبرسوله وبشرائع الدين والمفاخرة بالانساب والكبر والتجبر وغير ذلك (٦) كذا في النسخة التي بأيدينا ولم اجد لها تخريجاً الا على ما في النهاية من ان هذه المادة تدل على الانتقال تقول دوم به ادارة والمعنى لا تنتقلوا من مكانكم (٧) الدية الهاء فيها عوض عن الواو المحذوفة واصلها ودي وفي كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لاهل اليمن ان دية النفس مائة من الابل والمعنى ولو كان ثمن البيت هذا المقدار .

المسلمين من الملاحم وفسطاط المسلمين بأرض منها يقال لها الفوطة ومعقلهم من الدجال بيت المقدس وهي معقلهم من يأجوج ومأجوج وقال محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة الزهراء رضي الله عنهم سمعت ابي عن جدي انه سمع جده رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للناس ثلاث معاقل فمعقلهم من الملحمة الكبرى التي تكون بعمق انطاكية دمشق ومعقلهم من الدجال بيت المقدس ومعقلهم من يأجوج ومأجوج طور سينا رواه ابو نعيم (١) . وعن حسان بن عطية قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز الاعداء امته من بلد الى بلد فقال يا رسول الله فهل من شيء قال نعم ان بالغوطة مدينة يقال لها دمشق هي فسطاطهم ومعقلهم (٢) من الملاحم لا ينالها عدو الا منها وكان حفص بن غيلان الهمذاني يقول لا ينالهم عدو لهم الا منها يعني من الامة وهو يوم دخلها عبد الله بن علي بجنوده . عن أبي سالم الحبشاني قال انطلقت الى المدينة أسئل عن علم الاحداث (٣) فقيل لي أين أنت من عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كان صعلوكاً (٤) فعده (٥) أبوه لذلك قال فقدمت فاخبرت عبد الله بن عمرو بذلك فقال نعم فسلوني عما شئتم أخبركم به فوالله لو شئتم لاخبرتكم بالسنة التي يخرجون فيها من مضر فقلت يا أبا محمد أخبرني وخرلي قال نعم انك لن يرابك (٦) ما لم يأت أهل المشرق أهل المغرب فان كان ذلك خفق الدين (٧) وخفقت الالسنة ووقعت بين العرب البغضاء فأقل المؤمنين من يحجزه (٨) ايمانه وأقل المعاهدين (٩) من يكفه ساعيه فان استطعت أن تسكن السروات (١٠) فكن بها وان عجزت فالاسكندرية فان عجزت فالطور او سوق مارن وان أقشعت (١١) شيئاً أبيت اللعن (١٢) وأصاب

---

(١) وكذا رواه ابن ابي خيثمة (٢) من تأمل هذا الخبر يراه منطبقاً على ما كان في ايام حروب الصليبيين والمعاقل الحصون (٣) الحدث الامر المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف والمراد هنا انه يسئل عن علم ما سيحدث في آخر الزمان (٤) فقيراً (٥) هيأه واهله لذلك اي للعلم (٦) يقال رابني الامر وارابني اذا رأيت منه ما يكره والمعنى لن ترى شيئاً تكرهه مدة عدم اتيان اهل المشرق الخ (٧) ضعف الدين مأخوذ من خفق الليل اذا ذهب اكثره وخفقت الالسنة اي صارت غير ثابتة ولا مستقرة اي لا يستقر كلامها على قرار (٨) اي يحيء بينه وبين ما يكره والحاجز الحائل بين الشيئين (٩) المعاهد من كان بينك وبينه عهد واكثر ما يطلق في الحديث على اهل الذمة وقد يطلق على غيرهم من الكفار اذا صولحوا على ترك الحرب مدة ما والساعي الرئيس الذي يصدر المرؤسون عن امره ولا يمضون امراً دونه وكل من ولي امر قوم فهو ساع عليهم (١٠) المواضع المنحدرة من الجبال (١١) اقشع السحاب تصدع واقلع والمعنى تصدعت واخرجت شيئاً والتنوين للتكثير اي شيئاً كبيراً (١٢) اللعن الطرد والابعاد عن الخير والمعنى تباعدت عما يؤدي الى ذلك وهو خبر ومعناه الدعاء

فقال قل احدى والثانية فتح بيت المقدس قل اثنتين والثالثة تكون فتنة في أمتي وعظمها قل ثلاثاً والرابعة موتان (١) يقع في أمتي يأخذهم كقعاص الغنم (٢) قل اربعة والخامسة يفيض المال فيكم حتى أن الرجل ليعطي المائة دينار فيظل يسخطها قل خمسة والسادسة هدنة (٣) تكون بينكم وبين بني الاصفر (٤) يسيرون اليكم على ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر الفاً فسطاط (٥) المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة (٦) في مدينة يقال لها دمشق ولفظ الحديث للطبراني وفي رواية راية بدل غاية وفي رواية فيغدرون يعني الروم فيوافونكم على ثمانين غاية . والغاية الراية (٧) وفي رواية تحت كل غاية ثمانون الفاً رواها العسكري وكلا القولين باسناد صحيح وعن جبير بن نفير قال حدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ستفتح (٨) عليكم الشام فاذا خيرتم المنازل منها فعليكم بمدينة يقال لها دمشق فانها معقل (٩) المسلمين من الملاحم وفسطاطهم منها بارض يقال لها الغوطة وفي رواية الا انها ستفتح عليكم الشام فعليكم بمدينة يقال لها دمشق فانها خير مدائن الشام وفسطاط المؤمنين بأرض منها يقال لها الغوطة وهي معقلهم . وعن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال موضع فسطاط المسلمين في الملاحم ارض يقال له الغوطة وقال سعيد بن عبد العزيز كان من أدركنا من علمائنا يقول يخرج أهل مصر من مصرهم الى ما يلي المدينة ويخرج أهل فلسطين والاردن الى مشارق البلقا والى دمشق ويخرج أهل الجزيرة وقنسرين وحمص الى دمشق وذلك لما كان حدثنا به سعيد عن مكحول مرفوعاً فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بالغوطة مدينة يقال لها دمشق وهذا الحديث قد سقط منه الصحابي وهو معاذ ومكحول لم يدرك معاذا (١٠) ورواه البغوي عن مكحول عن معاذ ورواه الحاكم عن ابي مالك الاشعري عن معاذ وروي من طريق القاسم بن عبيد بلفظ ستفتح الشام فعليكم بمدينة منها يقال لها دمشق فانها خير مداين الشام وهي معقل

---

(١) الموتان بوزن البطلان الموت الكثير الوقوع . (٢) القعاص بضم القاف بعدها عين مهملة داء يأخذ الغنم لا يلبثها أن تموت . (٣) بضم الهاء وسكون الدال المهملة الصلح والموادعة بين المسلمين والكفار وبين كل متحاربين . (٤) هم الروم سموا بذلك لصفرة اللون في آبائهم . (٥) بضم الفاء وكسرها المدينة التي فيها مجتمع الناس . (٦) قال في النهاية الغوطة اسم البساتين والمياه التي حول دمشق وهي غوطتها . (٧) ومن رواه بالباء الموحدة أراد به الاجمة فشبه كثرة رماح العسكر بها وعندي أن الرواية بالياء المثناة التحتية أصح لانه ان صح الحديث لم يكن يومئذ رماح للاستغناء عنها بالمدافع والسلاح الناري . (٨) رواه احمد باسناد فيه ابو بكر بن ابي مريم وهو ضعيف . (٩) حصن . (١٠) رواه ابو داود وهو موقوف .

الابواب ويتبعه حتى يدركه بباب لد فيذوب كما يذوب الشمع ويقول عيسى أن لي فيك ضربة فيضربه فيقتله الله عز وجل على يديه فيمكث في المسلمين ثلاثين سنة او أربعين سنة الله أعلم أي العددين فيخرج على أثره يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله على يديه ولا يبقى منهم عين تطرف وترد الى الارض بركتها حتى أن العصابة (١) ليجتمعون على العنقود وعلى الرمانة وينزع من كل ذات حمة (٢) حمتها يعنى سمها حتى أن الحية تكون مع الصبي والاسد والبقرة فلا تضر شيئاً ثم يبعث الله عز وجل ريحاً طيبة تقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس تقوم عليهم القيامة . وعن كعب (٣) يهبط المسيح عليه السلام عند القنطرة البيضاء على باب دمشق الشرقي تحمله غمامة واضع يديه على منكبي ملكين عليه ريطتان مؤتزر بأحدهما مرتد بالاخرى اذا أكب رأسه يقطر منه الجمان .

((باب ما جاء عن المبعوث بالمرحمة انها فسطاط المسلمين يوم الملحمة))

قال أبو الدرداء سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم الملحمة الكبرى فسطاط (٤) المسلمين بارض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ قال ابراهيم بن الجنيد سمعت يحيى ابن معين وقد ذكروا عنده احاديث من ملاحم الروم فقال يحيى ليس من حديث الشام شيء أصح من حديث صدقة بن خالد عن النبي صلى الله عليه وسلم معقل المسلمين أيام الملاحم دمشق انتهى وفي رواية فسطاط المسلمين (٥) يوم الملحمة بالغوطة الى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مداين الشام . وقال عوف بن مالك الاشجعي (٦) أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بناء له فسلمت عليه فقال أعوف قلت نعم قال ادخل قلت أدخل كلي أم بعضي قال بل كلك قال فقال أعدد ستاً بين يدي الساعة أولهن موتي قال فاستبكيت حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكتني

---

(١) الجماعة (٢) الحمة بالتخفيف السم وقد تشدد وتطلق على ابرة العقرب للمجاورة لان السم منها يخرج . (٣) رواه احمد بلفظ فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى الخ . (٤) رواه الطبراني وابو داود بلفظ ان فسطاط الخ . (٥) رواه ابن ماجة في سننه بنحو لفظه وقوله أعوف الهمزة للنداء وقوله ادخل محذوف منه همزة الاستفهام والمراد أادخل والمعنى أن البيت كان صغيرا بحيث كان في محل التردد انه يسع جسده كله أم لا .

عن احمد بن الهيثم بالذال وتفسيره بين مخصرتين وفي رواية أريت أن ابن مريم يخرج من يمنة المغارة البيضاء شرقي دمشق واضع يده على أجنحة الملكين بين ريطتين (١) ممشقتين (٢) اذا أدنى رأسه قطر واذا رفع رأسه تحادر منه جمان(٣) كاللؤلؤ يمشي وعليه السكينة والارض تقبض له ماأدرك نفسه من كافر مات ويدرك نفسه حينما أدرك بصره حتى يدرك بصره في حصونهم وقرياتهم حتى يدرك الدجال عند باب لد فيموت ثم يعمد الى عصابة من المسلمين عصمهم الله بالاسلام فيترك الكفار ينتفون لحاهم وجلودهم فتقول النصارى هذا الدجال الذي أنذرناه وهذه الآخرة ومن مس عيسى بن مريم كان من أرفع الناس قدراً ويعظم مبيته ويمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم من الجنة فبينما هم فرحون بما هم فيه اذ خرجت يأجوج ومأجوج فيوحى الى المسيح أني قد أخرجت عباداً لي لا يستطيع قتلهم الا أنا فأحرز عبادي الى الطور فيمر صدر يأجوج ومأجوج على بحيرة طبرية فيشربونها ثم يقبل آخرهم فيركزون رماحهم فيقولون لقد كان ههنا مرة ماء حتى اذا كانوا حيال بيت المقدس قالوا قد قتلنا من في الارض فهلم نقتل من في السماء فيرمون بنبلهم الى السماء فيردها الله مخضوبة بالدم فيقولون قد قتلنا من في السماء ويتحصن ابن مريم وأصحابه حتى يكون رأس الثور ورأس الجمل خير من مائة دينار اليوم . كذا قال المغارة وهو تصحيف المنارة. وقال ابن عباس الحضرمي يخرج عيسى بن مريم عند المنارة عند الباب الشرقي ثم يأتي مسجد دمشق حتى يقعد على المنبر ويدخل المسلمون المسجد والنصارى واليهود كلهم يرجوه حتى لو ألقيت شيئاً لم يصب الا رأس انسان من كثرتهم ويأتي مؤذن المسلمين فيقوم ويأتي صاحب بوق اليهود ويأتي صاحب ناقوس النصارى فيقول صاحب اليهود اقرع فيكتب سهم المسلمين وسهم النصارى وسهم اليهود ثم يقرع عيسى فيخرج سهم المسلمين فيقول صاحب اليهود ان القرعة ثلاث فيقرع فيخرج سهم المسلمين ثم يقرع الثالثة فيخرج سهم المسلمين فيؤذن المؤذن ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ثم يخرج فيتبع الدجال بمن معه من أهل دمشق ثم يأتي بيت المقدس وهي مغلقة قد حصرها الدجال فيأمر بفتح

---

(١) كل ثوب رقيق لين . (٢) مصبوغتين بالمشق وهو المغرة . (٣) اللؤلؤ الصغار وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ .

عليهم الصلاة والسلام ومن المهاجرين أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم ومن الموالي أربعة سلمان الفارسي وبلالاً الاسود وصهيباً الرومي وزيداً ابن حارثة واختار من النساء أربعة خديجة ابنة خويلد ومريم ابنة عمران وفاطمة ابنة محمد وآسية ابنة مزاحم واختار من الأهلة أربعة ذا القعدة وذا الحجة والمحرم ورجباً واختار من الايام أربعة الجمعة ويوم الفطر ويوم النحر ويوم عاشوراء واختار من الليالي أربعاً ليلة القدر وليلة النحر وليلة الجمعة وليلة نصف شعبان واختار من الشجر أربعاً السدرة والنخلة والتينة والزيتون واختار من المداين أربعة مكة وهي السدرة والمدينة وهي النخلة وبيت المقدس وهي الزيتونة ودمشق وهي التينة واختار من الثغور أربعة اسكندرية بمصر وقزوين خراسان وعبادان العراق وعسقلان الشام واختار من العيون أربعة يقول في محكم كتابه فيهما عينان تجريان وقال فيهما عينان نضاختان فأما اللتان تجريان فعينا بيان وسلوان وأما النضاختان فعينا زمزم وعكا واختار من الانهار أربعة سيحان وجيحان والنيل والفرات واختار من الكلام أربعة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . هذا حديث منكر بالمرة وفي اسناده اثنان مجهولان . وقال كعب خمس مدائن من مدائن الجنة بيت المقدس وحمص ودمشق وبيت جبرين وظفار اليمن وخمس مدائن من مدائن النار القسطنطينية والطرانة وأنطاكية وتدمر وصنعا صنعا اليمن وفي رواية وعمورية بدل الطرانة. وعن عبد الله بن عمر وانه قال الجنة مطوية في قرون الشام .

« باب ما جاء عن صاحب الحوض والشفاعة أن الشام مهبط عيسى بن مريم قبل قيام الساعة »

عن النواس بن سمعان مرفوعاً (١) ينزل عيسى بن مريم على المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (٢) قال ابو بكر احمد بن الحسن الحيري حفظناه

(١) رواه الخطيب . (٢) أي في شقتين او حليتين وقيل الثوب المهرود الذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران فيجيء لونه مثل لون زهرة الجوز وقال القتيبي هو خطأ من النقلة واراه مهروتين أي صفراوين يقال هريت العمامة اذا لبستها صفراء فان كان محفوظاً بالدال المعجمة فهو من الهرداي الشق وقال ابن الانباري القول عندنا في الحديث مهرودتين يروى بالدال والذال أي ممصرتين والممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة وقيل المهرود الثوب الذي يصبغ بالعروق والعروق يقال لها الهرد .

في النجف ماء كبيت ينزله العرب يقال له السلام . وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين التين بلاد الشام والزيتون بلاد فلسطين وطور سينين الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وهذا البلد الامين مكة لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم محمد صلى الله عليه وسلم ثم رددناه اسفل سافلين عبدة اللات والعزى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون ابوبكر وعمر وعثمان وعلي فما يكذبك بعد بالدين اليس الله بأحكم الحاكمين اذ بعثك فيهم نبياً وجمعك على التقوى يامحمد وفي رواية من طريق الخطيب البغدادي قال ابن عباس الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ابوبكر وعمر فلهم أجر غير ممنون عثمان بن عفان فما يكذبك بعد بالدين علي بن ابي طالب قال ابو بكر الخطيب هذا الحديث باطل لا اصل له يصح فيما نعلم وقد قال يحي بن سعيد القطان مارأيت الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث وروى ابو عبد الرحمن النسائي في الكنى عن كعب ان التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس. وقال الحسن التين والزيتون جبال ومساجد بالشام. وقال بشر بن الحارث ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد هي دمشق .

((باب ما ورد من السنة من ان دمشق من ابواب الجنة))

عن ابي هريرة(١) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مدائن من مدائن الجنة واربع مدائن من مدائن النار فأما مدائن الجنة فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق واما مدائن النار فالقسطنطينية وطبرية وانطاكية المحترقة وصنعاء هذا حديث غريب وفي رواية رومية بدل طبرية . وقال ابن عدي الحديث منكر وقال ابو عبد الله السقطي ليس هي صنعاء اليمن انما هي صنعاء بأرض الروم وذكر البلاذري ان انطاكية المحترقة ببلاد الروم أحرقها العباس بن الوليد ابن عبد الملك. وعن ابي هريرة مرفوعاً ان الله اختار من الملائكة أربعة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ومن النبيين أربعة ابراهيم وموسى وعيسى ومحمداً

(١) رواه ابن الجوزي في الموضوعات وقال لا أصل له ومن رواته الوليد بن محمد المرقدي وهو كذاب .

« باب الايضاح والبيان عما ورد في فضلها من القرآن »

عن ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ثم قال هل تدرون أين هما قالوا الله ورسوله أعلم قال هي بالشام بأرض يقال لها الغوطة مدينة يقال هي خير مدائن الشام وقال ابن عباس الربوة هي دمشق والقرار المعين أنهارها وكذا قال عبد الله بن سلام وغيرهم وقال يزيد بن شجرة دمشق هي الربوة المباركة. وقال محمد بن خالد الهاشمي أمر الله عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام أن يسكنا دمشق وهي ارم ذات العماد وقال الحسن البصري في تفسير قوله تعالى ذات قرار ومعين ذات معيشة تقوتهم وتحملهم ومعين ماء جار وهي الربوة وهي دمشق وهي الغوطة وقال سعيد بن جبير الربوة النشز من الارض والقرار المستوى. وهذا التفسير موجود في صفة ربوة دمشق فلا يمتنع ان يكون هو الحق وقيل ان الربوة الرملة (اسم بلد) . وعن ابي وعلة شيخ من عك قال قدم علينا كريب من مصر فزرناه فأخبرنا أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(١) لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم (عاداهم) وهم كالاناس الاكلة حتى يأتي أمر الله وهم كذلك قال فقلنا يا رسول الله من هم وأين هم قال بأكناف بيت المقدس وقال أيضاً ان الرملة هي الربوة وذلك انها تسيل مغربة ومشرقة . وقال ابو هريرة (٢) الربوة ذات قرار ومعين هي الرملة من فلسطين وقيل انها بيت المقدس وقال قتادة هي بيت المقدس وقيل الاسكندرية وقيل انها مصر وقيل انها الكوفة والمعين الفرات وقال جعفر الصادق الربوة النجف والقرار المسجد والمعين الفرات ثم قال ان نفقة الدرهم الواحد بالكوفة (في الصدقة) يعدل مائة درهم في غيرها والركعة بمائة ركعة ومن احب ان يتوضأ من ماء الجنة ويشرب من ماء الجنة ويغتسل بماء الجنة فعليه بماء الفرات فان فيه شعبتين من الجنة وينزل من الجنة كل ليلة مثقالان من مسك في الفرات وكان أمير المؤمنين علي يأتي النجف ويقول وادي السلام ومجمع أرواح المؤمنين ونعم المضطجع للمؤمن هذا المكان وكان يقول اللهم اجعل قبري بها قال ابو الغنائم

(١) رواه الطبراني . (٢) رواه عبد الرزاق الصنعاني في مسنده .

وقال بشر بن غنم لتهد من مدينة دمشق حجراً حجراً. لعله اراد بذلك ماوجد من هدم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس سورها حين افتتحها . وعن الحسن بن القاسم الازرقي قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية تبوك فقال(١) ما ههنا يمن وأشار الى جهة المدينة وما ههنا شام وأشار بيده الى جهة الشام . وسئل ابو الاعيس القرشي وكان من التابعين عن الارض المباركة وأين حدودها فقال حدودها عريش مصر والحد الآخر طرف الثنية والحد الآخر الفرات والحد الآخر جبل فيه قبر هود عليه السلام. وقيل اول الشام بالس وآخره عريش مصر .

« باب تمصير الامصار في قديم الاعصار »

عن عثمان بن ابي العاص مرفوعاً يكون المسلمين(٢) ثلاثة امصار مصر بملتقى البحرين ومصر بالجزيرة ومصر بالشام فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال وقال عمر رضي الله عنه الامصار سبعة المدينة والشام ومصر والجزيرة والبحرين والبصرة والكوفة وفي رؤية ثانية ومكة والمدينة. وقال ابو حاتم السجستاني لما كتب عثمان رضي الله عنه المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف فبعث واحداً الى مكة وآخر الى الشام وآخر الى اليمن وآخر الى البحرين وآخر الى البصرة وآخر الى الكوفة وحبس بالمدينة واحداً . وقال ابراهيم النخعي قال رجل من أهل الشام مصحفنا ومصحف أهل البصرة أحفظ من مصحف أهل الكوفة فقلت له لم كان ذلك قال ان عثمان لما كتب المصاحف بلغه قراة أهل الكوفة على حرف عبد الله بن مسعود فبعث به اليهم قبل ان يعرض (يقابل بالقراءة) وعرض مصحفنا ومصحف أهل البصرة قبل ان يبعث به . وقال الحسن البصري (٢) لا جمعة الا في الامصار فقال له الربيع ماالامصار ياأبا سعيد قال المدينة والبصرة والكوفة والبحرين والجزيرة والشام ومصر قال الضحاك هذه هي البلدان التي جعلها عمر رضي الله عنه أمصاراً

(١) رواه السافعي . (٢) رواه ابو يعلى الموصلي . (٣) رواه الخطيب البغدادي .

من الشام يقاتلونهم على الاسلام وفي رواية وجعل راس الراس حمص وفيها منقار فاذا وقف المنقار تأفَّف الناس وجعل الجُؤجؤ(١) دمشق وفيها القلب فاذا تحرك القلب تحرك الجسد والراس ضربتان ضربة من الجناح الشرقي وهي على دمشق وضربة من الجناح الغربي وهي على حمص وهي انكلهما ثم يقبل الراس على الجناحين فينتفهما ريشة ريشة . وقال كعب ويل للجناحين من الراس وويل الراس من الجناحين فالراس الشام والجناحان المشرق والمغرب . وذكر علماء الاوائل ان اقاليم الارض سبعة وان الهند رسمتها فجعلت صفة الاقاليم كأنها حلقة مستديرة تكنفها ست دوائر فالوسطى اقليم بابل والدوائر الست المحدقة بالدائرة الوسطى كل دائرة منها اقليم من الاقاليم السبعة فالاول بلاد الهند والثاني الحجاز والثالث مصر والرابع بابل وهو الممثل في الدائرة الوسطى التي اكتنفتها سائر الدوائر وهو أوسط الاقاليم واعرها وفيه جزيرة العرب والعراق الذي هو سرة الدنيا وحد هذا الاقليم مما يلي الحجاز ونجد الثعلبية من طريق مكة وحده مما يلي الشام وراء نصيبين من ديار ربيعة ثلاثة عشر فرسخاً وحده مما يلي ارض خراسان وراء نهر بلخ وحده مما يلي الهند خلف الدبيل بستة فراسخ وبغداد اوسط هذا الاقليم والاقليم الخامس بلاد الروم والشام والاقليم السادس بلاد الترك والاقليم السابع بلاد الصين .

« باب ما جاء من الاخبار والآثار ان الشام يبقى عامراً بعد خراب الامصار

عن عوف بن مالك مرفوعاً تخرب الارض قبل الشام بأربعين سنة . وقال كعب الاحبار تخرب الدنيا او قال الارض قبل الشام بأربعين عاماً وفي رواية بزيادة حتى يكون من العمران كالرمانة ولا يبقى فيها خربة في سهل ولا جبل الا عمرت وليغرسن فيها من الشجر مالم يغرس في زمان نوح وتبنى فيها القصور اللائحة في السماء فاذا رايت ذلك فقد نزل بك الامر . وعن بجير بن سعيد قال يقيم الشام بعد خراب الارض اربعين عاماً وهذا هو المحفوظ وقد روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص ضد هذه الاقوال فانه قال أول الارض خراباً الشام

---

(١) الصدر وقيل عظامه .

مجد ويغضون ابصارهم ويأتزرون في أوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم دويهم في مساجدهم كدوي النحل يسمع مناديهم في جو السماء وفي رواية يصلون الصلاة حيثما أدركتهم وفيها ايضاً ويوضون اطرافهم قلوبهم اناجيلهم رهبان بالليل ليوث بالنهار وفي رواية عنه مكتوب في التوراة سطران في السطر الاول محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وفي السطر الثاني محمد رسول الله أمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء يسبحون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل شرف(١) رعاة الشمس يصلون الصلاة اذا جاء وقتها ولو كانوا على راس جبل ويأتزرون على أوساطهم ويوضؤون أطرافهم وأصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل ·

« باب ما حفظ عن الطبقة العليا من أن الشام سرة الدنيا »

عن ابن مسعود مرفوعاً المدينة بين عيني السماء عين بالشام وعين باليمن وهي اقل الارض مطراً . وقال عبدالله بن عمر(٢) صورت الارض على خمسة أجزاء على أجزاء الطير الرأس والصدر والجناحان والذنب راس الدنيا الصين والجناح الايمن الهند والجناح الايسر الخزر وخلف الهند أمة يقال لها واق واق وخلفها منسك وبعدها ناسك وخلفهم يأجوج ومأجوج وبعدهم من الامم ما لا يعلمه الا الله والجانب الآخر من الخزر ليس خلفه الا البحر ووسط الدنيا العراق والشام والحجاز ومصر وذنب الدنيا من ذات الحمام الى المغرب وشر شيء في الطير الذنب وقال كعب نجد صفة الارض في التوراة على صفة النسر فالراس الشام والجناحان المشرق والمغرب والذنب اليمن ولا يزال الناس بخير ما تعالى الراس فاذا نزع الراس هلك الناس وأيم الذي نفس كعب بيده ليأتين على الناس زمان لا تبقى جزيرة من جزائر العرب أو قال مصر من امصار العرب الا وفيهم جيل

---

(١) المكان العالي · (٢) لا يستنكر هذا فانه بحسب ما كان عليه فن تقويم البلدان في ذلك الزمان ومثل هذا لا يتعلق به احكام شرعية بحيث يدقق فيه ويبحث عنه ليوجد هل هو مخالف لما نحن عليه اليوم أو لا ·

بالشام (١) عن علي بن ابي طالب (٢) ان يهودياً يقال له جريجرة وكان له على رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم دنانير فتقاضى النبي صلى‌الله عليه وسلم فقال له يايهودي ماعندي مأعطيك فقال فاني لاأفارقك يامحمد حتى تعطيني مالي فقال نبي الله اذاً اجلس معك فجلس معه فصلى النبي صلى‌الله عليه وسلم في ذلك المجلس الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخيرة والغداة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهددونه ويتوعدونه ففطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ما الذي تصنعون به فقالوا يا رسول‌الله يهودي يحبسك فقال منعني ربي أن‌أظلم‌معاهداً غيره فلما ترحل‌النهار قال‌اليهودي أشهد أن لااله الا الله وأشهد أنك رسول الله وشطر مالي في سبيل‌الله أما والله ما فعلت الذي فعلت بك الا لأنظر الى نعتك في‌التوراة محمد بن عبدالله مولده بمكة وهجرته الى طيبة وملكه بالشام ليس بفظ (٣) ولا غليظ (٤) ولا صخاب (٥) في الاسواق ولا متزين بالفحش(٦) ولا قوله الخنا(٧) أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله وهذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله وكان اليهودي كثير المال . وعن ميسرة بن حليس عنه صلى الله عليه وسلم هذا الامر (يعني الخلافة) كائن بعدي بالمدينة ثم بالشام ثم‌بالجزيرة ثم‌بالعراق ثم‌بالمدينة ثم ببيت‌المقدس فاذا كان ببيت المقدس فثم عقر دارها ولن يخرجها قوم فتعود اليهم أبداً يعني بقوله بالجزيرة أمر مروان بن محمد الحمار وبقوله بالمدينة بعد العراق يعني به المهدي يخرج في آخر الزمان بالعراق ثم ينتقل الى بيت المقدس وبها يحاصره الدجال . ان ابن عباس قال لكعب الاحبار كيف تجد نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال كعب نجده محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر الى طابة ويكون ملكه بالشام وليس بفحاش ولا صخاب في الاسواق ولا يكافىء بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر أمته الحمادون الذين يحمدون الله تعالى على كل حال ويسبحونه في كل منزلة ويكبرونه على كل

---

(١) هذا بالنسبة الى أول الاسلام فان الخلافة كانت زمن الخلفاء الراشدين فلما انتقلت الى بني أمية بالشام صارت ملكاً وسلطنة . (٢) مروى من طريق موسى بن اسماعيل بن موسى ابن‌جعفر بن محمد بن علي عن‌أبيه اسماعيل عن موسى عن جعفر عن‌محمد عن علي بن‌الحسين‌عن الحسين عن علي وهو بسند أهل‌البيت وقال الحافظ ابن‌حجر في‌الاطراف لم‌يتكلم عليه الحاكم وفي‌اسناده محمد بن‌الاشعث‌الكوفي وكذبه جماعة. (٣) سيء الخلق. (٤) أي غليظ‌القلب‌بحيث يكون جافي‌الطبع قاسي‌القلب. (٥) أي ليس صياحاً في الاسواق والصخاب فعال‌للنسب كتمار ولبان وقد جاء سخاب بالسين‌ايضاً. (٦) الفحش‌كل ماشتد قبحه من‌الذنوب والمعاصي. (٧) هو الفحش في القول .

وأرض الانبياء فصدق ما قالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد الا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بني اسرائيل بعد ما ختمت السورة وان كانوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذاً لا يلبثون خلفك الا قليلا الى قوله تحويلا فأمره الله بالرجوع الى المدينة وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حاصر بني النضير حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراده منهم فصالحم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم ومن أوطانهم وأن يسير بهم الى اذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء وأخرجهم من أرضهم الى أرض اخرى . وقال ابن عباس من شك أن المحشر بالشام فليقرأ قوله تعالى هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر . وجاءت مولاة لابن عمر فقالت له اني قد اشتد علي الزمان وما أريد أن أخرج الى العراق قال فهلا الى الشام أرض المحشر اصبري يا لكاع (١) فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة . ويروى أن الشام اشتكت الى الرحمن فقالت أي رب جعلتني أضيق الارض وأوعرها وجعلتني لا أشرب الماء الا عاماً الى عام فأوحى الله اليها أنك داري وقراري وأنت الانذر وأنت منبت الانبياء وأنت موضع قدسي وأنت موطأي واليك أسوق خيرتي من خلقي واليك محشر عبادي وانزل عليك من أول يوم من الدهر الى آخر يوم منه بالطل والمطر واذا يعجز أهلك المال لم يعجزهم الخبز والماء .

باب ما جاء من أن الشام يكون ملك الاسلام

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بالمدينة والملك

(١) يقال للرجل لكع وللمرأة لكاع وهو اللئيم والوسخ وقد يطلق على الصغير .

« باب ما جاء عن سيد البشر أن الشام أرض المحشر والمنشر »

عن أبي ذر (١) قال قيل يا رسول الله صلاة في بيت المقدس أفضل أم صلاة في مسجدك قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيــه ولنعم المصلى هــو أرض المحشر والمنشر وليأتين على الناس زمان ولبسطة قوس من حيث يرى منه بيت المقدس أفضل من الدنيا وما فيها جميعاً وروي من طريق عبد الله بن الامام أحمد أن أبا ذر كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فرغ من خدمته آوى الى المسجد وكان هو بيته فجلس اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف أنت اذا اخرجوك منه قال اذاً ألحق بالشام فان الشام أرض المحشر والمنشر وأرض الانبياء ثم ذكر الحديث . وتقدم حديث معاوية البهزي وقد رواه هنا بطرق متعددة وفي بعضها زيادة وهي ما من مولى (٢) يأتي مولى له فيسأله من فضل عنده فيمنعه الا جعله الله شجاعاً (٣) ينهشه قبل القضاء قال عفان يعني بالمولى ابن عمه قال وقال أن رجلا ممن كان قبلكم رغسه (٤) الله مالا وولداً حتى ذهب عصر وجاء عصر آخر فلما احتضر قال لولده أي أب كنت لكم قالوا خير أب فقال هل أنتم مطيعي والا أخذت مالي منكم انظروا اذا أنا مت أن تحرقوني حتى اذا تدعوني حمماً (٥) ثم اهرسوني بالمهراس (٦) وأدار رسول الله صلى الله عليه وسلم يده حذاء (٧) ركبتيه وقال بيده هكذا ثم ذروني في يوم ريح لعلي أضل الله ففعلوا والله ذاك فاذا هو قائم في قبضة الله فقال يا ابن آدم ما حملك على ما فعلت قال من مخافتك قال فتلافاه الله عز وجل بها .

وعن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم ان كنت صادقاً أنك نبي فالحق بالشام فان الشام أرض المحشر

---

(١) رواه الشافعي والطبراني . (٢) يطلق المولى على العبد وعلى السيد . (٣) الحية الذكر . (٤) السعة في النعمة والبركة والنماء . (٥) فحماً . (٦) صخرة منقورة تسع كثيراً من الماء وقد يعمل منها حياض للماء . (٧) مقابل .

الي طيران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه (١) هو هو فقال الآخر نعم قال فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني للقفا فشقا بطني فاستخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه ائتني بماء ثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائتني بماء برد فغسلا به جوفي والصواب قلبي ثم قال ائتني بالسكينة فذراها (٢) في قلبي ثم أطبقه فقال أحدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة فقال أحدهما لصاحبه اجعله في كفة (٣) واجعل ألفاً من أمته في كفة فاذا أنا أنظر الى الالف فوقي أشفق (٤) أن يخرَّ علي بعضهم فقال أحدهما لصاحبه لو أن أمته وزنت به لمال بهم أو لرجحهم ثم انطلقا وتركاني وفرقت (٥) فرقاً شديداً ثم انطلقت الى أمي فأخبرتها بالذي لقيته فأشفقت علي أن يكون قد التبس أو ألبس بي فقالت أعيذك بالله فرحلت (٦) بعيراً لها فحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا الى أمي فقالت قد أديت أمانتي وذمتي وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها ذلك وقالت اني رأيت اني خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام . وقال عثمان بن ابي العاتكة أن آمنة ابنة وهب حين وضتعه صلى الله عليه وسلم كفأت عليه برمة (٧) حتى تبزع (٨) له قال فوجدت البرمة قد انشقت عن نور أضاءت منه لها من قصور كثيرة من قصور الشام . عن الضحاك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا دعوة ابراهيم قال وهو يرفع القواعد من البيت ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فقرأ الآية حتى أتمها والضحاك هو ابن مزاحم الهلالي وفي سنده جويبر بن سعيد البلخي وهو ضعيف والحديث مرسل قال ابو بكر احمد بن علي بن الحسين البيهقي انما أراد والله أعلم انه كذلك في قضاء الله وتقديره قبل ان يكون آدم عليه السلام وانما دعوة ابراهيم عليه السلام لما أخذ في بناء البيت دعا الله تعالى فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم فاستجاب الله دعائه في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأما بشارة عيسى عليه السلام به فهو ان الله تعالى أمر عيسى فبشر به قومه فعرفه بنو اسرائيل قبل أن يخلق .

---

(١) رواه احمد والطبراني ولفظ احمد خصه فخاصه بدل خطه فخاطه . (٢) غيباها . (٣) بكسر الكاف وفتحها . (٤) أخاف أن يسقط . (٥) خفت . (٦) بتشديد الحاء أي جعلت عليها الرحل . (٧) قدر وهي في الاصل يقال للحجر المعروف بمكة واليمن . (٨) يقال تبرع الغلام أي ظرف .

قصور الشام . عن العرباض بن سارية السلمي (١) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عند الله في أم الكتاب (٢) لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينتـــه وسوف أنبئكم بتأويل ذلك دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى قومه ورؤيا أمي التي رأت حين وضعت انه خرج منهــا نور أضاءت له قصور الشام وكذلك يرى أمهات النبيين صلى الله عليهم . عن أبي مريم الكندي «١» قال أقبل أعرابي من بهز (٣) حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد عنده حلقة من الناس فقال ألا تعلمني شيئاً تعلمه وأجهله وينفعني ولا يضرك فقال الناس مه مه (٤) اجلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوه فانما سأل الرجل ليعلم ففرجوا له حتى جلس فقال أي شيء كان أول من أمر نبوتك قال أخذ الله عز وجل مني الميثاق كما أخــذ من النبيين ميثاقهم وتلى ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً وبشر بي المسيح عيسى بن مريم ورأت أم رسول الله في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت لها منه قصور الشام فقال الاعرابي هاه (٥) وأدنى رأسه منه وكان في سمعه (٦) شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووراء ذلك ووراء ذلك مرتين أو ثلاثاً . عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى بن مريم ورأت أمي حــين حملت بي أنه خــرج منها نور أضاءت له قصــور بصرى من أرض الشـــام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي في بهم (٧) لنا أتاني رجلان بثياب بياض ومعهما طست من ذهب مملوء ثلجاً فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فغسلاه ثم جعلا فيه حكمة وايماناً . وعن عتبة بن عبد أنه حدثهم أن رجلا ســأل النبي صلى الله عليه وسلم فقــال كيف كان أول بدو شأنك يا نبي الله فقال كانت حاضنتي مــن بني بكر بن سعد فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنــا زاداً فقلت لاخي يا أخي اذهب فائتنا بزاد من عنــد أمنا فذهب أخي ومكثت أنا عنـــد البهم فأقبــل

---

(١) رواه احمد والطبراني والحاكم وابو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب . (٢) رواه الطبراني وابن مردويه وابو نعيم في دلائل النبوة . (٣) اسم قبيلة . (٤) مبني على السكون اسم لفعل الامر ومعناه اكفف فان وصلت نونت فقلت مه مه . (٥) كلمة تقال في الايعاد وفي حكاية الضحك وهي المراد هنا . (٦) ثقل . (٧) البهم جمع بهمة وهي ولد الضأن المذكر والمؤنث وجمع البهم بهام وأولاد المعزى السخال فاذا اجتمعا أطلق عليهم البهم والبهام .

يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم (١) قال يزيد « احد الرواة » لا اعلمه الا قال يحقر أحدكم عمله مع عملهم يقتلون أهل الاسلام فاذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه كلما طلع منهم قرن قطعه الله فردد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين مرة وأنا أسمع . وقال قتادة في قول ابراهيم عليه السلام اني مهاجر الى ربي سيهدين قال الى الشام وقال كعب الاحبار (٢) يوشك بالرعد والبرق (٣) أن يهاجر الى الشام حتى لا يكون رعدة ولا برقة الا ما بين العريش والفرات . وقال الاوزاعي يهاجر الناس من الرعد والبرق الى مهاجر ابراهيم حتى لا تبقى قطرة الا فيما بين العريش والفرات وقال ابو قلابة سيهاجر من الرعد والبرق من ارض العراق الى ارض الشام حتى لا يبقى بها رعد ولا برق . وقال ضمرة بن ربيعة سمعت انه لم يبعث نبي الا من الشام فان لم يكن منها اسري به اليها . عن أبي امامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزلت علي النبوة في ثلاثة امكنة بمكة والمدينة وبالشام (٤) وروي من طريق الحاكم عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن في ثلاث أمكنة مكة والمدينة والشام قال الوليد « أحد الرواة » يعني بيت المقدس .

« باب ما جاء في اختصاص الشام وقصوره بالاضاءة عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم وظهوره »

عن ابي امامة (٥) قال قيل يارسول الله ماكان بدء أمركم قال دعوة أبي ابراهيم (٦) وبشرى اخي عيسى عليهما السلام ورأت أمي كأنما خرج منها شيء أضاءت له قصور الشام وفي رواية ورأت أمي انه خرج منها نور أضاءت له

---

(١) رأس الغلصمة حيث تراه ناتياً من خارج الحلق والجمع الحناجر قاله في النهاية وفي المختار والحنجرة بفتح الحاء الحلقوم . (٢) روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف انه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الاحبار فقال ان كان من أصدق هؤلاء المحدثين وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب قال ابن حجر أي نختبر عليه الكذب أي يقع بعض ما يخبرنا به بخلاف ما يخبرنا به قال ابن عباس يدل من قبله فوقع كعب بالكذب وقال ابن الجوزي المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذباً اهـ. فليعلم المطالع في هذا الكتاب درجة أخبار كعب لانه كثيراً ما يروى عنه . (٣) ان صح فيحتمل أن يكون المراد الرعد والبرق الحقيقيين ويحتمل رعد المدافع وبرقها . (٤) حينما أسري به الى بيت المقدس . (٥) رواه ابو نعيم والطبراني واحمد والبيهقي . (٦) المشار اليها بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة .

خيصة (١) فاذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون هجرة بعد هجرة حتى ينحاز الناس الى مهاجر ابراهيم لا يبقى في الارض الاشرار أهلها تلفظهم (٢) أرضوهم وتقذرهم نفس الله (٣) تحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذ قالوا (٤) وتأكل من تخلف قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم (٥) كلما خرج منهم قرن قطع كلما خرج منهم قرن قطع (٦) حتى عدها زيادة على عشر مرات كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم . وعن شهر بن حوشب (٧) قال سمعت عبد الله بن عمر يقول لقد رأيتنا وما صاحب الدينار والدرهم بأحق من أخيه المسلم ثم لقد رأيتنا باخرة الان والدينار والدرهم أحب الى أحدنا من أخيه المسلم ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لئن أنتم اتبعتم أذناب البقر وتبايعتم بالعينة (٨) وتركتم الجهاد في سبيل الله ليلزمنكم الله مذلة في أعناقكم لا تنزع منكم حتى ترجعوا الى ما كنتم عليه وتتوبوا الى الله عز وجل وسمعته يقول لتكونن هجرة بعد هجرة الى مهاجر ابيكم ابراهيم عليه السلام حتى لايبقى في الارضين الاشرار أهلها وتلفظهم (٩) أرضوهم وتقذرهم روح الرحمن وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تقيل حيث يقيلون وتبيت حيث يبيتون وما سقط منهم فلها ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من أمتي قوم يسيئون الاعمال

---

(١) ثوب خز أو صوف معلم أطرافه مطرزة وقيل لا تكون خميصة الا ان تكون سوداء معلمة وكانت من لباس الناس قديماً قاله في النهاية . (٢) تطرحهم . (٣) أي يكره خروجهم الى الشام ومقامهم بها فلا يوفقهم لذلك يقال قذرت الشيء أقذره أي كرهته واجتنبته اهـ نهاية . (٤) اذا ناموا وقت الظهر . (٥) قبل بكسر القاف وفتح الباء معناه الجهة والتراقي جمع ترقوة بالفتح وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان من الجانبين . (٦) مقدار التوسط في أعمار كل زمان فكأنه المقدار الذي يقترن به أهل ذلك الزمان في أعمارهم . (٧) رواه احمد والبيهقي واللالكائي . (٨) أن يبيع الرجل من رجل سلعة بثمن معلوم الى أجل مسمى ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي باعها به فان اشترى بحضرة طالب العينة سلعة من آخر بثمن معلوم وقبضها ثم باعها المشتري من البائع الاول بالنقد بأقل من الثمن فهذه أيضاً عينة وهي أهون من الاولى وسميت عينة لحول النقد لصاحب العينة لان العين هو المال الحاضر من النقد والمشتري انما يشتريها ليبيعها بعين حاضرة تصل اليه معجلة . (٩) تطرحهم .

ومصر فقال هناك ينبت قرن الشيطـان وثم الزلازل والفتن وفي رواية وفي مشرقنا قال من هناك يطلع قرن الشيطان وبه تسعة اعشار الشـر وروي عن بشر بن حرب من غير زيادة فقال رجل الخ ورواه من طريق احمد بن ثابت الخطيب عن معاذ بن جبل بما يعارض الاول ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وفي شامنا وفي يمننا وفي حجازنا فقام اليه رجل فقـال يا رسول الله وفي عراقنا فأمسك عنه فلما كان في اليوم الثاني قال مثل ذلك فقام اليـه الرجل فأعاد مقالته فأمسك عنه فولى وهو يبكي فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال أمن لعراق انت قـال نعم فقال ان ابي ابراهيم عليـه السلام أراد أن يدعو عليهم فأوحى الله اليـه لا تفعل فاني جعلت خزائن علمي فيهم وأسكنت الرحمة قلوبهم .

« فصل »

عن زهير بن محمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بارك العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس يعني بالتطهير (اسناد هذا الحديث منقطع) وقال الحسن البصري في قوله تعالى مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها هي مشارق الشام ومغاربها وقال قتادة في قوله تعالى ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق بوأهم الشام وبيت المقدس .

« باب ماجاء في أن الشام مهاجر ابراهيم الخليل وانه من المواضع المختارة لانزال التنزيل

عن شهر بن حوشب (١) قال لما جئنا لبيعة يزيد بن معاوية قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف (٢) فجئته اذ جاء رجل فاشتد (٣) الناس اليه وعليه

---

(١) رواه الامام احمد وابو داود . (٢) هو نوف البكالى . (٣) أسرع .

عن أبيه اهـ وهي الرواية التي ابتنانا هنا وهي حسنة أيضاً لان الترمذي أشار اليها ولم يتكلم عليها وعادته أنه اذا فعل ذلك تكون كالتي قبلها ثم ان هذا الحديث فيه اشارة الى أن الشام ستفتح لانها كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بيد الروم وآخر يشير الى الواقعة التي كانت بين الصحابة في صفين وغيرها والى واقعة الحسين رضي الله عنه وليست العموم رتعاقب الازمان بدليل الحديث الذي بعدها .

وعن ابن حوالة (١) انه قال يا رسول الله خر لي بلداً أكون فيه فلو علمت أنك تبقى ما اخترت على قربك شيئاً قال عليك بالشام فلما رأى كراهتي للشام قال أتدرون ما يقول الله في الشام يقول يا شام أنت صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرتي من عبادي ان الله قد تكفل لي بالشام وأهله وعن واثلة بن الاسقع (٢) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لحذيفة بن اليمان ومعاذ بن جبل وهما يستشيرانه في المنزل فأومأ الى الشام ثم سألاه فأومأ الى الشام ثم سألاه فأومأ الى الشام وقال عليكم بالشام فانها صفوة الله تعالى من بلاده يسكنها خيرته من عباده فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله . وعن انس بن مالك (٣) قال قلت يا رسول الله اين الناس يوم القيمة فقال في خير ارض الله واحبها اليه الشام وهي ارض فلسطين والاسكندرية من خير الارضين المقتولون فيها لا يبعثهم الله الى غيرها فيهـا قتلوا وفيهـا يبعثون ومنها يحشرون ومنها يدخلون الجنة . وعن زيد بن ثابت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال طوبى للشام قلنا لاي شيء ذاك قال لان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليها (٤) . وعن سالم بن عبد عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قال اللهم بارك لنا في مكتنا وبارك لنـا في مدينتنا وبارك لنا في شامنا وبارك لنـا فى يمننا وبارك لنـا في صاعنا وبارك لنا في مدنا فقال رجل يا رسول الله وفي عراقنـا فأعرض عنـه فرددها ثلاثاً كل ذلك يقول الرجل وفي عراقنا فيعرض عنه فقال بها الزازال والفتن وفيهـا يطلع قرن الشيطـان وفي رواية وفي نجـدنا بدل وفي عراقنـا (٥) ورواه الحـاكم بلفظ فقـال رجـل يا رسـول الله العراق

---

(١) رواه ابو داود باختصار كثير ورواه الطبرانى من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة . (٢) رواه الطبرانى بأسانيد كلها ضعيفة . (٣) رواه المصنف بطرق لا تعرف باستقامة . (٤) رواه الترمذى عن زيد بن ثابت وقال هذا حديث حسن غريب ورواه احمد بلفظ طوبى للشام طوبى للشام . (٥) ان صح هذا فتكون الاشارة فيه الى ما وقع بعده صلى الله عليه وسلم من الحروب بين الصحابة في الوقائع المشهورة بين سيدنا على رضى الله عنه ومعاوية ومن بعدهما فى مقتل سيدنا الحسين رضى الله عنه . (٦) هذه الرواية خرّجها ابو عيسى الترمذى فى سننه عن ابن عمر مرفوعاً ولفظه اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا قالوا وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا قالوا وفى نجدنا قـال هناك الزلازل والفتن وبها أو قال منهـا يخرج قرن الشيطان قـال الترمذي هـذا حديث حسن صحيح غريب قال وقـد روي هذا الحديث عن سالم بن عبـد الله بن عمر

في دنيا ولا آخرة وقال ضمرة بن شوذب تذاكرنا الشام فقلت لابي سهل أما بلغك أنه يكون بها كذا وكذا قال بلى ولكن ما كان بها يكون أيسر مما يكون بغيرها وعن سلمة الكندي وكان قومه بعثوه وافداً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وركبتاه الى ركبتي مستقبل الشام بوجهه مولّي الى اليمن ظهره اذ أتانا رجل فقال يا رسول الله أزال الناس الخيل ووضعوا السلاح وزعموا أن الحرب قد وضعت أوزارها (١) فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذبوا بل الآن جاء القتال لا تزال فرقة وفي لفظ لا يزال قوم من أمتي يقاتلون على أمر الله يزيغ الله بهم قلوب أقوام وينصرهم عليهم حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله الخيل معقود بنواصيها الخير (٢) الى يوم القيامة وقد أوحي الي أني مقبوض غير ملبث وانكم متبعوا أفناداً وعقوداً (٣) والمؤمنون بالشام وعن سلمة بن نفيل (٤) قال كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال يوحى ا[illegible] مقبوض غير ملبث (٥) وأنكم متبعوا أفناداً (٦) يضرب بعضكم رقاب بعض ولا يزال من أمتي ناس يقاتلون على الحق ويزيغ (٧) الله بهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة والخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة وعقر (٨) دار المؤمنين بالشام وعن ابي امامة مرفوعاً (٩) صفوة الله من أرضه الشام وفيها صفوته من خلقه وعباده وليدخلن الجنة من أمتي ثلة (١٠) لا حساب عليهم ولا عقاب وفي لفظ الشام صفوة الله من أرضه وفيها صفوته من خلقه فمن خرج من الشام الى غيرها فبسخطه ومن دخل اليها من غيرها فبرحمته (١١) .

---

(١) أي انقضى أمرها وخفت أثقالها فلم يبق قتال . (٢) أي ملازم لها كأنه معقود فيها . (٣) اراء قاله فى النهاية . (٤) رواه الامام احمد بمعناه . (٥) مخلد أو متأخر . (٦) قال ابن الاثير في النهاية وفي الحديث ألا انى من أولكم وفاة تتبعون أفناداً يهلك بعضكم بعضاً أي جماعات متفرقين قوماً بعد قوم . (٧) يميل . (٨) قال فى النهاية عقر الدال بفتح العين وضمها أصلها ومنه الحديث عقر دار الاسلام الشام أي أصله وموضعه كأنه أشار به الى وقت الفتن أي يكون الشام يومئذ أمناً منها وأهل الاسلام فيه أسلم . (٩) رواه الطبراني باسناد فيه رجل ضعيف . (١٠) بالضم الجماعة من الناس . (١١) ورواه الطبراني وفيه عمير بن معدان وهو ضعيف ورواه الحاكم وضعفه المنذري .

« باب بيان أن الايمان يكون بالشام عند وقوع الفتن »

وكون الملاحم العظام

(١) عن عبد الله بن عمرو قال قال النبي عليه الصلاة والسلام رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فذهب به الى الشام فأولته الملك . هذا حديث حسن غريب وفي لفظ فاذا هو نور ساطع عمد به الى الشام الايمان اذا وقعت الفتن بالشام وفي لفظ ألا ان الايمان قد وقع بالشام وهو غريب ايضاً وقد روي من طرق متعددة بألفاظ مختلفة كلها تدور على عبد الله بن عمرو بن العاص وفي بعض طرقه قال عبد الله غزونا مع معاوية مصر فنزلنا منزلا فقلت لمعاوية أتأذن لي أن أقوم فوق فرسي في الناس يعني خطيباً فأذن له فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رأيت في المنام أن عمود الكتاب حمل من تحت وسادتي فأتبعته بصري فاذا هو كالعمود من النار يعمد به الى الشام ألا وان الايمان اذا وقعت الفتن بالشام يقولها ثلاثاً . وعن عائشة (٢) قالت هب (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه مذعوراً (٤) وهو يرجع (٥) فقلت ما لك أنت بأبي وأمي قال سل (٦) عمود الاسلام من تحت رأسي فأوحشني ثم رميت ببصري فاذا هو قد غرز في وسط الشام فقيل لي يا محمد ان الله قد اختار لك الشام ولعباده فجعلها لكم عزاً ومحشراً ومنعة وذكراً من أراد الله به خيراً أسكنه الشام وأعطاه نصيباً منها ومن أراد به شراً أخرج سهماً من كنانته (٧) وهي معلقة وسط الشام فرماه بها فلا يسلم

---

(١) حديث عبد الله بن عمر رواه الطبراني في معجميه الكبير والاوسط وفي أحدها ابن الهيعة وهو حسن الحديث وقد توبع عليه هذا وبقية رجاله رجال الصحيح . (٢) لم أجد بعد الفحص من خرجه غير ابن عساكر فهو ضعيف . (٣) استيقظ . (٤) الذعر الفزع . (٥) بتشديد الراء أي يقول انا لله وانا اليه راجعون . (٦) بضم السين . (٧) التي يجعل فيها السهام .

وعن معاوية بن حكيم بن حيدة القشيري (١) انه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والذي بعثك بالحق نبياً ما خلصت (٢) اليك حتى حلفت لقومي عددها يعني أنامل كفيه بالله لا أتبعك ولا آمن بك ولا أصدقك واني أسألك بالله بم بعثك ربك فقال بالاسلام فقلت وما الاسلام قال تسلم وجهك لله وتخلي له نفسك قال فما حق أزواجنا علينا قال أطعم اذا طعمت واكس اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت كيف وقد أفضى (٣) بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ثم أشار قبل الشام وقال ههنا تحشرون ههنا تحشرون ركباناً ومشاة وعلى وجوهكم وأفواهكم الفدام (٤) وأول شيء يعرب (٥) عن أحدكم فخذه . وعن ابن عباس (٦) قال قال رجل يا رسول الله اني اريد الغزو في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالشام فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله ثم الزم من الشام عسقلان فانه اذا دارت الرحا في أمتي كان أهل عسقلان في راحة وعافية . وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق الى الشام ويتحول شرار أهل الشام الى العراق وقال عليكم بالشام رواه الخطيب يعني البغدادي (٧) . وعن اياس بن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد تكفل لي بالشام وأهله وان ابليس أتى العراق فباض فيها وفرخ وأتى مصر فبسط عبقريه واتكا وقال جبل الشام جبل الانبياء . هذا الحديث مرسل ومع ارساله منقطع فلا يعول عليه (٨) وعن عطاء الخراساني قال لما تممت النقلة من خراسان شاورت من بها من أهل العلم أين ترون لي أن أنزل بعيالي فكلهم يقولون لي عليك بالشام

---

(١) رواه الامام احمد في مسنده بمعناه من حديث حكيم بن معاوية ورواه أيضاً بطرق متعددة بعضها مطول وبعضها مختصر . (٢) وصلت وبلغت . (٣) باشر بعضكم بعضاً . (٤) الفدام ما يشد على فم الابريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه والمعنى هنا وافواهكم ممنوعة عن الكلام حتى تتكلم جوارحكم . (٥) يفصح . (٦) رواه الطبراني في معجميه الكبير والاوسط بنحوه وفي اسناده يحيى بن سليمان المدني وهو ضعيف وأورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات ومعنى دارت الرحا الهلاك . (٧) ورواه الامام احمد في مسنده باسناد حسن . (٨) وقد حاول السيوطي في اللآلى المصنوعة أن ينفي عنه الوضع فذكره من طرق متعددة وأياً ما كان فهو ضعيف ان لم نقل موضوع وهو مخرج على الكناية وضرب الامثال وقوله عبقرية قال في نهاية ابن الاثير العبقر الديباج وقيل البسط الموشية وقيل الطنافس اه والمعنى انه بسط طنفسته وجلس مستريحاً لطاعة أهلها له .

عليك بالشام وعن عبد الله بن حوالة مرفوعاً (١) سيصير الامر الى ان تكونوا جنوداً مجندة جنداً بالشام وجنداً باليمن وجنداً بالعراق فقال ابن حوالة خر لي يارسول الله ان ادركت ذلك فقال عليك بالشام فانه خيرة الله من ارضه يجتبي (٢) اليها خيرته من عباده فان ابيتم فعليكم بيمنكم واستقوا من غدركم فان الله قد توكل لي بالشام واهله وروى من طرق متعددة وفي بعض الفاظها قال ابن حوالة كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فقال ياابن حوالة كيف انت اذا ادركت فتنة تفور في اقطار الارض كانها صياصي بقر (٣) قلت ما تأمرني يارسول الله قال عليك بالشام وعن عبد الله بن يزيد (٤) مرفوعاً ان الله تكفل لي بالشام واهله وعن عبد الله بن عمر (٥) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تخرج نار من حضرموت أو من نحو حضرموت فتسوق الناس قلنا يا رسول الله ما تأمرنا قال عليكم بالشام وفي بعض الفاظه ستخرج نار قبل يوم القيامة من حضرموت تحشر الناس قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال عليكم بالشام عن حكيم بن حزام عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اذا رايت البنا بلغ سلعاً فعليك بالشام قلت فان حيل يعني بيني وبينها افاضرب بسيفي من حال بيني وبين ذلك قال لا ولكن اسمع واطع ولو لعبد حبشي (٦) وعن بهز بن حكيم (٧) عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالشام وفي رواية قلت يا رسول الله من تأمرني خر لي فقال بيده نحو الشام وقال انكم محشورون رجالا وركباناً وتخرون على وجوهكم وعن ابي طلحة الخولانى واسمه ذرع قال قال رسول الله تكونون جنوداً أربعة فعليكم بالشام فان الله تكفل لي بالشام قال الطبراني في حرف الذال من معجمه ذرع ابو طلحة الخولاني اختلف في صحبته وقال في موضع آخر ولا يثبت له صحبة ومثل هذا يضعف الحديث (٨)

---

(١) رواه الامام احمد في مسنده بهذا اللفظ وابو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد . (٢) يختار . (٣) يعني قرونها شبه الفتنة بها لشدتها وصعوبة الامر فيها وكل شيء امتنع الانسان به وتحصن به فهو صيصة ومنه قيل للحصون الصياصي وقيل شبه الرماح التي تشرع فى الفتنة وما يشبهها من سائر السلاح بقرون بقر مجتمعة . (٤) رواه من طريق الامام احمد وأبي يعلى الموصلي ورواه احمد مطولا . (٥) رواه احمد والترمذي وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح وفي أوله سيخرج عليكم في آخر الزمان نار ثم ساقوا الحديث . (٦) رواه الحاكم والبيهقى في الدلائل . (٧) الدارقطني والامام احمد . (٨) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد قلت وفي اسناده جماعة اختلف في الاحتجاج بهم .

ابن حوالة (١) قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكونا اليه الفقر والعرى (٢) وقلة الشيء فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أبشروا فوالله لأنا من كثرة الشيء أخوفني (٣) عليكم من قلته والله لا يزال هذا الامر فيكم حتى تفتح عليكم أرض فارس وأرض الروم وأرض حمير (٤) وحتى تكونوا ثلاثة أجناد جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن وحتى يعطى الرجل مائة دينار فيستسخطها (٥) قال ابن حوالة فقلت يا رسول الله ومن يستطيع الشام وفيها الروم ذات القرون (٦) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفتحها الله عليكم وليستخلفنكم الله فيها حتى تظل العصابة(٧) منهم البيض قمصهم المحلقة اقفاؤهم(٨) قياماً على الرويجل(٩) الاسود منكم قال الواسطي المحلوق وما أمرهم فعلوا وان بها اليوم رجالا لأنتم اليوم أحقر في أعينهم من القردان (١٠) في اعجاز الابل قال ابن حُوالة فقلت فاختر لي يا رسول الله ان أدركني ذلك الزمان قال اخترت لك الشام فانها صفوة الله من بلاده يسكنها صفوته من عباده يا أهل اليمن عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره (١١) فان الله تعالى قد تكفل لي بالشام وأهله قال فسمعت عبد الرحمن بن جبير بن نفير يقول فعرف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث في حرءا بن سهل وكان قد ولى الاعاجم وكان أويدماً (١٢) قصيراً فكانوا يمرون وتلك الاعاجم حوله قيام لا يأمرهم بشيء الا فعلوه فيتعجبون من هذا الحديث وفي رواية قال ابو علقمة أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ثلاث مرات ولا نعلم انه أقسم في حديث مثله قال

---

(١) رواه من طريق عبد الرحمن الدرامي والبيهقي واللالكائي وأسانيده تقوي طرقه ورواه ابو نعيم في الحلية . (٢) بضم العين وسكون الراء قال في الصحاح عرى من ثيابه فهو عار وعريان والمرأة عريانة . (٣) أي أخوف نفسي عليكم . (٤) حمير ابو قبيلة من اليمن وهو حمير بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الياء بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم كانت الملوك في الدهر الاول كذا في الصحاح . (٥) أي يجدعا قليلة . (٦) قال الاصمعي أراد قرون شعورهم وكانوا يطولون ذلك فعرفوا به ويقال للرجل له قرنان أي ضفيرتان . (٧) العصبة من الرجال ما بين العشرة الى الاربعين . (٨) القفا مؤخر الفتق . (٩) تصفير رجل . (١٠) هو بكسر القاف مفرده قراد بضم القاف وهو معروف‌و اعجاز جمع عجز بضم الجيم مؤخر الشيء يذكر ويؤنث . (١١) جمع غدير . (١٢) تصفير أدم وهو الاسمر .

وعن واثلة بن الاسقع (١) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجند الناس أجناداً فجنداً بالشام وجنداً باليمن وجنداً بالعراق وجنداً بالمشرق وجنداً بالمغرب فقلت يا رسول الله اني رجل حديث السن فان أدركت ذلك الزمان فأيها تأمرني يا رسول الله قال عليكم بالشام فانها صفوة الله تعالى في أرضه يسوق اليها صفوته من خلقه فاذا أبيتم فعليكم باليمن فاسقوا بغدره (٢) وقد تكفل الله تعالى لي بالشام وأهله وعن عبد الله ابن حوالة الازدي (٣) قال قلت يا رسول الله خر لي بلداً أكون فيه فلو علمت انك تبقى لم أختر على قربك شيئاً فقال عليك بالشام ثلاثاً فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم كراهيتي لها قال هل تدري ما يقول الله تعالى في الشام انه يقول يا شام يدي عليك يا شام أنت صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرة عبادي أنت سوط نقمتي وسوط عذابي أنت الانذر (٤) وعليك المحشر ورأيت ليلة أسرى بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤة تحمله الملائكة قلت ما تحملون قالوا عمود الاسلام أمرنا أن نضعه بالشام وبينا أنا نائم اذ رأيت الكتاب اختلس (٥) من تحت وسادتي فظننت أن الله تخلى (٦) عن أهل الارض فاتبعه بصري فاذا هو بين يدي حتى وضع بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره فان الله قد توكل بالشام وأهله. وعن أبي الدرداء (٧) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ستجندون أجناداً مجندة جنداً بالشام وجنداً باليمن وجنداً بالعراق وجنداً بمصر قالوا فخر لنا يا رسول الله قال عليكم بالشام قالوا انا أصحاب ماشية وعمود (٨) ولا نطيق الشام قال فمن ابى فليلحق بيمنه وليسق بغدره فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله وعن عبد الله

---

(١) روي حديث واثلة الطبراني من طريقين احداهما حسنة ولفظه يجند الناس أجناداً جند باليمن وجند بالشام وجند بالمشرق وجند بالمغرب فقال رجل يا رسول الله خر لي اني فتى شاب لعلي أدرك ذلك فأي ذلك تأمرني قال عليك بالشام ورواه البغوي عن عبد الله ابن الاسقع وقال هو أخو واثلة ويشك في سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وهو وهم والصحيح انه عن واثلة (٢) الغدر بضم الغين والدال جمع غدير كما تقدم (٣) رواه ابو نعيم احمد بن عبد الله الحافظ والطبراني ورواه ابن عساكر من طريق النسائي وله طرق يقوي بعضها بعضاً (٤) قال في الصحاح تناذر القوم كذا أي خوف بعضهم بعضاً اه فالانذر معناه الاكثر تخويفاً من غيره كما يشهد لهذا المعنى ماقبله. (٥) استلب وأخذ والوسادة المخدة. (٦) قال في الصحاح خاليت الرجل تاركته وتخليت تفرغت وخليت عنه اه والمعنى تركهم (٧) رواه الطبراني عن ابي الدرداء وفي سنده سليمان بن عتبة وقد وثقه جماعة وفيه خلاف لا يضر وبقية رجاله ثقات ورواه ابن عساكر من طريق ابي نعيم الاصبهاني وطرقه ثلاثة (٨) أصحاب بيوت شعر ترفع بالاعمدة ومن كان شأنه كذلك يحتاج للبادية ليرعى غنمه فيها.

كتب عنه وقال حسان بن زيد لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ نقول للشيخ كم سنه وفي أي تاريخ ولد فان أقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه وقال الحسن ابن الربيع قدمت بغداد فلما خرجت شيعني أصحاب الحديث فلما برزت الى الخارج قالوا توقف فان احمد بن حنبل يجيء فقعدت وأخرجت الواحي فلما جاء احمد قال لي في أي سنة مات عبد الله بن المبارك فقلت سنة احدى وثمانين فقيل له ما تريد بهذا فقال أريد الكذابين وقال أبو الفضل صالح التميمي الحافظ ينبغي لطالب الحديث ومن عني به أن يبدأ بكتب حديث بلده ومعرفة أهله وتفهمه وضبطه حتى يعلم صحيحه وسقيمه ويعرف أهل التحديث به وأحوالهم معرفة تامة اذا كان في بلده علم وعلماء قديماً وحديثاً ثم يشتغل بعد حديث بلده بالبلدان والرحلة في طلبه .

((باب ذكر أصل اشتقاق تسمية الشام وحث المصطفى))
صلى الله عليه وسلم أمته على سكنى الشام وأخباره
بأن الله تكفل بمن سكنه من اهل الاسلام

عن عبد الله بن حوالة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ستجندون أجناداً جنداً بالشام وجنداً بالعراق وجنداً باليمن قال فقمت فقلت خر لي (٢) يارسول الله قال عليك بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره (٣) قال الله قد تكفل لي بالشام وأهله قال ابن حوالة وما تكفل الله به فلا ضيعة عليه (٤)

(١) رواه ابن عساكر من عشرة طرق ورواه الامام احمد في مسنده ولفظه سيكون أجناد مجندة شام ويمن وعراق والله أعلم بأيهما بدا وعليكم بالشام قالها ثلاثاً فمن كره فعليه بيمنه وليسق في غدره فان الله توكل لي بالشام وأهله .

(٢) معناه تخير لي . (٣) الغدر بضمتين والغدران جمع غدير وهو القطعة من الماء يتركها السيل في مكان منخفض . (٤) الضيعة في الاصل المرة من الضياع ومعناه ان الله لا يجلب له الاطراح والهوان حتى يصير كأنه ضائع في بلده .

الفنون فقولوا انه لا يجوز تعلمه ولا تدبر الآيات التي تشتمل على ذلك لانه اشتمل على ما زعمتم تحريمه وأيضاً فكل حكيم عاقل يعلم انه اشتمل على أمهات مسائل كثيرة من فنون تنفرون منها وتنفرون عنها فان كنتم تقدرون على أن تنفروا عن هذا الكتاب المنزل فافعلوا حتى يكون الذي أنزله لتتدبروا آياته خصمكم وما أخالكم تجسرون على ذلك . والرواسي الجبال الثوابت وبارك فيها أكثر خيرها وانماه قال في الكشاف في قوله تعالى قالتا اتينا طائعين معناه أنه أراد تكوينهما فلم تمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وقال في قوله تعالى وأوحى في كل سماء أمرها معناه ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك أو شأنها وما يصلحها .

في الجاهلية يسمون الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء ابار(١) والاربعا كبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شبار وقال أبو عمرو بن العلاء انما سمي المحرم(٢) لان القتال حرم فيه وصفر لان العرب كانت تنزل فيه بلاداً يقال لها صفر وشهرا ربيع كانوا يربعون فيهما وشهرا جمادى كان يجمد فيهما المـاء ورجب كانوا يرجبون (٣) فيه النخل وشـعبان كانت القبائل تتشعب (٤) فيه ورمضان لرمض (٥) الفصال (٦) فيه من الحر وشوال لان الابل كانت تشول (٧) فيه باذنابها للضراب (٨) وذو القعدة لقعودهم فيه عن القتال وذو الحجة كانوا يحجون فيه فأما أول السنة فالمحرم وقال ابن عباس في قوله تعالى والفجر وليال عشر هو المحرم فجر السنة .

« فصل في خواص التاريخ على مصطلح المحدثين »

قال سفيان الثوري لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ وقال حفص ابن غياث اذا اتهمتم الشيخ(٩) فحاسبوه بالتاريخ يعني احسبوا اسنه وسن من

(١) الذي في كلام الزجاج والفراء وأبي عبيدة أن العرب العارية كانت تسمي يوم الثلاثاء جبار والاربعاء دبار فما في الاصل تصحيف من الناسخ قالوا وأول من نقل [illegible] الى الجمعة كعب ابن لؤي. (٢) هذا بالنسبة الى زمن التسمية فانها قد صادفت تلك الامور المذكورة فسميت بها (٣) الرجب أن يجعل للنخلة الكريمة عمود من حجارة أو خشب اذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع . (٤) تصير فرقاً . (٥) التأذي من حر الشمس. (٦) جمع فصيل وهو ولد الناقة اذا فصل عن أمه وفطم عن الرضاع. (٧) ترفع. (٨) طلب نزو الفحل عليها. (٩) الكبير في السن

تقدير العزيز العليم فهذه هي الادوار الست المشار اليها في هذه الآية وقد اشتمل آخر هذه الآية على مهمات فن الهيئة واشتملت الآية كلها على علوم خمسة بأخصر عبارة وألطفها وأدرج فيها علم آخر وهو الاستدلال على وجوده تعالى وقدرته ووحدانيته على نمط يدهش كل عاقل حكيم وتضمنت الرد على فرقتين أولهما هي القائلة بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي ألف هذا الكتاب العظيم فيقال لها أنتم تعتقدون أن هذه الفنون لم تكن عند العرب وتدعون أن أكثرها من مخترعات هذا العصر فمن أين أحاط علماً بهذه الاشياء حتى أورد أمهاتها في كلمات وجيزة ولو لم يكن هذا الكتاب من عند الله تعالى لما قدر من زعمتم أن يتكلم عن مسئلة واحدة فضلا عن هذه الفنون التي تطابق ما تدعون أنه من مخترعات هذا العصر تمام الانطباق وثانيهما الفرقة التي تزعم أن تعلم فن طبقات الارض والنبات والمعادن والحيوان والهيئة يمنع منه الدين الاسلامي فيقال لهم ان القرآن الكريم قد فصل أمهات مسائل هذه

((اشتقاق تسمية الايام والشهور))

قال ابن عباس خلق الله يوماً فسماه الاحد ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين فخلق فيهما السموات والارض ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء فخلق فيه الجبال فمن ثم يقول الناس يوم ثقيل ثم خلق رابعاً فسماه الاربعاء فخلق فيه مواقع الاشجار والانهار ثم خلق خامساً فسماه الخميس وبه خلق الطير والوحش والسباع والهوام ثم خلق الجمعة فخلق فيه آدم والامهات ثم قرأ ابن عباس أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الآية كلها (١) وقال ابو العلاء المعري كانت العرب

---

(١) قال ابن الاثير في النهاية قد يراد باليوم الوقت مطلقاً ومنه الحديث تلك أيام الهرج أي وقته ولا يختص بالنهار دون الليل اه فقد علمت ان اليوم في اللغة يطلق ويراد به الوقت فيجب تفسير ما في القرآن الكريم به وفي مثل هذه الآية مما يصرح بأنه تعالى لخلق السموات والارض في ستة أيام ويستحيل ان يفسر باليوم الذي هو من طلوع الشمس الى غروبها لانه قبل خلق السموات والارض لم يكن شمس ولا قمر فكيف يقدر بهما وأيضاً فان اليوم أمر اعتباري لانه لا نهار في قطر الا وفي وقته ليل عند قوم آخرين كما يحققه من له اطلاع على علم الهيئة فالايام المذكورة في قوله تعالى خلق الارض في يومين وغيرها مما يشابهها عبارة عن الاوقات والاطوار واذا أردت ان يفتح لك المقفل من تاريخ فن الجيولوجيا فتأمل آيات من القرآن الكريم ومن جملتها قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فالآية صريحة في أن خلق الكواكب متأخر عن الادوار الخمسة فمن أين نقدر أن نفسر الايام باليوم الاعتباري هذا وقد أوجد تعالى جوهراً ثم انه تجلى عليه بتجليات عظمته فصار سيالا فانفصلت منه الارض ذلك قوله أولم يروا أن السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما والرتق ضد الفتق الذي هو بمعنى الانفصال ثم مضى على الارض دور وهو المسمى باليوم الاول تحولت فيه الارض من السيلان الى الجمود فبردت قشرتها العليا التي كانت ملتهبة ثم تحولت في الدور الثاني من الجمود الى التحجر فذلك قوله تعالى خلق الارض في يومين ثم أسفر مرور الدور الثالث عن تركيبها واثبات جبالها وبحورها وجعلها صالحة للنبات وسكنى الحيوان بها وفي الدور الرابع كان ايجاد النبات والحيوان والمعادن وهي المواليد الثلاثة ولو بسطنا الكلام على ذلك لاستخرجنا فن طبقات الارض وفن المواليد من هذه الآية الكريمة ولكن أجملنا البحث هنا لنبسطه في مواضع من تفسيرنا أعاننا الله على اكماله ثم انفصلت الكواكب في الدور الخامس فأمرها تعالى بذلك فجاءت طائعة منقادة لامره ثم أوحى لكل من تلك الكواكب والسموات أمرها وأكمل لها نظامها فتبعت كل واحدة منهن ما رسم لها من الدوران واتباع وظيفتها فكان منها ما هو مصابيح للسماء الدنيا أي القربى وزينة لها ذلك

وسلم وقال بعضهم من حين أوحي اليه وقال بعضهم نكتبه من هجرته التي هاجر فيها من دار الشرك الى دار الاسلام فاجتمع رأيهم على أن يكتبوا التاريخ من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ثم قالوا بأي شهر نبدأ فاختلفوا في ذلك ثم بدا لهم أن يجعلوه من المحرم وقال سعيد بن المسيب جمع عمر بن الخطاب جماعة من المهاجرين والانصار فقال من أي شهر نكتب التاريخ فقال له علي بن ابي طالب منذ خرج النبي صلى الله عليه وسلم من أرض الشرك يعني يوم هاجر قال فكتب ذلك عمر وكان ذلك لسنتين ونصف من خلافته وعن ابن سيرين أن رجلا من المسلمين قدم من أرض اليمن فقال لعمر رأيت باليمن شيئاً يسمونه التاريخ يكتبون من عام كذا وشهر كذا فكان ذلك سبباً لانشاء التاريخ(١) .

« باب ذكر تاريخ الهجرة والاقتصار في »

ذكره للشهرة

قال ابو حفص الفلاس قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين ارتفاع النهار لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وقال فضالة بن عبيد قدم النصف من ربيع الاول انتهى وأقام بالمدينة عشر سنين والصحيح الاول وكان خروجه من مكة في صفر وقال ابن القواس كان أول المحرم سنة الهجرة يوم الخميس اليوم السابع عشر ماه روز سنة ثلاث وثلاثين لكسرى برويز واليوم الثامن من أيار سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة لذي القرنين .

---

(١) هذه الآثار تنبىء عن سبب مبدأ التاريخ الاسلامي وتنادي بأعلى صوتها ان الصحابة كانوا يحبون المدنية وينادون بها ويقتبسونها من أي محل وجدوها به لا يبالون ان أخذوها من الروم أو من الفرس كما يعلم مما سبق ويسيرون على منهاج « الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها » وقد اقتبسوا أشياء كثيرة من الامم الذين هم خلافهم فالذي يمنع اقتباس المدنية في الامور السياسية من الغير مخالف لما كان عليه الصحابة والتابعون والائمة عليهم من الله الرضوان .

اجمعين وأرخ بنو اسماعيل من نار ابراهيم ثم لما بنى ابراهيم واسماعيل الكعبة ابتدا بنو اسماعيل التاريخ من بنائها الى ان تفرقت معد فكان كلما خرج قوم من تهامة جعلوا التاريخ من مخرجهم ومن بقي من بني تهامة يؤرخ من خروج سعد ونهد وجهينة من بني زيد ثم ارخوا من موت كعب بن لؤي الى عام الفيل فكان التاريخ فيه حتى ارخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة او ثماني عشرة من الهجرة وقد كان للعرب ايضاً تاريخ وقال ابو عبيدة لم يزل لفارس تاريخ يعرفون أمورهم به وتاريخ حسابهم الى هذا اليوم منذ مات يزد جرد بن شهريار ولبني اسرائيل تاريخ آخر يبتدئونه من سني ذي القرنين وكان مبداه قبل الهجرة بتسعمائة وخمس وعشرين سنة .

« ذكر اختلاف الصحابة عليهم الرضوان في التاريخ وما نقل فيه من الاتفاق منهم »

قال ابن شهاب الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة في شهر ربيع الاول قال ابو حفص وكان قدومه المدينة يوم الاثنين عند ارتفاع النهار لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وهو ابن ثلاث وخمسين سنة انتهى والمحفوظ ان الآمر بالتاريخ عمر بن الخطاب قال ميمون بن مهران وقع الى عمر صك في شعبان يعني غير معين فقال عمر أي شعبان الذي نجز فيه أهذا الذي مضى او الذي هو آت أو الذي نحن فيه ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم ضعوا الناس شيئاً يعرفون به سنينهم فقال قائل اكتبوا على تاريخ الروم فقالوا ان الروم يطول تاريخهم يكتبون من ذي القرنين وقال آخر اكتبوا على تاريخ فارس فقالوا ان فارساً كلما قام ملك طرح تاريخ من كان قبله فأجمع رأيهم على ابتداء التاريخ من الهجرة وكان قد مضى من أمدها عشر سنين وعن ميمون ابن مهران قال ائتمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متى يكتبون التاريخ فقال بعضهم نكتبه من الشهر الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه

وتسع وستون سنة ومن داود الى عيسى الف وثلاثمائة وستة وخمسون سنة ومن عيسى الى محمد عليه الصلاة والسلام ستمائة سنة فذلك خمسة آلاف واثنان وثلاثون سنة وفي الاصل قال وهذا الاجمال صحيح وقيل ان الماضي كان ستة آلاف سنة وعن ابي سلمة كان بين آدم ونوح عشرة قرون وبين ابراهيم وموسى عشرة قرون والقرن مائة سنة وعن ابن عباس كان بين موسى بن عمران وعيسى بن مريم الف وتسعمائة سنة ولم يكن بينهما فترة من الرسل بينهم الف نبي من أنبياء بني اسرائيل سوى من أرسل من غيرهم وكان بين ميلاد عيسى والنبي صلى الله عليهما وسلم خمسمائة سنة وتسع وستون سنة بعث في أولها ثلاثة أنبياء وهو قوله تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والذي عزز به شمعون وكان من الحواريين وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولاً اربعمائة سنة واربعة وثلاثين سنة وان حواريي عيسى كانوا اثنى عشر رجلا وكان قد تبعه بشر كثير ولكنه لم يك فيهم من الحواريين الا هذا العدد وكانوا عمالا يعملون بأيديهم وهم من الاصفياء وان عيسى حين رفع كان ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة اشهر وكانت نبوته ثلاثين شهراً وكانت القرية التي منها تسمى الناصرة وكان أصحابه يسمون بالناصريين نسبة اليها وكان يقال لعيسى الناصري وبذلك سميت النصارى وقال ابن شهاب الزهري ان قريشاً كان يعدون بين الفيل والنجار أربعين سنة وكان يعدون بين النجار وبين وفاة هشام بن المغيرة ست سنين وبين وفاته وبين بنيان الكعبة تسع سنين وبينها وبين ان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة خمس عشرة سنة منها خمس سنين قبل أن يوحى اليه ثم كان العدد يعني بعد التاريخ وقال الشعبي لما هبط آدم من الجنة وانتشر ولده ارخ بنوه من هبوطه فكان ذلك هو التاريخ حتى بعث الله نوحاً فأرخوا من بعثته فلما كان الطوفان وغرق من غرق ونجا نوح ومن معه قسم الارض بين أولاده اثلاثاً فجعل لسام وسطاً من الارض ففيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان وقيسون وذلك مابين قيسون الى شرق النيل وجعل قسم حام غربي النيل وقسم يافث وراء قسم سام الى الشرق فكان التاريخ من الطوفان ثم كثر ولد اسماعيل وافترقوا فأرخ بنو اسحق من نار ابراهيم الى مبعث يوسف ومن مبعثه الى ملك سليمان ومن ملكه الى مبعث عيسى بن مريم ومن مبعثه الى مبعث النبي صلى الله عليهم

موت آدم بمائتي سنة فمكث في نبوته مائة سنة وخمس سنين وكان الناس من آدم الى ادريس أهل ملة واحدة متمسكين بالاسلام وهو توحيد الله الخالص فلما مضى ادريس عليه السلام اختلفوا وفتر الوحي الى أن بعث الله نوحاً عليه السلام وعمره يومئذ اربعمائة سنة وثمانون سنة فلبث في قومه الف سنة الا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عاماً وكان بين نوح وهود ثمانمائة سنة وعاش هود أربعمائة وأربعاً وستين سنة وكان بين هود وصالح مائة سنة وعاش صالح مائة سنة وخمسة وسبعين سنة وعاش اسماعيل مائة سنة وتسعة وثلاثين وعاش اسحق مائة سنة وثمانين سنة وعاش يعقوب بن اسحق مائة سنة وتسعة وأربعين سنة وكان بين موسى وابراهيم سبعمائة سنة وكانت الانبياء بين موسى وعيسى متواترة كما انها كانت متواترة بين نوح وموسى قال الله تعالى في سورة المؤمنين من بعد قصة نوح ثم أرسلنا رسلنا تترى أي يأتي بعضها اثر بعض كلما جاءت أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً الى قوله ثم أرسلنا من بعدهم موسى وهارون ويقال أنه نبىء من الانبياء مائة الف واربعة وعشرون ألفاً منهم أربعون ألفاً وثلاثمائة من المرسلين ولكن من زعم انه يعلم عدتهم وأسمائهم فقد كذب لان الله تعالى يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وقال كعب كان بين موسى وعيسى ستمائة سنة وعن ابن عباس انه كان خمسمائة سنة والله أعلم أي ذلك كان من جميع ما تقدم وقد اختلف المؤرخون في بيان هذه المدة فذكروا ما سبق وقال محمد بن اسحاق(١) كان من آدم الى نوح الف ومائتا سنة ومن نوح الى ابراهيم الف ومائة واثنتان وأربعون سنة ومن ابراهيم الى موسى خمسمائة وخمس وستون سنة ومن موسى الى داود خمسمائة سنة

عمره ومات وسنه تسعمائة واثنان وستون سنة وعاش ولده اخنوخ ثلاثمائة وخمساً وستين سنة وولد له متوشالخ وكانت مدة حياته تسعمائة وتسعاً وستين سنة وولد له لامك والد نوح وعمره مائة وسبع وثمانون سنة واستقرت حياة لامك سبعمائة وسبعاً وسبعين سنة وكان عمر نوح لما مات والده خمسمائة سنة هذه خلاصة الاصحاح الخامس وفي الاصحاح السادس ان الطوفان ظهر لستمائة سنة خلت من حياة نوح عليه السلام والله أعلم بالحقيقة ومن أراد بيان نقد هذه الاخبار على وجه مطول محقق فليراجع الجزء الاول من الفصل فى الملل والنحل لابن حزم .

(١) الذي يعلم من الاصحاحين الخامس والسادس من سفر التكوين من التوراة انه كان من هبوط آدم الى الطوفان الف وست عشرة سنة .

لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وقال في آية أخرى وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون وعن عياش قال نزل قوله تعالى يسألونك عن الاهلة الآية في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة وهما رجلان من الانصار قالا يا رسول الله مابال الهلال يبدو ويطلع رقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ثم لايزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد كما كان فنزلت الآية بياناً لحل دينهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم والشروط التي تنتهي الى اجل معلوم وعن قيس بن طلق عن ابيه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى جعل هذه الاهلة مواقيت للناس صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته(١) قال عمر وافطروا على عذر فأتموا العدة وروي عن قيس بن طلق عن أبيه بلفظ آخر وهو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى جعل هذه الأهلة مواقيت الناس فاذا رايتموا فصوموا واذا رايتموا فافطروا فان غم عليكم فأتموا العدة(٢) وفي لفظ آخر جعل الله تبارك وتعالى الأهلة مواقيت فاذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فأتموا العدة ثلاثين .

« باب في مبدا التاريخ واصطلاح الامم على التواريخ »

قال ابن عباس كانت فترتان فترة بين ادريس ونوح وفترة بين عيسى ومحمد فكان أول نبي بعث ادريس بعد آدم فكان بين موت آدم وبين بعثة ادريس مائتا سنة لان آدم عاش الف سنة الا أربعين عاماً (٣) وجاءت ادريس النبوة بعد

(١) رواه الامام احمد في مسنده. (٢) رواه الطبراني في معجمه الكبير والبيهقي في السنن

(٣) هذه الاساطير مأخوذة من الاصحاح الخامس من سفر التكوين من التوراة وفيها شيء من المخالفة للتوراة الموجودة اليوم في الايدي ولنلخص هذا الاصحاح لتعلم المخالفة فنقول ولد شيث بعد هبوط آدم بمائة وثلاثين سنة وعاش بعده ثمانمائة سنة فكانت كل ايام آدم تسعمائة وثلاثين سنة وعاش شيث تسعمائة واثنى عشرة سنة وعاش ولده انوش ابن شيث تسعمائة وخمس سنين وأقام قينان بن انوش في الدنيا تسعمائة وعشر سنين وعاش ولده مهيائيل ثمانمائة وخمساً وتسعين سنة وكان قد ولد له يارد لخمس وستين سنة من

اربعة رجلان مآب وعمان وابنتان زغر والربة فمدينة عمان منسوبة الى الاول ونسبت مدائن البلقا لمآب وزغر لزغر بنت لوط والربة لربة بنت لوط وصيدا منسوبة لصيدون بن صدقا او كنعان بن حام وقال ابن فارس جيرون مأخوذ من قولك جرن الشيء اذا صار أملس وجلق من جلق راسه اذا حلقه واذرح من الحمرة الشديدة وتدمر من دمر اي دخل وبيروت من البرت وهو الرجل الذليل وذكر بعض اشتقاقات كلها لادخل لها في أسماء البلدان لانها غير عربية فلا يطلب لها اشتقاق منها .

« اشتقاق اسم التاريخ وأصله وسببه وذكر الفائدة »

الداعية الى الاعتناء به

قال ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب في تاريخه تاريخ كل شيء آخره وهو في الوقت غايته والموضع الذي انتهى اليه يقال فلان تاريخ قومه أي اليه ينتهي شرفهم ويقال ورخت الكتاب توريخاً وأرخته تأريخاً اللغة الاولى لتميم والثانيه لقيس ولكل مملكة وأهل ملة تاريخ وجماع القول في تواريخهم انهم يؤرخون بالوقت الذي فيه حوادث مشهورة عامة قال الله تعالى يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ويعتبر بالتاريخ بعض الاحكام الشرعية كالصيام وانقضاء عدة النساء من بعولتهن ومدة حملهن ووضع أجنتهن ووقت محل الديون اللازمة وتصرم (١) مدة عقود التجارات والاجارات واختلاف الفصول والاوقات وبها تحدث حوادث الامم الخاليات (٢) قال قتادة في قوله تعالى يسألونك عن الأهلة الآية ان الله تعالى جعل الأهلة لصوم المسلمين وافطارهم وحجهم ومناسكهم وعدد سيئاتهم ومحل ذنوبهم (٣) في أشياء والله تعالى أعلم بما يصلح خلقه قال وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة

---

(١) انقضاء . (٢) الماضيات . (٣) مراده اذا انقضى وقت العبادة ولم يفعلها المكلف بها يعلم بانقضاء الوقت الذنب والاثم وفي هذا اشارة الى ان تعلم فن الميقات مما يأمر به الدين الاسلامي وكذا معرفة سير النجوم ومعرفة تنقلات الشمس والقمر في البروج .

ويقال دمشق الضرب دمشقة اذا ضرب ضرباً سريعاً خفيفاً وقال ابن دريد ان لفظ دمشق ليس بعربي بل معرب يعني فلا يطلب له اشتقاق وقال عبد الله بن محمد الخطابي الشاعر كتب الي سيف الدولة يسأل عن دمشق هل يقال فيها دمشقة أم لا فقلت دمشق اسم هذه المدينة ليست عربية فيما ذكر ابن دريد بل هي معربة ولا يقال الا بغير هاء فأما الدمشقة فهي السرعة وكل سريع دمشق فأعاد عليه الكتاب وقد وقع عليه مالفظه. قال عبد الرحمن بن صهيل الحجيمي وهو بعسكر يزيد بن ابي سفيان عند حصارهم دمشق :

أبلغ أبا سفيان عنا بأننا على خير حال كان جيش يكونها
وأنا على بابي دمشقة نرتمي وقد حان من بابي دمشقة حينها

وفي الكتاب ايضاً ان الناقة السريعة يقال لها دمشق والمرأة السريعة اليد في العمل تسمى دمشق فكتبت تحته ان كلام هذا الشاعر يحتمل ذلك المعنى ولا سيما اذا قصد بدمشق مدينة ويكون المراد أنه زادها التاء تأكيداً للتأنيث كما أن عقرباً مؤنث بغير علامة التأنيث والعقربان ذكرها فقالوا عقربة تأكيداً فكذلك دمشق ودمشقة وذكر يونس وغيره أناثة وعجوزة وفرسة كل ذلك تأكيداً وقرأ ابن مسعود تسعة وتسعون نعجة أنثى فبعث يستحضرني فلما مثلت بين يديه قلت أيها الامير رب علم كنت سببه وقد استنقذته دمشقة الا انه في النحو كما ذكرت والعرب تزيد المذكر بياناً كما قال صلى الله عليه وسلم ابن لبون ذكر وتزيد المؤنث تأنيداً مثل نعجة أنثى وذكر كلاماً غيره وقيل انما سميت دمشق بالرومية وان أصل اسمها دومسكس ومعناه مسك مضاعف لطيبها ثم عربت فقيل دمشق والله تعالى أعلم. وقال محمد بن اسحق ولد لاسماعيل بن ابراهيم اثناعشر ولداً وسماهم ومنهم نتالا وهود ودوما وبه سميت دومة الجندل وقال السائب الكلبي ولد للوط أربعة بنين وابنتان فأما البنون فاسمهم ماث وخلاب وعمان وملكان وأما البنات فاسمهم زغر والربه فعمان مدينة البلقاء سميت بعمان بن لوط وماث هي سائر البلقاء سميت بماث بن لوط وقال ابن قطامي سميت صيدا التي بالشام بصيدون بن صيدنا بن كنعان بن حام بن نوح وسميت أريحا التي بالشام بأريحا بن ملك بن ارفخشد بن سام بن نوح وسميت البلقا ببالق بن عمان بن لوط لانه بناها وسكنها وقيل ان البلقا سميت ببلقا بن سويرة من بني عمان بن لوط وهو بناها ويقال ولد للوط

كثير فقال ذوالقرنين لغلامه ارجع الى الموضع الذي فيه الارز فاقطع ذلك الشجر وابن على حفة الوادي مدينة وسمها باسمك فان ماينقص أهلها من زرعها يجبرونه بما يزيد عن أهل هذه الارض من غلتهم فرجع ورسم المدينة وبناها وعمل لها حصناً والمدينة التي كانت على ذلك الرسم هي المدينة الداخلة وعمل لها ثلاثة أبواب باب البريد مع باب الحديد الذي في سوق الاساكفة مع باب الفراديس هذه هي كانت المدينة وكانت اذا اغلقت هذه الابواب أغلقت البلد كلها وخارج هذه الابواب كان مرعى فبناها دمشق وسكنها ومات فيها وكان قد بنى كنيسة يعبد الله تعالى بها وهي الجامع الاموي الموجود الى اليوم وبلغني عن بعضهم ان دمشق بنيت على الكواكب السبعة وان المشتري بيته دمشق وان بانيها جعل لها سبعة ابواب وصور على كل باب منها كوكبا من احد الكواكب السبعة وجعل صورة زحل على الباب الذي يقال له باب كيسان فخربت تلك الصور كلها الا ما كان على باب كيسان فان صورة زحل باقية عليه الى الساعة (يعني الى زمن تاليف كتابه وأما اليوم فانا لم نر شيئاً من ذلك) وفي كتاب عتيق أن باب كيسان لزحل وباب شرقي للشمس وباب توما للزهرة والباب الصغير للمشتري وباب الجابية للمريخ وباب الفراديس لعطارد وباب الفراديس الاخر المسدود للقمر وقال ابو الحسين الرازي في كتابه لما قدم عبد الله ابن علي دمشق حاصر أهلها فلما دخلها هدم سورها فوقع منه حجر عليه كتابة باليونانية فاتوا براهب ليقرأه فقال ايتوني بحبر أطبعه به فقرأه فاذا فيه ما معناه ويلك ارم الجبابرة من رامك بسوء قصمه الله اذا وها منك جيرون الغربي من باب البريد ويلك من الخمسة أعين ففض سويك على يديه بعد أربعة آلاف سنة تعيشي رغداً فاذا وها منك جيرون الشرقي فويل لك ممن يعرض لك قال فوجدنا الخمسة أعين عبد الله بن علي بن عبد الله بن عياش بن عبد الملك .

« اشتقاق تسمية دمشق وأماكن من نواحيها »

قال ابن فارس اللغوي يقال أن دمشق مأخوذ من قولهم ناقة دمشق أي سريعة قال الشاعر :

وصاحبي ذات هباب دمشق　　كأنها بعد الكلال زورق

ابراهيم عليه السلام من النار وكان اسمه دمشق فسميت باسمه وسكنها الروم بعد ذلك بزمان ,وفي كتاب ابي عبيدة ان بنو راسب هو الذي بنى مدينة بابل وصور ودمشق وقال السدى ان فارس والروم لم يزالوا في ملك منظور مذ باديء الدهر حتى بعث الله رسوله عليه الصلاة والسلام فجمع الله له ملكهما وكان قد ملك من الروم عشرة أهل ابيات فأول بيوتاتهم ملك بالغ وفي زمنه صنع بنوه ماء الذهب ثم صار الملك الى تمنغ فمكث فيهم يسيراً ثم خرج منهم الى علوى فمكث فيهم قليلا ثم خرج منهم الى نبيت ثم الى اهليما ثم الى ايليا وبه سميت ايليا ثم تحول الى تميز فملك من أولاده فترك ثم مبصر ثم جيرون وهو الذي نزل بدمشق وبه سمي باب جيرون ثم ملك بعدهم مهاطيل ثم يردح فولد له الاصفر فكان الملك في أولاده ثم انقرضوا فتحول الى صيفون ومنهم القياصرة فملك بعد قيصر هرقل وكان آخر بني هرقل الاحزم قال صاحب الاصل وبلغني أنه لما رجع ذو القرنين من المشرق وعمل السد بين أهل خراسان وبين يأجوج ومأجوج وسار يريد المغرب بلغ الشام وسار على عقبة دمر أبصر الموضع الذي فيه دمشق اليوم وكان هذا الوادي الذي يجري فيه نهر دمشق غيضه أرز فلما نظر ذوالقرنين الى تلك الغيضة والى ذلك الماء الدي في هذه الانهار مفترقاً مجتمعاً في واد واحد أخذ ذوالقرنين يفكر كيف يبني في هذا المكان مدينة وكان أكثر فكره وتعجبه أنه نظر الى جبل يدور بذلك الموضع وبالغيضة كلها فكان له غلام يقال له دمشق جعله أميرا على سائر ملكه فلما نزل ذوالقرنين من عقبة دمر سار حتى نزل في موضع القرية المعروفة بيلدا على ثلاثة أميال عن دمشق فأمر أن يحفر له في ذلك الموضع حفرة ففعلوا ذلك ثم أمر أن يرد التراب منها اليها فلما رده لم تمتليء الحفرة فقال لغلامه دمشق ارحل فاني كنت قد نويت أن أبني في هذا الموضع مدينة فأما اذ بان لي هذا علمت انه لا يصلح ان يكون هنا مدينة فقال له غلامه ولم يامولاي فقال ان بنينا ههنا مدينة كان زرعها لايكفي أهلها وعلامة ذلك ان غوطة دمشق لاتكفيهم غلالهم حتى يشتروا من المدينة ثم سار ذوالقرنين حتى صار الى حوران فأشرف على تلك البقعة ونظر الى تلك التربة الحمراء فأمر أن يناول من التراب فلما صار في يده أعجبه لانه وجده كالزعفران فأمر أن ينزل هناك ويحفر في ذلك الموضع حفيرة فلما حفرت أمر برد ترابها اليها فلما فعلوا فضل منه تراب

وبالعبرانية شيم وقال الكلبي سميت بشامات لها حمر وسود وبيض ولم ينزلها سام قط وقال غيره سميت الشام لانها عن شمال الارض كما ان اليمن أيمن الارض فيقال تشآم للذي ذهب الى الشام وتيامن للذي ذهب الى اليمن كما تقول أخذت يمنة أي ذات اليمين وشامة أي ذات الشمال وقال بعض الرواة ان اسم الشام شورية وكانت أرض بني اسرائيل قسمت على اثني عشر سهماً فصار لكل قسم تسعة اسباط وحصل قسم سامر بن نمر في أرض فلسطين فكانت العرب تسافر اليه في تجارتها ومنه كانت ميرتهم فتردد اسم سامر على لسانهم وكان من قاعدتهم أنهم اذا نقلوا كلمة الى لغتهم تصرفوا بها فقالوا عن سامر شام .

« ذكر بناء مدينة دمشق ومعرفة من بناها (١) »

قال كعب الاحبار أول حائط وضع على وجه الارض بعد الطوفان حائط حران ودمشق ثم بابل وقال اسحق بن ايوب القرشي ان شيطاناً يقال له جيرون بنى لسليمان بن داود سقيفة مستطيلة على عمد وبنى حولها مدينة لطيفة فسمي المكان باسم الباني وهو جيرون وقال الرازي في كتاب التاريخ (هو غير فخر الدين الرازي) ان الله بعث نبياً الى أصحاب الرس يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه فسار عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح بولده من الرس فنزل الاحقاف وأهلك الله تعالى أصحاب الرس وانتشر ولد عاد في اليمن كله وفشوا مع ذلك في الارض حتى نزل جيرون بن سعد بن عاد بدمشق فسميت باسمه وهي ارم ذات العماد وليست أعمدة الحجارة في موضع أكثر منها في دمشق فبعث الله هوداً عليه السلام الى أولاد عاد بالاحقاف فكذبوه فأهلكهم الله تعالى وفي بعض الكتب ان جيرون وبريد ابنا سعد بن لقمان بن عاد سكنا دمشق فسمي جيروناً وباب البريد بهما وقال وهب بن منبه ان الذي بنى دمشق هو غلام ابراهيم عليه السلام وكان حبشياً وهبه له نمرود بن كنعان حين خرج

---

(١) من عادة الحافظ ابن عساكر في تاريخه انه يسرد الاقوال تسليماً لمن حكاها ويترك تمييز غثها من سمينها الى الناظر لها وبها ونحن تقتفي اثره في ذلك لضيق الوقت ولانا قصدنا أن لا نترك شيئاً من كلامه في كتابه واليك سرد الاقوال في ذلك .

فنزلوا بموضع الجحفة فنزل سيل فاجتحفهم فذهب بهم فسميت الجحفة ولحقت ثمود بالحجر ومايليه فهلكوا ثم لحقت طسم وجديس باليمامة وانما سميت اليمامة بامرأة منهم فهلكوا ثم لحقت اميم بأرض آباد فهلكوا بها وهي من اليمامة والشحر لا يصل اليها اليوم أحد غلبت عليها الجن وانما سميت ابار بابار بن اميم ولحقت بنو يقطن بن عامر باليمن فسميت اليمن حيث تناهوا اليها ولحق قوم من بني كنعان بن حازم بالشام فسميت بالشام حيث تشاءموا اليها وكانت الشام يقال لها أرض بني كنعان ثم جاءت بنو اسرائيل فقتلوهم بها وأجلوهم الى العراق الا قليلا منهم وجاءت العرب فغلبوا على الشام وكان فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح هو الذي قسم الارض قال ويقطن هو قحطان بن عابر ابن شالخ وطسم واميم وعمليق هو قريب بنو الود بن سام بن نوح وثمود وجديس ابنا حاسر بن ارم بن سام بن نوح وعاد وعبيل ابنا عوص بن ارم بن سام بن نوح والروم بنو لبطن بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وروي عن ابي الجلد انه قال الارض أربعة وعشرون ألف فرسخ منها الف فرسخ للعرب ولسائر الناس البقية اه وهذا بحسب ما تصوره وبما علمه في وقته

قال ابن الانباري والشام فيه وجهان يجوز ان يكون مأخوذاً من اليد الشومى وهي اليسرى قال الشاعر :

والجاعل شومى يديه فرادها بأظمأ من فرع الذؤابة أسحما

ويجوز أن يكون فعلي من الشوم قال ويقال أنجد أتى نجداً وأعرق دخل العراق وأعمن أتى عمانا وأشام أتى الى الشام وبصر وكوف وأيمن ويامن اذا أتى البصرة والكوفة واليمن وقال ابن فارس يقال أخذ شآمه أي على يساره وشاءمت القوم ذهبت على شمالهم وقال قوم هذا اللفظ مأخوذ من شوم الابل وهي سودها وحضارها وهي البيض قال ابو ذؤيب :

فما تشتري الا بربح سبائها بنات المخاض شؤمها وحضارها

وفي كتاب الله تعالى من المعنى الاول وأصحاب المشأمة أي اليسار قال النابغة :

على أثر الادلة والمطايا وخفق الناعجات من الشآم

ويقال في النسبة الى الشام شامي وقال ابن فارس وسميت اليمن يمناً لانها على يمين الكعبة وقال ابن المقفع سميت الشام بسام بن نوح وسام اسمه بالسريانية شام

وامتازوا به على سائر سكان الامصار ماخلا سكان الحرمين وجيران المسجدين المعظمين وبوّبت ذلك جميعه تبويباً ورتبته في مواضعه ترتيباً وذلك مبلغ علمي وغاية جهدي على ماوقع الي او ثبت عندي فمن وقف فيه على تقصير أو خلل او عثر منه على تغيير او زلل فليعذر أخاه في ذلك متطولا وليصحح منه ما يحتاج الى اصلاح متفضلا فالتقصير من الاوصاف البشرية وليست الاحاطة بالعلم الا لباري البرية فهو الذي وسع كل شيء علماً واحصى مخلوقاته عيناً واسماً ومع ذلك فمن ذكرت أكثر ممن اهملت وما أصبت في ذكره أكثر مما أغفلت وليس يخلو من فائدة من الفوائد المستفادة وذكر حكاية من الحكايات المستحسنة المستجادة لما جمعه من الاخبار الجامعة وانطوى عليه من الآثار اللامعة وحواه من الاذكار النافعة وتضمنه من الاشعار الرائعة مما ترغب فيه محسنة الراغب ويستفيده لعزته وجودته الطالب والله سبحانه وتعالى ييسر جمعه على من جمعه وينفع به من رواه ومن سمعه انه جدير باجابتي قدير على تحقيق رجاي وهو ولي كل خير ودافع كل سوء وضير والهادي في القول لصوابه ولا حول ولا قوة الا به .

« أصل اشتقاق تسمية الشام »

قال محمد بن السائب كان يونان بن نوح أول من عقد الالوية لاخوته ببابل فنزل بنو سام المجدل سرة الارض فيما بين ساتيدما الى البحر وما بين اليمن الى الشام وجعل الله النبوة والكتاب والجمال والبياض فيهم ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور ويقال لتلك الناحية الداروان وجعل الله تعالى فيهم ادمة وبياضاً قليلا وأعمر بلادهم وسمائهم ورفع عنهم الطاعون وجعل في أرضهم الاثل والاراك والعشر والغاف والنخل ومجرى الشمس والقمر في سمائهم ونزل بنو يافث الصفون مجرى الشام والصبا وفيهم الشقرة والحمرة وأخلا الله تعالى أرضهم فاشتد بردها واجلا سمائها فليس يجري فوقهم شيء من النجوم السبعة الجارية لانهم صاروا تحت بنات نعش والجدي والفرقد وابتلوا بالطاعون ثم لحقت عاد بالشحر فأهلكوا بواد يقال له مغيث فلحقت بعدهم مهرة بالشحر ولحقت عبيل بموضع يثرب ولحقت العماليق بصنعا قبل أن تسمى صنعا ثم أغدر بعضهم الى يثرب فأخرجوا منها عبيلا

النهي وذوو الاحكام ورقى خبر جمعي له الى حضرة الملك القمقام الكامل العادل الزاهد المجاهد المرابط الهمام ابي القاسم محمود بن زنكي بن ابي سنقر الناصر الامام أدام الله ظل دولته على كافة الانام وأبقاه مسلماً من الاسواء منصور الاعلام منتقماً من عداة المسلمين الكفرة الطغام معظماً لحملة الدين باظهار الاكرام لهم والاحترام منعماً عليهم بادرار الاحسان اليهم والانعام عافياً عن ذنوب ذوي الاساآت والاجرام بانياً للمساجد والمدارس والاسوار ومكاتب الايتام راضياً بأخذ الحلال ورافضاً لاكتساب الحطام آمراً بالمعروف زاجراً عن ارتكاب الحرام ناصراً للملهوف وقاهراً للظالم العسوف بالانتقام قامعاً لأرباب البدع بالابعاد لهم والارغام خالعاً لقلوب الكفرة بالجراة عليهم والاقدام وبلغني تشوقه الى الاستنجاز له والاستتمام ليلم بمطالعة ماتيسر منه بعض الالمام فراجعت العمل فيه راجياً الظفر بالتمام شاكراً لما ظهر منه من حسن الاهتمام مبادراً مايحول دون المراد من حلول الحمام مع كون الكبر مطية العجز ومظنة الاسقام وضعف البصر دون الاتقان له والاحكام والله سبحانه وتعالى المعين فيه بلطفه على بلوغ المرام وهو كتاب مشتمل على ذكر من حلها من أماثل البرية او اجتاز بها او بأعمالها من ذوي الفضل والمزية من أنبيائها وهداتها وخلفائها وولاتها وفقهائها وقضاتها وعلمائها ودراتها وقرائها ونحاتها وشعرائها ورواتها من أمنائها وأنبائها وضعفائها وثقاتها وذكر ما لهم من ثناء ومدح واثبات ما فيهم من هجاء وقدح وايراد ما ذكروه من تعديل وجرح وحكاية ما نقل عنهم من جد ومزح وبعض ما وقع من رواياتهم وتعريف ما عرفت من مواليدهم ووفاتهم .

وبدات بذكر من اسمه منهم أحمد ليكون الابتداء بمن وافق اسمه اسم المصطفى ثم ذكرتهم بعد ذلك على ترتيب الحروف الثاني والثالث تسهيلا للوقوف وكذلك ايضاً اعتبرت الحروف في اسماء آبائهم واجدادهم ولم أرتبهم على طبقات أزمانهم أو كثرة أعدادهم وعلى قدر علوهم في الدرجات والرتب ولا لشرفهم في الافعال والنسب وأزيد فيهم من عرف بكنية ولم أقف على حقيقة تسميته ثم ذكر نسبته وبمن لم يسم في روايته وأتبعتهم بذكر النسوة المذكورات والاماء الشواعر المشهورات وقدمت قبل جميع ذلك جملة من الاخبار في شرف الشام وفضله وبعض ما حفظ من مناقب سكانه وأهله وما خصوا به دون اهل الاقطار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق الارواح وباريء الاجسام وفالق الاصباح بالضياء بعد غسق الظلام ورازق الطيور والانس والجن والوحوش والانعام وفاتق السماء والارض عن قطر الغمام والحب ذي العصف والنخل ذات الاكمام تبصرة لذوي العقول وتذكرة لاولي الافهام (أحمده) على تواتر انعامه بنعمه العظام واستزيده من مزيد مننه الجسام وأشهد أن لااله الا الله محيي العظام ذو الطول والعزة والبقاء والجلال والاكرام وأشهد ان محمداً عبده الصادق الكلام الداعي باذنه الى اتباع شريعة الاسلام الماحي بنبوته عباد الاوثان والاصنام الماحق برسالته معالم الانصاب والازلام صلى الله عليه صلاة مقرونة بالمزيد والدوام وعلى آله واصحابه وانصاره البررة الكرام وأحله واياهم بفضله ورحمته دار السلام كما طهرهم من دنس العيوب ووضر الآثام (أما بعد) فاني كنت قد بدأت قديماً لسؤآل من قابلت سؤآله بالامتثال والالتزام على جمع تاريخ لمدينة دمشق أم الشام حمى الله ربوعها من الدثور والانفصام وسلم جرعها من كيد قاصديهم بالاهتضام فيه ذكر من حلها من الاماثل والاعلام فبدأت به عازماً على الانجاز له والاتمام فعاقت عن انجازه واتمامه عوائق الايام من شدوة الخاطر وكلال الناظر وتعاقب الآلام فصدفت عن العمل فيه برهة من الايام حتى كثر علي في اهماله وتركه لوم اللوام وتحشيم من تحشيمه سبب لوجود الاحتشام وظهر ذكر شروعي فيه حتى خرج عن حد الاكتتام وانتشر الحديث فيه بين الخواص والعوام وتطلع الى مطالعته أولو

Ibn ʿAsākir, ʿAli ibn al-Hasan

التاريخ الكبير

al-Tarikh al-Kabir

للحافظ الكبير ثقة الدين ابو القاسم على بن الحسن بن
هبة الله بن عبد الله بن الحسين ابن عساكر الشافعى

طبع على نفقة مطبعة « روضة الشام » لصاحبها
قارصلى خالد

اعتنى بترتيبه وتصحيحه الشيخ عبد القادر افندى بدران

« مطبعة »
« روضة الشام » سنة ١٣٢٩

الجلد الاول

وكانت ولادة الحافظ المذكور في أول محرم سنة تسع وسبعين واربعمائة وتوفي ليلة الاثنين الحادي والعشرين من رجب سنة احدى وسبعين وخمسمائة بدمشق ودفن عند والده وأهله بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى وصلى عليه الشيخ قطب الدين النيسابوري وحضر الصلاة عليه السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى .

وكان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي قد بنى له دار الحديث النورية التي بالعصرونية مقابل العادلية الصغرى فدرس بها الى حين وفاته.

« وقال ابن خلكان في تاريخه »

كان محدث الشام في وقته ومن أعيان الفقهاء الشافعية غلب عليه الحديث فاشتهر به وبالغ في طلبه الى ان جمع منه ما لم يتفق لغيره ورحل وطوّف وجاب البلاد ولقى المشايخ وكان رفيق الحافظ ابي سعد عبد الكريم ابن السمعاني في الرحلة وكان حافظاً ديناً جمع بين المتون والاسانيد سمع ببغداد في سنة عشرين وخمسماية من أصحاب البرمكي والتنوخي والجوهري ثم رجع الى دمشق ثم رحل الى خراسان ودخل نيسابور وهراة وأصبهان والجبال وصنف المتصانيف المفيدة وخرّج التخاريج وكان حسن الكلام على الاحاديث محظوظاً في الجمع والتأليف صنف التاريخ الكبير لدمشق في ثمانين مجلداً أتى فيه بالعجايب وهو على نسق تاريخ بغداد قال لي شيخنا الحافظ العلامة زكي الدين ابو محمد عبد العظيم المنذري حافظ مصر أدام الله به النفع وقد جرى ذكر هذا التاريخ وأخرج لي منه مجلداً وطال الحديث في أمره واستعظامه ما أظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من حينما عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت والا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبيه ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذي اختاره وما صح له هذا الا بعد مسودات ما يكاد ينضبط حصرها وله غيره تواليف حسنة وأجزاء ممتعة وله شعر لا بأس به فمن ذلك قوله :

الا ان الحديث اجل علم ... واشرفه الاحاديث العوالي
وأنفع كل نوع منه عندي ... وأحسنه الفوائد والامالي
وانك لن ترى للعلم شيئاً ... يحققه كأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه ... وخذه عن الرجال بلا ملال
ولا تأخذه من صحف فترمى ... من التصحيف بالداء العضال

قد رأيت السلفي وأبا العلاء الهمذاني فما رأيت فيم أحفظ من ابن عساكر توفي في رجب سنة احدى وسبعين وخمسمائة ودفن بمقبرة باب الصغير في الحجرة التي فيها معاوية وقال الشيخ عبد الوهاب السبكي في طبقات الشافعية الوسطى ان المترجم لا نعلم أحداً من جدوده يسمى عساكر وانما هو انتهى الينا كذلك ثم قال هو الشيخ الامام ناصر السنة وخادمها وقامع اركان البدعة وهادمها امام أهل الحديث في زمانه وختام الجهابذة الحفاظ ولا ينكر احد مكان مكانه محط رجال الطالبين وما مل ذوي الهمم من الراغبين والواحد الذي اجمعت الامة عليه والواصل الى ما لم يطمح الانام اليه والبحر الذي لا ساحل له والحبر حمل أعباء السنة كاهله قطع الليل والنهار دائبين في دأبه وجمع نفسه على اسباب العلوم لا يتخذ غير العلم والعمل صاحبين وهما منتهى أربه حفظ لا يغيب عنه ساربه وضبط استوت لديه المثلى واتقان ساد به من سبقه ان لم يكن فاته وسبقه علم أثرى به وترك الناس بين يديه ذوي فاقة له تاريخ الشام في ثمانين مجلدة وأكثر أبان فيه عما لم يلم به غيره ويعجز عنه ومن طالع هذا الكتاب عرف الى اي مرتبة وصل هذا الامام واستقل الثريا وما رضي بدر التمام وله كتاب الاطراف وكتاب تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري وعدة تصانيف وتخاريج وفوائد ما الحفاظ اليها الا محاويج ثم ذكر ابن السبكي نحواً مما تقدم في ترجمته وعد البلاد التي رحل اليها في طلب العلم وأطال وقال ما خلاصته وكان في حداثته تفقه في دمشق ولما دخل بغداد ازم بها الفقه وسماع الدروس بالمدرسة النظامية وقرأ الخلاف والنحو ولما دخل بغداد اعجب به البغداديون وقالوا ما رأينا مثله وكذلك قال مشايخه الخراسانيون وسماه البغداديون شعلة نار لتوقد ذكائه وحسن ادراكه وقال النووي عنه هو حافظ الشام بل حافظ الدنيا وهو الامام مطلقاً الثقة الثبت قال السبكي وللحافظ شعر كثير قلما أملى مجلساً الا وختمه بشيء من شعره وكانت بينه وبين الحافظ السمعاني مودة أكيدة فكتب اليه السمعاني كتاباً في مجلد سماه فرط الغرام الى ساكن الشام فكتب اليه ابن عساكر كتاباً يقول فيه :

ما كنت أحسب حاجتي	وان نأت داري مضاعه
أنسيت ثدي مودتي	بيني وبينك وارتضاعه
ولقد عهدتك في الوفا	ء أخا تميم لا قضاعه

يتدانى لقاصده حتى ينال مع احتياج ابناء زمننا اليه وتشوقهم لرؤية طلعته فاحببت أن أتحفهم به محذوف التكرار والاسانيد فشمرت ساعد الجد لذلك وأخذت عبارته خالية عن التكرار وأبقيت أسانيد الاخبار في محلها من صحفه بحيث ان من طالع ما أتحفته به لا يعزب عنه شيء من الاصل ولا يدركه ملل مما أطال به ثم اني نقحت الحوادث حسب الامكان وبينت مراتب الاحاديث التي رواها من صحة واعتلال وأعملت الفكر في تصحيح ألفاظه التي تناولتها أنامل الكتبة بالتحريف وأوضحت ما استعجم من كلماته اللغويةوأرجو اللهانيكون كتاباًأخدم به أهلالوطنوهدية لمحبيالعلم الناهجين فيه على أقوم سنن انه تعالى مفيض الخير والجود ثم اني أبقيت خطبة الاصل على حالها لان بها تعلم مقاصد المؤلف رحمه الله تعالى وقدمت امام المقصود ترجمته سالكاً بها مسلك المحدثين فقلت وبالله التوفيق .

ترجمة المؤلف

هو الحافظ الكبير ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ابن عساكر الشافعي

امام أهل الحديث في زمانه وحامل لوائهم مولده في العشر الاخير من المحرم سنة ٤٩٩ اعتنى به ابوه وأخوه في صغره فسمع الحديث وعمره ست سنين ثم طلب بنفسه ورحل في هذا الشأن سنة عشرين الى الآفاق وجاب البلاد وأبعد في الرحلة وجمع وكتب الكثير في العراق وخراسان واصبهان وغيرها وجملة شيوخه الف وثلاثمائة شيخ ونيف وثمانون امرأة قاله النعيمي في تنبيه الطالب وارشاد الدارس وقال وصنف التصانيف الجليلة منها تاريخ دمشق في ثمانين مجلداً ومن تصفحه علم منزلته في الحفظ وكان كثير العلم غزير الفضل حسن السمت ديناً ثقة متقناً جمع بين معرفة المتون والاسانيد سمع منه ابو سعد السمعاني وأكثر عنه ورحل في طلب الحديث وجمع مالم يجمعه غيره وقال الحافظ عبد القادر الرهاوي

بالجاذبية وأفاعيل عناصر القوى المغناطيسية وما بها من قوى التأثير وأرشدنا الى ان الكل بخلقه لا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وأمرنا باستخراج دقائق العلوم والفنون من ذلك البحر الزاخر باشارة ما فرطنا في الكتاب من شيء والى فن الميقات وتوابعه بألم تر الى ربك كيف مد الظل أي الفيء صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما رمى شهاب العلم الثاقب شيطان الجهل فولى خاسئاً مدحوراً وقام داعي الحق فملأ الآفاق ضياء ونوراً وسلم تسليماً .

(أما بعد) فيقول الملتجىء لحضرة الرحيم الرحمن عبد القادر بن احمد المشهور كأسلافه بابن بدران المنتمي أصله ونجاره لبني سعد جيران الصفا وذي سلم المانة عليه دمشق بصقل قريحته بأيدي أفاضل كانوا كالنجوم في الظلم أسبغ الله نعمه عليه ظاهراً وباطناً وجعله من كيد الاعداء الواقفين عثرة أمام ترقي الامة آمناً لما كان فن التاريخ بمقام يسمو على الكوكب المنير ويتسامى مقاماً ليتناول الاطلس والاثير ويتجلى جماله في صفحات الكتب المنزلة فلا يكاد الحجاب يكشف عن وجوه خرائده الا ويصبو الفؤاد له تنافس فيه أرباب الكمال وصار كل خامل الفكر لمحاسنه الزاهرة من العذال ورفع له الافاضل الاعلام فازداد بتكرر الليالي والايام لما انطوى في باطنه من التحقيق والنظر وتعليل الكائنات على وجه مطول ومختصر فكان له من الانتساب للحكمة القدح المعلى ونفور ولا نفور عمن ادبر عنه وتولى واعتنى بتدوينه أفاضل كل عصر وجهابذة أحرزوا قصب العلاء والفخر وكان ممن أسهر في جمعه الليالي وأظمأ الايام الامام المتقن الحافظ الكبير ثقة الدين ابو القاسم علي ابن عساكر الدمشقي رحمه الله فجمع تاريخه الملقب بالتاريخ الكبير في ثمانين مجلداً وجعله تاريخاً لمدينة دمشق الزاهرة ضارع به تاريخ بغداد للخطيب البغدادي فجاء روضة زاهرة يجتني منها المحدث ثمرات المقاصد والاديب ورد الخمائل والسياسي حكمة تبهر العقول واللغوي اكماء وعساقلا والفقيه نوادر الاصول والواعظ نكتاً ولطائف والخطيب فقراً تصاغ من العسجد واللجين والبليغ المطابقة لمقتضى الاحوال والمستفيد نوادر وأمثالا لا يجدها مجموعة في كتاب الا انه طول شرحه بطول السند وكرر فيه الحوادث تكراراً كان مألوفاً في زمنه وقد يمل منه أبناء هذا الزمان فلذلك هجر حتى عز وجوده فصار كعنقاء مغرب وحديث مغرب وأصبح لا يسمح لعشاقه بالوصال ولا

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك يا من كل ذرة في الكون ناطقة بحمدك الاسمى وكل موجود خاضع لتصرفك وأنت المحيط به علماً وكل معدوم عند تعلق ارادتك بوجوده كان أظهر مما قبله وأنمى الك البقاء ولما سواك التنقل في الاطوار الى أجل مسمى ظهرت لكل عاقل فاستدل بآثارك على وجودك وأذعن بأنه من المستحيل الاشراك في توحيدك وكنت الباطن لمن عمى عن نفسه فاعتاض عنك بالطبيعة والاثير وما ذاك الا من افاضة فألهمها فجورها وتقواها وهو الوهاب الوجود على الاثير وخلق الطبيعة وسواها خلقت لنا الارض واستعمرتنا اياها وجعلت لنا بها خزائن من المعايش لا تتناهى وقضيت بتعاقب الامم والاجيال وتقلبات الموجودات طوراً فطوراً على قاعدة النشوء والارتقاء بتكرر الايام والليال فليس لغيرك الشكر وان أبدى الجاحد جحوداً وليس بغيرك الاستعانة وان تبع المستعين بالسوى مع الانحراف جموداً والصلاة والسلام على من أرسلته بشيراً ونذيراً وداعياً اليك باذنك وسراجاً منيراً نبيك محمد النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً في التوراة والانجيل والفرقان فجاهد في محو الشرك والطغيان وعبادة الاوثان وأنزلت عليه كتاباً أعجز الفصحاء والبلغاء وأفحم من طولب بمعارضته من العرب العرباء ونطق بسير الماضين للاستبصار اجمالا وأمر بالمسير في الارض ليعلم السائر عاقبة المستبدين حالاً ومآلا وذكر بخلق السموات وبما أودعها من الكواكب والعجائب وبدحو الارض وبما أودع بها من صنوف المعادن والنبات والمياه لنتفطن لتلك الغرائب وبالسحاب المسخر بين السماء والارض المؤثر كمثل عقد النكاح بينهما والاصطحاب وبالانفس ليكون ذلك تذكرة وتبصرة لأولي العقول المستنيرة والالباب وليذكرنا